NORLA

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

جو نيسبو

JO NESBØ

المؤلف الروائي الذي فاقت مبيعات كتبه عشرات ملايين النسخ في مختلف أنحاء العالم ولغاته

رَجُل الثلج

رواية

رَجُل الثلج

رواية

Snømannen

Snowman The

جو نيسبو

JO NESBØ

ترجمة

معن الكشك

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

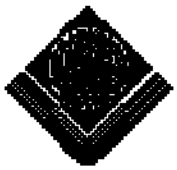

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي لرواية
Snowman The
عن الأصل النروجي: Snømannen الصادرة عن دار Aschehoug .H &
Oslo ,(Nygaard .W) .Co
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون،
ش.م.ل.
of support financial with published been has Translation This
.NORLA

Snømannen as Norway in Published Originally
2007 Nesbø Jo © Copyright
Norway ,.Co & Aschehoug with agreement by Published
reserved rights All
S.A.L .Inc ,Publishers Scientific Arab by 2014 © Copyright Arabic

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ISBN: 978-614-02-2180-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (+961-1) 785107 - 785108 - 786233
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: (+961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

وسط مدينة أوسلو
مركز الطب الجنائي
مستشفى أوليفال
تورهوف
موقع الخريطة
تراباقان
منزل راكيل
سوليهوغدا
منصة هولمنكولن للتزلج
أوسلو
سيدنغسفاتا
ماجورستون
حديقة فروغنر
هوف
سانت هانسهاوغن
غروندرلوكا
ستتمبرغاتا
قصر
حديقة سوفيانبرغ
حديقة توين
سبيكتروم
أوتيل بلازا
وحدة هلرع برايتس الجنائية
المحطة الرئيسية
قيادة الشرطة
حصن أكرهوس
بيغدوي
0 0.25 0.5 MI
0 0.5 1 KM

القسم الأول

1 - الأربعاء 5 نوفمبر 1980

رجل الثلج

كان ذلك يوم تساقط الثلج. فقد ظهرت ندف الثلج عند الساعة الحادية عشرة صباحاً من السماء عديمة اللون، وغزت منطقة روميرايك وحدائقها ومروجها كأسطول غزو فضائي. وعند الساعة الثانية، بدأت جرافات الثلج بالعمل في ليلستروم. وعندما حرّكت سارة كفينسلاند سيارتها من نوع تويوتا كورولا أس آر 5 ببطء وحذر عند الساعة الثانية بين البيوت المتباعدة في كولوفين كان ثلج نوفمبر ينتشر في الريف الشاسع كوسادة من الريش.

فكّرت سارة كم تبدو البيوت مختلفة، وبينما كانت تجتاز المنعطف، انـزلقت السيارة عند ضغطها على المكابح، فسمعت أنيناً من المقعد الخلفي، وعندما نظرت عبر مرآة الرؤية الخلفية شاهدت وجه ابنها المستاء.

قالت:

- لن يستغرق الأمر الكثير من الوقت يا حبيبـي.

كان هناك ممر كبير مسفلت وسط كل البياض أمام المرأب، فأدركت أن الشاحنة كانت هناك، فغصت خوفاً من أن تكون قد تأخرت.

جاء صوت من المقعد الخلفي:

- من يعيش هنا؟

أجابت سارة بتلقائية وهي تتفقد شعرها في المرآة:

- شخص أعرفه... سأعود في غضون عشر دقائق يا حبيبـي، سأترك المفتاح في فتحة الإشعال لتتمكن من الاستماع للمذياع.

خرجت من دون انتظار رده، ومشت نحو الباب الذي عبرته مرات عدة، إلا أنها لم تعبره قط في وضح النهار، وتحت نظرات عيون الجيران الفضوليين. لم تكن زياراتها الليلية بريئة، لكن مما لا شك فيه أن جنح الظلام يبدو أكثر ملاءمة لمثل تلك الزيارات.

بدا صوت رنين الجرس من الخارج حيث تقف كصوت نحلة طنانة عالقة في مرطبان مربى، ولمّا بدأ صبرها ينفد، ألقت نظرة على نوافذ المنازل المجاورة، لكنها لم تكشف لها عن شيء، وإنما عكست خيالات أشجار التفاح الجرداء والسماء الرمادية والأراضي حليبية اللون. وفي النهاية، سمعت صوت خطوات خلف الباب، فتنفست الصعداء.

لم تمر لحظة إلا وكانت داخل المنـزل بين ذراعيه.

قالت والعبرات تخنق كلماتها:

- لا تذهب يا عزيزي.

أجابها برتابة:

- يتوجب عليّ ذلك.

همست في أذنه:

- لا، لا يتوجب عليك فعل ذلك، لكنك تريد ذلك.

- ليست للأمر علاقة بـي أو بك.

أحست بالإثارة التي يشعر بها من خلال صوته، بينما اندست يده القوية واللطيفة أسفل ظهرها، كانا كزوج من الراقصين المحترفين اللذين يعرفان حركات بعضهما بعضاً وإيقاعهما وأنفاسهما. ففي البداية، كان هناك الحب الأبيض الجيد، ثم تلاه الحب الأسود الممزوج بالألم.

سألها باضطراب صارم:

- هل ركنت السيارة أمام المرأب؟

هزت رأسها، وشعرت بالألم يندفع إلى رأسها كموجة من السرور.

- ابني ينتظرني في السيارة. إنه لا يعرف شيئاً.

- وماذا عن زوجك؟ أين هو الآن؟

- أين تظنه؟ في العمل بالطبع.

عندها، بدت منـزعجة لأنه أقحم زوجها في الحديث، ومن الصعب عليها أن تقول أي شيء عنه من دون أن تنـزعج، كانت بحاجة إليه.

- لا...

بدأ بالكلام وهو يشدها من خصرها، فلطمته بقوة بيدها. نظر إليها بذهول، بينما انتشر تورد أحمر على خده، فابتسمت وأمسكت بشعره الأسود لتنـزل رأسه إلى مستوى رأسها وتهمس:

- يمكنك الذهاب، ولكن عليك أولاً أن.... هل هذا مفهوم؟

شعرت بنفسه يلفح وجهها حيث كان يلهث بصعوبة.

كانت مخدرة عندما ابتعد عنها، إلا أن السحر تلاشى، والتوتر تبدد، ولم يبقَ سوى اليأس؛ فهي ستخسره...

كان واقفاً وعيناه مغمضتان، بينما حدّقت إلى صدره. في البداية، أحست الأمر غريباً، لكنها بعد برهة بدأت تحب منظر بشرته البيضاء التي تغطي عضلات صدره، فقد ذكرها الأمر بالتماثيل القديمة التي كانت تخلو من حلمات الثدي حرصاً على الحشمة العامة.

فجأة توقف.

سألته متفاجئة:

- ما الذي حصل؟

كانت ملامحه مختلفة، ولكن ليس من السرور.

همس:

- وجه.

أجفلت:

- أين؟

- خارج النافذة.

كانت النافذة فوق رأسها مباشرة.

استدارت ورفعت جسدها لترى ما يوجد في الخارج، فقد كانت النافذة أعلى من المستوى الذي كانت تستلقي عنده، كما كانت مرتفعة جداً كي يتمكن أي شخص من الوقوف في الخارج والتلصص، وبسبب ضوء النهار المتضائل لم تتمكن من رؤية إلا انعكاس لمصباح السقف.

قالت باحتجاج:

- لقد رأيت نفسك.

قال وهو يحدق إلى النافذة:

- هذا ما ظننته في البداية.

وقفت سارة ونظرت إلى الحديقة، وبالفعل رأت وجهاً، إلا أنها أطلقت ضحكت ارتياح. كان الوجه أبيض مع عينين وفم مصنوعة من الحصى السوداء التي ربما جلبت من الممر، وذراعين مصنوعتين من أغصان أشجار التفاح.

لهثت:

- إنه مجرد رجل ثلج.

ثم تحولت ضحكتها إلى دموع، ونشجت بيأس حتى شعرت بذراعيه حولها.

نشجت:

- عليّ الذهاب الآن.

- ابقي قليلاً.

فبقيت قليلاً.

حين اقتربت سارة من المرأب اكتشفت أن أربعين دقيقة تقريباً قد مضت.

لقد وعدها بالاتصال بها بين الحين والآخر، ولكنه طالما كان بارعاً بالكذب. للحظة من الزمن شعرت بالسعادة، وقبل أن تستقل السيارة، رأت وجه ابنها الشاحب يحدق إليها من المقعد الخلفي، جذبت مقبض الباب فتفاجأت أنه مقفل. حدقت إليه من خلال النوافذ المغطاة بالبخار لكنه لم يفتحه إلا حين نقرت على الزجاج.

جلست على مقعد السائق، وكان المذياع صامتاً كما كان الجو بارداً في الداخل، وكان المفتاح على المقعد الأمامي. التفتت إليه فوجدته شاحباً وشفته السفلى ترتجف.

سألته:

- ما الخطب؟
- لقد رأيته.

كانت هناك نبرة حادة مليئة بالرعب في صوته، لم تتذكر أنها سمعتها منذ أن كان طفلاً صغيراً محشوراً بينهما على الكنبة أمام التلفاز ويداه على عينيه. والآن، بدأ صوته يتغير، كما توقف عن عناقها قبل النوم، وبدأ بالاهتمام بمحركات السيارات والبنات، ويوماً ما سيركب سيارة مع واحدة منهن ويتركها أيضاً.

قالت وهي تدخل المفتاح في فتحة الإشعال وتديره:

- ما الذي تعنيه؟
- رجل الثلج...

لم تكن هناك أي استجابة من المحرك، بينما سيطر عليها الذعر من دون سابق إنذار... مم كانت تخشى؟ هذا ما لا تعرفه. حدقت عبر الزجاج الأمامي، وأدارت المفتاح مجدداً. هل فرغت البطارية؟

سألت وهي تضغط على دواسة البنـزين إلى أقصى حدّ وتدير المفتاح بيأس وقوة لدرجة أنها شعرت أنها ستكسره:

- كيف كان شكل رجل الثلج؟

أجابها، إلا أن صوت المحرك طغى على إجابته.

حركت سارة مبدّل الحركة، وأفلتت المقبض، فغزلت العجلات في الثلج الناعم. زادت من السرعة إلا أن مؤخرة السيارة انـزلقت جانباً، بينما دارت الإطارات حتى وصلت إلى الإسفلت.

- والدك ينتظرنا... علينا الإسراع.

شغّلت المذياع، ورفعت الصوت، كان هناك مذيع أخبار يقول للمرة المائة في ذلك اليوم إن رونالد ريغان قد تغلب على جيمي كارتر الليلة

الماضية في الانتخابات الأمريكية.

قال الصبـي شيئاً آخر مرة أخرى، فنظرت إلى المرآة وقالت بصوت مرتفع:

- ما الذي قلته؟

أعاد ما قاله لكنها لم تسمعه أيضاً، عندها أخفضت صوت المذياع وهي تتجه نحو الطريق الرئيس والنهر اللذين يبدوان عبر الريف كشريطين أسودين حزينين. أجفلت حين أدركت أنه متكئ إلى الأمام بين المقعدين الأماميين، بدا صوته كهمس جاف في أذنها كما لو كان من المهم أن لا يسمعهما أحد.

- سنموت.

2 - 2 نوفمبر 2004 اليوم الأول

عينان من الحصى

أجفل هاري هول، وفتح عينيه على اتساعهما.

كان الجو بارداً، في حين كان صوت المذياع الذي استيقظ بسببه يعلن أن الشعب الأمريكي سيحدد اليوم خياره إن كان سيمنح جورج بوش ثقته ليكون الرئيس لأربع سنوات أخرى... كان هاري يفكّر في أنهم يتجهون بالتأكيد نحو أوقات عصيبة... رمى وسادته جانباً، ووضع قدميه على الأرض، فأجفل من برودتها. ذهب إلى الحمام، ونظر إلى نفسه في المرآة، كانت عيناه حمراوين كالعادة، والمسام على أنفه كبيرة وسوداء، أما الانتفاخ أسفل عينيه الزرقاوين الفاتحتين فكاد أن يختفي بعد أن غسل وجهه بالماء الدافئ وجففه بالمنديل وتناول الفطور؛ ذلك ما افترضه... لم يكن هاري متأكداً تماماً من شكل وجهه خلال النهار الآن بعد أن بلغ الأربعين من العمر. فهل ستختفي التجاعيد وتطغى على وجهه ملامح الطمأنينة عندما يستيقظ بعد ليالٍ مليئة بالكوابيس؟ حيث كانت معظم لياليه مصحوبة بالكوابيس، لقد هجر المرآة بعد أن غادر شقته الصغيرة في بوابة صوفير ليصبح المحقق هول في فرقة مكافحة الجرائم في شرطة أوسلو، ثم بدأ يحدق إلى وجوه الآخرين ليرى ألمهم ونقاط ضعفهم وكوابيسهم ودوافعهم وأسباب خداعهم لذواتهم، وليستمع إلى كذبهم المرهق، ويحاول أن يجد معنى لما يفعله والمتمثل بسجن الأشخاص المسجونين مسبقاً في ذواتهم، فقد ميز جيداً سجون الكراهية وازدراء الذات. مرر يده على الخصل المقصوصة من الشعر الأشقر التي نمت على ارتفاع 192 سنتيمتراً بالضبط من قدميه المتجمدتين من شدة البرد، بينما برزت عظمة الترقوة تحت جلده كعلاقة ملابس. لقد تمرن كثيراً منذ آخر قضية، فبالإضافة إلى ركوب الدراجة بدأ برفع الأثقال في غرفة اللياقة البدنية في مركز الشرطة. لقد أحب الألم الحارق والأفكار المكبوتة، إلا أنه أصبح أكثر هزالاً فحسب، فقد اختفت الدهون بينما رقدت عضلاته بين الجلد والعظام.

قبل أن يصبح عريض المنكبين، وكما يدعوه راكيل رياضياً طبيعياً بدأ يشبه صورة رآها مسبقاً لدب قطبي مغطى بالجلد: مفترس مفتول العضلات لكنه هزيل بشكل مروع، أي إنه ببساطة كان يتلاشى. لم يكن ذلك مهماً في الواقع. تنهد هاري. إنه نوفمبر.

ذهب إلى المطبخ، وتناول كأساً من الماء مع حبّة دواء للتخفيف من

صداعه، وحدق عبر النافذة بدهشة، فقد كان سقف المبنى في الطرف الآخر من بوابة صوفير أبيض، وعند رؤيته البياض المعكوس والمشرق لمعت عيناه. لقد تساقط الثلج للمرة الأولى هذه السنة خلال الليل. فكّر في الرسالة، فعلى الرغم من تلقيه مثلها بين الفينة والأخرى، إلا أن هذه الرسالة كانت مميزة، فقد ذكرت حديقة تووميا.

على المذياع بدأ برنامج عن الطبيعة، وكان الصوت المتحمس يتكلم عن الفقمة:

- كل صيف، تقوم فقمات بيرهاوس بالاجتماع في مضيق بيرنغ للتزاوج، وبما أن الذكور تشكل الأغلبية فإن التنافس على الإناث يكون شرساً؛ حيث إن الذكور التي تتمكن من الحصول على أنثى تلازمها طوال فترة التزاوج، ويقوم الذكر بالاعتناء بأنثاه حتى تلد ويتمكن الوليد من العيش وحده، وهو أمر لا ينبع من الحب للأنثى وإنما من الحب للوليد.

فكر هاري في أن صوت المذيع كان يتكلف الإثارة.

- لكن، قبل أن تغادر الفقمات مضيق بيرنغ للبحث عن الطعام في البحر الشاسع تحاول الذكور منها قتل الإناث، لماذا؟

لأن أنثى فقمة بيرهاوس لا تتزاوج مرتين مع الذكر ذاته! فبالنسبة إليها، ذلك يسهم في نشر المخاطر البيولوجية الوراثية كما هي الحال في سوق الأسهم. وهي ترى أن ذلك يجعل الشعور البيولوجي مشوشاً، والذكر يعرف ذلك جيداً. لذا بقضائه على حياتها فهو يسعى لإيقاف صغار الفقمات الأخرى عن التنافس مع ذريته على الطعام ذاته.

قال صوت آخر:

- نحن الآن نتعامل مع نظرية، فلماذا لا يفكر البشر مثل الفقمة؟

- لكننا نفكر هكذا... أليس كذلك؟ فمجتمعنا ليس أحادي الزواج كما يبدو، كما أنه لم يكن يوماً كذلك. إذ أظهرت دراسة سويدية مؤخراً أن ما بين خمسة عشر وعشرين بالمائة من جميع الأطفال المولودين ينتسبون لآباء مختلفين عن الآباء الذين يظنون أنفسهم منتسبين إليهم.

عشرون بالمائة تعني أن خُمسَ الأطفال يعيشون كذبة، ويضمنون التنوع البيولوجي.

عبث هاري بقرص التردد بحثاً عن بعض الموسيقى الجيدة، وتوقف عند نسخة قديمة من أغنية ديسبيرادو لجوني كاش.

قُرِع الباب بقوة.

توجه هاري إلى غرفة نومه، وارتدى بنطاله الجينـز، ثم عاد وفتح

الباب.

- هاري هول؟

كان الرجل الذي يقف في الخارج يرتدي بذلة عمالية زرقاء، ويحدق إلى هاري من وراء نظارة سميكة العدستين... كانت عيناه صافيتين كعيني طفل.

هز هاري رأسه.

- هل لديك أي فطور؟

سأل الرجل هذا السؤال بوجه خالٍ من التعابير. كانت هناك خصلة طويلة من الشعر ملتصقة على جبهته، وكان يحمل في يده لوحاً بلاستيكياً عليه ورقة مملوءة بالكتابات.

انتظره هاري ليشرح أكثر، لكنه لم ينبس ببنت شفة... بل تفوّه بمجرّد هذا التعبير الواضح والمباشر.

- هذا أمر خاص كلياً.

لاحت ابتسامة على وجه الرجل رداً على الدعابة التي سئم من سماعها:

- فطور في جدران الشقة.
- ليس هناك من سبب يدعوني للاعتقاد بذلك.
- هكذا هي الفطور، فهي نادراً ما تمنحك أي سبب للاعتقاد بوجودها.

مرّر الرجل لسانه على أسنانه، وتأرجح على كعبي قدميه.

أخيراً قال هاري:

- لكن؟
- لكنها موجودة.
- ما الذي يدفعك للاعتقاد بذلك؟
- إنها موجودة في بيت جارك.
- هل تعتقد أنها انتشرت؟
- إنها لا تنتشر، وإنما ينتشر العفن الجاف.
- إذاً؟
- هناك خطأ معماري في تهوية الجدران في هذا الحي، وهو يسمح للعفن الجاف بالانتشار. أيمكنني إلقاء نظرة على مطبخك؟

خطا هاري خطوة إلى الداخل ليفسح المجال للرجل ليدخل المطبخ؛ حيث قام مباشرة بوضع جهاز شبيه بمجفف شعر برتقالي على الجدار.

أصدر الجهاز صريراً مرتين.

قال الرجل وهو يتفحص شيئاً بدا وكأنه مؤشر:

- هذا مكشاف الرطوبة... كما ظننت بالفعل. هل أنت متأكد من أنك لم ترَ أو تشم أي رائحة غريبة؟

لم تكن لدى هاري أي فكرة واضحة عما يمكن أن يكون ذلك.

قال الرجل:

- طبقة ذات رائحة عفنة كالتي توجد على الخبز العفن؟

هز هاري رأسه نافياً.

سأل الرجل:

- هل تؤلمك عيناك؟ هل تشعر بالتعب؟ هل تعاني من الصداع؟

هز هاري كتفيه:

- بالطبع، حسبما أذكر.

- أتعني طوال فترة إقامتك هنا؟

- ربما... اسمعني...

لكن الرجل لم يكن يستمع إليه، فقد أخرج سكيناً من حزامه. تراجع هاري إلى الوراء ليشاهد اليد الممسكة بالسكين وهي ترتفع وتنغرز بقوة كبيرة. صدر صوت كصوت الأنين مع دخول السكين لوح الجص خلف ورق الجدران. سحب الرجل السكين وغرزها مجدداً ليخرج قطعة مفتتة من الجص، ومخلفاً فجوة كبيرة في الجدار، ثم أخرج مصباحاً صغيراً وسلط نوره على التجويف ليظهر عبوس شديد خلف نظارته الكبيرة، فلصق أنفه بالتجويف وتنشق.

- آه هاه... أهلاً بك.

سأل هاري مقترباً:

- أهلاً بمن؟

- الرشاشية... نوع من العفن. هناك ثلاثمائة إلى أربعمائة نوع لنختار من بينها، ومن الصعب تحديد هذا النوع لأنه ينمو بشكل رقيق جداً على السطوح الصلبة، وهو غير مرئي، لكن الرائحة لا يمكن الخطأ بها.

- هذا يعني المتاعب أليس كذلك؟

طرح هاري سؤاله وهو يحاول أن يتذكر المبلغ المتبقي في حسابه المصرفي بعد أن تكفل مع والده بتكاليف رحلة أخته الصغيرة سيس التي تعاني من نوع من متلازمة داون إلى إسبانيا.

- هذا ليس كالعفن الجاف العادي. فالمبنى لن ينهار، ولكن أنت

من قد ينهار.

- أنا؟!

- إن كنت عرضة لذلك. فبعض الناس يمرضون من جرّاء تنفس الهواء مع العفن، وهم يمرضون لسنوات، وبالطبع يتم اتهامهم بالإصابة بوسواس المرض، إذ لا يتمكن أحد من إيجاد أي مشكلة لديهم، كما يكون السكان الآخرون بخير، ثم يلتهم الوباء ورق الجدران وألواح الجص.

- وماذا تقترح؟

- أن أقضي عليه بالطبع.

- وتقضي على أموالي بعملك.

- التأمين على المبنى يغطي التكاليف، لذا لن يكلفك الأمر كروناً واحداً. كل ما أحتاج إليه هو دخول الشقة خلال الأيام القليلة المقبلة.

بحث هاري عن المفاتيح الاحتياطية في درج المطبخ وسلمه إياها.

قال الرجل:

- سأكون بمفردي... ينبغي أن أذكر ذلك. هناك الكثير من الأشياء الغريبة في الخارج.

ابتسم هاري بحزن وهو يحدق من النافذة:

- حقاً؟

- ماذا؟

- لا شيء... على كل حال، لا يوجد شيء للسرقة هنا... أنا خارج.

تلألأت شمس الصباح على زجاج مركز شرطة أوسلو الرابض منذ ثلاثين عاماً على قمة التل في الشارع الرئيس غرونلاند سليرت. ومن تلك المنطقة، كانت الشرطة- بشكل غير مقصود- قريبة من مناطق الجرائم في شرق أوسلو، بينما كان السجن يقع في المصنع القديم في أقرب الأبنية المجاورة له. كان مركز الشرطة محاطاً بمرج أعشابه ميتة، وأشجار القيقب والزيزفون فيه مغطاة بطبقة رقيقة من الثلج الأبيض المتساقط خلال الليل؛ مما جعله يبدو كميت مغطى بالكفن.

مشى هاري عبر الشريط الأسود من الإسفلت إلى المدخل الرئيس، ودخل القاعة الرئيسة المزينة بالخزف من تصميم كاري كريستينسين. هز رأسه للحارس، وصعد إلى الطابق السادس. وعلى الرغم من مرور ستة أشهر منذ حصوله على مكتبه الجديد في المنطقة الحمراء، إلاّ أنه غالباً ما كان يذهب إلى المكتب الضيق والخالي من النوافذ الذي تشاركه مع ضابط

الشرطة جاك هالفورسن. أما الآن فقد حل ماغنوس سكار مكان جاك هالفورسن الذي يستقر في مقبرة فيستر آكر. في البداية، أراد والداه دفنه في مسقط رأسه ستينكجر، إلا أنهما عندما علما أن بتي لون صديقة ولدهما التي لم تكن تقيم معه تنتظر منه مولوداً في الصيف وافقا على أن يُدفن جاك في أوسلو.

دخل هاري مكتبه الجديد الذي عرف أنه سيبقى معروفاً بهذا الاسم إلى الأبد، كما يُعرف ملعب نادي برشلونة لكرة القدم الذي شيد منذ خمسين عاماً باسم كامب نو الذي يعني الملعب الجديد. جلس على كرسيه، وشغّل المذياع وهو يهز رأسه محيياً الصور الجاثمة على المكتبة، والمتكئة على الجدار. سيعلقها على الجدار إن تذكر يوماً أن يشتري مسامير للحائط. صور إيلين غيلتن وجاك هالفورسن وبيارني مولر اصطفت هناك بترتيب زمني... إنهم جميعاً متوفون، وقد كانوا من أفراد الشرطة.

على المذياع، كان هناك سياسيون نروجيون وعلماء اجتماع يبدون آراءهم حول الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

تمكن هاري من تمييز صوت آرف ستوب مالك المجلة الناجحة ليبيرال ، والشهير بكونه واحداً من أكثر صناع الرأي المتعجرفين وواسعي الاطلاع. رفع هاري الصوت حتى ترددت الأصوات بين جدران الطوب، ثم سحب أصفاده الفريدة من على مكتبه الجديد، وبدأ يتمرن على وضع الأصفاد بسرعة على قائمة الطاولة المتشققة نتيجة هذه العادة السيئة التي تعلمها من دورة أقامها مكتب التحقيقات الفيدرالي في شيكاغو، وأتقنها خلال الأمسيات التي أمضاها وحيداً في كابريني غرين وهو يسمع صراخ جيرانه المتشاجرين وبصحبة شراب جيم بيم. كان الهدف من تمرينه إحكام الأصفاد على معصم المعتقل، حيث تغلق الذراع المزودة بنابض حول المعصم وينطبق القفل على الجانب الآخر، فبالمقدار الصحيح من القوة والدقة يمكنك تقييد نفسك بمعتقل بحركة بسيطة واحدة قبل أن تسنح له الفرصة ليتصرف. إلا أن هاري لم يستخدم أياً من ذلك في عمله، ولم يستخدم سوى أمر واحد مما تعلمه هناك؛ ولمرة واحدة: كيف يقبض على قاتل متسلسل. طقطقت الأصفاد حول قائمة الطاولة ودندنت الأصوات في المذياع.

- لماذا تعتقد أن النروجيين متشككون لهذه الدرجة حيال جورج بوش يا آرف ستوب؟

- لأننا أمة مفرطة في الحماية، ولم تقاتل في أي حرب قط. لقد كنا سعداء بترك الآخرين يقومون بذلك لأجلنا؛ كإنكلترا والاتحاد السوفييتي

وأمريكا. نعم، فمنذ حروب نابليون ونحن مختبئون خلف ظهور إخوتنا الكبار، فالنروج تعتمد في أمنها على الآخرين الذين يتحملون المسؤولية حين تصبح الأمور صعبة. ولقد استمرت صعبة لفترة طويلة؛ لدرجة أننا فقدنا شعورنا بالواقع، وبدأنا نثق أن الأرض مسكونة على نحو أساسي بشعوب تتمنى لنا- نحن الدول الأغنى في العالم- كل الخير. فالنروج فتاة شقراء ثرثارة وغبية، تتوه في شارع خلفي في برونكس، وهي الآن ساخطة لأن حارسها الشخصي كان قاسياً جداً مع اللصوص.

اتصل هاري برقم هاتف راكيل. كان رقم راكيل هو الرقم الوحيد الذي يحفظه هاري عن ظهر قلب إلى جانب رقم أخته سيس. حين كان شاباً وقليل الخبرة، كان يعتقد أن الذاكرة السيئة عقبة في وجه المحقق، أما الآن فهو يعلم أكثر.

سأل المضيف:

- والحارس الشخصي هو بوش والولايات المتحدة الأمريكية؟

- نعم، فقد قال ليندون ب. جونسون إن الولايات المتحدة لم تختر هذا الدور، لكنه أدرك أنه ما من أحد آخر لتوليه، وقد كان محقاً؛ فحارسنا الشخصي نصراني مولود من جديد، ولديه عقدة من أبيه ومشاكل في الشرب وقصور فكري، كما أنه ليس صلباً كفاية ليؤدي الخدمة العسكرية بشرف. وباختصار، إن شخصاً ينبغي أن نسعد منه سيتم انتخابه مجدداً رئيساً للجمهورية اليوم.

- أفترض أنك تعني ذلك بتهكم؟

- لا... على الإطلاق. فمع وجود رئيس ضعيف كهذا يستمع لمستشاريه- ولدى البيت الأبيض أفضل المستشارين- فإن أمن النروج سيكون بين الأيدي الأمينة.

- صديقة الحبيبة أقامت علاقة معك.

قال هاري:

- حقاً؟!

ردت راكيل:

- ليس أنت. إنني أتكلم مع الشاب الآخر ستوب.

قال هاري وهو يخفض صوت المذياع:

- آسف.

- بعد محاضرة في تروندهايم دعاها إلى غرفته، وكانت مهتمة، لكنها لفتت انتباهه إلى أنها قامت باستئصال ثديها، فأخبرها أنه سيفكر في

الموضوع، وتوجه إلى المشرب، ثم قفل عائداً وأخذها معه.

- أتمنى أن يكون قد حقق آماله.
- لا شيء يحقق الآمال.

قال هاري وهو يتساءل عمّا يتحدثان:

- لا.

سألت راكيل:

- ماذا هناك هذا المساء؟
- بالاس غريل عند الساعة الثامنة ممتاز. لكن، ما هذا الهراء حول عدم إمكانية حجز طاولات مسبقاً؟
- ذلك يمنح المكان صفة مميزة حسب ما أفترض.

اتفقا على اللقاء في المشرب المجاور أولاً، وبعد أن أنهيا المكالمة جلس هاري يفكر. كانت تبدو سعيدة أو مبتهجة؛ مبتهجة ومرحة. حاول معرفة ما إن كان قد نجح في الشعور بالسعادة من أجلها... الشعور بالسعادة لأن المرأة التي يحبها بشدة سعيدة مع رجل آخر. فقد أمضى مع راكيل وقتاً طويلاً، وسنحت له العديد من الفرص التي أضاعها، لذا لم لا يكون سعيداً لكونها بخير؟ ولم لا يتوقف عن التفكير في أنه كان من الممكن أن يكون الوضع مختلفاً ويمضي في حياته؟ لقد قطع وعداً أن يحاول أكثر.

انتهى الاجتماع الصباحي بسرعة، وكرئيس لفرقة مكافحة الجريمة، قام غونار هاغن بالاطلاع على القضايا التي يعملون عليها، والتي لم تكن كثيرة؛ حيث لم تكن هناك في الوقت الحالي أي جرائم قتل حديثة قيد التحقيق، كما أن جرائم القتل هي الوحيدة التي تحظى بحماسة الوحدة. حضر توماس هيل الاجتماع- وهو ضابط من وحدة المفقودين في الشرطة الرسمية- وقدّم تقريراً عن امرأة مفقودة منذ سنة؛ حيث لم تكن هناك أي دلائل على العنف أو على وقوع جريمة. كانت سيدة منـزل، وتمت رؤيتها آخر مرة في الحضانة؛ حيث أوصلت ابنها وابنتها في الصباح، وكانت لدى زوجها وجميع المقربين منها حجة غياب، وتمت تبرئتهم؛ واتفقوا على أن تقوم فرقة مكافحة الجرائم بالتوسع بالتحقيق.

قام ماغنوس سكار بنقل تحيات شتال أون- العالم النفسي الخاص بفرقة مكافحة الجريمة- الذي زاره في مستشفى أوليفال. أحس هاري بتأنيب الضمير لأنه لم يزره، فأون لم يكن مجرد مستشار حول قضايا الجرائم، وإنما مساعده الشخصي في التخلص من الإدمان على الكحول، وأكثر شخص

يثق به. وعلى الرغم من دخول أون إلى المستشفى بأعراض غريبة منذ أكثر من أسبوع، إلاّ أن هاري لم يتغلب بعد على نفوره من دخول المستشفيات. فكّر هاري في اليوم الذي يجب عليه فيه زيارته:

- غداً أو الخميس.

أعلن غونار هاغن:

- لدينا ضابطة جديدة. كاترين برات.

وقفت امرأة شابة في الصف الأول من تلقاء نفسها ومن دون أي ابتسامة. كانت جذابة جداً... جذابة من دون أي محاولة منها لتبدو جذابة حسبما اعتقد هاري. وكان شعرها الناعم متدلياً على جانبي وجهها المنحوت بروعة، والشاحب، والذي ترتسم عليه الملامح الجادة والكئيبة نفسها التي كان هاري قد رآها على وجوه النساء المذهلات الأخريات اللواتي أصبحن معتادات على أن يُنظَر إليهن؛ لدرجة أنهن لم يعدن يحببن أو يكرهن ذلك. كانت كاترين برات ترتدي بذلة زرقاء تظهر أنوثتها، إلا أن حذاءها الشتوي العملي أبطل أي شكوك ممكنة حول اهتمامها بإظهار أنوثتها. وحين وقفت، بدأت عيناها تجولان على الحاضرين كما لو أنها وقفت لتراهم وليس العكس.

خمن هاري أنها خططت لارتداء هذه البذلة ولكي تبدو بهذا المظهر في يومها الأول في مركز الشرطة.

- عملت كاترين لأربع سنوات في مركز شرطة بيرغن، وتعاملت مع قضايا الإساءة إلى الآداب العامة، إلا أنها قامت أيضاً بعمل محدود في فرقة مكافحة الجريمة.

تابع هاغن وهو ينظر إلى ورقة افترض هاري أنها سيرتها الذاتية:

- إجازة في الحقوق من جامعة بيرغن عام 1999 في كلية الشرطة، والآن هي ضابطة معنا. إنها متزوجة، ولكن ليس لديها أطفال بعد.

ارتفع أحد حاجبي كاترين برات الرقيقين قليلاً. وإما أن هاغن قد رأى ذلك، أو ظن أن هذه المعلومة الأخيرة غير ضرورية فأضاف:

- بالنسبة للمهتمين منكم...

خلال التوقف القوي وثقيل الوطأة الذي تلا ذلك، بدا أن هاغن بدأ يفكر في أنه زاد الوضع سوءاً فسعل مرتين بقوة.

بدأت الكراسي بالتحرك، وحين وصل هاري إلى الممر سمع صوتاً من خلفه:

- من الواضح أنني أنتمي إليك.

التفت هاري ونظر إلى وجه كاترين برات متسائلاً في سرّه: كم ستكون جذابة لو أنها بذلت بعض الجهد؟

قالت مظهرة صفاً من الأسنان التامة، ولكن من دون أن تصل الابتسامة إلى عينيها:

- أنت تنتمي لي... بأي شكل تنظر به إلى الأمر.

كانت تتحدث بلغة نرويجية بلهجة بيرغن مع تكرار حرف الراء قليلاً؛ مما أوحى لهاري أنها من فانا أو كالفاريت أو أي منطقة أخرى للطبقة الوسطى.

أكمل طريقه بينما أسرعت هي للحاق به.

- يبدو أن غونار نسي إعلامك، لكن ينبغي عليك أن تعلمني وتهتم بـي خلال الأيام القليلة المقبلة حتى أصبح على اطلاع ودراية، فهل تعتقد أن بإمكانك القيام بذلك؟

ابتسم هاري قليلاً؛ فقد استلطفها حتى الآن. لكنه بالطبع مستعد لتغيير رأيه، فقد كان مستعداً دائماً لمنح الناس فرصة ثانية ليمحوهم من لائحته السوداء.

قال لها وهو يتوقف عند آلة القهوة:

- لا أعرف. دعينا نبدأ بهذه.

- أنا لا أشرب القهوة.

- أياً يكن الأمر، فطريقة استخدامها واضحة تماماً ككل الأشياء الأخرى هنا. ما رأيك بقضية المرأة المفقودة؟

ضغط هاري على زر آلة القهوة الأمريكية.

- ما بها؟

- هل تعتقدين أنها حية؟

كان هاري يسأل بأسلوب عابر لئلا تدرك أنه يختبرها.

- هل تظنني غبية؟ ألم تسمع غونار حين قال إنني عملت في وحدة الاعتداء الجنسي لأربع سنوات؟

تحدثت وهي تشاهد باشمئزاز جليٍّ الآلة وهي تبصق شيئاً أسود في كوب بلاستيكي أبيض. فقال هاري:

- إذاً، هي ميتة؟

- بالتأكيد.

حمل هاري الكوب الأبيض وهو يفكر في احتمال أن يكون قد حصل على زميلة تستحق التقدير.

أثناء سيره في طريق العودة إلى البيت في المساء، رأى هاري أن الثلج قد اختفى من الأرصفة والشوارع، وأن الإسفلت المبلل يمتص الندف البيضاء الرقيقة المتطايرة في الهواء بمجرد ملامستها للأرض. توجه إلى متجر الموسيقى الذي اعتاد عليه، واشترى أحدث إصدارات نيل يونغ بالرغم من شكه في أنها رديئة.

حين فتح باب شقته لاحظ اختلافاً. كان الاختلاف في الصوت أو ربما في الرائحة، فعبر العتبة بسرعة متجهاً إلى المطبخ حيث كان أحد الجدران مختفياً بالكامل. ففي الصباح الباكر، كان هناك ورق جدران بهيج ومزين بالورود. أما الآن، فلم يرَ سوى الطوب الأحمر والملاط الرمادي والدعامات الخشبية الصفراء والرمادية المنقوشة بحفر المسامير، كما كان على الأرض صندوق عدة رجل القوالب، وعلى الطاولة ورقة تقول إنه سيعود في الغد.

توجه إلى غرفة الجلوس، وشغل أسطوانة نيل يونغ ليزيلها بتجهم بعد ربع ساعة، ويضع أسطوانة لريان آدمز. ثم خطرت بباله فكرة تناول الشراب فأغمض عينيه. فجأة، تذكر الرسالة مجدداً... أول ثلج... تورمبا.

قاطع رنين الهاتف استغراقه في سماع أغنية شيك داون أون ناينث ستريت لريان آدمز.

كانت هناك امرأة عرفت عن نفسها على أنها أودا، وقالت إنها تتصل من بوس، وإنها مسرورة لأنها تتكلم معه مجدداً. لم يتمكن هاري من تذكرها، لكنه تذكر البرنامج التلفازي؛ حيث أرادوا منه أن يتكلم عن القتلة المتسلسلين لكونه ضابط الشرطة النروجي الوحيد الذي تدرب مع وكالة التحقيقات الفيدرالية كما قام بملاحقة قاتل متسلسل حقيقي. كان هاري غبياً بما يكفي لكي يوافق، فقد قال لنفسه إنه سيقوم بذلك ليقول أمراً هاماً ومناسباً نوعاً ما للناس الذين يقومون بالقتل، وليس ليراه الناس في أشهر برنامج حواري في البلاد. حين يستعيد ذكرياته الآن لا يمكنه التأكد بشأن دوافعه حينها، إلا أن ذلك لم يكن الجانب الأسوأ؛ فالأسوأ أنه احتسى الشراب قبل الظهور على الهواء. كان هاري يظن أنه لم يشرب سوى كأس واحدة، لكن خلال البرنامج بدا الأمر كما لو أنه شرب خمس كؤوس. لقد تكلم بأسلوب واضح كالعادة، إلا أن عينيه كانتا متلألئتين، ولم يكن تحليله مرناً، ولم يتمكن من التوصل إلى أي نتائج. لذا، اضطر المضيف لاستقبال ضيف آخر وهو بطل أوروبا في تنسيق الأزهار. لم ينبس هاري ببنت شفة، إلا أن لغة جسده أظهرت بوضوح ما يعتقده بخصوص النقاش حول

الأزهار. وحين سأل مقدم البرنامج بابتسامة خفية عن العلاقة بين محقق في جرائم القتل وتنسيق الأزهار، قال هاري إن أكاليل الزهور في الجنائز النروجية ملتزمة بالتأكيد بأعلى المعايير الدولية. ربما كان أسلوب هاري اللامبالي والمرتبك هو ما أثار الضحك بين الجمهور في الاستديو، وأثار بعد البرنامج تعليقات الإعجاب من موظفي المحطة الذين كانوا يقولون إنه أدى مهمته، وهكذا فقد انضم إلى مجموعة صغيرة منهم في مركز الفنون كانستنيرنيس هاس، واستمتع معهم، ليستيقظ في الصباح التالي وهو يشعر بجسده يستغيث بكل خلية منه ويطلب المزيد. كان ذلك يوم الجمعة، لذا استمر بالاستمتاع طوال عطلة نهاية الأسبوع؛ حيث جلس في شرودر، وصرخ طالباً المزيد حين بدأوا بإطفاء الأضواء لدفع الزبائن للمغادرة، فتوجهت ريتا النادلة إلى هاري وأخبرته أنه سيمنع من الدخول في المستقبل ما لم يغادر الآن، ومن الأفضل أن يغادر إلى سريره. وفي صباح يوم الاثنين، توجه هاري إلى العمل في تمام الساعة الثامنة، ولم يسهم بأي شيء مهم للمركز، حيث تقيأ في المغسلة بعد الاجتماع الصباحي، ولازم كرسي مكتبه وهو يشرب القهوة ويدخن ويتقيأ مجدداً؛ ولكن هذه المرة في المرحاض. كانت تلك آخر مرة يستسلم فيها للشراب؛ فمنذ ذلك اليوم لم يرتشف أي قطرة.

والآن يريدونه مجدداً في المحطة.

أوضحت له المرأة أن الموضوع يتعلق بالإرهاب في الشرق الأوسط، وما يحول شخصاً مثقفاً من الطبقة الوسطى إلى آلة قتل. قاطعها هاري قبل أن تنتهي:

- لا.
- لكننا نرغب باستضافتك، فأنت ممتع للغاية.

كانت تضحك بحماسة فلم يتأكد من مدى صدقها، لكنه تمكن من تمييز صوتها الآن. كانت معهم في كانستنيرنيس هاس في تلك الليلة. كان مظهرها جيداً، وتكلمت بأسلوب شبابـي ممل.

- جربـي شخصاً غيري.

قال هاري ذلك، وأنهى المكالمة، ثم أغمض عينيه، وسمع ريان آدمز يتساءل: آه يا حبيبتي، لماذا أفتقدك بهذا الشكل؟

نظر الصبـي إلى الرجل الواقف بجانبه قرب رف المطبخ، وكان الضوء المنبعث من الحديقة المغطاة بالثلج يلمع على البشرة الخالية من الشعر والمشدودة في رأس أبيه الكبير. كانت أمه قد قالت إن لدى أبيه مثل

هذا الرأس الكبير لأنه دماغ مفكر، فسألها عن سبب قولها إنه دماغ ولم تقل إن لديه عقلاً. حينها ضحكت، وربتت على جبهته وقالت إن ذلك ما يقال عن أساتذة الفيزياء. الآن يقوم هذا الدماغ بغسل البطاطا تحت صنبور المياه ويضعها في المقلاة.

- ألن تقشر البطاطا يا بابا؟ ماما في العادة...

- أمك ليست هنا يا جوناس. لذا، علينا القيام بذلك وفقاً لطريقتي.

لم يرفع الوالد صوته، إلا أن اهتياجاً ظهر في صوته جعل جوناس ينكمش. لم يكن يعرف قطّ سبب غضب أبيه، أو إن كان غاضباً؛ إلى أن يرى وجه أمه مع التعابير القلقة حول فمها والتي تجعل أباه أكثر انـزعاجاً. كان يأمل أن تعود بسرعة.

- نحن لا نستخدم هذا الأطباق يا بابا.

صفق الأب باب الخزانة، فعضّ جوناس على شفته السفلى، بينما أخفض والده رأسه إليه لتلمع عدستا نظارته المربعتان والرقيقتان.

- نقول هذه الأطباق وليس هذا الأطباق. كم مرة عليّ تكرار ذلك يا جوناس؟

- لكن ماما تقول...

- ماما لا تتحدث بشكل صحيح. هل تفهم؟ ماما تنحدر من مكان وعائلة حيث لا يهتمون باللغة.

كانت رائحة نفس أبيه كريهة كرائحة الطحالب العفنة والمالحة.

صُفِقَ الباب الأمامي بقوة.

- مرحباً.

كانت تغني من الردهة.

كان جوناس على وشك الركض باتجاهها، إلا أن أباه أمسكه من كتفه، وأشار إلى المائدة غير المرتبة.

- أنت بارع جداً!

كان بإمكان جوناس سماع الفرح في صوتها اللاهث وهي تقف في ممر المطبخ خلفه بينما كان يضع الكؤوس والأطباق بأسرع ما يمكنه.

- لقد صنعتَ رجل ثلج كبيراً!

التفت جوناس بدهشة إلى أمه التي كانت تفك أزرار معطفها. كانت جذابة ببشرة داكنة وشعر داكن مثله بالضبط، مع عينين جميلتين للغاية. لم تكن نحيلة كما كانت في الصورة حين تزوجت بوالده، لكنه لاحظ أن

الرجال كانوا ينظرون إليها كلما مشيا مع بعضهما في البلدة. قال جوناس:

- لم نصنع رجل ثلج.
- حقاً؟!

عبست أمه وهي تفك الوشاح الوردي الكبير الذي أهداها إيّاه في العيد.

توجه الأب إلى النافذة وقال:

- قد يكون أولاد الجيران هم الذين صنعوه.

وقف جوناس على أحد كراسي المطبخ ونظر إلى الخارج. كان هناك رجل ثلج كبير على المرج أمام المنـزل كما قالت والدته. كانت عيناه وفمه من الحصى، بينما كان الأنف من الجزر. لم تكن لدى رجل الثلج قبعة أو وشاح، وإنما ذراع واحدة من غصن رقيق ظن جوناس أنه مأخوذ من الأشجار المحيطة بالسياج. لكن، كان هناك شيء غريب في رجل الثلج. لم يعرف لماذا، لكن كان من المفترض أن ينظر إلى الطريق نحو الفضاء المفتوح.

- لماذا...؟

بدأ جوناس بالكلام لكن والده قاطعه.

- سأتكلم معهم.

تحدثت أمه من الردهة، حيث سمعها جوناس وهي تخلع حذاءها الجلدي الأسود العالي:

- لماذا؟ هذا لا يهم.
- لا أريد لهؤلاء الناس أن يتجولوا في أملاكي. سأتكلم معهم حين أعود.

سأل جوناس:

- لماذا لا ينظر إلى الخارج.

تنهدت أمه في الردهة:

- متى ستعود يا حبيبـي؟
- في وقت ما غداً.
- في أي وقت؟
- لماذا؟ هل لديك موعد؟

كانت نبرة صوت أبيه نـزقة؛ مما جعله يرتعش.

- كنت أعتقد أنني سأجد العشاء جاهزاً.

قالت الأم ذلك وهي تدخل المطبخ وتتوجه إلى الموقد لترى المقلاة

وترفع الحرارة تحتها.

قال الأب وهو يلتفت إلى كومة من الصحف على الرف:

- إنه جاهز، وسأعود إلى المنـزل في وقت ما.

وقفت الأم وراء ظهر الأب ووضعت ذراعيها حوله:

- حسناً، ولكن هل يتوجب عليك حقاً أن تذهب إلى بيرغن الليلة؟

- محاضرتي غداً عند الثامنة صباحاً، ويستغرق الوصول إلى الجامعة ساعة بعد هبوط الطائرة. لذا، لن أتمكن من الوصول في الوقت المحدد حتى لو ركبت في أول رحلة صباحاً.

استطاع جوناس أن يرى عضلات رقبة أبيه وهي تسترخي، وأدرك أن أمه تمكنت مجدداً من العثور على الكلمات المناسبة، فسأل جوناس:

- لماذا ينظر رجل الثلج إلى منـزلنا.

ردت الأم:

- اذهب واغسل يديك.

تناولوا الطعام بصمت لا تقطعه سوى أسئلة أمه حول المدرسة، وإجابات جوناس المقتضبة والمبهمة؛ فقد كان جوناس يعرف أن الإجابات المفصلة قد تثير أسئلة غير محببة من أبيه حول ما يتعلمونه- أو لا يتعلمونه- في المدرسة، أو استفسارات حادة حول شخص ما يذكر جوناس أنه كان يلعب معه، وحول عمل والديه ومن أي مكان ينحدر. مثل هذه الأسئلة لم يكن بإمكان جوناس الإجابة عنها بشكل يرضي أباه.

حين كان جوناس في السرير، سمع والده في الطابق السفلي يودع أمه، والباب يغلق، والسيارة تنطلق. كانا بمفردهما مجدداً، حيث قامت أمه بتشغيل التلفاز، فبدأ يفكر في شيء سألته أمه عنه... لماذا لم يعد جوناس يحضر أصدقاءه إلى البيت ليلعبوا معاً؟ لم يعرف بماذا يجيبها؛ فهو لا يرغب بجعلها تحزن، لكنه أصبح حزيناً بدلاً منها.

قام بعضّ داخل خده ليشعر بالألم يمتد إلى أذنيه، وحدق في الأنابيب المعدنية للأجراس المتدلية من السقف، ثم نهض من السرير وتوجه إلى النافذة.

عكس الثلج في الحديقة ضوءاً كافياً ليرى رجل الثلج في الخارج. كان يبدو وحيداً، وكان ينبغي منحه قبعة ووشاحاً وربما عصا مكنسة ليمسكها. في تلك اللحظة، ظهر القمر من وراء غيمة، مما مكنه من رؤية صف الأسنان السوداء والعينين. حبس جوناس أنفاسه تلقائياً، وتراجع خطوتين فقد كانت العينان المصنوعتان من الحصى تلمعان. لم تكن العينان تنظران إلى

المنـزل وإنما إلى الأعلى إليه، فأسدل جوناس الستائر وقفل عائداً إلى سريره.

3 - اليوم الأول

قرمزي

كان هاري جالساً على مقعد في بالاس غريل يقرأ اللافتات على الجدران، التي تذكر الزبائن بأن الدين ممنوع، وأنه يفترض بهم أن لا يؤذوا عازف البيانو، وأن يتصرفوا بشكل لائق أو يرحلوا. كانت الأمسية في بدايتها، ولم تضم الصالة زبائن آخرين سوى فتاتين تجلسان إلى طاولة، وتضغطان باهتياج على أزرار هاتفيهما المحمولين، وصبيين يلعبان لعبة رمي السهام بمهارة في الثبات والتصويب، ولكن نتائجهما كانت سيئة. أما دولي بارتون- التي عرف هاري أن وسطاء ريفيين ذوي ذوق غربـي أعادوها من البرد- فقد كانت تئن أمام مكبرات الصوت بلهجتها الجنوبية الحادة. نظر هاري إلى ساعته مجدداً، وراهن نفسه أن راكيل فوك ستكون عند الباب في تمام الثامنة وسبع دقائق، فشعر بالتوتر نفسه الذي كان يشعر به دائماً عند رؤيتها مجدداً، وقال لنفسه إن ما يشعر به مجرد استجابة شرطية كما يحصل حين يبدأ لعاب الكلاب في تجربة بافلوف بالسيلان عند سماع جرس الطعام؛ حتى حين لا يكون هناك أي طعام. فهما سيتناولان الطعام فقط بالإضافة إلى بعض الدردشة حول حياتيهما حالياً، أو بدقة أكثر حول حياتها وحول أوليغ؛ ابنها من زوجها الروسي السابق، حين كانت تعمل في السفارة النروجية في موسكو. كان الصبـي ذا طبيعة منغلقة وحذرة، إلا أن هاري تمكن من الوصول إليه، وتدريجياً أقام معه روابط كانت في كثير من الأشكال أقوى من روابطه مع أبيه. وحين لم يعد بإمكان راكيل الاحتمال أكثر وغادرت، لم يعرف إلى أي منهما اشتاق أكثر. لكنه الآن يعرف، فالساعة الآن الثامنة وسبع دقائق، وكانت تقف عند الباب بقوامها المنتصب. كان يأمل أن لا تبدو جيدة جداً وسعيدة جداً.

مشت باتجاهه وتلامست وجنتاهما، وحرص على أن يبتعد قبلها.

سألته وهي تفك أزرار معطفها:

- إلام تحدق؟

- أنت تعرفين.

قال هاري ذلك، ثم أدرك أنه كان عليه أن يسعل.

ضحكت بصوت منخفض، وكان لضحكتها الأثر نفسه فيه كأول جرعة من جيم بيم، فقد شعر بالدفء والاسترخاء.

- لا.

عرف تماماً ما تقصده بلا ؛ أي لا تبدأ ولا تسبب الإحراج فلن نفعل ذلك. قالت ذلك برقة، وكان ذلك غير مسموع عملياً، لكنه شعر به كصفعة.

- أصبحت نحيلاً.
- هذا ما يقولونه.
- الطاولة...
- سيأتي النادل ويأخذنا إليها.

جلست على المقعد المقابل له، وطلبت شراباً فاتحاً للشهية من نوع كامباري الذي اعتاد هاري على تسميته القرمزي بعد إضافة الصبغة الطبيعية إليه؛ التي منحت الشراب الحلو اللاذع لونه المميز. ولأنها كانت تحب ارتداء اللون الأحمر المتوهج فقد ادعت أنها تستخدمه كتحذير؛ كما تستخدم الحيوانات الألوان القوية لتخبر الآخرين أن يبقوا بعيدين.

طلب هاري كأساً أخرى من الكولا.

- لم أنت نحيل هكذا؟
- بسبب الفطور.
- ماذا؟
- يبدو أنها تلتهمني... فهي تلتهم دماغي وعينيّ ورئتيّ وتركيزي وتمتص الألوان والذكريات. الفطور تكبر وأنا أتلاشى. إنها تصبح أنا وأنا أصبح هي.
- عم تثرثر؟

كانت تسأل مع تكشيرة لتظهر اشمئزازها، لكن هاري رأى الابتسامة في عينيها. إنها تحب أن تسمعه وهو يتكلم؛ حتى إن كان ما يقوله مجرد كلام منمق، فأخبرها عن الفطور في شقته، ثم سألها:

- كيف حالك؟
- بخير، وأوليغ بخير لكنه مشتاق لك.
- هل قال ذلك؟
- أنت تعلم ذلك. ينبغي أن تبقى قريباً منه أكثر.

نظر إليها هاري مصعوقاً:

- أنا؟! لم يكن ذلك قراري.

تناولت الكأس وقالت:

- مجرد عدم كوننا معاً لا يعني أنه لا توجد علاقة قوية بينك وبين أوليغ. هي هامة لكليكما، فأنتما الاثنان تجدان صعوبة في الالتزام مع

الناس؛ لذا عليكما تغذية العلاقة التي لديكما.

رشف هاري الكولا:

- هل يتأقلم أوليغ مع طبيبك؟

قالت راكيل بتنهيدة:

- اسمه ماثياس، وهما يعملان على ذلك. إنهما... مختلفان. ماثياس يبذل قصارى جهده، لكن أوليغ لا يسهل الأمور عليه.

شعر هاري بالرضا.

- ماثياس يعمل لساعات طويلة أيضاً.

- كنت أظنك لا تحبين أن يعمل رجالك.

بعد أن قال هاري ذلك شعر بالندم فوراً. ولكن راكيل لم تغضب، وإنما تنهدت بحزن.

- لم تكن الساعات الطويلة ما يزعجني، فأنت مهووس يا هاري. أنت وعملك لا تنفصلان، وما يدفعك ليس الحب أو الشعور بالمسؤولية، ولا حتى الطموح الشخصي وإنما الغضب والرغبة بالانتقام. وهذا ليس صحيحاً يا هاري، إذ لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك. أنت تعلم ما حدث.

نعم ... فكر هاري... لقد سمحت للمرض بدخول منـزلك أيضاً.

سعل وقال:

- وهل طبيبك مدفوع بـ... الأمور الصحيحة؟

- لا يزال ماثياس يقوم بمناوباته الليلية التطوعية في مركز أ. ي، وفي الوقت نفسه يلقي محاضرات بدوام كامل في قسم التشريح.

- وهو متبرع بالدم، وعضو في منظمة العفو الدولية.

تنهدت:

- ب إيجابـي زمرة دم نادرة يا هاري، وأنت أيضاً تدعم منظمة العفو. أنا أعرف ذلك.

حركت كأسها بمصاصة بلاستيكية برتقالية يوجد حصان في أعلاها، ودار المزيج الأحمر حول مكعبات الثلج. قرمزي.

- هاري؟

شيء ما في صوتها جعله يتوتر.

- سينتقل ماثياس للعيش معي.

- ما زال الوقت مبكراً؟

مرر هاري لسانه في فمه بمحاولة لترطيبه ثم تابع:

- أنتما لم تعرفا بعضكما جيداً بعد.

- عرفنا بعضنا بما فيه الكفاية. ونحن نخطط للزواج في الصيف.

فحص ماغنوس سكار الماء الساخن المتدفق على يديه والمختفي في البالوعة. لا... لا شيء يختفي، وإنما يذهب إلى مكان آخر؛ كأولئك الناس الذين أمضى الأسابيع القليلة الماضية وهو يجمع المعلومات عنهم لأن هاري طلب منه ذلك. فقد قال هاري إنه من الممكن أن يكون هناك خطب ما، لذا طلب تقرير ماغنوس قبل نهاية الأسبوع؛ مما يعني أن على ماغنوس العمل وقتاً إضافياً، على الرغم من معرفته أن هاري يطلب منهم أعمالاً كهذه لإبقائهم مشغولين في أوقات الركود. فقد رفضت وحدة الأشخاص المفقودين الصغيرة المكونة من ثلاثة أشخاص في قسم الشرطة أن تدرس قضايا قديمة، إذ لديها ما يكفي من العمل على القضايا الجديدة.

في الممر الموحش في طريق عودته إلى مكتبه، لاحظ ماغنوس أن الباب مفتوح قليلاً. كان متأكداً من أنه أغلقه، وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة؛ مما يعني أن عمال التنظيف قد أنهوا عملهم منذ زمن. منذ سنتين، كانت هناك مشاكل تتعلق بالسرقة من المكاتب، فسحب ماغنوس سكار الباب بحذر.

كانت كاترين برات واقفة في وسط الغرفة، ونظرت إليه بحاجبين مقطبين كما لو أنه هو من اقتحم مكتبها، ثم أدارت ظهرها إليه.

- أردت أن أرى فحسب.

قالت ذلك وهي تجول بعينيها على الجدران.

- ترين ماذا؟

نظر سكار حوله، فمكتبه ككل المكاتب؛ باستثناء أنه خالٍ من النوافذ.

- كان هذا مكتبه، أليس كذلك؟

عبس سكار:

- ما الذي تعنينه؟

- هول. كان هذا مكتبه طوال تلك السنين؛ حتى حين كان يحقق في قضية القتلة المتسلسلين في أستراليا؟

هز سكار كتفيه:

- أعتقد ذلك. لماذا؟

مررت كاترين برات يدها على سطح المكتب:

- لِمَ غيَّرَ مكتبه؟

مشى ماغنوس حولها وارتمى على الكرسي الدوار:

- لا توجد فيه نوافذ.

- وقد تشارك المكتب في البداية مع إيلين غيلتن ومن ثم مع جاك هالفورسن، وكلاهما قتلا.

وضع ماغنوس سكار يديه وراء رأسه، فهذه الضابطة الجديدة ذات منـزلة اجتماعية خاصة؛ فهي أعلى منه اجتماعياً برتبة أو اثنتين. راهن أن زوجها مدير شيء ما ويملك المال؛ فبذلتها تبدو باهظة الثمن. ولكن، حين نظر إليها عن قرب أكثر أحس بوجود خطأ ما... عيب صغير لم يتمكن من تحديده.

- هل تعتقد أنه سمع صوتيهما ولذلك انتقل؟

سألت برات وهي تفحص خريطة النروج على الجدار، حيث وضع سكار علامات على جميع بلدات الأشخاص المفقودين في أوستلاند وشرق النروج منذ العام 1980.

ضحك سكار من دون أن يجيب. كان خصرها نحيلاً وقوامها ممشوقاً. عرف أنها تعرف أنه يرمقها بشغف.

سألته:

- كيف هو بالفعل؟

- لماذا تسألين؟

- أعتقد أن كل شخص لديه رئيس جديد يسأل. أليس كذلك؟

كانت محقة. لكن المشكلة أنه لم يفكر قط في هاري هول كرئيس. نعم، كان يعطيهم مهمات ليقوموا بها ويقود التحقيقات، ولكنه لم يكن يطلب إضافة لذلك سوى أن يبقوا بعيدين عنه.

قال سكار:

- إنه- كما تعرفين ربما- سيئ السمعة.

هزت كتفيها:

- سمعت عن إدمانه، وأنه كان يشي بزملائه، وأن جميع الرؤساء أرادوا طرده إلا أن المسؤول السابق كان يحميه.

- كان اسمه بيارني مولر.

قال سكار ذلك وهو ينظر إلى العلامة على بيرغن في الخريطة. هناك تمت رؤية مولر آخر مرة قبل أن يختفي.

- وسمعت أن العاملين في مركز الشرطة لا يحبون أن تحوله وسائل الإعلام إلى نجم.

عض سكار شفته السفلى:

- إنه محقق ماهر للغاية. وهذا كافٍ بالنسبة إليّ.

سألته برات:

- هل تحبه؟

كشر سكار، ثم التفت ونظر إلى عينيها مباشرة.

- أحبه أو أكرهه. لا أعتقد أن بإمكاني الاختيار بينهما.

دفع كرسيه إلى الوراء، ووضع قدمه فوق المكتب وتمدد متثائباً.

- ما الذي تعملين عليه حتى هذا الوقت المتأخر من الليل؟

كانت تلك محاولة منه لقلب الموقف، فقبل أي شيء؛ هي مجرد محققة جديدة متدنية الرتبة.

إلا أن كاترين برات ابتسمت فحسب كما لو أنه قال أمراً مضحكاً وغادرت.

بعد أن اختفت، شتم سكار ثم استقام على كرسيه وعاد للعمل على حاسبه.

استيقظ هاري واستلقى على ظهره محدقاً إلى السقف. لكم من الوقت بقي نائماً؟ التفت ونظر إلى الساعة على الطاولة المجاورة لسريره، وكانت تشير إلى الثالثة وخمس وأربعين دقيقة. كان العشاء كارثياً، حيث شاهد فم راكيل يتكلم ويشرب ويمضغ اللحم وهي تخبره عن مخططاتها وماثياس للذهاب إلى بوتسوانا لسنتين حيث لدى الحكومة منشأة جيدة لمكافحة النقص المناعي المكتسب لكنها تعاني من نقص الأطباء، وسألته إن كان قد التقى أحداً ما فأجابها أنه التقى صديقَي طفولته أويستين وتريسكو. كان الأول سائق سيارة أجرة مهووساً بالحاسب، بينما كان الآخر مدمن ميسر لدرجة أنه كان من الممكن أن يكون بطل العالم فيه لو كان ماهراً في إخفاء تعابير وجهه أثناء اللعب كمهارته في قراءة تعابير وجوه الآخرين. وبدأ بإخبارها عن هزيمة تريسكو القاضية في بطولة العالم في لاس فيغاس قبل أن يدرك أنه قد أخبرها بذلك سابقاً. كان يكذب في ما يخصّ لقاءه بهما.

كان قد رأى النادل يسكب الشراب في كأس على الطاولة المجاورة، وللحظة كان على وشك انتزاع الزجاجة من يده ووضعها على فمه، لكنه بدلاً من ذلك وافق على أخذ أوليغ إلى حفلة موسيقية كان قد توسل إلى راكيل لتسمح له بحضورها. لم يخبرها هاري عن نوع الفرقة التي كانت ستسمح لابنها بمشاهدتها لأنه هو نفسه كان يرغب برؤية سليبنوت. فعلى

الرغم من أن الفرق التي تستخدم طبولاً كبيرة وسريعة تجعله يضحك عادة، إلا أن فرقة سليبنوت كانت ممتعة في الواقع.

رمى هاري الوسادة وتوجه إلى المطبخ، وفتح الصنبور ليتدفق الماء البارد، ثم وضع يديه تحت الماء وشرب منهما. لطالما اعتقد أن مذاق الماء أكثر لذة بهذه الطريقة. وفجأة، ترك الماء يتدفق في البالوعة مجدداً، وحدق إلى الجدار الأسود. هل رأى شيئاً؟ هل هناك شيء يتحرك؟ لا. لا شيء. إنها مجرد حركة كالأمواج الخفية تحت الماء التي تداعب الأعشاب البحرية، فعلى الألياف الميتة هناك أصابع رقيقة جداً لا يمكن رؤيتها، وبذيرات تنمو من أقل حركة للهواء، وتستقر في أماكن جديدة، وتبدأ بالأكل والغذاء. شغّل هاري المذياع في غرفة الجلوس حيث تم إعلان فوز جورج بوش بولاية جديدة في البيت الأبيض.

قفل هاري عائداً إلى السرير، ووضع الوسادة فوق رأسه.

استيقظ جوناس على صوت ما ورفع الوسادة عن وجهه. على الأقل، كان يظن أنه صوت سحق ثلج تحت الأقدام في الصمت المطبق بين البيوت في صباح يوم الأحد. لا بد أنه كان يحلم، لكن النوم لم يعد حتى حين أغمض عينيه، وإنما عادت إليه أجزاء من الحلم: كان أبوه واقفاً بلا حراك وبصمت أمامه، مع انعكاس صورته على عدستي نظارته؛ مما جعلها سطحاً لا يمكن خرقه كالجليد.

لا بد أنه كابوس؛ لأن جوناس كان خائفاً. لذا، فتح عينيه مجدداً، فرأى أن الأجراس المتدلية من السقف تتحرك. عندها، قفز من السرير، وفتح الباب، وركض عبر الممر. وعند السلم المؤدي إلى الطابق الأرضي أبطأ قليلاً لينظر في الظلام، ثم لم يتوقف حتى وصل إلى باب غرفة نوم والديه وضغط على مقبض الباب بحذر شديد. ثم تذكر أن أباه غائب، وأنه سيوقظ أمه مهما فعل فدخل. كان هناك مربع أبيض من ضوء القمر ممتد على الأرض حتى السرير المزدوج المرتب. وكانت الأرقام على ساعة المنبه الرقمية تشير إلى 01:11. وللحظة من الزمن، وقف جوناس هناك مرتبكاً.

ثم خرج إلى الممر، ومشى نحو السلم حيث كان الظلام هناك بانتظاره كفراغ مفتوح شاسع، ولم يسمع أي صوت من الأسفل.

- ماما؟

ندم على صراخه حالما سمع صوته المرتعب يتردد في الصدى القصير

القاسي، فالظلام عرف رعبه أيضاً.

ما من جواب!

بلع جوناس لعابه، ثم بدأ بنـزول السلم على أطراف أصابعه.

على الدرجة الثالثة، أحس بشيء مبلل تحت قدميه؛ وكذلك على السادسة والثامنة؛ كما لو أن أحداً ما كان قد مشى بحذاء مبلل أو قدم مبللة.

كانت غرفة الجلوس مضاءة، ولكن أمه لم تكن هناك، فتوجه إلى النافذة لينظر إلى بيت بينديكسينـز حيث كانت أمه تذهب إلى هناك أحياناً لرؤية إيبا، إلا أن جميع النوافذ كانت مظلمة.

توجه إلى المطبخ وأمسك الهاتف بعد أن نجح في تجميد تفكيره لئلا يسمح للظلام بالدخول. واتصل برقم هاتف أمه المحمول، وابتهج لسماعه صوتها الرقيق، لكنها كانت مجرد رسالة تطلب منه ترك اسمه وتتمنى له يوماً سعيداً.

لكنه لم يكن يوماً، وإنما كان ليلاً.

في الرواق، أدخل قدميه في حذاء والده الكبير، وارتدى سترة سميكة فوق ثياب النوم وخرج. كانت أمه قد قالت إن الثلج سيختفي بحلول صباح الغد لكن الجو لا يزال بارداً، كما أن رياحاً خفيفة همست وتمتمت بين أشجار الصنوبر عند البوابة. لم يكن بيت بينديكسينـز يبعد أكثر من مائة متر، ولحسن الحظ، كان هناك مصباحان على الطريق. ينبغي أن تكون هناك... نظر إلى اليمين واليسار ليتأكد من عدم وجود أحد يوقفه، ثم رأى رجل الثلج. كان يقف هناك كما كان من قبل، بلا حراك ومواجهاً البيت ومحاطاً بضوء القمر البارد. لكن، كان هناك شيء مختلف فيه... شيء بشري... شيء مألوف. نظر جوناس إلى بيت بينديكسينـز وقرر أن يركض، لكنه لم يفعل ذلك، وإنما وقف وهو يشعر بالرياح الجليدية اللامتناهية تمر من أمامه، ثم التفت ببطء إلى رجل الثلج. فلقد عرف الآن ما جعل رجل الثلج يبدو مألوفاً... إنه يضع وشاحاً... وشاحاً ورديا... الوشاح الذي أهداه جوناس لأمه.

4 - اليوم الثاني

الاختفاء

بحلول منتصف النهار، كان الثلج قد ذاب في مركز مدينة أوسلو، أما في هوف فلا تزال هناك بقع في الحدائق على جانبـي الطريق بينما كان هاري هول وكاترين برات يقودان السيارة. وكان صوت مايكل ستايب يصدح عبر المذياع حول الشعور بالانهيار وما يسببه، وحول معرفة أن أمراً ما لم يتم كما ينبغي، وعن الصبـي في البئر. وفي منتصف عزبة هادئة في شارع أكثر هدوءاً، أشار هاري إلى سيارة تويوتا كورولا فضية مشرقة مركونة بجانب السياج.

- سيارة سكار. اركني خلفها.

كان البيت كبيراً وأصفر اللون. بل حسبما فكّر هاري وهو يعبّر الممر، كان كبيراً جداً على عائلة من ثلاثة أشخاص. كان كل شيء حولهم يقطر ماء. أما في الحديقة، فانتصب رجل الثلج وهو على وشك الذوبان.

فتح سكار الباب، بينما انحنى هاري وتفحص القفل.

قال سكار:

- لا توجد أي أدلة على حدوث اقتحام.

قادهم إلى غرفة الجلوس حيث كان هناك صبـي جالس على الأرض مديراً ظهره لهم وهو يشاهد الرسوم المتحركة على التلفاز. ونهضت امرأة عن الأريكة وصافحت هاري معرفة عن نفسها بأنها الجارة إيبا بينديكسينـز.

- لم تقم بيرت بمثل هذا الفعل من قبل طوال فترة معرفتي بها.
- ومنذ متى تعرفينها؟

سأل هاري هذا السؤال وهو يجول بناظريه في المحيط. بجوار التلفاز، كانت هناك قطع كبيرة من المفروشات الجلدية الثقيلة، وطاولة قهوة بثمانية أضلاع من الزجاج داكن اللون، في حين كانت الكراسي الفولاذية حول طاولة الطعام خفيفة وأنيقة من النوع الذي تحبه راكيل. وكانت هناك لوحتان معلقتان على الجدار تصوران رجالاً كمديري المصارف يحدقون إليه بثقة ووقار، وبجوارهما كانت هناك أعمال فنية تجريدية معاصرة من النوع الذي نجح في أن يصبح غير معاصر ومعاصراً جداً مرة أخرى.

قالت إيبا بينديكسينـز:

- منذ عشر سنوات انتقلنا للسكن في المنـزل المجاور. وكان ذلك

يوم ولادة جوناس.

ثم أومأت إلى الصبـي الذي بقي جالساً بلا حراك، ومحدقاً إلى الرسوم المتحركة.

- أعتقد أنك أنت التي اتصلت بالشرطة الليلة الماضية؟

- نعم. هذا صحيح.

قال سكار وهو ينظر إلى دفتر ملاحظاته:

- رن الصبـي الجرس قرابة الساعة الواحدة والربع، بينما تم الاتصال بالشرطة في الواحدة والنصف.

- عدت أنا وزوجي مع جوناس وفتشنا البيت أولاً.

سألها هاري:

- أين بحثت؟

- في القبو والحمامات والمرأب وفي كل مكان. من الغريب أن يهرب أحد ما بهذه الطريقة.

- يهرب؟

- يتلاشى... يختفي. لقد سألني الشرطي الذي تحدثت إليه عبر الهاتف إن كان بإمكاني الاعتناء بجوناس، وطلب مني أن أتصل بأي شخص تعرفه بيرت ومن الممكن أن تكون عنده، ثم أنتظر حتى الصباح الباكر لمعرفة إن كانت قد ذهبت إلى عملها. وقد أخبرني أنه في ثماني حالات من بين كل عشر حالات اختفاء يعود الشخص المختفي للظهور بعد بضع ساعات. وحاولنا الاتصال بفيليب...

قاطعها سكار:

- الزوج. كانت لديه محاضرة في بيرغن. إنه أستاذ في مادة ما.

ابتسمت إيبا بينديكسينـز:

- الفيزياء. على أي حال، كان هاتفه المحمول مقفلاً، ولم نعرف اسم الفندق الذي ينـزل فيه.

- تم الاتصال به في بيرغن هذا الصباح، وينبغي أن يصل إلى هنا قريباً.

قالت إيبا:

- نعم، الحمد لله. وهكذا، حين اتصلنا بمكان عمل بيرت هذا الصباح ولم تكن قد وصلت في الوقت المعتاد اتصلنا بكم مجدداً.

هز سكار رأسه موافقاً، فأشار له هاري أن يستمر بحديثه مع إيبا بينديكسينـز، فيما توجه إلى التلفاز وجلس على الأرض بجانب الصبـي. وعلى

الشاشة، كان هناك ذئب يشعل فتيل إصبع ديناميت.

- مرحباً يا جوناس... اسمي هاري. هل أخبرك الشرطي الآخر أن مثل هذه الأشياء تنتهي على نحو جيد عادة؟ فالناس يختفون ثم يظهرون بمفردهم.

هز الصبـي رأسه.

- هذا ما يحدث. والآن، هل بإمكانك أن تحزر أين من الممكن أن تكون أمك؟

هز الصبـي كتفيه:

- لا أعرف.

- أعلم أنك لا تعرف ياجوناس، فلا أحد منا يعلم الآن. لكن، ما هو أول مكان يخطر ببالك إن لم تكن هنا أو في العمل؟ لا تفكر إن كان ذلك محتملاً أو لا.

لم يجب الصبـي، وإنما حدق في الذئب وهو يحاول باستماتة رمي إصبع الديناميت الملتصقة بيده بعيداً.

- هل هناك كوخ أو أي مكان خاص تذهبان إليه؟

هز جوناس رأسه.

- هل هناك مكان مميز ترغب بالذهاب إليه لتبقى بمفردها؟

- هي لا تريد البقاء بمفردها، وإنما تريد البقاء معي.

- فقط معك؟

التفت الصبـي ونظر إلى هاري. كانت عينا جوناس بنيتين كعيني أوليغ، فرأى هاري في هذا اللون البني الرعب الذي يتوقعه والغضب الذي لم يتوقعه.

سأل الصبـي:

- لماذا يذهب الأشخاص الذين يودون العودة؟

فكّر هاري... العيون نفسها... الأسئلة نفسها... الأسئلة الهامة.

- لأسباب كثيرة. بعضهم يضيعون؛ فهناك طرق عدة للضياع، بينما يحتاج البعض الآخر إلى فترة راحة ليشعروا بالسلام.

صُفق الباب الأمامي، ورأى هاري الصبـي يجفل.

في تلك اللحظة، انفجر الديناميت في يد الذئب.

قال صوت حاد ومضبوط في الوقت نفسه:

- مرحباً... ما آخر الأخبار؟

التفت هاري فوراً ليرى رجلاً في الخمسين من عمره تقريباً يرتدي

بذلة ويمشي بسرعة نحو طاولة القهوة ويمسك بجهاز التحكم. في اللحظة التالية، طغى اللون الأسود على الشاشة.

- أنت تعرف ما قلته لك عن مشاهدة التلفاز خلال النهار يا جوناس.

قال ذلك بنبرة مستكينة، كما لو أنه يريد إخبار الآخرين في الغرفة عن مدى صعوبة تربية الأطفال في هذه الأيام.

وقف هاري، وعرّف عن نفسه وعن ماغنوس سكار وكاترين برات التي كانت لا تزال واقفة عند الباب تشاهد فحسب.

- فيليب بيكر.

قال الرجل ذلك وهو يدفع نظارته إلى الأعلى؛ على الرغم من كونها مرتفعة حتى أعلى أنفه. حاول هاري أن ينظر إلى عينيه مباشرة ليحصل على الانطباع الأول الهام لمشتبه به محتمل، إلا أن عينيه كانتا مختفيتين وراء نظارته.

- أمضيت وقتي وأنا أتصل بجميع من يمكن أن يكونوا على تواصل معها، لكنْ لا أحد يعرف شيئاً. ما الذي عرفتموه أنتم؟

أجابه هاري:

- لا شيء. لكن أول ما يمكنك فعله لمساعدتنا هو معرفة إن كانت هناك حقائب أو أكياس كبيرة أو ثياب مفقودة لنتمكن من بناء نظرية.

تفحص هاري بيكر قبل أن يستمر بقوله:

- حول ما إذا كان هذا الاختفاء عفوياً أو مدبراً.

تبادل بيكر مع هاري النظرات الفاحصة قبل أن يهز رأسه ويصعد إلى الطابق الأول.

انحنى هاري نحو جوناس الذي كان لا يزال يحدق إلى شاشة التلفاز السوداء وسأله:

- إذاً، أنت تحب رود رنر، أليس كذلك؟

هز الصبـي رأسه بصمت.

- لم لا؟

كان همس جوناس بالكاد مسموعاً:

- أشعر بالأسى على وايل إي. كايوتي.

بعد خمس دقائق نـزل بيكر، وقال إنه ما من شيء مفقود- لا حقائب سفر ولا ملابس- باستثناء ما كانت ترتديه حين غادر بالإضافة إلى

معطفها وحذائها ووشاحها.

حك هاري ذقنه غير الحليق، ونظر إلى إيبا بينديكسينـز قائلاً:

- هل من الممكن أن أذهب وإياك إلى المطبخ سيد بيكر.

توجه بيكر إلى المطبخ أولاً، بينما أشار هاري إلى كاترين كي تنضم إليهما. وفي المطبخ، بدأ الأستاذ مباشرة بوضع القهوة والماء في الآلة، بينما وقفت كاترين بجانب الباب، في حين توجه هاري إلى النافذة ونظر نحو الخارج. كان رجل الثلج قد ذاب في المنطقة بين الكتفين.

- متى غادرت في الليلة الماضية؟ وأي رحلة استقللت إلى بيرغن؟

أجاب بيكر من دون تردد:

- غادرت قرابة الساعة التاسعة والنصف، في حين أقلعت الطائرة عند الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق.

- هل اتصلت ببيرت بعد مغادرتك البيت؟

- لا.

- ماذا تعتقد أنه حصل؟

- ليست لدي أدنى فكرة أيها المحقق. لا أعرف أبداً.

- حسناً.

نظر هاري إلى الشارع، فمنذ أن وصلوا لم يسمع أي سيارة تمر. هذا الحي هادئ جداً، والهدوء والسلام قد تبلغ كلفتهما قرابة نصف مليون في هذه المنطقة من البلدة. ثم سأل:

- كيف حال زواجكما أنت وزوجتك؟

سمع هاري فيليب بيكر يتوقف عما يفعله فأضاف:

- علي أن أسأل لأن الأزواج يغادرون ببساطة ويرحلون.

سعل فيليب بيكر وقال:

- أؤكد لك أنني وزوجتي نتمتع بزواج ممتاز.

- هل فكرت في أنه قد تكون لديها علاقة غير معروفة بالنسبة إليك؟

- هذا مستحيل.

- مستحيل إجابة قوية سيد بيكر، كما أن العلاقات خارج الزواج شائعة نوعاً ما.

ابتسم فيليب بيكر قليلاً وقال:

- أنا لست ساذجاً أيها المحقق؛ فبيرت امرأة جذابة وأصغر مني بكثير، وهي متحدرة من عائلة متحررة نوعاً ما، لكنها ليست من هذا

النوع. كما أنني مطلع نوعاً ما على أنشطتها؛ إن كان من الممكن التعبير عن الأمر بهذا الأسلوب.

بقبقت آلة القهوة منذرة عندما فتح هاري فمه ليتابع الموضوع، إلاّ أنه غيّر رأيه:

- هل لاحظت أي تغيرات في مزاج زوجتك؟

- بيرت لا تعاني من أي اكتئاب أيها المحقق، وهي بالتأكيد لم تذهب إلى الغابة لتشنق نفسها أو ترمي نفسها في البحيرة. إنها في مكان ما وهي حية. لقد قرأت أن هناك أشخاصاً يختفون طيلة الوقت ثم يعودون مجدداً بتفسير طبيعي وتافه نوعاً ما، أليس كذلك؟

هز هاري رأسه ببطء:

- هل تمانع أن ألقي نظرة على المنـزل؟

- لماذا؟

كانت هناك جلافة في سؤال فيليب بيكر؛ مما جعل هاري يفكر في أنه رجل معتاد على أن يكون مسيطراً ومطلعاً، وعلى منع زوجته من أن يكون لها أي رأي؛ وهذا ما جعل هاري يستبعد فكرة أن النساء السليمات والمتأقلمات لا يهجرن أبناءهن بعمر عشر سنوات في منتصف الليل. وهنّ في العادة يستخدمن موارد بسيطة في المراحل المبكرة من حالة الاختفاء ما لم تكن هناك دلالات تشير إلى أي شيء إجرامي أو درامي.

- أحياناً لا تعرف ما تبحث عنه حتى تجده... إنها المنهجية.

التقت عيناه عيني بيكر من وراء النظارة. كانتا بعكس عيني ابنه، زرقاوين فاتحتين وتشعان بوميض صافٍ وحاد.

- بالتأكيد... تفضل.

كانت غرفة النوم باردة ومرتبة وخالية من الروائح، وكان على السرير المزدوج لحاف مطرز، وعلى إحدى الطاولتين المجاورتين للسرير صورة امرأة مسنة. دفع الشبه هاري لكي يفترض أن هذا الجانب من السرير هو جانب فيليب بيكر، أما على الجانب الآخر فكانت هناك صورة لجوناس. وفي الخزانة التي تحتوي على الملابس النسائية كانت هناك رائحة عطر خفيفة. تفحص هاري جميع زوايا علاقات الملابس المعلقة بمسافات متساوية البعد عن بعضها كما لو أنها متروكة منذ فترة. كانت هناك فساتين سوداء، وكنـزات قصيرة مكتوب عليها باللون الوردي البراق. وفي أسفل الخزانة، كان هناك قسم للأدراج، فسحب الدرج العلوي ليجد فيه الثياب الداخلية

السوداء والحمراء، أما في الثاني فهناك جوارب وأحزمة، وفي الثالث وجد مجوهرات موضوعة في حفر من اللباد الأحمر. ولاحظ خاتماً كبيراً ومبهرجاً ومزيناً بأحجار كريمة تتلألأ وتلمع. كان كل شيء هنا فخماً نوعاً ما؛ كما لم تكن هناك أي فجوات فارغة في اللباد.

كانت غرفة النوم تضم باباً يؤدي إلى حمام تم تجديده حديثاً.

أما في غرفة جوناس، فجلس هاري على كرسي صغير بجانب طاولة صغيرة. وكانت على الطاولة آلة حاسبة بسلسلة من الوظائف الرياضية المتقدمة، وحيث بدت جديدة وغير عادية. وفوق الطاولة، كانت هناك صورة سبعة دلافين وتقويم للعام بكامله، وكانت هناك علامات على عدة تواريخ مع ملاحظات مكتوبة بخط صغير. لاحظ هاري إشارة بالقرب من يوم العطلة في الدنمارك، وقرأ عبارة: طبيب الأسنان الساعة *10* صباحاً ، وموعدين في يوليو مع الطبيب. لم يرَ هاري أي إشارة لمباريات كرة قدم أو زيارات إلى السينما أو حفلات. ثم لمح وشاحاً ورديا على السرير، وهو لون لا يمكن لأي صبـي بعمر جوناس أن يقبل بارتدائه، فرفع هاري الوشاح ووجده رطباً، كما تمكن من تمييز الرائحة المميزة لبشرة وشعر وعطر أنثوي. إنه العطر نفسه الموجود في الخزانة.

نـزل إلى الأسفل مجدداً، ووقف خارج المطبخ مستمعاً إلى سكار وهو يرتب الإجراءات بخصوص حالات الأشخاص المفقودين، كما سمع قرقعة أكواب القهوة في الداخل. بدت الأريكة في غرفة الجلوس ضخمة ربما بسبب الجسد الضئيل الجالس هناك يقرأ كتاباً. اقترب هاري من جوناس أكثر، ورأى صورة شارلي شابلن بلباسه الخاص الكامل، ثم جلس هاري بجانب جوناس وسأله:

- هل تعلم أن شارلي شابلن كان سير؟ السير شارلي شابلن.

هز جوناس رأسه:

- لكنهم رموه خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

نقر جوناس بإصبعه على الكتاب.

- هل كنت مريضاً هذا الصيف يا جوناس؟
- لا.
- لكنك ذهبت إلى الطبيب.
- ماما أرادت أن تفحصني. ماما...

فجأة خانه صوته، فربت هاري بيده على كتفه وقال:

- ستعود عما قريب... سترى، فهي لم تأخذ وشاحها معها. أليس

كذلك؟ الوشاح الوردي على سريرك.

- أحد ما وضعه على رقبة رجل الثلج، وأنا أحضرته.
- إذاً، أمك لا تريد أن يتجمد رجل الثلج.
- ما كانت لتعطي وشاحها المفضل لرجل الثلج مطلقاً.
- إذاً، قد يكون أبوك من فعل ذلك.
- لا. أحد ما فعل ذلك بعد أن غادر أبـي الليلة الماضية. إنه الشخص الذي أخذ أمي.

هز هاري رأسه ببطء:

- من الذي صنع رجل الثلج ياجوناس؟
- لا أعرف.

نظر هاري عبر النافذة إلى الحديقة، فلهذا السبب قد أتى، وبدا أن سحابة باردة كالثلج عبرت الجدران والغرفة.

قادت كاترين السيارة برفقة هاري عبر سوركيدالسفين باتجاه ماجورستين.

- ما أول ما لفت نظرك حين دخلت؟

أجابت كاترين وهي تقود السيارة عبر الممر من دون أن تستخدم المكابح:

- الزوجان اللذان يعيشان هناك ليسا توأم روح تماماً، وقد يكون زواجهما فاشلاً. وفي تلك الحال، هي التي عانت أكثر.
- ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟

ابتسمت كاترين وهي تنظر إلى المرآة:

- هذا واضح. تضارب الأذواق.
- فسري.
- ألم تر الأريكة المريعة وطاولة القهوة؟ إنه الطراز التقليدي في الثمانينات الذي يشتريه الرجال في التسعينات، بينما اختارت هي طاولة الطعام المصنوعة من خشب البلوط الأبيض المائل إلى الزيتي وذات قوائم من الألمنيوم وفيترا.
- فيترا؟!
- كراسي غرفة الجلوس... سويسرية وباهظة الثمن... باهظة الثمن لدرجة كبيرة؛ حيث كان بإمكانها التوفير بشراء نسخ مقلدة بأسعار معقولة أكثر. كان بإمكانها تغيير جميع المفروشات اللعينة بثمنها.

لاحظ هاري أن كلمة "العينة" لم تبدُ كشتيمة عادية في فم كاترين برات، وإنما بدت رمزاً لغوياً يشير إلى ارتباطاتها الطبقية.

- المعنى؟

- ذلك المنـزل الكبير في ذلك العنوان في أوسلو يعني أن المال ليس المشكلة. وإنما هي لم تكن مخولة لتغيير أريكته وطاولته. وحين يقوم رجل عديم الذوق- أو من دون أي اهتمام واضح بتصميم الديكور- بفرش بيته بذلك الشكل فإن ذلك يشير إلى الطرف المسيطر.

هز هاري رأسه كإشارة لنفسه؛ فانطباعه الأول لم يكن خاطئاً. كاترين برات ماهرة.

- أخبرني بما تفكر فيه. فأنا من ينبغي أن تتعلم هنا.

نظر هاري من النافذة إلى المقهى التقليدي القديم وغير المهيب إطلاقاً ليبسفيك، ثم قال:

- لا أعتقد أن بيرت بيكر قد غادرت المنـزل بإرادتها.

- لم لا؟ لم تكن هناك أي دلائل على العنف.

- لأن ذلك كان مخططاً له جيداً.

- ومن الطرف المذنب؟ أهو الزوج؟ دائماً يكون الزوج، أليس كذلك؟

- نعم. دائماً يكون الزوج.

- باستثناء أن هذا الرجل كان في بيرغن.

- هكذا يبدو الأمر. نعم.

زادت كاترين السرعة، وانطلقت عبر تقاطع ماجورستين بينما كانت إشارة المرور برتقالية اللون وقالت:

- كما أنه سافر في آخر رحلة، وبذلك لم يكن بإمكانه العودة، كما تمكن من إلقاء أول محاضرة. وفي حال كان فيليب بيكر مذنباً فعليه تناول الطعم الذي تضعه له بكل الأحوال.

- طعم!

- نعم، الطعم حول تقلباتها المزاجية، فقد أشرت لبيكر أنك تشك بالانتحار.

- إذا؟

ضحكت:

- كفاك ياهاري. الجميع بمن فيهم بيكر يعرفون أن الشرطة لا تقدم الموارد لقضية تبدو انتحاراً. باختصار، لقد منحته الفرصة ليؤيد نظرية ستحل معظم مشاكله في حال كان مذنباً، لكنه أجاب أنها كانت في غاية

السعادة.

- إذاً، أنت تعتقدين أن السؤال كان اختباراً؟
- أنت تختبر الناس طوال الوقت ياهاري؛ بمن فيهم أنا.

-لم يجب هاري حتى وصلا إلى بوغستادفين.

- الناس عادة أذكى مما نظن.

قال هاري ذلك، ثم بقي صامتاً حتى وصلا إلى مرأب سيارات مركز الشرطة.

- عليّ العمل وحدي بقية اليوم.

قال ذلك لأنه كان يفكر في الوشاح الوردي وتوصل إلى استنتاج. كان بحاجة ماسة للاطلاع على تقرير سكار حول الأشخاص المفقودين وتأكيد شكه المتزايد. وفي حال كان الأمر كما يخشى، فسيقدم إلى غونار هاغن الرسالة... الرسالة الغبية.

5 - 4 نوفمبر 1992

التمثال الطوطمي

عندما جاء ويليام جيفرسون بلايث الثالث إلى هذه الدنيا في 19 أغسطس 1946 في بلدة هوب الصغيرة في أركنساس، كانت قد مرت ثلاثة أشهر تماماً على وفاة والده في حادث مرور. وبعد أربع سنوات تزوجت والدة ويليام مرة أخرى ليأخذ ويليام اسم عائلة زوج أمه. وفي ليلة من شهر نوفمبر، بعد ست وأربعين سنة في عام 1992، تساقطت قصاصات الورق الملون كالثلج على شوارع هوب احتفالاً بأملهم الجديد وابن بلدتهم ويليام- أو بيل كلينتون- بعد أن تم انتخابه ليكون الرئيس الثاني والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية. أما الثلج المتساقط على بيرغن في تلك الليلة فلم يصل إلى الأرض بل ذاب في الهواء كالعادة، ليتحول إلى مطر ينهمر على البلدة؛ كما هي الحال منذ منتصف شهر سبتمبر. ومع انبلاج فجر اليوم التالي، وصل المحقق غيرت رافتو إلى أعلى القمم... قمة أولريكن. كان يتنشق الهواء الجبلي وهو يرتجف، وقد أحنى كتفيه، وبدا وجهه مكشوفاً، وبشرة وجهه مجعدة.

كانت العربة الصفراء المعلقة بالأسلاك التي أوصلته مع ثلاثة من مسؤولي مسرح الجريمة في مركز شرطة بيرغن إلى ارتفاع 642 متراً فوق البلدة تتأرجح ببطء من الأسلاك الفولاذية المتينة منتظرة؛ حيث تم إيقاف الخدمة حالما دق أول سائح نـزل من قمة الجبل الشهير في ذلك الصباح جرس الإنذار.

زل لسان أحد محققي مسرح الجريمة قائلاً:

- المرح في الخارج.

كان الشعار السياحي للبلدة قد أصبح محاكاة ساخرة لبيرغن؛ لدرجة أن سكان بيرغن توقفوا عن استخدامه. ولكن، في الحالات التي يسود فيها الخوف تسيطر عليك مفرداتك الداخلية.

- نعم. المرح في الخارج.

ردد رافتو العبارة بسخرية، بينما تلألأت عيناه من وراء صفحة وجهه المجعدة.

كانت الجثة الملقاة على الثلج مقطعة إلى عدة قطع؛ لدرجة أنه لولا الثدي العاري لما تمكنوا من تحديد الجنس، أما ما تبقى فقد ذكر رافتو بحادث مرور في إيدزفاغنيسيت في السنة الماضية حين كانت شاحنة تنعطف

بسرعة كبيرة فأوقعت حمولتها من صفائح الألمنيوم على إحدى السيارات، وكانت النتيجة أنها قطعتها بكل معنى الكلمة.

قال أحد محققي مسرح الجريمة:

- قام القاتل بارتكاب جريمة القتل، ثم قطعها هنا في الأعلى.

بدت المعلومة غير ضرورية نوعاً ما لرافتو؛ إذ كان الثلج المحيط بالجثة ملطخاً بالدم، كما أن الخطوط الثخينة على الجانب أشارت إلى أن أحد الشرايين على الأقل تم قطعه بينما كان القلب لا يزال ينبض، ففكر أن عليه أن يسأل عن وقت توقف تساقط الثلج في الليلة الماضية. كانت آخر عربة قد غادرت عند الساعة الخامسة مساءً، وبالطبع كان من الممكن للضحية والقاتل أن يسلكا الطريق الملتوية تحت طريق العربات المعلقة أو يستقلا عربات سكة فلوين الحديدية المعلقة إلى قمة فجيل المجاورة والمشي من هناك. إلا أن ذلك يتطلب المشي، بينما أخبره حدسه أنهما صعدا بواسطة العربات المعلقة.

كانت هناك مجموعتان من آثار الأقدام على الثلج، ومما لا شك فيه أن الآثار الصغيرة تعود للمرأة؛ على الرغم من عدم وجود أي دلائل على حذائها، بينما تعود الآثار الأخرى للقاتل؛ حيث تؤدي إلى الطريق.

قال التقني الشاب وهو رجل من سوترا:

- حذاء كبير بقياس 48 على الأقل. لا بد أن الرجل ضخم نوعاً ما.

أجاب رافتو وهو يتنشق الهواء:

- ليس بالضرورة، فالآثار غير متساوية، في حين أن الأرض مسطحة؛ مما يشير إلى أن قدم الرجل أصغر من حذائه. ربما كان يحاول خداعنا.

بقيت الأنظار كلها معلقة برافتو الذي عرف ما كانوا يفكرون فيه، فاستمر محاولاً التألق ليعود نجم الأيام الغابرة حين كان رجل الصحافة الموقر: فم متكلم ووجه صارم وطاقة محفزة؛ أي باختصار رجل يحتل عناوين الأخبار. ولكن، في نقطة ما أصبح كبيراً جداً عليهم... عليهم كلهم... على الصحافيين وزملائه، فبدأ استهزاء غير مباشر ينتشر؛ وهو أن غيرت رافتو لم يكن يفكر سوى بنفسه ومكانته تحت الأضواء، لدرجة أنه بغروره هذا بدأ بالدوس على الكثير من الأقدام والكثير من الجثث، لكنه لم يلاحظ ذلك. ولم يكن لديهم أي شيء ضده، أو لم يكن لديهم الكثير، فقد كانت الأشياء الصغيرة الغريبة تختفي من مسرح الجريمة كقطعة مجوهرات أو ساعة تعود للضحية المقتولة؛ وهي أشياء تفترض أن أحداً لن يفتقدها؛

حتى قام أحد زملاء رافتو بالبحث عن قلم ففتح أحد أدراج مكتبه- أو على الأقل هذا ما قاله- ليجد ثلاثة خواتم. حينها، تم استدعاء رافتو إلى حيث قام بتوضيح موقفه، لكنهم أخبروه أن يلتزم الصمت. وكان ذلك جل ما في الأمر. إلا أن الشائعات بدأت، واستغلت وسائل الإعلام القصة، لذا لم يكن من المفاجئ ازدياد توجيه الاتهامات حول وحشية رجال الشرطة في المركز، فقد تم العثور على شخص يوجد ضده دليل ملموس، وكان ذاك الرجل يحتل عناوين الأخبار.

كان غيرت رافتو مذنباً بتلك الاتهامات، لكن الجميع عرفوا أن المحقق كان كبش فداء لثقافة سادت شرطة بيرغن لعدة سنوات؛ وذلك لمجرد توقيعه على عدة تقارير بالسجناء- معظمهم متحرشون بالأطفال وتجار مخدرات- الذين أوقعوا أنفسهم عن السلالم الحديدية القديمة إلى الزنـزانات المخصصة للسجناء قيد التحقيق ليتسببوا لأنفسهم بكدمات في أنحاء متفرقة.

ولم تكن الصحف وحشية، فاللقب الذي ألصقته به وهو "آيرون" بدلاً من غيرت لم يكن صحيحاً ولكنه مناسب. فقد قام صحفي بمقابلة العديد من أعدائه القدماء من كلا جانبـي القانون الذين انتهزوا الفرصة بالطبع للانتقام منه بسبب خلافاتهم القديمة. لذلك، حين عادت ابنة رافتو إلى البيت من المدرسة باكية وقالت إنه تمت مضايقتها، قالت زوجته إن هذا يكفي، وينبغي أن لا يتوقع منها أن تجلس وتشاهده وهو يجر عائلته بكاملها في الوحل. وكما حدث في كل مرة في السابق، فقد أعصابه، فأخذت ابنتها معها ولم ترجع بعد ذلك.

كان ذلك وقتاً عصيباً، لكنه لم ينس قط من كان؛ فهو آيرون رافتو. وعند انتهاء مدة الحجر كان مفلساً، فعمل ليلاً ونهاراً للتعويض عما خسره، إلا أن أحداً لم يكن مستعداً للمسامحة فالجروح عميقة. كما لاحظ المقاومة الداخلية التي تحول دون نجاحه؛ فهم بالطبع لا يريدونه أن ينجح مجدداً ويذكرهم ووسائل الإعلام بما كانوا يحاولون نسيانه بشدة... صور أجساد مصابة ومكبلة بالأغلال، لكنه سيريهم... سيريهم أن غيرت رافتو ليس بالشخص الذي يسمح أن يتم دفنه قبل أوانه، وأن البلدة تعود له، لا للموظفين الاجتماعيين والمزينين والمتحدثين ذوي الكلام المعسول الجالسين في مكاتبهم وألسنتهم الطويلة تلعق أحذية حمقى السياسيين المحليين والصحفيين المتشددين.

قال رافتو للتقني الذي يحمل الكاميرا:

- التقط بعض الصور وتعرف على هويتها.

- ومن سيتمكن من تحديد هويتها؟

أجاب رافتو من دون أن يكترث لنبرته:

- لا بد أن أحداً ما أبلغ أو سيبلغ عن اختفاء هذه المرأة. عليك الانتباه لذلك فحسب أيها الشاب.

صعد رافتو إلى القمة، ونظر إلى الخلف عبر ما يدعوه سكان بيرغن هضبة فيدن؛ ملقياً نظرة شاملة على الريف، لتتوقف نظراته على تل وما بدا أنه شخص على القمة. لكنه في هذه الحال لا يتحرك... ربما كان ركاماً من الحجر؟ فرك رافتو عينيه. لقد أتى إلى هنا مئات المرات، وتمشى مع زوجته وابنته لكنه لا يذكر رؤيته أي ركام، فنـزل إلى العربة المعلقة، وتحدث مع السائق ليستعير منظاره، وبعد خمس عشرة ثانية اكتشف أنها لم تكن ركاماً وإنما ثلاث كرات كبيرة من الثلج كدسها أحد ما فوق بعضها.

لم يكن رافتو يحب منطقة المنحدرات في بيرغن المعروفة باسم فجيلسيدن ببيوتها الخشبية الرائعة والمنحنية وغير المعزولة، وبأدراجها وأقبيتها الواقعة في أزقة ضيقة؛ حيث لا تشرق الشمس أبداً. وكان المهتمون بالمظاهر من أبناء الأثرياء يدفعون عادة الملايين لامتلاك منـزل أصيل على طراز بيرغن، ثم يحدثونه حتى لا تبقى منه أي قطعة أصلية. وهنا لا يمكنك سماع أصوات أقدام الأطفال وهم يركضون على الحجارة المرصوفة، فقد دفعت الأسعار العائلات الشابة للتوجه إلى الضواحي على الجانب الآخر من الجبل منذ زمن بعيد. لذا، كان المكان هادئاً ومعزولاً كصف من المتاجر المهجورة، إلا أن الشعور بأنه مراقب تملكه وهو واقف على السلم الحجري يرن الجرس.

بعد قليل، فتح الباب، ونظر إليه وجه امرأة قلقة وشاحبة ومذعورة، فاستفسر رافتو وهو يظهر بطاقته الشخصية:

- أوني هيتلاند؟ الأمر يتعلق بصديقتك ليلى آسن.

كانت الشقة صغيرة والتصميم مربكاً. فقد كان الحمام وراء المطبخ وبين غرفة النوم وغرفة الجلوس. ومع ورق الجدران المليء بالرسوم في غرفة الجلوس، حشرت أوني هيتلاند أريكة وكرسياً برتقالياً وأخضر. وعلى المساحة الصغيرة المتبقية من الأرض تكدست كومة من المجلات الأسبوعية وكومة من الكتب والأقراص المضغوطة. مر رافتو فوق طبق مقلوب على الأرض وقطة حتى وصل إلى الأريكة، بينما جلست أوني هيتلاند على الكرسي وهي تعبث

بقلادتها، وكان هناك شق أسود في الحجر الأخضر في القلادة... ربما كان ذلك عيباً أو ربما كانت مصممة كذلك.

كانت أوني هيتلاند قد علمت بوفاة صديقتها في وقت باكر من ذلك الصباح من باستيان زوج ليلى. ومع ذلك، أظهر وجهها العديد من التغيرات المفاجئة حين أخبرها رافتو بالتفاصيل من دون أي شفقة.

همست أوني هيتلاند:

- هذا مريع. لم يخبرني باستيان بأي شيء من ذلك.

- وذلك لأننا لم نرد نشر الخبر. لكن باستيان أخبرني أنك كنت صديقة ليلى المقربة.

هزت أوني رأسها.

- هل تعلمين ما كانت ليلى تفعله في أولريكن؟ ليست لدى زوجها أدنى فكرة، فقد كان البارحة مع الأطفال عند أمه في فلورو.

هزت أوني رأسها بصرامة، بشكل لا يترك أي مجال للشك. لم تكن الهزة هي المشكلة، وإنما الثواني المائة من التردد التي سبقتها، وقد كانت الثواني المائة تلك هي كل ما يحتاج إليه غيرت رافتو.

- هذه قضية قتل يا آنسة هيتلاند. آمل أن تقدري خطورة إخفاء ما تعرفينه عني.

رمقت الشرطي بنظرة حائرة من وجهها العنيد.

- إن كنت تظنين أنك تراعين عائلتها فأنت مخطئة، فهذه الأمور ستظهر بكل الأحوال.

بلعت ريقها وبدت خائفة... كانت تبدو خائفة منذ أن فتحت الباب، لذا ضربها الضربة القاضية بتهديده البسيط الذي لا يزال يؤثر بشكل مذهل في كل من الأبرياء والمذنبين.

- يمكنك أن تخبريني الآن، أو أن تأتي معي إلى مركز الشرطة للاستجواب.

ترقرقت الدموع في عينيها، بينما جاء صوتها الخافت من أسفل حنجرتها:

- كانت تلتقي أحداً ما هناك.

- من؟

تنفست أوني هيتلاند وهي ترتعش:

- لم تخبرني ليلى سوى باسمه الأول ومهنته. وقالت إن الأمر سر، وينبغي أن لا يعلم به أحد؛ وخاصة باستيان.

نظر رافتو إلى دفتر ملاحظاته ليخفي انفعاله:

- وما اسمه الأول؟ وما مهنته؟

دوّن ما قالته أوني وهو يحدق إلى دفتره. كان الاسم شائعاً نسبياً، كما كانت المهنة شائعة أيضاً. ولكن، بما أن بيرغن بلدة صغيرة نسبياً فقد ظن أن ذلك كافٍ. لقد علم بكامل كيانه أنه كان على الطريق الصحيح؛ حيث قصد غيرت رافتو بعبارة بكامل كيانه ثلاثين عاماً من العمل في الشرطة والمعرفة بالإنسانية استناداً إلى كراهية الجنس البشري عموماً.

قال رافتو:

- عديني بشيء واحد؛ ألا تخبري أحداً بما أخبرتني به. لا أحد في العائلة أو الصحافة أو أي رجل شرطة آخر قد يتكلم معك. هل فهمت ذلك؟

- ورجال الشرطة أيضاً؟

- بالتأكيد لا. أنا أقود التحقيقات، ويجب أن أسيطر على المعلومات بالكامل. لذا، أنت لا تعرفين أي شيء حتى أقول لك العكس.

وأخيراً... فكر رافتو وهو يقف في الخارج على السلم مجدداً، بينما لمع الزجاج حينما فتحت نافذة على الممر، وعاوده الشعور بأنه مراقب. ولكن، ماذا الآن؟ الانتقام. أحكم غيرت رافتو أزرار معطفه من دون أن يلاحظ المطر المتساقط، بينما نـزل صامتاً وظافراً إلى الشارع المنـزلق قاصداً مركز بلدة بيرغن.

كانت الساعة الخامسة مساءً حين بدأ المطر بالتساقط على بيرغن من السماء العاصفة. وكانت على المكتب أمام غيرت رافتو لائحة بالأسماء التي طلبها من المنظمة الحرفية، حيث بدأ البحث عن مشتبه بهم بالاسم نفسه، لكنه لم يجد سوى ثلاثة حتى الآن. لم تكن قد مضت سوى ساعتين على لقائه بأوني هيتلاند، إلا أن رافتو كان واثقاً كل الثقة أنه يعرف من قتل ليلى آسن. سيتم حل الأمر خلال أقل من اثنتي عشرة ساعة، ولن يكون بمقدور أحد أن يسلبه ذلك... فالشرف سيعود له وحده. ولأنه كان سيخبر الصحافة شخصياً، فقد تدفقت وسائل الإعلام الرئيسة في البلاد لتحاصر مركز الشرطة. كان رئيس الشرطة قد أعطى أوامر بعدم الإفصاح عن أي تفاصيل تتعلق بالجثة، لكن الصحافيين كانوا قد أحسوا بوجود حمام دم.

- لا بد أن هناك تسريبات.

قال الرئيس ذلك وهو ينظر إلى رافتو الذي لم يجب، ولم يظهر حتى

تكشيرته التي تاق لها. إذ كانوا جالسين هناك في الخارج وهم على أهبة الاستعداد لتقديم تقاريرهم، وسيعود غيرت رافتو قريباً ليصبح ملك مركز شرطة بيرغن.

خفّض صوت المذياع، حيث كان صوت ويتني هيوستن يؤكد طوال الخريف أنها ستحبك دائماً، وذلك قبل أن يرفع سماعة الهاتف الذي كان يرن.

قال باهتياج وبنفاد صبر:

- رافتو.

- أنا من تبحث عنه.

كان الصوت هو ما أخبر المحقق مشوه السمعة على الفور أن ما يحصل ليس مجرد مكيدة أو مزحة، فقد كان هادئاً ومضبوطاً بأسلوب واضح وجدي؛ مما جعله يستبعد المهووسين. لكن، كان هناك شيء آخر في الصوت أيضاً لم يتمكن من تحديده.

سعل رافتو بصوت مرتفع مرتين، واستغرق بعض الوقت ليظهر أنه لم يندهش:

- مع من أتحدث؟

- أنت تعرف.

أغمض رافتو عينيه وشتم بصمت وباستمرار... تباً.. تباً.. تباً. سيسلم القاتل نفسه، ولن يكون تأثير ذلك مشابهاً لإلقاء رافتو القبض على الجاني.

سأل الشرطي بأسنان مطبقة:

- ما الذي يجعلك تتوقع أنني أبحث عنك؟

- أنا أعلم فحسب. وإذا كان بإمكاني القيام بذلك بأسلوبي فستحصل على ما تريده.

- وما الذي أريده؟

- تريد أن تلقي القبض عليّ، وستتمكن من ذلك وحدك. هل تسمعني الآن يارافتو؟

هز الشرطي رأسه قبل أن يتمكن من استجماع قواه ليقول نعم.

- إذاً، لاقني عند التمثال الطوطمي في منتزه نوردنس في غضون عشر دقائق.

حاول رافتو أن يفكر، فمنتزه نوردنس يقع بجانب الحوض المائي، وبإمكانه الوصول خلال أقل من عشر دقائق. لكن، لماذا يلتقيان هناك من بين كل الأماكن؟ في منتزه في نهاية الرأس البحري؟!

قال الصوت كما لو أنه يجيبه على تفكيره:

- لكي أتمكن من التأكد من أنك أتيت بمفردك. إذا رأيت أي شرطي آخر، أو إن تأخرت فسأرحل إلى الأبد.

عمل ذهن رافتو بسرعة، وأجرى حساباته ليصل إلى نتيجة؛ فهو لن يتمكن من تنظيم فريق اعتقال في هذا الوقت، لذا عليه أن يفسر في تقريره المكتوب سبب قيامه بالاعتقال بمفرده؛ هذا ممتاز.

- حسناً. ما الذي سيحصل الآن؟

- سأخبرك بكل شيء، وسأعطيك عقداً يتضمن شروط استسلامي لتوقع عليه.

- ما نوع هذه الشروط؟

- لا أريد وضع أي أصفاد خلال المحاكمة، كما لن يتم السماح للصحافة بالتدخل، وأريد أن أقضي مدة حكمي في مكان ما حيث لا أختلط بالسجناء الآخرين.

أحس رافتو بالاختناق نوعاً ما، وقال وهو ينظر إلى ساعة يده:

- حسناً.

- لحظة، هناك شروط أخرى. أريد تلفازاً في غرفتي وجميع الكتب التي قد أطلبها.

- سنرتب لذلك.

- حين توقع العقد على شروطي سآتي معك.

- ماذا عن...؟

كان رافتو قد بدأ بالكلام حين ظهرت صفارة متسارعة لتخبره أن الشخص الآخر قد أنهى المكالمة.

أوقف رافتو سيارته بجانب حوض السفن. ولم يكن قد قصد أقصر الطرق، لكن هذا الطريق يمنحه رؤية أفضل لنوردنس حين يدخل. كان المنتزه الكبير يقع على أرض متموجة بممرات ورواباٍ مغطاة بالعشب الأصفر الذابل، بينما أشارت الأشجار بأصابعها الداكنة المليئة بالعقد إلى الغيوم المكفهرة القادمة من البحر خلف جزيرة أسكوي. كان هناك رجل يسرع خلف كلب هائج يقوده باضطراب، فتحسس رافتو مسدسه من نوع سميث وويسون في جيب معطفه بينما كان يعبر بركة نوردنس. بدا الحوض الأبيض الفارغ كحوض استحمام كبير على حافة الماء.

وراء المنعطف، تمكن من رؤية التمثال الطوطمي المرتفع لعشرة أمتار،

وهو هدية بزنة طنين من سياتل بمناسبة الذكرى التسعمائة لتأسيس بيرغن. وتمكن من سماع صوت أنفاسه وسحق أوراق الشجر المبللة تحت حذائه. وحين بدأ المطر بالهطول، تساقطت قطرات صغيرة على وجهه.

كان هناك شخص وحيد يقف إلى جانب التمثال الطوطمي مواجهاً رافتو؛ كما لو أنه كان يعرف أن رافتو سيأتي من ذلك الاتجاه وليس من الجهة الأخرى.

ضغط رافتو على المسدس وهو يمشي آخر عدة خطوات ليتوقف على بعد مترين، وفرك عينيه من المطر؛ إذ لم يصدق الأمر.

قال الصوت الذي لم يتمكن سوى الآن من تحديده:

- هل تفاجأت؟

لم يجب رافتو، فقد بدأ ذهنه بالعمل مجدداً.

قال الصوت:

- اعتقدت أنك تعرفني لكنني كنت أنا من يعرفك. فقد عرفت أنك ستحاول القيام بذلك بمفردك.

حدق رافتو، فقال الصوت:

- إنها لعبة.

سعل رافتو وقال:

- لعبة؟!

- نعم. أنت تحب اللعب.

أحكم رافتو قبضته على مخزن المسدس، وأمسكه بطريقة تضمن أنه لن يعلق في جيبه في حال اضطر لسحبه بسرعة، ثم سأل:

- لماذا أنا بالذات؟

- لأنك كنت الأفضل، وأنا لا ألعب إلا ضد الأفضل.

- أنت مجنون.

همس رافتو بذلك ثم ندم مباشرة، فأجاب الآخر بابتسامة صغيرة:

- ليس هناك شك في ذلك، لكنك أنت أيضاً مجنون... نحن كلنا مجانين، فنحن أرواح مضطربة لا يمكنها العثور على طريقها إلى موطنها. لطالما كان الأمر كذلك. هل تعلم لماذا صنع الهنود هذه؟

نقر الشخص الواقف أمام رافتو ببرجمة سبابته على الشجرة، بينما حدقت الأشكال المنحوتة الجاثمة فوق بعضها عبر المضيق البحري بعيون سوداء كبيرة عمياء.

أكمل الشخص:

- لتراقب الأرواح كي لا تتوه، إلا أن التمثال الطوطمي يبلى مع أنه ينبغي أن لا يبلى.

صدرت أصوات صراخ أجش من منطقة البطريق في الحوض المائي.

- هل ستخبرني لِمَ قتلتها؟

بعد أن قال رافتو ذلك لاحظ أن صوته أصبح أجش أيضاً.

- يا للعار! لقد انتهت اللعبة يارافتو. لقد كانت مسلية.

- وكيف عرفت أنني ألاحقك؟

رفع الشخص الآخر يده، فتراجع رافتو تلقائياً خطوة إلى الوراء. كان هناك شيء ما يتدلى منها... قلادة... وفي أسفلها، كان هناك حجر أخضر على شكل دمعة مع شق أسود، فأحس رافتو بقلبه يخفق بقوة.

- في الواقع، لم تقبل أوني هيتلاند أن تقول شيئاً في البداية. لكنها سمحت لنفسها... كيف أقول ذلك؟ سمحت لنفسها بأن تقتنع.

أجاب رافتو من دون أن يتنفس أو يفكر:

- أنت تكذب.

- قالت إنك أمرتها أن لا تخبر زملاءك، وهكذا عرفت أنك ستقبل عرضي، وستأتي إلى هنا وحدك لأنك تظن أن إلقاءك القبض عليّ فرصتك للتألق من جديد. أليس كذلك؟

سال المطر الخفيف البارد كالعرق على وجه رافتو الذي كان قد وضع إصبعه على زناد مسدسه وركز على الحديث ببطء وانضباط.

- لقد اخترت المكان الخطأ، فأنت تقف موليا ظهرك للبحر، وهناك سيارات شرطة على كل الطرق هناك. لا يمكن لأحد أن يهرب.

تنشق الشخص المواجه له الهواء بعمق قائلاً:

- هل بإمكانك شمه ياغيرت؟

- ما هو؟

- الخوف. للأدرينالين رائحة مميزة؛ لكنك تعرف كل ذلك. أنا متأكد من أنك شممتها لدى السجناء الذين كنت تضربهم. كانت رائحة ليلى كذلك، وخاصة حين رأت الأدوات التي سأستخدمها، وأوني أيضاً. ربما لأنك أخبرتها عن ليلى فقد عرفت ما سيحدث لها. إنها رائحة محفزة. ألا تعتقد ذلك؟ لقد قرأت أن بعض الحيوانات اللاحمة تستخدم هذه الرائحة للعثور على فريستها. تخيل الضحية المرتعشة وهي تحاول الاختباء، لكنها تعرف أن رائحة خوفها ستقتلها.

رأى رافتو يدي الشخص الذي يقف قبالته المرتديتين قفازين تتدليان

فارغتين. كانا في وضح النهار، وبالقرب من مركز ثاني أكبر مدينة في النروج. وعلى الرغم من تقدمه في السن، فإنه كان يحافظ على قوام جسدي جيد، وكانت منعكساته سريعة وتقنياته في القتال سليمة نوعاً ما. وإخراج المسدس لن يستغرق أكثر من جزء من الثانية، فلماذا كان خائفاً جداً لدرجة أن أسنانه كانت تصطك في فمه؟

6 - اليوم الثاني

الهاتف المحمول

انحنى الشرطي ماغنوس سكار إلى الوراء على كرسيه الدوار مغمضاً عينيه، وكانت أول الصور التي تراءت له صورة ترتدي فيها بذلة وتتجه نحو الطرف الآخر، ففتح عينيه مجدداً بسرعة، ونظر إلى ساعة يده... كانت تشير إلى السادسة. إنه يستحق استراحة بما أنه قام بالإجراءات المعيارية للعثور على الأشخاص المفقودين؛ حيث اتصل بجميع المستشفيات ليتأكد إن كانوا قد استقبلوا بيرت بيكر، كما اتصل بشركتي سيارات الأجرة نورجستاكسي وأوسلوتاكسي وتحقق من الرحلات التي قامت بها سياراتها بالقرب من هوف الليلة الماضية، ثم تحدث إلى مصرفها ليتلقى تأكيداً على أنها لم تسحب مبالغ كبيرة من حسابها قبل الاختفاء، كما لم يتم سحب أي مبلغ خلال اليوم أو الأمسية السابقة. وتم التصريح لرجال الشرطة في مطار غاردرموين بمراجعة قوائم المسافرين خلال الليلة الماضية، لكنهم لم يجدوا أي مسافر باسم بيكر سوى زوجها فيليب الذي استقل الطائرة المتجهة إلى بيرغن. وتحدث سكار مع شركات العبارات التي تبحر إلى الدانمارك وإنكلترا على الرغم من عدم احتمال ذهابها إلى إنكلترا، حيث إن زوجها يحتفظ بجواز سفرها، وقد أظهره لهم. وأرسل الشرطي الطموح الفاكس الأمني المعتاد لجميع الفنادق في أوسلو وأكيرشاس، ثم أخبر جميع الوحدات بما فيها سيارات الدوريات في أوسلو بضرورة إبقاء أعينهم مفتوحة.

ولم تبق سوى قضية الهاتف المحمول.

فقد اتصل ماغنوس بهاري وأعلمه بالوضع، لكن المحقق كان مقطوع الأنفاس، كما كان صوت زقزقة العصافير مسموعاً، وسأله هاري عدة أسئلة حول الهاتف المحمول قبل أن ينهي المكالمة. نهض سكار وتوجه إلى الممر حيث كان باب مكتب كاترين برات مفتوحاً، والنور يعم المكان، لكن ما من أحد في الداخل، فصعد السلم إلى المقصف في الطابق الأعلى.

لم يكن هناك ما يؤكل ويشرب سوى قهوة ساخنة في وعاء حافظ للحرارة، وبسكويت مالح، ومربى على صينية بجانب الباب. ولم يكن في الغرفة سوى أربعة أشخاص جالسين، من بينهم كاترين برات التي جلست إلى طاولة بجانب الجدار وهي تقرأ ملفاً في مصنف. وكانت أمامها كأس من الماء، وعلبة غداء مفتوحة تحتوي شطيرتين، بينما وضعت نظارة ذات إطار رقيق وعدستين رقيقتين بالكاد ترى.

سكب سكار لنفسه بعض القهوة، وتوجه إلى طاولتها ليسألها وهو يجلس:

- أنتِ تخططين للعمل لوقت إضافي، أليس كذلك؟

ظن ماغنوس سكار أنه سمع تنهيدة قبل أن ترفع نظرها عن الملف، فابتسم قائلاً:

- كيف خمنت؟ شطائر منـزلية الصنع. لقد عرفت قبل أن تتركي البيت أن المقصف هنا يغلق عند الساعة الخامسة وأنك ستعملين حتى ساعة متأخرة. آسف، ولكن هكذا تكونين عندما تعملين محققة.

- حقاً؟

قالت ذلك من دون أن ترفع عينيها إليه؛ حيث كانت تحاول العودة إلى صفحات ملفها.

أجاب سكار وهو يرتشف قهوته ويستغل الفرصة ليلقي نظرة مطولة عليها؛ فقد كانت منحنية إلى الأمام، وكان بإمكانه رؤية الطرف المخرم لحمالة صدرها تحت قميصها:

- نعم. انظري إلى قضية المرأة المفقودة اليوم، إذ ليست لدي أي معلومات لم يحصل عليها غيري، لكنني جالس هنا، وأنا أفكر في أنها قد تكون لا تزال في هوف. ربما هي ترقد تحت الثلج أو أوراق الشجر في مكان ما، أو ربما في أحد الجداول أو البحيرات الصغيرة الكثيرة هنا.

لم تجبه كاترين برات.

- هل تعلمين لِمَ أظن ذلك؟

أجابته برتابة ومن دون أن ترفع عينيها عن الملف:

- لا.

تمدد سكار عبر الطاولة، ووضع هاتفاً محمولاً أمامها مباشرة، فرفعت كاترين وجهها باستسلام ليقول لها:

- هذا هاتف محمول. أفترض أنك تظنين أنه اختراع جديد نوعاً ما، لكن في عام 1973 قام مخترع الهاتف المحمول مارتين كوبر بإجراء أول مكالمة مع زوجته في المنـزل، وبالطبع لم تكن لديه أدنى فكرة عن أن هذا الاختراع سيصبح من أهم الطرق التي تعثر فيها الشرطة على الأشخاص المفقودين. إذا كنت تريدين أن تكوني محققة جيدة فعليك أن تستمعي وتتعلمي هذه الأشياء يا برات.

أزالت كاترين نظارتها، ونظرت إلى سكار وقد علت شفتيها ابتسامة صغيرة أحبها لكنه لم يتمكن من تفسيرها:

- كلي آذان صاغية.

- ممتاز، لأن بيرت بيكر تملك هاتفاً محمولاً، والهاتف المحمول يرسل إشارات يمكن أن تلتقطها المحطات في المنطقة التي يتواجد فيها الهاتف؛ ليس فقط حين تتصلين، وإنما حين تحملين الهاتف معك أيضاً. لهذا السبب أسماه الأمريكيون بالهاتف الخلوي منذ البداية؛ لأنه تتم تغطيته من قبل محطات في مساحات صغيرة، أي خلايا. وقد تحققت من تيلينور، ووجدت أن المحطة التي تغطي هوف ما زالت تتلقى إشارات من هاتف بيرت. لكننا فتشنا المنـزل بكامله ولم نجد الهاتف، ومن غير المحتمل أن تكون قد أضاعته بالقرب من المنـزل لأن ذلك سيكون مصادفة غريبة. وهكذا...

رفع سكار يده كما يفعل لاعب خفة بعد تقديمه حيلة وقال:

- بعد أن أنهي قهوتي سأتصل بقسم الطوارئ لإرسال فريق بحث.

ردت كاترين وهي تمرر له الهاتف وتدير الصفحة:

- حظاً موفقاً.

- هذه إحدى قضايا هول السابقة. أليس كذلك؟

- نعم. هذا صحيح.

- يظن أن هناك قاتلاً متسلسلاً في حالة اهتياج.

- أعرف.

- حقاً؟ إذاً، ربما تعرفين أيضاً أنه مخطئ. وهذه ليست المرة الأولى، فهو مهووس للغاية بالقتلة المتسلسلين. فهول يعتقد أننا في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنه لم يتمكن حتى الآن من العثور على أي قاتل متسلسل في هذه البلاد.

- هناك العديد من القتلة المتسلسلين في السويد: توماس كويك وجون أسونيوس وتور هيدين...

ضحك ماغنوس سكار قائلاً:

- لقد أنجزت واجبك. لكن، إن كنت ترغبين بتعلم بعض الأشياء عن التحقيق الجيد في الجرائم فإنني أقترح أن نخرج معاً.

- شكراً. أنا لا...

- ونتناول بعض الطعام.

أخيراً، تمكن سكار من جعل نظراتهما تلتقيان؛ حيث كان لنظرتها بريق غريب، كما لو أن هناك نيراناً تضطرم داخلها. لم يكن قد رأى مثل هذا التوهج من قبل، وظن أنه من تسبب به؛ فقد أضرم النار وتمكن

من الارتقاء إليها من خلال حديثهما.

- يمكنك النظر إلى الأمر على أنه...

وتظاهر أنه يبحث عن الكلمة المناسبة:

- تدريب.

فابتسمت ابتسامة عريضة، بينما أحس سكار بنبضه يتسارع وجسده يشتعل.

شعر ماغنوس سكار بالذهول.

- حسناً ياسكار. دعني أعطيك بعض النصائح عن طيب نية. ابتعد عن النساء في العمل، ولا تهدر وقتك على شرب القهوة في المقصف في حال كنت تعتقد أنك قد توصلت إلى دليل مهم. ولا تحاول أن تخبرني أن بإمكانك الاتصال بقسم الطوارئ، إذ إن عليك الاتصال بالمحقق هول، وهو من سيقرر إن كان سيتم تشكيل فريق بحث، ثم سيقوم بنفسه بالاتصال بمركز العمليات حيث يوجد أشخاص مهيّؤون جيداً للقيام بذلك، وليس مجرد فريق من هنا.

سحقت كاترين الكوب المصنوع من الورق المقوى المقاوم للحرارة ورمته نحو سلة القمامة خلف سكار الذي لم يكن بحاجة للالتفاف ليعلم أنها لم تخطئ الهدف، ثم أغلقت ملفها ووقفت. في ذلك الحين، كان سكار قد سيطر على نفسه لدرجة ما.

- لا أعرف ما الذي تتخيلينه يابرات.

لم يستطع العثور على الكلمات. تباً... لا يمكنه العثور على الكلمات.

- إنني أعرض عليك أن أعلمك بعض الأمور فحسب.

تغير شيء ما في وجهها كما لو أن ستارة انـزاحت لتسمح له برؤية اللهب، فتأكد للحظة أنها ستضربه. إلا أن شيئاً لم يحدث، وحين تكلمت مجدداً أدرك أن كل ذلك كان يحدث في عينيها فقط، فهي لم تحرك إصبعاً، كما بقي صوتها هادئاً تماماً.

- أستميحك عذراً إن أسأت فهمك.

قالت ذلك على الرغم من أن تعابير وجهها أوحت أنها تعتبر ذلك غير محتمل، ثم تابعت:

- بالمناسبة، مارتين كوبر لم يتصل بزوجته وإنما بمنافسه جويل إنغل في مختبرات بيل. هل تعتقد أنه كان يسعى لتعليمه بعض الأمور؟ أو ليتبجح؟

شاهدها سكار وهي تغادر باتجاه باب المقصف. تباً... هذه المرأة

مجنونة! أحس برغبة بالنهوض ورميها بشيء ما لكنه كان متأكداً من أنه لن يصيبها.

أحس هاري برئتيه تضغطان على أضلاعه، بينما بدأت أنفاسه تنتظم، في حين بقي قلبه ينبض بسرعة كما لو أن أرنباً يعدو في صدره. كانت ملابس التدريب التي يرتديها مثقلة بالعرق، بينما وقف على حافة الغابة بجانب مطعم إكيبيرغ؛ حيث كان هذا المطعم العملي المبني بين الحربين العالميتين في وقت من الأوقات مصدر فخر وفرح لأوسلو، إذ يرتفع فوق البلدة على سلسلة الجبال المنحدرة في الشرق. إلا أن الزبائن توقفوا عن القيام برحلة طويلة من مركز المدينة إلى الغابة، فأصبح المكان غير رابح، وتدهور ليصبح مكاناً لهووسي الرقص من كبار السن والمدمنين متوسطي العمر والأشخاص الوحيدين الباحثين عن أشخاص وحيدين آخرين. وفي النهاية، تم إغلاق المطعم. لطالما أحب هاري أن يقود سيارته إلى هنا فوق طبقة الدخان الأصفر المحيطة بالمدينة ليركض في الممرات على الأرض الشاهقة التي تشكل تحدياً، وتتسبب باحتراق حمض اللبن في عضلاته. وكان يحب الوقوف أمام الجمال المتداعي للمطعم، ويجلس على الشرفة الكبيرة المبللة بمياه المطر والمطلة على البلدة التي كانت في وقت مضى كل ما يملكه لكنه الآن أصبح مفلساً عاطفياً وخسر كل أملاكه ليصبح عاشقاً سابقاً بعواطف متحولة.

كانت البلدة ترقد في الأسفل، في وادٍ محاط بالمرتفعات الجبلية من كل الجوانب، مع منفذ وحيد إلى الرأس البحري؛ إذ قال الجيولوجيون إن أوسلو كانت فوهة بركانية خامدة. وفي مثل هذه الأمسيات، يمكن لهاري أن يتخيل أن أضواء البلدة مجرد ثقوب في سطح الأرض تشع من خلالها الحمم المتوهجة. ومن منحدر هولمينكولن للتزلج الرابض كفاصلة بيضاء منيرة على الحافة الجبلية على الطرف الآخر من البلدة، حاول هاري أن يحدد مكان منـزل راكيل.

وفكر في الرسالة، وفي الاتصال الهاتفي الذي تلقاه للتو من سكار حول الإشارة المنبعثة من هاتف بيرت المفقود. وكان قلبه قد بدأ يتباطأ الآن ليضخ الدم، ويحول إشارات منظمة وهادئة للدماغ تعلمه أنه لا يزال حياً؛ تماماً كما يحول الهاتف المحمول الإشارات للمحطة. القلب... فكر هاري... الإشارة... الرسالة. كان ذلك تفكيراً سقيماً، فلم لم يتخلص منه حتى الآن؟ ولم لا يزال يحسب المدة التي سيستغرقها في الركض إلى السيارة

والقيادة إلى هوف؟

وقفت راكيل أمام نافذة المطبخ، تنظر عبر ملكيتها إلى أشجار الصنوبر التي تعيق رؤيتها للجيران، وكانت قد اقترحت أثناء اجتماع للسكان قطع بعض الأشجار للسماح بدخول المزيد من الضوء، إلا أن غياب الحماسة الذي لاقته كان واضحاً، لذلك لم تطلب التصويت على الاقتراح. لقد منعت أشجار الصنوبر الناس من النظر إلى الداخل، ولذلك أحبوها على منحدر هولمينكولن. وكان الثلج لا يزال يفترش الأرض فوق البلدة، حيث كانت سيارات بـي أم دبليو وفولفو تشق طريقها صعوداً عبر المنحنيات وهي عائدة بركابها إلى منازلهم؛ حيث أبواب المرأب الكهربائية، والعشاء الذي تحضره ربات البيوت النحيلات اللواتي يقصدن النوادي الرياضية ويحظين ببعض المساعدة من مربيات الأطفال.

ومن خلال الأرضية الصلبة للمنـزل الخشبـي الذي ورثته عن أبيها، تناهى إلى سمع راكيل صوت الموسيقى المنبعثة من غرفة أوليغ في الطابق الأول... لد زبلين وفرقة هو. حين كانت في الحادية عشرة من العمر، لم يكن من الممكن أن تتخيل استماعها لموسيقى من جيل والديها، لكن أوليغ حصل على هذه الأسطوانات من هاري، وقد استمع لها بشغف حقيقي.

فكّرت بمدى نحول هاري، ومدى اضمحلاله كما تضمحل ذكرياتها معه. كم هو مخيف أن يتلاشى ويختفي شخص كانت معه على علاقة حميمة، أو ربما كان ذلك هو السبب: فقد كانا مقرّبين من بعضهما كثيراً لدرجة أنه في ما بعد- عندما لم يعودا كذلك- بدا الأمر غير حقيقي؛ كحلم نسيته بسرعة لأنه لم يحدث سوى في رأسها. ربما لهذا السبب كان من المفاجئ اللقاء به ثانية، وعناقه، وتنشق رائحته، وسماع صوته ليس عبر الهاتف وإنما مباشرة من فمه ذي الشفتين الناعمتين في وجهه الصارم والمجعد، والنظر في عينيه الزرقاوين اللتين تومضان بقوة وهو يتكلم كما كان يفعل من قبل.

ومع ذلك، كانت سعيدة لأن ذلك انتهى ورمته وراء ظهرها، ولأن هذا الرجل قد أصبح شخصاً لن تتشارك مستقبلها معه، ولن يجلب واقعه الوضيع إلى حياتهما.

فهي الآن أفضل... بل أفضل بكثير. نظرت إلى ساعتها... سيصل قريباً، فهو خلافاً لهاري يصل على الوقت دائماً.

وقف ماثياس هناك فجأة يوماً ما... في حفلة برعاية جمعية سكان

هولمينكولن. لم يكن يعيش في الحي حتى، وإنما كان مدعواً من قبل أصدقائه، وقد جلس مع راكيل وتحدثا طوال الأمسية. كان معظم حديثهما عنها في الواقع، حيث أصغى لها بانتباه كما يفعل الأطباء، ثم سألها إن كانت ترغب برؤية معرض في مركز هيني أونستاد الفني في هوفيكودن، ورحب بانضمام أوليغ لهما؛ إذ إن هناك معرضاً للأطفال أيضاً. كان الطقس سيئاً حينها، كما كانت الأعمال الفنية متوسطة الجودة، وأوليغ نكداً، لكن ماثياس تمكن من تحسين الجو بحسه الفكاهي وتعليقاته اللاذعة حول موهبة الفنان. ثم أوصلهما بالسيارة إلى بيتهما، واعتذر عن فكرته، ووعدهما بابتسامة أن لا يأخذهما إلى أي مكان آخر في ما بعد ما لم يطلبا منه ذلك بالطبع. وبعد ذلك ذهب ماثياس إلى بوتسوانا لأسبوع، ثم اتصل بها مساء عودته ليسألها إن كان من الممكن أن يلتقيا مجدداً.

سمعت صوت سيارة تنعطف في الممر المنـزلق. كان يقود سيارة هوندا أكورد قديمة الطراز. لم تعرف قط لماذا لكنها أحبت الفكرة. ركن السيارة أمام المرأب وليس داخله؛ وكانت تحب ذلك أيضاً، كما أحبت أنه يحضر معه ملابس داخلية نظيفة وحقيبة حمام في حقيبة قماشية، ثم يأخذها معه في الصباح التالي. وقد أحبت أيضاً حين يسألها متى تريد رؤيته مجدداً وعدم تعامله مع الأمور كمسلمات... سيتغير هذا الآن بالطبع، لكنها مستعدة لذلك.

ترجل من السيارة. كان طويلاً؛ بطول هاري تقريباً، وابتسم لنافذة المطبخ بوجهه الصبياني على الرغم من إرهاقه الشديد بعد مناوبته الطويلة جداً. نعم، إنها مستعدة لهذا... لرجل يكون حاضراً... لرجل يحبّها. سمعت المفتاح يدور في قفل الباب الأمامي... المفتاح الذي أعطته إياه الأسبوع الفائت. بدا ماثياس مستغرباً جداً في البداية؛ كطفل تلقى للتو تذكرة لمصنع شوكولا.

فتح الباب ودخل ليضمها بين ذراعيه. فكرت أنه حتى معطفه الصوفي تفوح منه رائحة زكية. كانت قماشته ناعمة ورطبة على خدها.

ضحك:

- ما الأمر؟

فهمست:

- كنت أنتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل.

أغمضت عينيها، ووقفا هكذا لبرهة من الزمن.

ابتعدت عنه ونظرت إلى وجهه الباسم. كان شكله جيداً... أفضل من

هاري.

حرر نفسه، وفك أزرار معطفه، وعلقه ثم توجه إلى المغسلة حيث غسل يديه. كان يقوم بذلك كلما عاد من قسم التشريح؛ حيث يتعاملون مع جثث حقيقية خلال المحاضرات؛ كما كان هاري يفعل بالتأكيد حين يعود من التحقيق في جريمة قتل. فتح ماثياس الخزانة تحت المغسلة، وأخرج بضع حبات من البطاطا، ووضعها في حوض المطبخ وفتح الصنبور.

- كيف كان يومك ياعزيزتي؟

فكرت أن معظم الرجال يسألون عن الليلة السابقة. كما أنه يعلم أنها التقت هاري ولم يبدِ انـزعاجه، وقد أحبته لذلك أيضاً. فتكلمت وهي تنظر من النافذة، بينما اتجهت نظراتها عبر أشجار الصنوبر إلى البلدة في الأسفل حيث بدأت الأضواء تتلألأ. كان هاري هناك في الأسفل، في مطاردة لا أمل منها وراء شيء لم يجده ولن يجده. كانت تشعر بالأسى حياله، إذ لم يبق لديها تجاهه سوى التعاطف معه. في الواقع، كانت هناك لحظة في الليلة الماضية، حين كانا صامتين وعيونهما معلقة ببعضها من دون أن يتمكنا من تحرير نفسيهما. كانت كصدمة كهربائية، لكنها انتهت بالكامل خلال لحظة، ولم يبق أي سحر فقد اتخذت قرارها. وقفت وراء ماثياس، ووضعت ذراعيها حوله مسندة رأسها على ظهره الواسع.

استطاعت تحسس عضلاته وأوتاره وهي تتحرك تحت قميصه فيما كان يقشر البطاطا ويضعها في المقلاة، فقال:

- تلزمنا اثنتان أخريان.

أحست بحركة عند باب المطبخ فالتفتت. كان أوليغ واقفاً ينظر إليهما.

- هل يمكنك إحضار المزيد من البطاطا من القبو؟

حين قالت ذلك رأت عيني أوليغ الداكنتين تكفهران.

التفت ماثياس، بينما بقي أوليغ في مكانه.

- يمكنني أن أذهب أنا.

قال ماثياس ذلك وهو يأخذ الدلو الفارغ من تحت المغسلة ليملأه بالبطاطا، فأجاب أوليغ وهو يخطو للأمام:

- لا. سأذهب أنا.

أخذ الدلو من ماثياس، ثم خرج من الباب.

- لم كل هذا؟

تنهدت راكيل:

- إنه خائف من الظلام.
- ظننت ذلك. لكن، لم ذهب بكل الأحوال؟
- لأن هاري قال إنه ينبغي عليه ذلك.
- ينبغي عليه ماذا؟

هزت راكيل رأسها:

- ينبغي عليه مواجهة الأشياء التي يخاف منها ولا يريد أن يخاف منها. حين كان هاري هنا اعتاد على إرسال أوليغ إلى القبو طوال الوقت.

عبس ماثياس.

ابتسمت راكيل بحزن:

- هاري ليس معالجاً نفسياً للأطفال، وأوليغ لا يصغي إلي إن أبدى هاري رأيه أولاً. وبكل الأحوال، ليس هناك أي وحوش في الأسفل.

أدار ماثياس الموقد قائلاً بصوت منخفض:

- ما الذي يجعلك متأكدة من ذلك؟

ضحكت راكيل:

- ماثياس، هل كنت تخاف من الظلام؟

كشر ماثياس:

- من يتكلم عن الماضي؟

نعم، لقد أحبّته... هذا أفضل... حياة أفضل... أحبته... نعم... لقد فعلت... لقد أحبته.

ركن هاري سيارته أمام منـزل بيكر، وجلس في السيارة محدقاً إلى الضوء الأصفر المنبعث من النوافذ إلى الحديقة. كان رجل الثلج قد تضاءل حجمه وتحوّل إلى قزم، إلا أن ظله لا يزال ممتداً إلى الأشجار والسياج المكون من أوتاد.

ترجل هاري من السيارة، وأجفل من صرير البوابة الحديدية. كان يعلم أنه ينبغي عليه رن الجرس أولاً؛ فالحديقة ملكية خاصة تماماً كالبيت، لكنه لم يمتلك الصبر أو الميل لمناقشة أي شيء مع الأستاذ بيكر.

كانت الأرضية المبللة رطبة فانحنى، وانعكس الضوء عن رجل الثلج كما لو كان زجاجاً كامداً. كان الذوبان خلال النهار قد جعل قطع الكريستال الثلجية الصغيرة تتماسك لتصبح قطع كريستال أكبر. أما الآن، فانخفضت درجات الحرارة مجدداً، وتكثف بخار الماء مجمّداً قطع كريستال أخرى، لتكون النتيجة أن الثلج الناعم والأبيض والمشرق أصبح هذا الصباح

قاسياً ورمادياً ومضغوطاً.

رفع هاري يده اليمنى وأحكم قبضته ولكم.

فتدحرج رأس رجل الثلج المفتت عن كتفيه إلى العشب البني.

لكم هاري مجدداً من الأعلى وحتى الرقبة، حيث شكلت أصابعه شكل مخلب اقتحم طريقه عبر الثلج ووجد ما كان يبحث عنه.

سحب يده ورفعها بظفر أمام رجل الثلج؛ كما فعل بروس لي ليري خصومه القلب الذي أخرجه للتو من صدره الممزق.

هاتف نوكيا أحمر وفضي محمول لا يزال مفتوحاً.

إلا أن الإحساس بالنصر تلاشى؛ إذ علم أن ذلك لن يشكل تقدماً في التحقيقات، وإنما هو مجرد مشهد ثانوي في عرض للدمى المتحركة، حيث يقوم شخص آخر بتحريك الخيوط الخفية. كان الأمر بسيطاً جداً، فالقصد هو أن يتم العثور عليه.

مشى هاري نحو الباب الأمامي ورن الجرس، ففتح فيليب بيكر الباب. كان شعره أشعث، وربطة عنقه مائلة، كما رمش بعينيه عدة مرات كما لو كان نائماً.

- نعم. هذا هو نوع هاتفها.
- أبإمكانك الاتصال برقمها؟

اختفى فيليب بيكر في المنـزل بينما انتظر هاري. وفجأة، برز وجه جوناس من الرواق. كان هاري على وشك إلقاء التحية عليه حين بدأ الهاتف الأحمر بعزف نغمة طفولية: "بلامان بلامان بوكين مين"، وتذكر هاري السطر التالي من كتاب أغانيه المدرسية: "تينك با فيسل غوتن دين"... فكر بابنك الصغير.

رأى وجه جوناس يشرق، كما رأى العملية المتصلبة للتفكير في ذهن الصبـي، واهتياجه المباشر، ثم تحوّل فرحه لدى سماعه رنة هاتف أمه تتلاشى إلى خوف شديد مجرد، فبلع هاري لعابه؛ إذ كان يعرف هذا الخوف جيداً.

حين دخل هاري شقته استطاع أن يشم رائحة الجص ونشارة الخشب، وكانت ألواح الجص التي تشكل جدران الممر منـزوعة ومكدسة على الأرض، كما كانت هناك بعض البقع الباهتة على الجدار الحجري في الخلف. مرر هاري إصبعه على الطبقة البيضاء المتراكمة على الأرض الخشبية، ثم وضع رأس إصبعه في فمه. كان مذاقه مالحاً. هل مذاق الجص هكذا؟ أو إنه

كان مجرد تملح ناتج عن تعرق البناء؟ أشعل هاري ولاعة وانحنى نحو الجدار. لم يكن هناك شيء يشمه أو يراه.

وحين أوى إلى فراشه، واستلقى محدقاً إلى الظلام المخيم بالغرفة، فكّر في جوناس، وفكر في أمه وبرائحة المرض ووجهها المتلاشي ببطء في بياض الوسادة. لأيام وأسابيع مضت كان يلعب مع سيس، بينما بقي أبوه هادئاً، وحاول الجميع التصرف كما لو أن شيئاً لم يحصل. ظن أن بإمكانه سماع حفيف ضئيل في الصالة، كما لو كانت خيوط الدمى المتحركة تتضاعف وتتطاول وتتسلل بينما تلتهم الظلام وتشكل ضوءاً وامضاً باهتاً يهتز ويرتعش.

7 - اليوم الثالث

إحصائيات مخفية

تسرب ضوء الصباح الضئيل عبر الستائر في مكتب هاغن ليغلف وجهي الرجلين باللون الرمادي. كان هاغن يستمع لهاري بتركيز، وقد ظهرت تجاعيد فوق حاجبيه الأسودين الكثيفين اللذين يلتقيان في الوسط. وكانت على المكتب الضخم قاعدة صغيرة تحمل عظمة برجمة بيضاء تعود- وفقاً للنقوش- لقائد الكتيبة الياباني يوشيتو ياسودا. فخلال سنواته في الأكاديمية العسكرية، كان هاغن قد ألقى محاضرات حول الإصبع الصغيرة التي قطعها ياسودا بيأس أمام رجاله خلال الانسحاب من بورما عام 1944. وبعد عام من عودة هاغن إلى عمله القديم في الشرطة كرئيس لفرقة مكافحة الجريمة، ومع تغير الأوضاع بشكل دائم، استمع بصبر للمحقق المحنك وهو يتكلم حول فكرة "الأشخاص المفقودين".

- في أوسلو وحدها تم الإبلاغ عن أكثر من ستمائة شخص مفقود كل عام. وبعد بضع ساعات من ذلك، يتم العثور على أغلبهم، كما لا يبقى أحد مفقوداً لأكثر من عدة أيام.

ربت هاغن بإصبعه على الشعر في أعلى أنفه الذي يصل حاجبيه ببعضهما. عليه أن يحضر لاجتماع الميزانية في مكتب رئيس الشرطة... كان الموضوع حول تخفيضها.

قال هاري:

- معظم الأشخاص المفقودين فارون من المصحات العقلية، أو من كبار السن الذين يعانون من الخرف. حتى إن سليمي العقل الذين هربوا إلى كوبنهاغن أو انتحروا تمّ العثور عليهم أيضاً. حيث ظهرت أسماؤهم على لوائح المسافرين، أو سحبوا النقود من أجهزة الصراف الآلي، أو جرفتهم الأمواج إلى الشاطئ.

قال غونار هاغن وهو ينظر إلى ساعته:

- ما هي فكرتك؟

- هذه.

قال هاري ذلك وهو يلقي ملفاً أصفر اللون على مكتب هاغن.

انحنى هاغن إلى الأمام، وجال بإصبعه على أوراق الملف.

- يا للهول ياهاري! لست من النوع الذي يكتب التقارير في العادة.

- هذا عمل سكار، لكن أنا من كتب الخاتمة، وسأخبرك بها الآن شفهياً.

- باختصار من فضلك.

حدق هاري إلى يديه الموضوعتين في حضنه. وكانت ساقاه الطويلتان ممدودتين أمام الكرسي. أخذ نفساً عميقاً، إذ كان يعلم أنه ما إن يقول ذلك بصوت مرتفع حتى لن يكون هناك أي تراجع:

- لقد اختفى الكثير من الأشخاص.

ارتفع النصف الأمامي من حاجب هاغن:

- اشرح.

- ستجد ذلك في الصفحة 6. ستجد لائحة بأسماء نساء مفقودات تتراوح أعمارهن بين الخامسة والعشرين والخمسين، وقد اختفين منذ العام 1994 وحتى اليوم. نساء لم يتم العثور عليهن خلال السنوات العشر الماضية. وقد تكلمت مع وحدة الأشخاص المفقودين، ووافقوني على ذلك... ببساطة، العدد كبير.

- كبير بالنسبة إلى ماذا؟

- بالنسبة إلى الماضي، وبالنسبة إلى الدنمارك والسويد، وبالنسبة إلى المجموعات السكانية... نساء متزوجات أو يعشن مع رجال آخرين يتم تمثيلهن بشكل كبير.

- أصبحت النساء أكثر استقلالية من ذي قبل، ويمكن لبعضهن الذهاب والانفصال عن عائلاتهن والسفر مع رجل ما. يمكن لذلك أن يؤثر في الإحصائيات. إذاً؟

- أصبحن أكثر استقلالية في الدنمارك والسويد أيضاً، لكنهم يجدونهن هناك في ما بعد.

تنهد هاغن:

- إن كانت الأرقام منحرفة بشدة عن المعيار كما تدعي، فلم لم يكتشف أحد ذلك من قبل؟

- لأن أرقام سكار تشمل البلاد بأكملها، وعادة لا تنظر مراكز الشرطة سوى إلى الأشخاص المفقودين في منطقتها فقط. وهناك سجل وطني خاص بالأشخاص المفقودين في كريبوس يذكر 1800 اسم خلال السنوات الخمسين الماضية؛ بما فيها حالات غرق السفن والكوارث كمنصة نفط ألكسندر كييلاند. بيت القصيد هنا هو أن لا أحد بحث على أنماط عبر البلاد حتى الآن.

- جيد. لكنني غير مسؤول عن البلاد ياهاري، وإنما عن منطقة شرطة أوسلو.

وضرب هاغن براحتي يديه ليشير إلى أنه انتهى من الإصغاء.

فقال هاري وهو يفرك ذقنه:

- المشكلة هي أنها وصلت إلى أوسلو.

- من هي؟

- الليلة الماضية وجدت هاتف بيرت بيكر المحمول داخل رجل ثلج. لا أعرف بالتحديد من هي أيها الرئيس، أو ما هي لكنني أعتقد أن علينا معرفة ذلك وبسرعة.

قال هاغن بشرود وهو يمسك إصبع قائد الكتيبة ياسودا ويضغط عليها بإبهامه:

- هذه الإحصائيات مثيرة للاهتمام. وأنا أقدر أن هذا الاختفاء الأخير سيكون أساساً للاهتمام، لكن ذلك غير كافٍ. لذا أخبرني، ما الذي جعلك تطلب من سكار كتابة هذا التقرير؟

نظر هاري إلى هاغن، ثم سحب مغلفاً من جيبه الداخلي وأعطاه إياه:

- وجدت هذا في صندوق البريد الخاص بـي بعد إجرائي المقابلة التلفزيونية في بداية سبتمبر. ومنذ ذلك الحين وأنا أظن أنه عمل شخص مجنون.

أخرج هاغن الرسالة، وبعد قراءته الجمل الست هز رأسه لهاري:

- رجل الثلج؟ وما هو/هي الموري؟

- هذا هو بيت القصيد. أخشى أنها من وصلت لأوسلو.

حدجه هاغن بنظرة محتارة، فقال هاري:

- آمل أن أكون مخطئاً، لكنني أعتقد أنه ستمر علينا أيام سوداء.

تنهد هاغن:

- ما الذي تريده ياهاري؟

- أريد فريق تحقيق.

حدق هاغن إلى هاري، وكحال معظم الضباط الآخرين في مركز الشرطة، كان يعتبر هاري متشبثاً برأيه ومتغطرساً وجدلياً وغير مستقر، لكنه كان سعيداً لكونهما على الجانب نفسه، ولأن هذا الرجل لن يطارده.

فسأل في النهاية:

- كم العدد؟ ولكم من الزمن؟

- عشرة محققين لشهرين.

قال ماغنوس سكار:

- أسبوعان! وأربعة محققين! هل من المفترض أن يكون هذا تحقيقاً بجريمة قتل؟

نظر حوله باستياء إلى الثلاثة الآخرين المحشورين في مكتب هاري: كاترين برات، وهاري هول، وبيورن هولم من كريمتيكنيسك الوحدة الجدلية.

أجاب هاري وهو يستند على كرسيه:

- هذا ما منحني إياه هاغن. كما أن ما سنقوم به ليس تحقيقاً بجريمة قتل في الوقت الحالي.

فسألت كاترين برات:

- إذاً، ما هو في الوقت الحالي؟

- قضايا أشخاص مفقودين، لكنها تتشابه نوعاً ما مع قضايا حديثة أخرى.

- سيدات المنازل اللواتي هربن في أحد الأيام الخريفية؟

طرح بيورن هولم السؤال مع بقايا لكنة ريفية من توتن أضافها إلى المزايا الجيدة، بالإضافة إلى مجموعة أسطوانات طويلة لإلفيس وهيلبيلي وسكس بيستولز وجيسون آند ذا سكروتشرز، وثلاث بذلات بخياطة يدوية من ناشفيل، وأريكة صغيرة يمكن تحويلها إلى سرير، وأثاث غرفة طعام استعمل لثلاثة أجيال كدسها جميعها في عربة، وقطرها إلى العاصمة بآخر عربة أمازون لتجر سيارة الفولفو من طراز 1970. وكان بيورن هولم قد اشترى عربة الأمازون مقابل مبلغ 1200 كرونر. لكن، حتى هذا الوقت لم يكن أحد يعلم ما المسافة التي قطعتها؛ لأن العداد لا يصل لأكثر من 100000 كم. وفي كل الأحوال، عبرت السيارة عن كل ما كان عليه بيورن هولم وكل ما يعتقده. فقد كانت رائحتها أفضل من أي شيء عرفه؛ وهي مزيج من الجلد الصناعي والمعدن وزيت المحركات ومخفف صدمات خلفي أبهتت الشمس لونه ومحرك فولفو ومقاعد تشربت العرق الشخصي الذي يقول بجورن مولر إنه ليس تعرقاً للجسم وإنما مجموعة من عادات أكل وأسلوب حياة جميع المالكين السابقين. وكان النرد الفروي المتدلي من المرآة نرداً زغباً أصلياً؛ يعبر عن المزيج الصحيح للعاطفة الحقيقية، والبعد الساخر عن الثقافة الأمريكية الغابرة والجمالية التي تناسبت مع ابن المزارع النرويجي الذي ترعرع وهو ينصت لجيم ريفز بأذنه الأولى والرامونـز بأذنه

الأخرى وقد أحب كليهما. والآن، ها هو يجلس في مكتب هاري معتمراً قبعة على طراز راستا جعلته يبدو كشرطي متنكر. وانبثق من تحت القبعة سالفان كبيران أحمران ناريان يحيطان بوجه بيورن هولم المستدير والممتلئ، ويبرزان عينيه البارزتين قليلاً اللتين منحتاه تعابير الاندهاش المستمر. وكان هو الشخص الوحيد الذي أصر هاري على انضمامه لفريق التحقيق الصغير الخاص به.

- هناك أمر آخر.

قال هاري ذلك وهو يبحث عن زر تشغيل جهاز الإسقاط بين أكوام الورق على مكتبه. شتم ماغنوس سكار، وغطى عينيه حين ظهرت كتابة مشوشة فجأة على وجهه، ثم انتقل من مكانه، بينما أتى صوت هاري من وراء جهاز الإسقاط:

- وصلت هذه الرسالة إلى صندوق البريد الخاص بـي قبل شهرين بالضبط، ومن دون أي عنوان، ومن مركز بريدي في أوسلو، وتمت طباعتها بطابعة عادية.

وقبل أن يتمكن هاري من السؤال، ضغطت كاترين برات على مفتاح الضوء بجانب الباب لتغرق الغرفة في الظلام، ولم يبق سوى مربع من الضوء يلوح على الجدار الأبيض.

وبدأوا القراءة بصمت.

عما قريب سيتساقط الثلج لأول مرة هذا العام، وسيظهر مجدداً رجل الثلج. وحين يختفي الثلج سيأخذ معه شخصاً آخر. ما عليك إلاّ أن تسأل نفسك: من الذي صنع رجل الثلج؟ من الذي يصنع رجال الثلج؟ من الذي ولد الموري؟ لأن رجل الثلج لا يعرف.

تمتم بيورن هولم:

- شاعري.

وسأل سكار:

- ما هو/هي الموري؟

ولم يجبه سوى الأزيز الرتيب لمروحة جهاز الإسقاط.

قالت كاترين برات:

- السؤال الأهم هو: من هو رجل الثلج؟

فقال بيورن هولم:

- من الواضح أنه شخص يحتاج لفحص لرأسه.

لكن ضحكة سكار انقطعت حين قال هاري من قلب الظلام:

- الموري لقب شخص ميت الآن. فالموري هم السكان الأصليون من كوينسلاند في أستراليا. حين كان هذا الموري حياً، قام بقتل نساء من أنحاء أستراليا كافة. لا أحد يعرف بشكل مؤكد عددهن، لكن اسمه الحقيقي كان روبن تووومبا.

أزت المروحة وطنت.

قال بيورن هولم:

- قاتل متسلسل... القاتل الذي قتلته.

هز هاري رأسه.

- هل يعني ذلك أننا نتعامل مع أحدهم الآن.

- نتيجة لهذه الرسالة، لا يمكننا استبعاد هذا الاحتمال.

رفع سكار راحة يده:

- قف عندك لحظة. كم مرة حذرتنا من قاتل متسلسل منذ أن اشتهرت بسبب القضية الأسترالية ياهاري؟

- ثلاث مرات على الأقل.

أجاب سكار وهو يلقي بعجلة نظرة على برات ليتأكد أنها منصتة:

- ومع ذلك، لم نعثر على أي قاتل متسلسل في النروج. هل يعود سبب ذلك للدورة التي تعلمتها من مكتب التحقيقات الفيدرالي حول القتلة المتسلسلين؟ هل هذا ما يجعلك تراهم في كل مكان؟

- ربما.

- دعني أذكرك أنه باستثناء الممرضة التي حقنت بعض المسنين الذين كانوا على حافة الموت بكل الأحوال لم يكن لدينا أي قاتل متسلسل في النروج. مطلقاً. هؤلاء الأشخاص غير موجودين سوى في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وحتى هناك هم غير موجودين سوى في الأفلام.

قالت كاترين برات:

- هذا خطأ.

التفت الآخرون لمواجهتها بينما تظاهرت هي بالتثاؤب.

- في السويد وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا وهولنده والدنمارك وروسيا وفنلنده، نحن لا نتكلم سوى عن قضايا محلولة. ولكن، لم ينبس أحد ببنت شفة عن الإحصائيات المخفية.

لم يستطع هاري رؤية وجه سكار المتوهج في الظلام، وإنما مجرد

ذقنه وهو يبرز إلى الأمام بعدوانية باتجاه برات.

- ليست لدينا جثة حتى! ويمكنني أن أريك درجاً مليئاً بالرسائل المشابهة لهذه الرسالة، أرسلها أشخاص أكثر جنوناً بكثير من... من... رجل الثلج هذا.

قال هاري وهو ينهض ويتجه نحو النافذة:

- الفرق أن هذه القضية محكمة؛ فاسم موري لم يتم ذكره في الأوراق حتى الآن. وهو اللقب الذي استخدمه روبن تووميا حين كان ملاكماً مع سيرك جوال.

تسللت آخر أشعة ضوء النهار من خلال شق في الغيوم. نظر هاري إلى ساعته، فقد أصر أوليغ على الذهاب باكراً لحضور فرقة سلير أيضاً.

تمتم بيورن هولم:

- إذاً، من أين سنبدأ؟

سأل سكار:

- ماذا؟!

كرر هولم بأسلوب مبالغ به:

- إذاً، من أين سنبدأ؟

عاد هاري إلى وراء مكتبه.

- عد ياهولم إلى منـزل آل بيكر وحديقتهم كما لو كانا مسرح جريمة، وتفحص الهاتف المحمول، والوشاح على وجه الخصوص. وأنت ياسكار، عليك إعداد لائحة بالقتلة السابقين والمغتصبين والمشتبه بهم في...

أكمل سكار:

- ... قضايا مشابهة، والحثالة الأخرى الطليقة.

- وعليك يابرات مراجعة تقرير الأشخاص المفقودين لنرى إن كان بإمكانك تحديد نمط ما.

انتظر هاري السؤال المحتوم: ما نوع النمط؟ لكنه لم يأتِ، فقد اكتفت كاترين برات بإيماءة برأسها. فقال هاري:

- حسناً... انطلقوا.

فسألت برات:

- وأنت؟

- سأفكر.

حين غادر الآخرون المكتب، نظر إلى دفتر ملاحظاته... إلى الكلمتين الوحيدتين اللتين كتبهما: إحصائيات مخفية.

ركضت سيلفيا بأسرع ما يمكنها باتجاه الأشجار الكثيفة في الظلام المتزايد. كانت تركض لإنقاذ حياتها.

لم تكن قد ربطت حذاءها الذي امتلأ بالثلج، وكانت تمسك الفأس الصغيرة أمامها، بينما اندفعت عبر طبقات الأغصان العارية والمنخفضة، وكانت قبضة يدها حمراء ومغطاة بالدم.

كانت تعرف أن الثلج الذي تساقط بالأمس قد ذاب في البلدة. لكن، بالرغم من أن سوليهوغدا لا تبعد أكثر من ساعة ونصف بالسيارة، فالثلج قد يبقى على الأرض حتى الربيع في هذا المكان المرتفع. وبدأت تتمنى لو أنهم لم ينتقلوا قطّ إلى هذا المكان المنعزل. تمنت لو كانت تركض على الإسفلت الأسود في مدينة يطغى فيها الضجيج على أصوات الهرب؛ حيث يمكنها الاختباء بين مجموعة آمنة من البشر. لكنها هنا وحيدة بالكامل.

لا.

ليس بالكامل.

8 - اليوم الثالث

رقبة الإوزة

ركضت سيلفيا إلى الغابة بينما بدأ الظلام يخيم. كانت تكره في العادة حلول أمسيات نوفمبر باكراً جداً، لكنها اليوم ترغب في أن يحل الليل بأسرع ما يمكن، فقد كانت تختبئ في ظلام عمق الغابة... الظلام الذي قد يمحو آثار خطواتها على الثلج ويخفيها. كانت تعرف طريقها جيداً؛ حيث بإمكانها العثور على أثرها بحيث لم تركض عائدة إلى المزرعة أو مباشرة إلى... إلى ذراعيها. إلا أن المشكلة تكمن في أن الثلج غير المشهد خلال الليلة الفائتة، وغطى الممرات والصخور المألوفة، وسوّى جميع المعالم بالإضافة إلى الغسق... فكل شيء مشوه ومختفٍ في السواد ووراء ذعرها.

توقفت لتستمع للهاثها وأنفاسها المتقطعة التي اخترقت جدار الهدوء؛ حيث بدا الصوت كما لو كانت تمزق الورق المقاوم للدهون الملفوف حول غداء ابنتيها. وفي النهاية، تمكنت من السيطرة على أنفاسها، ولم تستطع سماع أي شيء سوى نبض دمها في أذنها وخرير جدول. الجدول! كانوا عادة يتبعون الجدول حين يقطفون التوت، وينصبون الأشراك، أو يبحثون عن الدجاجات التي كانوا يعلمون في صميمهم أن الثعلب قد سرقها. وكان الجدول يؤدي إلى طريق حصوي، حيث ستمر سيارة عاجلاً أو آجلاً.

لم تعد تسمع صوت أي خطوات أو تكسر أغصان أو سحق الثلج. ربما تمكنت من الفرار؟ أحنت جسدها إلى الأمام، وتحركت برشاقة باتجاه صوت الخرير.

بدا الجدول كما لو كان يتدفق على ملاءة سرير بيضاء في منخفض في أرض الغابة.

خاضت فيه سيلفيا مباشرة، ليصل الماء إلى منتصف كاحليها ويخترق حذاءها. وكان الماء بارداً جداً، لدرجة أنه جمد عضلات ساقيها. ثم بدأت تركض مجدداً بالاتجاه نفسه الذي تتدفق إليه المياه مصدرة أصواتاً عالية وهي ترفع ساقيها في خطوات طويلة. فكرت وهي تشعر بالانتصار... لا أحد يتعقبني ، وتباطأ نبضها على الرغم من أنها كانت تركض.

كان ذلك نتيجة للساعات التي كانت تقضيها على جهاز المشي في مركز اللياقة البدنية خلال السنة الماضية؛ حيث فقدت ستة كيلوغرامات من وزنها، واستطاعت الحفاظ على جسدها بحال أفضل من معظم النساء اللواتي بلغن الخامسة والثلاثين من العمر. كان ذلك ما قاله ينغفي الذي

التقته لأول مرة في السنة الماضية في المحاضرة الروحانية التي ألهمتها كثيراً. ليتها تستطيع إعادة عقارب الساعة للوراء عشر سنوات فقط. كم هي كثيرة الأمور التي تود لو قامت بها على نحو مختلف! لم تكن لتتزوج رولف أو تقوم بالإجهاض. نعم، كان من المستحيل حينها أن تفكر أن التوأم قد يأتي إلى هذا العالم. لكن، قبل ولادتهما وقبل أن ترى إيما وأولغا كان الأمر ممكناً؛ إذ ما كانت ستدخل هذا السجن الذي شيدته حول نفسها.

أبعدت الأغصان المتدلية فوق الجدول لترى بطرف عينها شيئاً... حيواناً يستجيب بحركة مفاجئة ويختفي في ظلمة الغابة.

خطر لها أن عليها تحريك ذراعها بانتباه لئلا تضرب ساقها بالفأس. لم تكن قد مضت سوى دقائق، لكنها أحستها كما لو كانت سنوات منذ أن كانت تقف في الحظيرة وتذبح الدجاجات. كانت قد قطعت رأسين وعلى وشك قطع الرأس الثالث حين سمعت باب الحظيرة يصر خلفها. وبالطبع، جفلت إذ كانت وحيدة ولم تنتبه لأي أصوات خطوات أو سيارة في الباحة. وكان أول ما لاحظته هو الجهاز الغريب؛ وهو حلقة معدنية رقيقة موصولة بمقبض يشبه الفخاخ التي كانوا يصطادون الثعالب بواسطتها. وحين بدأ حامل هذه الأداة بالكلام اتضح لها على الفور أنها كانت الفريسة... فهي التي ستموت.

وتم إخبارها عن السبب.

استمعت للمنطق المريض والواضح بينما تباطأ الدم في عروقها كما لو كان يتخثر، ثم تم إخبارها عن الطريقة وبالتفصيل، وبدأت الحلقة بالتوهج باللون الأحمر أولاً ثم الأبيض. عندها، أرجحت ذراعها برعب، وأحست بشفرة الفأس المشحوذة حديثاً تقطع تحت الذراع المرتفعة، ورأت الكنـزة والسترة تنفتحان كما لو أنها قامت بفتح السحاب، ثم رأت الفولاذ يُحدث خطاً أحمر على البشرة العارية. وبينما ترنح الشخص إلى الوراء ووقع على الألواح الأرضية اللزجة بسبب دم الدجاج، أسرعت إلى الباب في مؤخر الحظيرة... الباب المؤدي إلى الغابة... إلى الظلام.

انتشر الخدر في ركبتيها، وغاصت في الماء حتى صرتها، لكنها كانت تعلم أنها اقتربت من الطريق الحصوي حيث ستصل إلى أقرب مزرعة خلال أقل من ربع ساعة ركضاً. التف الجدول، وارتطمت قدمها اليسرى بشيء بارز من المياه، ثم صدر صوت طقطقة، وشعرت كما لو أن أحداً ما أمسك بقدمها. وفي اللحظة التالية، سقطت سيلفيا أوترسون بالكامل؛ حيث وقعت على بطنها، وابتلعت مياهاً آسنة، لتدفع نفسها في ما بعد وترتفع

راكعة. وما إن عرفت أنها لا تزال وحيدة وانقضى ذعرها الأول حتى اكتشفت أن قدمها عالقة، فتحسست بيدها تحت الماء متوقعة أن تجد جذور شجرة مضفورة حول قدمها. إلا أن أصابعها أحست بشيء ناعم وقاسٍ. معدن... حلقة معدنية. حدقت سيلفيا حولها بحثاً عما ارتطمت به، لتراه هناك على الضفة المغطاة بالثلج. كانت له عينان وريش وعرف ديك أحمر باهت، فأحست برعبها يزداد مجدداً فقد كان رأس ديك مقطوعاً... ليس من الرؤوس التي قطعتها للتو، وإنما أحد الرؤوس التي استخدمها رولف كفخ. فبعد أن كتب للمجلس المحلي أن ثعلباً قتل ست عشرة دجاجة في السنة الماضية، منحوه الإذن لنصب عدد محدود من الفخاخ للثعالب- أي كما يسمونها رقبات الإوز- بمحيط محدد حول المزرعة، وبعيداً عن الدرب التي يسلكها الناس عادة. وكان أفضل مكان لإخفاء الفخاخ تحت الماء بينما يرتفع الطعم، وبعد أن يلتهم الثعلب الطعم، يطبق الفخ على عنقه ويقتله مباشرة؛ نظرياً على الأقل. تحسست بيدها الفخ؛ إذ حين اشتريا الفخاخ من جاكتديبوتيت في درامن قيل لهما إن النوابض قوية جداً، حيث إن الفك قد يكسر ساق شخص بالغ؛ لكنها لم تشعر بأي ألم في قدمها المتجمدة. ووجدت أصابعها السلك الفولاذي الرفيع المتصل برقبة الإوزة. ما كان من المفترض أن تتمكن من فتح الفخ دون الرافعة التي كانت في صندوق الأدوات في المزرعة، كما أنهم في العادة يربطون رقبة الإوزة بشجرة مع سلك فولاذي لئلا يتمكن ثعلب شبه ميت أو أي شيء آخر من الهرب بالأداة باهظة الثمن. تتبعت يدها السلك عبر الماء حتى الضفة، حيث وجدت العلامة المعدنية التي تحمل اسميهما كما هو منصوص في القانون.

تيبست في مكانها. ألم يكن ذلك صوت غصن ينكسر من بعيد؟ أحست بقلبها يقفز مجدداً، بينما حدقت في الضباب الكثيف.

تبعت أصابعها الخدرة السلك عبر الثلج، فيما كانت تزحف إلى ضفة الجدول، حيث كان السلك مشدوداً حول جذع شجرة فتية وصلبة. بحثت جيداً إلى أن وجدت الأنشوطة تحت الثلج، حيث كان المعدن متجمداً إلى قطعة قاسية وصلبة. كان عليها أن تفتحه وتبتعد.

طقطق غصن آخر من مكان أقرب هذه المرة.

اتكأت على الجذع في الجانب المقابل للجهة التي سمعت منها الصوت، محاولة أن تقنع نفسها أن لا تخاف، وأن الأنشوطة ستنحل بعد أن انتزعتها قليلاً، وأن ساقها لا تزال سليمة، وأن الأصوات التي تسمعها

تقترب صادرة عن غزال. حاولت سحب أحد طرفي الأنشوطة، ولم تشعر بالألم حين كسرت أحد أظافرها من الوسط؛ لكن بلا جدوى. فانحنت وسحقت بأسنانها الفولاذ. تباً! يمكنها سماع خطوات خفيفة وهادئة على الثلج، فحبست أنفاسها. توقفت الخطوات في مكان ما على الجانب الآخر من الشجرة... ربما كانت تتخيل أشياء، لكنها اعتقدت أن بإمكانها سماعه يشم الهواء ويتنشق الرائحة، لذا جلست ساكنة بلا حراك، ثم بدأ يتحرك مجدداً، وأصبحت الأصوات أخف... إنه يبتعد.

أخذت نفساً عميقاً مرتعشاً؛ إذ عليها الآن أن تحرر نفسها، فقد كانت ثيابها مبللة بالكامل، وستتجمد حتى الموت خلال الليل ما لم يجدها أحد. وفي تلك اللحظة، تذكرت الفأس... لقد نسيت الفأس. فقد كان السلك رفيعاً، وإذا وضعته على صخرة فبإمكانها بضربتين قويتين أن تتحرر. لا بد أن الفأس قد وقعت في الجدول، فزحفت عائدة إلى المياه الداكنة، وأنـزلت يديها بحثاً في القاع الصخري.

لا شيء.

غاصت على ركبتيها بيأس وهي تفحص الثلج على كلتا الضفتين لتلمح الشفرة بارزة من المياه على بعد مترين منها. وكانت تعرف مسبقاً قبل أن تشعر بالسلك يهتز، وقبل أن تقع في المياه بينما خر الثلج الذائب فوقها ببرودة جعلتها تظن أن قلبها سيتوقف وهي تمتد كشحاذ بائس يطلب الفأس... كانت تعرف مسبقاً أنها بحاجة لنصف متر حتى تصل إليها. التفت أصابعها في الهواء على بعد 50 سنتيمتراً من المقبض، وترقرقت الدموع في عينيها لكنها حبستها؛ إذ لا يمكنها البكاء الآن.

- هل هذا ما تبحثين عنه؟

لم تسمع أو ترى شيئاً. لكن شخصاً ما جثم أمامها. تراجعت سيلفيا إلى الوراء، لكن الشخص تبعها وهو يمد الفأس باتجاهها.

- خذيها.

اتكأت سيلفيا على ركبتيها وأمسكت بالفأس، فسألها الصوت:

- ماذا ستفعلين بها؟

أحست سيلفيا بالغضب يمور في داخلها... الغضب الذي يرافق الخوف دائماً لتكون النتيجة ضارية؛ فاندفعت إلى الأمام رافعة الفأس، وأرجحتها بذراع ممتدة، لكن السلك سحبها نحو الخلف لتقطع الفأس الظلام فحسب. وفي اللحظة التالية، كانت مستلقية في المياه مجدداً.

ضحك الصوت ضحكة مكبوتة.

فاستدارت سيلفيا على جانبها، وتأوهت وهي تبصق الحصى:

- ابتعد عني.

- أريدك أن تأكلي الثلج.

قال الصوت ذلك، فيما نهض الشخص وأمسك بسرعة طرف السترة المشقوق، فصاحت سيلفيا من دون قصد:

- ماذا؟

وقف الشخص خارج محيط السلك الفولاذي قليلاً، وأمال رأسه وهو يراقب سيلفيا:

- أريدك أن تأكلي الثلج حتى تتجمد معدتك وتمتلئ ولا تتمكن من إذابة الثلج بعد ذلك... حتى يصبح داخلك كالجليد... حتى تصبحي كنفسك الحقيقية... شيئاً لا يمكنه أن يحس.

سمعت أذنا سيلفيا الكلمات، لكنّ ذهنها لم يستوعب المعنى، فصرخت:

- مستحيل!

فصدر صوت من الشخص ليمتزج مع خرير الجدول:

- حان الوقت لتصرخي ياعزيزتي سيلفيا، إذ لن يسمعك أحد أبداً.

رأته سيلفيا يرفع شيئاً مضاءً... أنشوطة على شكل قطرة مطر حمراء متوهجة في الظلام. أصدر ذلك الشيء هسيساً ودخاناً حين لامس سطح الجدول.

- ستختارين أكل الثلج. صدقيني.

أدركت سيلفيا بتأكد صاعق أن ساعتها قد حانت، وأنه لم يتبق سوى احتمال واحد للنجاة. فقد هبط الظلام بسرعة خلال الدقائق العشر الماضية، لكنها حاولت تركيز نظرتها على الشخص بين الأشجار وهي تمسك الفأس بيدها. تخدر الدم في أصابعها وهي تسحبها للوراء، حيث كانت تعرف أنها فرصتها الأخيرة. لطالما تدربت على ذلك مع التوأم على جدار الحظيرة، وكلما رمتها لتسحبها إحداهن من الهدف المرسوم على شكل ثعلب كانتا تهتفان بابتهاج: لقد قتلت الوحش ياماما! لقد قتلت الوحش! وضعت سيلفيا قدماً أمام الأخرى لتقفز خطوة واحدة... كانت تلك هي الطريقة المثلى للوصول إلى الدقة والقوة المطلوبتين.

همست:

- أنت مجنون.

فقال الشخص وهو يبدي ابتسامة خفيفة:

- ما من شك في ذلك.

دارت الفأس عبر الظلام المخيم والملموس مصدرة طنيناً منخفضاً، بينما وقفت سيلفيا متوازنة بالكامل وهي تمد ذراعها اليمنى إلى الأمام، وتشاهد السلاح القاتل... تشاهده يصفر بين الأشجار، وتسمعه يقطع غصناً رقيقاً، وتشاهده يختفي في الظلام، وتسمع الضربة المكتومة الكليلة بينما سقطت الفأس على الثلج، في مكان ما في عمق الغابة.

اتكأت على جذع الشجرة لتسقط ببطء على الأرض وتشعر بالدموع تتساقط من عينيها من دون أن تحاول إيقافها هذه المرة؛ لأنها عرفت أنه لن يكون هناك أي وقت لاحق.

قال الصوت بهدوء:

- هل يمكننا البدء؟

9 - اليوم الثالث

الشرك

- أكان ذلك عظيماً أم ماذا؟

طغى صوت أوليغ المتحمس على صوت الدهن الذي يذوب في متجر الكباب المزدحم بالناس القادمين إليه بعد الحفل في مدرج أوسلو سبيكتروم، فهز هاري رأسه لأوليغ الذي كان يقف متعرقاً ومتراقصاً وهو يثرثر حول أعضاء فرقة سليبنوت، ويذكر أسماءهم... أسماء لم يعرفها هاري حتى بما أن أسطوانات سليبنوت كانت خالية من المعلومات الشخصية، والمجلات الموسيقية كموجو وأنكوت لا تكتب عن مثل هذه الفرق. طلب هاري شطيرة ونظر إلى ساعته، فقد قالت راكيل إنها ستقف في الخارج في تمام العاشرة، ثم نظر إلى أوليغ مجدداً حيث كان يتحدث بلا توقف. متى حدث ذلك؟ متى بلغ الصبي سن الحادية عشرة وقرر أن يحب الموسيقى التي تتكلم عن المراحل المتعددة للموت والغربة والتجمد والهلاك العام؟ ربما ينبغي على هاري أن يقلق من ذلك لكنه لم يقلق، فقد كانت تلك نقطة بداية ومجرد فضول ينبغي إرضاؤه؛ كملابس يرغب الصبي في تجربتها ليرى إن كانت تناسبه، وستأتي معها أمور أخرى أفضل وأسوأ.

- لقد أحببتها أيضاً. أليس كذلك يا هاري؟

هز هاري رأسه، إذ لم تكن لديه الجرأة لإخباره أن الحفلة كانت مجرد خاتمة سيئة بالنسبة له. لم يستطع تحديد الأمر... ربما لم تكن هذه ليلته. إذ ما إن انضما للحشود في سبيكتروم حتى شعر بالارتياب، لكنه خلال السنة الأخيرة بدأ يظهر حين يكون صاحياً. وبدلاً من الاندماج بدأ يشعر أنه مراقب. وقف كي يراقب الجمهور ويتفحص حائط الوجوه المحيط به.

قال أوليغ:

- سليبنوت هي الفضلى. والأقنعة كانت أكثر من رائعة، وخاصة ذلك القناع ذا الأنف الطويل والرفيع. لقد بدا مثل... تقريباً...

كان هاري يستمع بأذن واحدة تقريباً؛ متمنياً أن تأتي راكيل قريباً. فقد بدا الهواء داخل متجر الكباب فجأة ثقيلاً وخانقاً كغشاوة رقيقة من الدهن على بشرتك وفمك. حاول أن لا يفكر بفكرته التالية، لكنها كانت في طريقها إلى ذهنه، وعلى وشك الوصول... التفكير بالشراب.

جاء صوت امرأة من ورائهما:

- إنه قناع الموت الهندي. وقد كان سلير أفضل من سليبنوت.

التفت هاري متفاجئاً، فأكملت:

- هناك الكثير من الوضعيات المتكلفة مع سليبنوت، والكثير من الأفكار المكررة والإيماءات الفارغة.

كانت ترتدي معطفاً أسود طويلاً وضيقاً ومتألقاً ومغلقاً حتى الرقبة، حيث لم يبدُ من تحت المعطف سوى زوج من الأحذية السوداء. بينما كان وجهها شاحباً، وقد وضعت بعض مستحضرات التجميل على عينيها.

قال هاري:

- لم أكن لأصدق هذا مطلقاً لو لم أرك بعينيّ. أتحبين مثل هذا النوع من الموسيقى!؟

أظهرت كاترين برات ابتسامة صغيرة:

- يمكنني قول العكس.

لم تقدم أي تفسير أكثر، وإنما أشارت إلى الرجل وراء المنضدة أنها تريد مياهاً معدنية من نوع فاريس.

دمدم أوليغ بصوت هامس:

- سلير ممل.

فالتفتت إليه كاترين:

- لا بد أنك أوليغ.

فأجابها أوليغ بعبوس وهو يرفع سرواله، ويبدو كما لو أنه أحب ولم يحب- في الوقت نفسه- هذا الاهتمام من امرأة ناضجة:

- نعم. كيف عرف؟

ابتسمت كاترين:

- كيف عرف؟! أنت تعيش في هولمينكولين ريدج. لذا، ألا ينبغي عليك أن تقول: كيف عرفت؟ هل يعلمك هاري العادات السيئة؟

انتشر الدم في خدي أوليغ، وضحكت كاترين بهدوء مربتة على كتف أوليغ:

- آسفة. أنا فضولية فحسب.

أصبح وجه الصبـي أحمر جداً، حيث أصبح بياض عينيه براقاً.

قال هاري وهو يقدم طبق البرغر لأوليغ:

- وأنا أيضاً فضولي. أفترض أنك وجدت النمط الذي طلبته منك بما أنك وجدت الوقت لتأتي إلى حفل.

نظر إليها هاري بطريقة تنطق بتحذيره "لا تزعجي الصبـي".

فقالت كاترين وهي تثني الرأس البلاستيكي لقارورة فاريس:

- وجدت شيئاً، لكنك مشغول لذا يمكننا مناقشته غداً.
- لست مشغولاً جداً.

حين قال هاري ذلك كان قد نسي طبقة الدهن والشعور بالاختناق.

- الأمر سري، وهناك الكثير من الناس هنا. لكن، يمكنني أن أهمس ببعض الكلمات الهامة في أذنك.

اقتربت منه، واستطاع أن يشم العطر ويشعر بنفسها الدافئ على أذنه:

- هناك سيارة فوكس فاجن باسات فضية قد توقفت للتو في الممر في الخارج. وهناك امرأة تحاول لفت انتباهك. أظن أنها والدة أوليغ...

استقام هاري فجأة ونظر إلى خارج النافذة الكبيرة؛ نحو السيارة حيث كانت راكيل قد فتحت النافذة وتحدّق بهم.

- لا تثر الفوضى.

قالت راكيل ذلك حين قفز أوليغ إلى المقعد الخلفي حاملاً البرغر بيده.

ووقف هاري إلى جانب النافذة المفتوحة. كانت ترتدي كنـزة زرقاء فاتحة يعرفها جيداً ويعرف رائحتها وملمسها على راحة يده وخده. سألته:

- هل كانت حفلة جيدة؟
- اسألي أوليغ.

نظرت إلى أوليغ في المرآة:

- ما نوع هذه الفرقة؟ هؤلاء الناس في الخارج يرتدون ملابس غريبة نوعاً ما.

فقال أوليغ وهو يغمز هاري بسرعة بينما كانت عيناها بعيدتين عن المرآة:

- إنها أغانٍ هادئة عن الحب وما شابه.
- شكراً هاري.
- على الرحب والسعة. قودي بحذر.
- من تلك المرأة في الداخل؟
- زميلة جديدة في العمل.
- حقاً؟! تبدوان كما لو أنكما تعرفان بعضكما جيداً من قبل.
- كيف ذلك؟

- أنت...

توقفت في منتصف الجملة، ثم هزت رأسها ببطء، وضحكت ضحكة عميقة ومرحة جاءت من جوف حلقها بثقة ولا مبالاة في الوقت نفسه.

- آسفة ياهاري. تصبح على خير.

أغلقت النافذة، بينما انـزلقت السيارة الفضية في الممر.

مشى هاري عبر الممر باتجاه منطقة بروغاتا، بينما صدحت الموسيقى من الأبواب المفتوحة. فكر في احتساء كوب من القهوة في مقهى تيدي، لكنه عرف أنها فكرة سيئة لذا قرر أن يستمر بالمشي.

- قهوة!

كرر الشاب خلف المشرب بشك.

كان صندوق الموسيقى في مقهى تيدي يعزف أغنية جوني كاش، فوضع هاري إصبعه على شفته العليا:

- هل لديك اقتراحات أفضل؟

سمع هاري الصوت الصادر من فمه، حيث كان مألوفاً وغير مألوف في الوقت نفسه.

قال الشاب وهو يمرر يده عبر شعره المدهن اللامع:

- حسناً. القهوة ليست طازجة. لذا، ما رأيك ببعض الشراب الطازج؟

كان جوني كاش يغني.

- حسناً.

ابتسم الرجل خلف المشرب ابتسامة عريضة.

في تلك اللحظة، أحس هاري بالهاتف المحمول يهتز في جيبه، فأخرجه بسرعة ونهم كما لو كان ينتظر هذه المكالمة.

كان سكار.

- لقد تلقينا للتو مكالمة عن امرأة مفقودة تتناسب مع القضية. امرأة متزوجة ولديها ابنتان لم تكن في البيت حين عاد الزوج والبنتان قبل بضع ساعات. إنهم يعيشون في الغابة في سوليهوغدا. ولم يرها أي من الجيران، كما أنه من غير الممكن أن تكون قد غادرت بالسيارة لأنها كانت مع زوجها، ولا توجد أي آثار أقدام على الطريق.

- آثار أقدام؟

- لا يزال الثلج صامداً هناك.

تم تقديم الشراب لهاري.

- هاري؟
- نعم. أنا هنا... أنا أفكر.
- فيم؟
- هل هناك رجل ثلج؟
- ماذا؟
- رجل ثلج.
- كيف لي أن أعرف؟
- حسناً. دعنا نذهب لنعرف. اقفز إلى سيارتك، وتعال لاصطحابي من خارج مركز غونيريوس للتسوق في ستورغاتا.
- ألا يمكننا تأجيل ذلك إلى الغد ياهاري؟ فلدي بعض الأعمال المكدسة الليلة، وهذه المرأة مفقودة فحسب، لذا ما من ضرورة للعجلة.

راقب هاري الرغوة المنسابة على طرف الكأس كالأفعى:

- في الواقع... هناك ضرورة ملحة للعجلة.

نظر النادل بذهول إلى الشراب غير الملموس، وورقة الخمسين كرون على المنضدة، والمنكبين العريضين الخارجين من الباب بينما تلاشى صوت جوني كاش.

قال رولف أوترسون:

- ما كانت سيلفيا لتغادر بهذه البساطة.

كان رولف أوترسون نحيلاً، أو بدقة أكثر كان هيكلاً عظمياً. وكان قميصه الصوفي مغلقاً بالكامل وتبرز منه رقبة نحيلة ورأس ذكر هاري بالطائر المخوض. كما برزت من كمي قميصه يدان نحيلتان بأصابع طويلة تلتف وتنثني وتدور باستمرار. وكانت أظافر يده اليمنى طويلة وحادة كالمخالب، وعيناه كبيرتين بشكل غير طبيعي من وراء نظارة سميكة العدستين وذات إطار فولاذي من النوع الشائع بين الثوريين في السبعينيات. وكان هناك ملصق على الجدار الأصفر يصور هنوداً يحملون أفعى أناكوندا. ولاحظ هاري غلاف أسطوانة لجوني ميتشل من فرقة ستون أيج، وإلى جانبه لوحة تقليدية لرسم شهير لفريدا كاهلو... امرأة عانت... فكر هاري... لوحة اختارتها امرأة. وكانت الأرضية من خشب الصنوبر غير المعالج، والغرفة مضاءة بمجموعة من المصابيح الزيتية من الطراز القديم، والمصابيح الفخارية البنية التي بدت كما لو كانت بيتية الصنع. وفي الزاوية، اتكأ على الجدار غيتار بخيوط من النايلون اعتبره هاري تفسيراً لأظافر رولف

أوترسون الحادة.

سأل هاري:

- ما الذي تعنيه بقولك إنها ما كانت لتغادر؟

كان أمامه على طاولة غرفة الجلوس صورة لزوجة رولف أوترسون مع ابنتيهما التوأم أولغا وإيما اللتين تبلغان عشر سنوات. كانت لسيلفيا أوترسون عينان كبيرتان ناعستان؛ كما لو أنها كانت تضع نظارة طوال حياتها ثم بدأت بوضع عدسات لاصقة أو أجرت عملية ليزر لعينيها، وكانت للتوأم عينا أمهما.

قال رولف أوترسون:

- كانت ستخبرني أو تترك رسالة. لا بد أن أمراً ما قد حدث.

على الرغم من يأسه كان صوته منخفضاً وهادئاً. ثم سحب رولف أوترسون منديلاً من جيبه ووضعه على وجهه، فبدا أنفه كبيراً جداً بالنسبة إلى وجهه النحيل الشاحب، ومسح أنفه مصدراً صوتاً قوياً.

برز وجه سكار من الباب:

- دورية الكلاب هنا. وقد أحضروا معهم كلب الجثث.

- إذاً، تقدموا. هل تحدثت مع جميع الجيران؟

- نعم وبلا نتيجة.

حين أغلق سكار الباب، رأى هاري عيني أوترسون وقد أصبحتا أكبر من وراء النظارة.

همس أوترسون:

- كلب جثث؟!

- إنه مجرد مصطلح عام.

قال هاري ذلك وهو يدوّن ملاحظة لتذكيره بأنه عليه تقديم بعض النصائح لسكار حول كيفية التعبير عن نفسه.

- إذاً، أنتم تستخدمونها للبحث عن الأشخاص الأحياء أيضاً؟

من نبرته بدا الزوج كما لو أنه يناشده.

- نعم بالطبع.

كان هاري يكذب ولا يقول الحقيقة؛ وهي أن كلاب الجثث تشم الأماكن التي توجد فيها الجثث فقط. فهي لا تستخدم للبحث عن المخدرات أو الأشياء المفقودة أو الأشخاص الأحياء، وإنما تستخدم للعثور على الأموات فقط.

سأل هاري وهو ينظر إلى ملاحظاته:

- إذاً، لقد رأيتها آخر مرة اليوم عند الساعة الرابعة؛ قبل أن تذهب مع ابنتيك إلى البلدة. ما الذي فعلته هناك؟
- اهتممت بالمتجر بينما حضرت الفتاتان درس العزف على الكمان.
- المتجر؟
- لدينا متجر صغير في ماجورستين يبيع البضائع الأفريقية يدوية الصنع... كالأعمال الفنية، وقطع الأثاث، والمنسوجات، والثياب، وجميع أنواع الأشياء التي يتم استيرادها مباشرة من الصانعين، ويتم الدفع لهم بشكل جيد. تبقى سيلفيا هناك معظم الوقت، لكننا نفتح أيام الخميس حتى وقت متأخر، لذا تعود إلى المنـزل بالسيارة، لأذهب أنا مع الفتاتين؛ حيث أبقى في المتجر، بينما تحضران درس الكمان في معهد بارات دو للموسيقى من الخامسة إلى السابعة، ثم آخذهما ونعود إلى البيت. لقد وصلنا إلى البيت بعد السابعة والنصف بقليل.
- ومن يعمل في المتجر أيضاً؟
- لا أحد.
- هذا يعني أنكم تغلقون أيام الخميس لمدة ساعة تقريباً؟

ابتسم رولف أورتسون بتهكم:

- إنه متجر صغير جداً ولا يأتينا الكثير من الزبائن.
- كيف...؟
- الوكالة النروجية للتعاون التنموي... إنها تدعم المتجر، وكذلك يفعل مزودونا كجزء من البرنامج التجاري الحكومي مع دول العالم الثالث. إن الرسالة التي يرسلونها أهم بكثير من المال والأرباح قصيرة المدى. أليس كذلك؟

هز هاري رأسه بالرغم من أنه لم يكن يفكر في المساعدات التنموية والتجارة العادلة في أفريقيا، وإنما بالساعة ووقت القيادة في أوسلو وضواحيها. ومن المطبخ حيث كانت الفتاتان تتناولان وجبة خفيفة صدح صوت مذياع. ولم يكن قد رأى أي تلفاز في المنـزل.

- شكراً، سنتحدث مجدداً.

ثم نهض هاري وخرج.

وقفت ثلاث سيارات في الباحة. إحداها سيارة فولفو أمازون لبيورن هولم مطلية باللون الأسود مع شريط من المربعات على السطح والصندوق. نظر هاري إلى السماء الصافية المتلألئة بالنجوم فوق المزرعة الصغيرة في الغابة، ثم تنشق الهواء... الهواء المشبع برائحة أشجار الصنوبر ودخان

الغابة. ومن طرف الغابة، سمع لهاث كلب وصيحات التشجيع من الشرطي.

ليصل هاري إلى الحظيرة مشى على شكل قوس؛ حيث قرروا أن لا يفسدوا أية أدلة يمكنهم استخدامها هناك. وكانت هناك أصوات منبعثة من الباب الأمامي، فجثم وفحص آثار الأقدام على الثلج في ظل ضوء المصباح الخارجي، ثم وقف واتكأ على الإطار ليخرج علبة سجائره قائلاً:

- يبدو كمسرح جريمة. دماء وجثث ومفروشات مقلوبة.

صمت بيورن هولم وماغنوس سكار والتفتا ليتبعا نظرة هاري. كانت الغرفة الكبيرة المفتوحة مضاءة بمصباح واحد يتدلى من سلك ملفوف حول إحدى الدعامات. وفي أحد أطراف الحظيرة، كانت هناك مخرطة ووراءها لوح مع معدات معلقة: مطارق ومناشير وكماشات وحفارات من دون أي أدوات كهربائية. أما في الطرف الآخر، فهناك سياج سلكي جثمت وراءه دجاجات على الرفوف في الجدار أو تبعثرت في الأرجاء بأرجل متيبسة على القش. وفي منتصف الغرفة، على لوح رمادي غير معالج وملطخ بالدماء، كانت هناك ثلاث دجاجات مقطوعة الرأس. فوضع هاري سيجارة بين شفتيه من دون أن يشعلها، ودخل منتبهاً لئلا يدوس على الدم، ثم جلس القرفصاء إلى جانب لوح التقطيع، وفحص رؤوس الدجاج حيث كان ضوء مصباحه يلمع على العيون السوداء الباهتة. في البداية، أمسك بريشة نصف بيضاء بدت كما لو أنها محروقة في طرفها، ثم فحص القطع الحاد لرقبات الدجاجات. كان الدم متخثراً وأسود، وكان يعرف أن ذلك يتم خلال فترة قصيرة لا تتجاوز نصف الساعة.

سأله بيورن هولم:

- أوجدت شيئاً مثيراً للاهتمام؟

- لقد أفسدت مهنتي ذهني ياهولم، فأنا الآن أحلل جثث الدجاج.

ضحك سكار ورسم عنواناً صحفياً في الهواء:

- جريمة وحشية بحق ثلاث دجاجات يتولاها هاري هول.

قال هاري:

- ما لا أراه هو الأكثر أهمية.

رفع بيورن هولم حاجبه ونظر حوله وهو يهز رأسه ببطء، فنظر سكار إليهما بشك وقال:

- وما هو؟

قال هاري:

- سلاح الجريمة.

قال هولم:

- الفأس... إنها الطريقة الوحيدة لذبح الدجاجات.

- إن كانت المرأة من قام بالذبح فلا بد أنها قد أعادت الفأس إلى مكانها. فهؤلاء المزارعات مرتبات.

قال هاري وهو يستمع لصياح الدجاجات الصادر من كل الاتجاهات:

- أوافقك الرأي. لهذا، من المثير للاهتمام أن لوح التقطيع مقلوب رأساً على عقب، والدجاجات مبعثرة في الأرجاء، والفأس ليست في مكانها.

واجه سكار هولم وحدق إلى عينيه:

- مكانها!

قال هاري من دون أن يأتي بحركة:

- هل يمكنك إلقاء نظرة ياسكار؟

كان سكار لا يزال ينظر إلى هولم الذي هز رأسه باتجاه اللوح وراء المخرطة.

- تباً.

قال سكار ذلك حين لاحظ المساحة الفارغة بين مطرقة ومنشار صدئ؛ إذ كانت هناك مساحة لفأس صغيرة.

ومن الخارج، جاء صوت كلب ينبح وينشج، ثم صدر صياح الشرطي المرتفع الذي لم يكن تشجيعياً قطّ.

فرك هاري ذقنه:

- لقد فتشنا الحظيرة بأكملها. لذا، في الوقت الحالي، يبدو أن سيلفيا أوترسون قد غادرت المكان حين كانت تذبح الدجاجات وأخذت الفأس معها. هل يمكنك ياهولم أخذ حرارة هذه الدجاجات وتقدير الوقت الذي تمت فيه عملية الذبح؟

- نعم.

قال سكار:

- ماذا؟

- أريد أن أعرف متى هربت. هل توصلتم إلى أي شيء من خلال آثار الأقدام في الخارج ياهولم.

هز الشرطي في وحدة الطب الشرعي الجنائي رأسه:

- هناك الكثير من الخطوات، وأنا بحاجة للمزيد من الضوء. وجدت العديد من آثار خطوات رولف أوترسون، بالإضافة إلى عدة آثار أخرى تتجه إلى الحظيرة، ولكن لا توجد آثار أقدام تخرج من الحظيرة. ربما تم حملها

من الحظيرة؟

- ممم. عندها ستكون آثار قدمي الحامل أعمق. للأسف، لم يدس أحد على الدم.

نظر هاري إلى الجدران الداكنة خارج نطاق المصباح، ومن الباحة سمعوا نباح كلب مثيراً للشفقة وشتائم شرطي غاضب.

- اذهب واعرف آخر المستجدات ياسكار.

ذهب سكار، بينما أشعل هاري المصباح مجدداً، ومشى نحو الجدار حيث مرر يده على الألواح غير المطلية.

- ما الذي...؟

كان هولم قد بدأ بالكلام، لكنه صمت حين ضرب حذاء هاري الجدار بصوت مكتوم لتظهر السماء المتلألئة بالنجوم.

- باب خلفي.

قال هاري ذلك وهو يحدق إلى الغابة السوداء وظلال أشجار الصنوبر مقابل قبة من الضوء الأصفر الباهت المنبعث من البلدة البعيدة. وجه المصباح إلى الثلج فوجد الآثار مباشرة.

قال هاري:

- شخصان.

قال سكار عند عودته:

- إنه الكلب. يرفض أن يتزحزح.

- يرفض أن يتزحزح؟!

سلّط هاري الضوء على آثار الأقدام ليعكس الثلج الضوء، لكن الخطوات تلاشت مع الظلام تحت الأشجار.

- قائد الكلب لا يفهم تصرّف كلبه، فهو يقول إنّه يبدو متحجراً ويرفض دخول الغابة بأي شكل.

قال هولم:

- ربما شم رائحة ثعلب، فهناك الكثير من الثعالب في الغابة.

قال سكار:

- ثعلب؟ لا يعقل أن يخاف هذا الكلب الكبير من الثعالب.

- ربما لم ير ثعلباً في حياته، لكنه يعرف أنه يمكنه شم رائحة حيوان مفترس. من المنطقي أن تخاف مما لا تعرفه، فالكلب الذي لا يخاف لن يعيش طويلاً.

أحس هاري بنبضات قلبه تتسارع وعرف السبب: الغابة... الظلام... نوع

الرعب غير المنطقي... النوع الذي ينبغي التغلب عليه.

قال هاري:

- سيتم التعامل مع هذه الحظيرة كمسرح جريمة حتى إشعار آخر. ابدأوا العمل، وسأرى إلى أين تؤدي هذه الخطوات.

- حسناً.

بلع هاري لعابه قبل أن يخطو خارج الباب الخلفي. لقد مرت أكثر من ثلاثين سنة، ومع ذلك تصلب جسده.

كان يقيم في منـزل جده في أندالسنس خلال عطلة الخريف، وكانت المزرعة على سفح جبل، ومحاطة بجبال رومزدال الشاهقة. كان هاري حينها في العاشرة من عمره حين ذهب إلى الغابة للبحث عن البقرة التي فقدها جده، فقد أراد أن يجدها قبل أي أحد آخر. لذا، أسرع وركض كالمجنون على تلال شجيرات التوت البري الناعمة، وأشجار القضبان القزمة المعقوفة والمضحكة. طالت الطرق وهو يركض بخط مستقيم نحو صوت الجرس الذي ظن أنه سمعه يصدر من بين الأشجار. قفز فوق جدول، وزحف تحت شجرة، بينما أصدر حذاؤه صوت سحق وهو يركض عبر مستنقع، بينما خيمت الغيوم الماطرة فوقه، وتمكن من رؤية غشاء من رذاذ المطر تحت الغيوم يهطل على سفح الجبل الشاهق.

كان المطر خفيفاً جداً، ولم يلحظ هبوط الظلام. تسلل من المستنقع، وزحف بين الشجر عبر ظلال الجبل التي بدت كطلاء أسود تجمع في أسفل الوادي. نظر إلى الأعلى، إلى طائر كبير يدور في الأعلى على ارتفاع شاهق، وتمكن من رؤية الجبل وراءه. ثم علق حذاؤه ووقع على وجهه من دون أن يتمكن من الإمساك بأي شيء. عندها أطبق الظلام على كل شيء، وامتلأ فمه وأنفه بطعم المستنقع والموت والهلاك والظلام. لقد تذوق الظلام لبضع ثوانٍ، ثم نهض ليكتشف أن الضوء قد تلاشى بالكامل؛ مختفياً وراء الجبل الشاهق الصامت. لم يكن يعرف أين هو ولم يعرف منذ زمن. ومن دون أن يدرك أنه فقد حذاءه وقف وبدأ بالركض، فلا بد أن يرى شيئاً يعرفه. لكن المشهد بدا غريباً، فقد تحولت الصخور إلى رؤوس مخلوقات تخرج من الأرض، بينما أصبحت أغصان الشجيرات أصابع تخدش ساقيه، وأشجار القضبان القزمة صارت نساء ينحنين ضاحكات وهن يشرن إلى الطريق... إلى هنا أو هناك... الطريق إلى البيت أو إلى الهلاك... الطريق إلى منـزل جدته، أو الطريق إلى الفخ؛ لأن الكبار أخبروه عن الفخ؛ وهو السبخة العميقة التي يختفي فيها الناس والقطعان والعربات بلا عودة.

كان الليل قد هبط حين ترنح هاري وهو يدخل المطبخ، فعانقته جدته قائلة إن أباه وجده وجميع الأشخاص البالغين من المزرعة المجاورة يبحثون عنه. أين كان؟

في الغابة.

لكن، ألم يسمع نداءاتهم؟ كانوا ينادون هاري، فقد سمعتهم وهم ينادون هاري طوال الوقت.

لم يتذكر ما حصل لاحقاً، لكنهم أخبروه عدة مرات أنه بعد أن جلس على الصندوق الخشبـي أمام الموقد يرتجف من البرد وهو يحدق إلى الفضاء وتعابير اللامبالاة على وجهه أجاب:

- لم أعتقد أنهم هم من كانوا ينادون.
- إذاً، من اعتقدت؟
- الآخرون. هل تعرفين أن للظلام طعماً ياجدتي؟

لم يكن هاري قد مشى سوى بضعة أمتار في الغابة حين تفاجأ بالصمت المحدق وغير الطبيعي. سلّط المصباح على الأرض أمامه، لأنه كلما سلطه على الغابة بدأت الظلال بالركض بين الأشجار في السواد الحالك كما لو أنها مذعورة. لكن عزله نفسه عن الظلام في فقاعة من الضوء لم يمنحه أي شعور بالأمان وإنما العكس؛ فقد منحه اليقين بأنه كان أكثر شيء مرئي متحرك عبر الغابة؛ مما جعله يشعر بالعري وأنه عرضة للمخاطر. خدشت الأغصان وجهه كأصابع رجل كفيف يحاول التعرف على شخص غريب.

وأدت آثار الأقدام إلى جدول طغى خريره على أصوات أنفاسه المتسارعة. واختفت آثار أحد الأشخاص، بينما تبعت الآثار الأخرى الجدول من مكان أكثر انخفاضاً.

استمر في السير حيث التوى الجدول أكثر فأكثر، لكنه لم يقلق من إضاعة اتجاهه، إذ إن كل ما كان عليه فعله هو تتبع خطواته.

نعبت بومة قريبة نعيباً تحذيرياً، بينما توهج ضوء ساعة يده باللون الأخضر ليظهر أنه كان يمشي لأكثر من خمس عشرة دقيقة. حان الوقت ليعود ويرسل فريقاً ينتعل أحذية مناسبة مع معدات وكلب لا يخاف الثعالب.

توقف قلب هاري.

فجأة اندفعت بومة أمام وجهه بهدوء وسرعة؛ حيث لم ير شيئاً لكنه شعر بتيار الهواء. سمع هاري جناحي البومة يضربان الثلج، وصريراً يرثى له

انبعث من قارض صغير أصبح فريسة.

زفر الهواء ببطء من رئتيه، وسلط المصباح على الغابة أمامه للمرة الأخيرة، ثم التفت ليعود، فخطا خطوة واحدة ثم توقف. كان بحاجة إلى أن يخطو خطوتين ليخرج، لكنه قام بما عليه القيام به، إذ سلّط الضوء وراءه ليراه مجدداً... رأى وميضاً أو انعكاس ضوء في وسط الغابة السوداء، فاقترب ونظر مجدداً محاولاً تحديد البقعة في ذهنه. كانت على بعد خمسة عشر متراً من الجدول حيث جثم. لم يبدُ منها سوى الفولاذ، لكنه لم يحتج لإبعاد الثلج عنها ليرى ما هي... إنها الفأس. إن كان هناك أي دم عليها بعد ذبح الدجاجات فقد اختفى الآن، ولم تكن هناك أي آثار أقدام حول الفأس. سلّط هاري المصباح على المكان أمامه، ورأى غصناً مقطوعاً على الثلج على بعد بضعة أمتار. لا بد أن أحداً ما قد رمى الفأس إلى هنا بقوة هائلة.

في تلك اللحظة، شعر هاري بذلك مجدداً... إنه الشعور نفسه الذي راوده في سبيكتروم هذا المساء... الشعور بأنه مراقب، فأطفأ المصباح على نحو فطري ليهبط الظلام عليه كغطاء. حبس أنفاسه واستمع. لا... لا تسمح لذلك بالحدوث. الشر ليس شيئاً، ولا يمكنه السيطرة عليك. على العكس، إنه فراغ وغياب للخير، والشيء الوحيد الذي عليك أن تخاف منه هنا هو نفسك.

أشعل هاري المصباح وسلّطه على الأرض الخالية من الأشجار.

كانت هي... وقفت بانتصاب وسكون بين الأشجار، وهي تنظر إليه من دون أن ترمش بعينيها الكبيرتين الناعستين نفسيهما كما في الصورة. أول ما فكر فيه هاري هو أنها كانت ترتدي اللون الأبيض كعروس، وأنها واقفة على المذبح هنا في منتصف الغابة بينما جعلها الضوء تتلألأ. تنشق هاري الهواء بارتعاش، ثم أخرج هاتفه المحمول من جيب سترته ليجيبه بيورن هولم بعد الرنة الثانية.

حين تكلم هاري أحس بحلقه جافاً وخشناً:

- ضع شريطاً حول المنطقة بكاملها. سأستدعي فرق الشرطة.
- ما الذي حصل؟
- هناك رجل ثلج هنا.
- إذاً؟

شرح له هاري، فصرخ هولم:

- لم أفهم النقطة الأخيرة. التغطية سيئة هنا...

ردد هاري:

- الرأس؛ إنه لسيلفيا أوترسون.

ساد الصمت في الطرف الآخر من الخط.

طلب هاري من هولم أن يتبع آثار الخطوات وأنهى المكالمة.

ثم اتكأ على شجرة، وأغلق أزرار معطفه، وأطفأ المصباح ليحافظ على البطارية وهو ينتظر. كان يفكر في أنه قد نسي طعمه... الظلام.

القسم الثاني

10 - اليوم الرابع

الطبشور

كانت الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل، وكان هاري يعاني من الإرهاق وهو يفتح باب شقته. خلع ملابسه، واتجه مباشرة إلى الحمام محاولاً أن لا يفكر وهو يترك الدفق الحارق للمياه يخدر بشرته، ويدلك عضلاته الصلبة، ويطري جسده المتجمد. كانوا قد تحدثوا إلى رولف أوترسون، لكن الاستجواب الرسمي تأجّل حتى الصباح. في سوليهوغدا أنهوا بسرعة الاستفسارات من الجيران القليلين. لكن ضباط مسرح الجريمة لا يزالون يعملون وسيعملون طوال الليل وكذلك الكلاب المدرّبة؛ فقد كانت لديهم فترة قصيرة من الوقت قبل أن يتلوث مسرح الجريمة أو يذوب أو يكسوه الثلج. أغلق صنبور المياه، وكان الجو ضبابياً من البخار، وحين مسح المرآة ظهرت طبقة جديدة من التكثف مباشرة لتشوه وجهه وتلطخ جسده العاري.

كان هاري ينظف أسنانه حين رن الهاتف:

- هاري.
- ستورمان رجل القوالب.

أجاب هاري باستغراب:

- أنت مستيقظ حتى وقت متأخر.
- أعتقد أنك كنت تعمل.
- حقاً؟
- ورد ذلك في نشرة الأخبار المتأخرة... امرأة في سوليهوغدا... ورأيتك في الخلفية. لقد حصلت على النتائج.
- حسناً؟
- لديك فطور وطفيلي شره أيضاً. أسبيرغيلوس متنوع اللون.
- مما يعني؟
- أنه قد يكون بأي لون في حال كان مرئياً، وما عدا ذلك فإنه يعني أن عليّ أخذ المزيد من جدارك.

أحس هاري أن عليه أن يظهر المزيد من الاهتمام أو المزيد من القلق، أو على الأقل أن يسأل المزيد من الأسئلة، لكنه لم يكن مستعداً لذلك في ذلك الوقت.

- حسناً، كما تشاء.

أنهى هاري الاتصال، وأعاد السماعة، وأطبق عينيه منتظراً الأشباح والمحتوم طالما ظل بعيداً عن الدواء الوحيد الذي عرفه للأشباح... ربما ستكون معرفة جديدة هذه المرة... انتظرها لتخرج من الغابة وهي تمشي نحوه بجسد أبيض ضخم من دون ساقين؛ ككرة بولينغ مشوهة برأس وتجاويف سوداء، مع غربان تنقر ما تبقى من عينيها وأسنان عارية بعد أن التهمت الثعالب لثتها... لا يمكن توقع الكابوس؛ لذا حين نام هاري حلم أنه كان مستلقياً في حوض استحمام ورأسه تحت الماء، وهو يستمع لبقبقة عميقة وضحك النساء، بينما نبتت الطحالب على الطلاء الأبيض لتمتد إليه كأصابع خضراء على يد بيضاء تبحث عن يده.

ألقى ضوء الصباح مربعات من الضوء على الصحف الموجودة على مقعد غونار هاغن؛ حيث أضاءت ابتسامة سيلفيا أوترسون والعناوين على الصفحات الأولى.

"مقتولة ومقطوعة الرأس" و"مقطوعة الرأس في الغابة" والعنوان الأقصر وربما الأفضل "مقطوعة الرأس".

كان رأس هاري يؤلمه منذ أن استيقظ، لذا أمسكه بحذر شديد وهو يفكر في أنه كان من الممكن أن يتناول شراباً الليلة الماضية؛ إذ ما كان ليزيد من الألم أكثر. أراد أن يغمض عينيه، لكن هاغن كان يحدق إليه مباشرة. ولاحظ هاري أن فم هاغن ظل يفتح ويلتوي ويغلق؛ أي إنه كان يصيغ كلمات كان هاري يتلقاها من موجة تردد سيئة.

- وفي الختام...

حين قال هاغن ذلك عرف هاري أن الوقت قد حان ليفتح أذنيه جيداً.

- ... لهذه القضية الأولوية منذ الآن فصاعداً. وهذا يعني بالطبع أننا سنـزيد حجم فريق التحقيق على الفور و...

- أعترض.

حين لفظ هاري هذه الكلمة فقط، شعر كما لو أن رأسه سينفجر.

- يمكننا طلب المزيد من الأشخاص عند الحاجة. لكن، في الوقت الحالي لا أريد أحداً آخر في الاجتماعات. أربعة يكفون.

بدا غونار هاغن مذهولاً، ففي جرائم القتل وحتى البسيطة منها يتكون فريق التحقيق دائماً من دزينة من المحققين على الأقل.

أضاف هاري:

- التفكير الحر يعمل بشكل أفضل في المجموعات الصغيرة.

انفجر هاغن:

- التفكير!! ماذا عن عمل الشرطة المعتاد؟! متابعة الأدلة الجدلية والاستجواب والتحقق من الأدلة؟ وماذا عن تنسيق المعلومات؟ جميعها...

رفع هاري يده ليوقف دفق الكلمات:

- هذا ما في الأمر. لا أريد أن أغرق في كل هذا.

حدق هاغن إلى هاري غير مصدق:

- تغرق؟ إذاً، من الأفضل أن أسلم القضية لأحد يعرف السباحة.

دلك هاري صدغيه، فقد عرف كل من هاغن وهاري أنه لا يوجد في فرقة مكافحة الجرائم من يمكنه قيادة قضية جريمة قتل كهذه سوى المحقق هول. كما عرف هاري أن إعطاء القضية لمكتب التحقيق المركزي سيكون خسارة كبيرة لهيبة هاغن؛ لدرجة أنه سيفضل التضحية بذراعه غزيرة الشعر على ذلك.

تنهد هاري:

- فرق التحقيق العادية تسعى للتماشي مع تيار المعلومات؛ وذلك حين تكون القضية عادية. أما مع عبارة قطع الرأس على الصفحات الأولى في الصحف فقد جن جنون الناس... لقد تلقينا أكثر من مائة اتصال بعد صدور الخبر في الليلة الماضية من أشخاص ثملين، ومن المخبولين المعتادين، بالإضافة إلى غيرهم. لقد تلقينا اليوم حتى الآن مائتي اتصال، ولننتظر حتى يتبين أن هناك العديد من الجثث الأخرى. لنقل إن علينا تعيين عشرين شخصاً للاهتمام بالاتصالات، فهم سيتحققون منها ويكتبون التقارير، ولنقل إن على قائد الفريق قضاء ساعتين يومياً ليطلع على المعلومات الواردة، وساعتين لتنسيقها، وساعتين ليجتمع بجميع أعضاء الفريق ويطلعهم على آخر المستجدات ويجيب عن أسئلتهم، ونصف ساعة ليحرر المعلومات التي يمكن الكشف عنها في المؤتمر الصحفي الذي سيستغرق ثلاثة أرباع الساعة. أما الجزء الأسوأ فهو...

وضع هاري سبابته على عضلات فكه التي تؤلمه وكشر:

- ... أنه في جرائم القتل العادية يكون هذا- حسب ما أعتقد- استخداماً جيداً للموارد، لأنه دائماً يكون هناك من يعرف شيئاً أو سمع أو رأى شيئاً... أي معلومات يمكننا بذل جهدنا لتجميعها، وستمكننا من حل القضية على نحو سريع.

فقال هاغن:

- بالضبط. لهذا...

قاطعه هاري:

- المشكلة هي أن هذه القضية ليست من هذا النوع. فالقاتل ليس من هذا النوع، فذلك الشخص لم يثق بصديق أو يظهر وجهه بالقرب من مسرح الجريمة. لا أحد في الخارج يعرف شيئاً. لذا، إن الاتصالات الواردة لن تساعدنا وإنما ستؤخرنا، كما أن أية أدلة جدلية سنجدها قد تم تركها هناك لتحيرنا... باختصار هذه اللعبة من نوع مختلف.

اتكأ هاغن إلى الخلف على كرسيه، وضغط برؤوس أصابعه على بعضها غارقاً بالتفكير وهو يراقب هاري، ثم رمش كسحلية تتدفأ بضوء الشمس وسأل:

- إذاً، هل ترى الموضوع كلعبة؟

هز هاري رأسه وهو يتساءل إلى أين يريد هاغن أن يصل.

- ما نوع اللعبة؟ الشطرنج؟

- حسناً. الشطرنج بعيون مغمضة ربما.

هز هاغن رأسه:

- إذاً، أنت ترى قاتلاً متسلسلاً تقليدياً يرتكب جرائمه بدم بارد ويتمتع بذكاء خارق وميول سيئة كما لو أن الأمر لعبة وتحديات ومرح؟

عرف هاري الآن إلى أين يريد هاغن أن يصل.

- أتراه شخصاً يرتكب القتل المتسلسل من النوع الذي تمرنت عليه في دورة مكتب التحقيقات الفدرالية؟ من النوع الذي التقيته في أستراليا في ذلك الحين؟ هو منافس جدير بشخص يتمتع بخلفيتك.

تنهد هاري:

- أنا لا أفكر هكذا أيها الرئيس.

- حقاً؟! تذكر ياهاري أنني درست في الأكاديمية العسكرية. بماذا تظن أن الضباط الطموحين يحلمون حين أخبرهم كيف غيرت الاستراتيجيات العسكرية مجرى التاريخ العالمي؟ هل تظنهم يحلمون بالجلوس بهدوء، ويتمنون السلام وإخبار أحفادهم أنهم قد عاشوا فحسب، وأن أحداً ما لن يعلم بما كانوا قادرين على فعله؟ قد يقولون إنهم يريدون السلام لكنهم في داخلهم يحلمون ياهاري بالحصول على فرصة ما. لهذا يقوم ضباط البنتاغون برسم أكثر السيناريوهات شراً ما إن تنطلق أي مفرقعات نارية في أي مكان في العالم. أعتقد أنك تريد أن تكون هذه القضية مميزة ياهاري.

أنت تريدها بشدة لدرجة أنك ترى أسوأ الاحتمالات.

- رجل الثلج أيها الرئيس. هل تتذكر الرسالة التي أريتك إياها؟

تنهد هاغن:

- أتذكر مجنوناً ياهاري.

عرف هاري أن عليه الاستسلام الآن، وتقديم اقتراح التنازل الذي أعده مسبقاً ليمنح هاغن بعض النصر، لكنه بدلاً من ذلك هز كتفيه:

- أريد مجموعتي كما هي أيها الرئيس.

تصلب وجه هاغن:

- لا يمكنني السماح بذلك ياهاري.

- لا يمكنك؟

حدق هاغن إلى هاري ثم حصل الأمر. رمش هاغن ودارت عيناه لجزء من الثانية لكنها كانت كافية:

- هناك اعتبارات أخرى.

حاول هاري الحفاظ على تعابير بريئة وهو يلوي السكين:

- اعتبارات من أي نوع أيها الرئيس؟

نظر هاغن إلى يديه في الأسفل.

- ما الذي تظنه؟ الضباط رفيعو المستوى والصحافة والسياسيون. في حال لم نحل القضية خلال ثلاثة أشهر فمن تعتقد أن عليه الإجابة عن الأسئلة حول أولويات الوحدة؟ ومن عليه تفسير سبب تعيين أربعة أشخاص لحل هذه القضية لأن المجموعات الصغيرة مناسبة أكثر لـ...

كان هاغن يلقي الكلمات كقريدس متعفن:

- ... للتفكير الحر ولعب الشطرنج؟ هل فكرت في ذلك ياهاري؟

- لا. فكرت في كيفية القبض على هذا الشخص، وليس بكيفية تبرير عدم القبض عليه.

كان هاري يعلم أنها محاولة رخيصة، لكن الكلمات لاقت صداها؛ فقد رمش هاغن مرتين، وفتح فمه ثم أغلقه مجدداً ليشعر هاري بالخزي فوراً. لِمَ عليه دائماً أن يقوم بمثل هذه المضايقات الطفولية المزعجة وعديمة المغزى لمجرد إزعاج أحد ما مهما كان الأمر؟ كانت راكيل قد قالت له مرة إنه يتمنى لو أنه ولد بإصبع وسطى إضافية مرتفعة بشكل دائم.

قال هاري:

- هناك رجل في مكتب التحقيق المركزي يدعى إسبن ليبسفيك جيد في قيادة التحقيقات الكبيرة. يمكنني أن أكلمه، وأطلب منه تشكيل مجموعة

تقدم لي التقارير؛ حيث ستعمل المجموعة بشكل مستقل وموازٍ. أما أنت والرئيس فيمكنكما تولي أمر المؤتمرات الصحفية. كيف يبدو لك ذلك أيها الرئيس؟

لم يكن هاري بحاجة لانتظار إجابة، فقد رأى الامتنان في عيني هاغن، كما علم أنه ربح في خلاف الإزعاج.

كان أول ما فعله هاري لدى عودته إلى مكتبه الاتصالَ ببيورن هولم.

- لقد وافق هاغن، سنبقى كما قلت لك، وهناك اجتماع في مكتبي بعد نصف ساعة. هل يمكنك الاتصال بسكار وبرات؟

أنهى الاتصال، وفكر في ما قاله هاغن، ثم فتح الدرج بحثاً عن دواء مسكن.

قال ماغنوس سكار:

- باستثناء آثار الأقدام لم نجد أي أثر للجاني في ما نفترض أنه مسرح الجريمة. والمحير أكثر هو أنّنا لم نجد أي أثر للجثة؛ فقد قطع رأس المرأة، لذا ينبغي أن يكون هناك الكثير من الأدلة المتروكة... وحتى إن الكلاب لم تستجب... الأمر محير.

قالت كاترين:

- لقد قتل المرأة وقطع رأسها في الجدول، فقد انتهت آثار أقدامها في الجدول أليس كذلك؟ لقد ركضت في المياه لئلا تترك أي آثار، لكنه أمسك بها.

سأل هاري:

- ماذا استخدم؟
- استخدم فأساً أو منشاراً. هل من شيء آخر؟
- ماذا عن علامات الحرق حول البشرة حيث تم القطع؟

نظرت كاترين إلى سكار ثم هز كلاهما أكتافهما، فقال هاري:

- حسناً، هو لم يتحقق من ذلك. وبعد ذلك؟

قال سكار الذي لم يكن قد نام سوى ساعتين، وكان يرتدي كنزته بالمقلوب لكن أحداً لم يجرؤ على إخباره:

- بعد ذلك ربما يكون قد حملها عبر الجدول حتى الطريق. أقول ربما لأننا لم نجد شيئاً هناك؛ حيث ينبغي أن نجد خط دم على جذع شجرة، أو كتلة لحم على غصن، أو قطعة قماش... لكننا وجدنا آثار قدميه حيث يتدفق الجدول حتى الطريق. وكانت إلى جانب الطريق علامات في

الثلج لما يمكن أن يكون جثة. لكن الكلاب لم تلتقطها، ولا حتى كلب الجثث اللعين. إنه...

ردد هاري وهو يفرك ذقنه:

- لغز. أليس من غير العملي أن يقطع رأسها وهو يقف في الجدول، فهو مجرد قناة ضيقة حيث لن تكون هناك مساحة كافية للكوعين. لماذا؟

قال سكار:

- الأمر واضح. سينجرف الدليل مع الماء.

كرر هاري:

- لا، ليس واضحاً. فقد ترك رأسها، لذا هو غير قلق من ترك آثار. لم لا توجد أي آثار للجثة من هناك حتى الطريق؟

قالت كاترين:

- حقيبة الجثث! كنت أتساءل عن كيفية تمكنه من حملها كل تلك المسافة وفي تلك المنطقة.

قال هاري:

- هذا يفسر سبب عدم التقاط كلب الجثث أي رائحة على الطريق.

قالت كاترين:

- وسبب مخاطرته بوضعها هناك.

استفسر سكار، فأجابت:

- آثار جثة على الثلج. لقد وضعها هناك بينما ذهب لإحضار سيارته... سيستغرق ذلك نصف ساعة. ألا توافقني؟

تمتم سكار بغيظ:

- تقريباً.

- حقائب الجثث سوداء، وتبدو كحقائب ملابس على شكل صندوق لكل من يمر بسيارته.

قال سكار بمرارة وهو يتثاءب:

- لم يمر أحد. لقد تكلمنا مع جميع من يقيمون في تلك الغابة اللعينة.

هز هاري رأسه:

- ما رأيكم برواية رولف أوترسون حول كونه في متجره بين الخامسة والسابعة؟

قال سكار:

- حجة الغياب بلا أي أهمية في حال لم يكن هناك أي زبائن.

قالت كاترين:

- يمكنه القيادة ذهاباً وإياباً بينما كان التوأم في درس الكمان.

قال سكار وهو يُسند ظهره على الكرسي ويهز رأسه ليعزز معلومته:

- لكنه ليس من هذا النوع.

كاد هاري أن يلقي كلمة عامة حول الإدراك العام لرجال الشرطة لقدراتهم على معرفة المجرم حين يرونه، لكن هذه المرحلة تتطلب أن يقول الجميع ما يفكرون من دون أي خوف من المعارضة؛ فقد اكتشف من خبرته أن أفضل الأفكار تنشأ عن الخيال الجامح والتخمين غير الناضج والأحكام الخاطئة.

فتح الباب.

هتف بيورن هولم:

- كيف حالكم؟ أعتذر لأنني تأخرت، لكنني كنت أتابع موضوع سلاح الجريمة.

خلع معطفه الواقي من المطر، وعلقه على مشجب معطف هاري المائل. وكان يرتدي تحته قميصاً ورديا بتطريز أصفر وكتابة على الظهر تدعي أن هانك ويليامز لا يزال حياً على الرغم من شهادة الوفاة الصادرة في شتاء 1953، ثم رمى نفسه على آخر كرسي فارغ، ونظر إلى وجوه الآخرين المضطربة.

- ماذا هناك؟

ابتسم هاري وهو ينتظر سماعه عبارة هولم المفضلة التي لم تتأخر:

- هل مات أحد؟

- سلاح الجريمة... تحدث.

كشر هولم وفرك يديه ببعضهما:

- كنت أتساءل بالطبع عن مصدر علامات الحروق على رقبة سيلفيا أوترسون، لكن أخصائية علم الأمراض لم تكن لديها أدنى فكرة، إذ لم تقل سوى أن الشرايين الصغيرة مكوية كما يفعل الأطباء عادة لإيقاف نـزيف الاستئصال قبل أن يتم قطع الساق بالمنشار. وحين تكلمت عن القطع بالمنشار جعلتني أفكر بشيء ما، فأنا- كما تعلمون- ترعرعت في مزرعة...

انحنى بيورن هولم إلى الأمام، وومضت عيناه ليذكر هاري بأبٍ يوشك

على فتح هدية كقطار كبير اشتراه لابنه الصغير.

- إذا كانت البقرة تلد وكان العجل ميتاً مسبقاً فسيكون من الصعب على البقرة أن تخرج العجل الميت من دون مساعدة. وإذا كان العجل بالإضافة لكل ذلك ملتوياً فلا يمكننا إخراجه دون المخاطرة بإيذاء البقرة. في تلك الحالة، علينا استخدام منشار.

كشر سكار اشمئزازاً.

- إنه شفرة مرنة ورقيقة جداً يمكنك وضعها داخل البقرة حول العجل كأنشوطة ثم تسحبها وتلويها إلى الداخل والخارج لتقطع العجل إلى قطعتين؛ حيث تتمكن من إخراج كل قطعة منه على حدة. وهكذا تنحل المشكلة غالباً... غالباً... لأن الشفرة أحياناً تجرح الأم أيضاً بينما تدخل وتخرج لتنـزف الأم حتى الموت. ومنذ عامين، ابتكر بعض المزارعين الفرنسيين أداة عملية حلت المشكلة... سلكاً كهربائياً على شكل أنشوطة يمكنه حرق اللحم، ويتكون من مقبض بلاستيكي مع سلك معدني رقيق وقوي جداً متصل بطرفي المقبض مما يشكل أنشوطة تضعها حول ما تريد قطعه، ثم تشغل الحرارة ليصبح السلك ساخناً جداً خلال خمس عشرة ثانية، ثم تضغط على زر في المقبض لتبدأ الأنشوطة بالتضيق تدريجيًّا وقطع الجسم. لن تكون هناك أي حركات جانبية، وبذلك سيكون احتمال جرح الأم أقل. وفي حال اضطررت لجرحها فهناك ميزتان أخريان...

- هل تحاول بيعنا هذه الأداة أو ماذا؟

سأل سكار ذلك بتكشيرة، وهو ينظر إلى عيني هاري ليعرف ردة فعله، لكن هولم أكمل:

- بسبب درجة الحرارة يكون السلك عقيماً جداً فلا يسمح بانتقال الباكتيريا أو الدم المسمم من العجل الميت إلى البقرة، كما تكوي الحرارة الشرايين الصغيرة وتحد من النـزيف.

قال هاري:

- حسناً. هل أنت متأكد من أنه استخدم أداة كهذه؟

- لا. كان بإمكاني اختبارها في حال حصلت عليها، لكن الطبيب البيطري الذي كلمته أخبرني أن وزارة الزراعة النروجية لم توافق بعد على أنشوطة القطع الكهربائية.

ثم نظر هولم إلى هاري بأسف صادق وعميق.

فقال هاري:

- حسناً. إن لم تكن هذه الأنشوطة هي سلاح الجريمة فإنها على الأقل تفسر كيف تمكن من قطع رأسها وهو واقف في الجدول. ما الذي تعتقدونه؟

أجابت كاترين برات:

- فرنسا... أولاً المقصلة والآن هذه.

زم سكار شفتيه وهز رأسه:

- تبدو غريبة جداً، لكن بكل الأحوال من أين أتى بهذه الأنشوطة؟ أقصد بما أنه لم تتم الموافقة عليها.

قال هاري:

- يمكننا البدء بالعمل من هذه النقطة. هل يمكنك تولي ذلك ياسكار؟

- قلت لكم إنني لا أصدق كل هذه القصة.

- آسف إن لم أكن واضحاً. كنت أعني تولى ذلك ياسكار. هل من شيء آخر ياهولم؟

- لا، لكن كان من المفترض أن يكون هناك الكثير من الدم في مسرح الجريمة، لكن الدم الوحيد الذي وجدناه كان في الحظيرة بسبب ذبح الدجاج. وبمناسبة الحديث عن الدجاجات، أظهرت درجة حرارتها ودرجة حرارة الغرفة أنه تم ذبحها عند السادسة والنصف؛ لكنني لست متأكداً لأن إحدى الدجاجات كانت أدفأ من الدجاجتين الأخريين.

ضحك سكار:

- لا بد أنها كانت مصابة بالحمى.

سأل هاري:

- ورجل الثلج؟

- لا يمكننا العثور على بصمات على أكوام بلورات الثلج المتغيرة من ساعة لأخرى، لكننا في العادة نجد قطع جلد بما أن البلورات حادة، أو ربما أنسجة من القفازات في حال كان القاتل يرتديها لكننا لم نجد شيئاً.

قالت كاترين:

- قفازان مطاطيان.

- عدا عن ذلك لا شيء.

- حسناً، على الأقل لدينا رأس. هل تحققت من الأسنان؟

قاطع هولم كلام هاري حين وقف بانـزعاج قائلاً:

- من الآثار على أسنانها؟ من شعرها؟ من البصمات على رقبتها؟ هل من أشياء أخرى لا يفكر فيها الشرطيون في وحدة الطب الشرعي الجنائي؟

هز هاري رأسه معتذراً ثم نظر إلى ساعته:

- حتى لو كنت ياسكار لا تعتقد أن رولف أوترسون من هذا النوع، فتحقق من المكان الذي كان فيه، ومما كان يفعله في الوقت الذي اختفت فيه بيرت بيكر. أما أنا فسأذهب وأتحدث إلى فيليب بيكر. وأنت ياكاترين تحققي من جميع قضايا الأشخاص المفقودين؛ بما فيها هاتان الاثنتان، وابحثي لنا عن صلة بينها.

- حسناً.

- عليك مقارنة كل شيء؛ كوقت الوفاة، وحالة القمر، وما كان معروضاً على التلفاز، ولون شعر الضحايا، وإن كانوا قد استعاروا الكتاب نفسه من المكتبة، أو حضروا المحاضرة نفسها، ومجموع أرقام هواتفهم. باختصار، علينا أن نعرف كيف يختارهم.

قال سكار:

- انتظر لحظة. هل تأكدتم من وجود رابط بينهم؟ ألا ينبغي أن نبقى منفتحين على جميع الاحتمالات؟

أجاب هاري وهو ينهض ويتحقق من وجود مفاتيح سيارته في جيبه:

- يمكنك الانفتاح كما تشاء طالما أنك تقوم بما يطلبه منك رئيسك. يجب على آخر شخص يخرج أن يطفئ الضوء.

كان هاري ينتظر المصعد حين سمع صوت أحد قادم، وتوقف صوت الخطوات وراءه مباشرة.

- تكلمت مع واحدة من التوأم خلال استراحة المدرسة هذا الصباح.

التفت هاري إلى كاترين برات قائلاً:

- آه، حسناً؟

- سألتها عما فعلوه يوم الثلاثاء.

- الثلاثاء؟

- يوم اختفاء بيرت بيكر.

- بالضبط.

- كانت مع أختها وأمها في البلدة. لقد تذكرت ذلك لأنهن ذهبن إلى متحف كون تيكي بعد زيارتهن للطبيب، ثم قضت التوأم الليل في منـزل عمتهما بينما كانت أمهما تزور صديقتها. أما الأب فبقي في البيت

ليهتم به وحده.

كانت تقف بالقرب منه كثيراً؛ لدرجة أن هاري تمكن من شم رائحة عطرها التي لم تكن كأي رائحة عرفها من قبل. فقد كانت حادة جداً وخالية من أي حلاوة.

- مع أي من التوأم تكلمت؟

التقت نظرات كاترين برات بنظراته:

- ليست لدي أدنى فكرة. هل هذا مهم؟

رن جرس المصعد معلناً وصوله إلى طابقهم.

كان جوناس يرسم رجل ثلج ويحاول جعله يبتسم ويغني ليكون سعيداً، لكنه لم يتمكن من القيام بذلك على نحو صحيح؛ إذ بقي يحدق إليه بلا تعابير من الورقة البيضاء الكبيرة، ولم يكن في المدرج الكبير حوله أي صوت، وإنما صوت الطبشور الذي يحمله والده فحسب، وضربة على اللوح بين الفينة والأخرى وصرير أقلام الطلاب على الورق. لم يكن يحب أقلام الحبر لأنه إن استخدم قلم حبر فلن يتمكن من محو ما يرسمه أو تغيير أي شيء؛ فما يرسمه يبقى هناك طوال الوقت. لقد استيقظ هذا الصباح ظاناً أن أمه قد عادت وأن كل شيء بخير، فركض إلى غرفة نومها لكنه لم يجد سوى أبيه يرتدي ملابسه ويخبره أن يرتدي ملابسه أيضاً لأنه سيذهب معه إلى الجامعة اليوم...

كانت الغرفة على شكل مسرح منحدرة إلى حيث وقف والده. لم ينبس والده ببنت شفة للطلاب، ولا حتى حين دخل مع جوناس، وإنما اكتفى بهز رأسه لهم ثم الإشارة إلى مقعد حيث على جوناس الجلوس ليتجه بعدها مباشرة إلى اللوح ويبدأ بالكتابة. ومن الواضح أن الطلاب كانوا معتادين على ذلك، لأنهم كانوا جالسين مستعدين، وبدأوا بتدوين الملاحظات مباشرة. وصار اللوح مليئاً بالأرقام والأحرف الصغيرة وبعض الرسوم الغريبة التي لم يتمكن جوناس من التعرف عليها. لقد أخبره والده في ما مضى أن للفيزياء لغتها الخاصة التي كان يستخدمها لرواية القصص. وحين سأله جوناس إن كانت قصص مغامرات، ضحك والده وأخبره أن الفيزياء لا تستخدم إلا لتفسير الأمور الحقيقية، وأنها لغة لا يمكن أن تكذب في حال تجربتها.

كانت بعض الرسوم مضحكة جداً وأنيقة.

تناثر غبار الطبشور على كتفي والده ليشكل طبقة بيضاء رقيقة على

سترته. نظر جوناس إلى ظهر والده محاولاً رسمه، لكن ذلك لم يكن رجل ثلج سعيداً. وفجأة، أصبحت قاعة المحاضرات ساكنة بالكامل إذ توقفت جميع الأقلام عن الكتابة لأن قطعة الطبشور قد توقفت؛ حيث وقفت ساكنة في أعلى اللوح، لدرجة أن أباه اضطر لمد ذراعه فوق رأسه ليصل إليها. والآن، بدا له كما لو أن قطعة الطبشور قد علقت، وأن أباه متدلٍ من اللوح كما يتدلى وايل إي. كايوتي من غصن صغير في أعلى حافة شاهقة، ثم بدأت كتفا والده بالاهتزاز، فظن جوناس أنه يحاول تحرير قطعة الطبشور ويحركها مجدداً لكنها لا تستجيب. وانتشر الهمس في المدرج كما لو كان الجميع يفتحون أفواههم ويتنشقون أنفاسهم في اللحظة نفسها، ثم حرر والده الطبشور في النهاية، ومشى إلى المخرج من دون أن يلتفت وخرج، فظن جوناس أنه ذاهب لإحضار المزيد من الطبشور. وتزايد طنين همسات الطلاب من حوله تدريجياً ليميز كلمتين "زوجة" و"مفقودة"، فنظر إلى اللوح المغطى بالكامل تقريباً. لا بد أن والده كان يحاول كتابة أنها كانت ميتة لكن الطبشور لا يمكنه أن يقول سوى الحقيقة فعلق. حاول جوناس أن يمحو رجل الثلج، بينما كان حوله أشخاص يوضبون أغراضهم؛ حيث أصدرت المقاعد أصواتاً وهم يقفون ويغادرون.

فجأة، وقع ظل على رسم رجل الثلج على الورق، فنظر جوناس إلى الأعلى.

كان ظلّ الشرطي الطويل ذي الوجه القبيح والعينين اللطيفتين.

- هل ترغب بالمجيء معي لنرى إن كان بإمكاننا إيجاد والدك؟

طرق هاري بلطف على باب المكتب حيث هناك لافتة كتب عليها: الأستاذ فيليب بيكر.

وحين لم يأته أي رد فتح الباب.

رفع الرجل الجالس وراء المكتب رأسه من على يديه:

- هل قلت لك إنه بإمكانك الدخول؟

وصمت حين رأى هاري، ثم حول نظره إلى الصبـي الواقف بجواره.

ثم قال فيليب بيكر بنبرة تتراوح بين الدهشة والتأنيب:

- جوناس، ألم أقل لك إن عليك الجلوس بهدوء؟

- أنا أحضرته معي.

- آه!

ثم نظر بيكر إلى ساعته ووقف.

- لقد غادر طلابك.

عاد بيكر إلى كرسيه:

- حقاً؟ لقد منحتهم استراحة فحسب.

- كنت هناك.

- حقاً؟! لماذا؟

- جميعنا بحاجة لاستراحة في وقت ما. أيمكننا الحديث؟

بعد أن أرسل بيكر جوناس إلى المقهى وأمره بالبقاء هناك قال:

- لم أرغب بإرساله إلى المدرسة ليتعرض لجميع الأسئلة والأفكار... لم أرغب بذلك مطلقاً. حسناً، أنا متأكد من أنك تفهم ذلك.

أخرج هاري علبة سجائر من جيبه، وعرضها على بيكر بنظرة استفهام، ثم أعادها حين هز الأستاذ رأسه بصرامة:

- نعم. هذا أسهل بكثير من فهم ما كان مكتوباً على اللوح.

- الفيزياء الكمية.

- تبدو غريبة.

- عالم الذرة غريب.

- من أي ناحية؟

- إنهم يعارضون أكثر قوانيننا الفيزيائية الأساسية؛ كالقانون حول عدم إمكانية كون الشيء في مكانين مختلفين في الوقت نفسه. لقد قال نيلس بور في ما مضى إنك إن لم تنصدم بالفيزياء الكمية فلا بد أنك لم تفهمها.

- وهل تفهمها أنت؟

- لا. هل جننت؟ إنها مجرد فوضى. لكنني أفضل تلك الفوضى على هذه الفوضى.

- أي فوضى؟

تنهد بيكر:

- لقد حول أبناء جيلنا أنفسهم إلى خدّام لأطفالهم، وأخشى أن هذا ينطبق على بيرت أيضاً، فهناك الكثير من المواعيد والأطعمة المفضلة وجلسات كرة القدم مما يدفعني للجنون. اليوم، اتصل أحد ما من عيادة طبيب في بيغدوي لأن جوناس لم يأت إلى موعده، ولديه هذا المساء تدريب لا أعرف أين. كما أن جيلهم لم يسمع بإمكانية ركوب الباص.

- ما مشكلة جوناس؟

حين طرح هاري هذا السؤال أخرج دفتر ملاحظاته الذي لم يكتب

عليه قط، لكنه تعلم من خبرته أنه يساعد الناس على التركيز.

- لا شيء. أعتقد أنه مجرد فحص عادي، وأعتقد أنك هنا لسبب مختلف؟

- نعم. أريد أن أعرف أين كنت البارحة بعد الظهر ومساءً.

- ماذا؟

- مجرد أسئلة روتينية يا بيكر.

- هل لهذا علاقة بـ... بـ...؟

هز بيكر رأسه نحو الصحيفة الملقاة على أعلى كومة من الصحف.

- لا نعرف. أجب عن سؤالي فحسب من فضلك.

- أخبرني، هل جننتم جميعكم؟

نظر هاري إلى ساعته من دون أن يجيب.

تأوه بيكر:

- حسناً، أريد أن أساعدك. في الليلة الماضية جلست هنا أعمل على مقالٍ أسعى لنشره حول طول موجات الهيدروجين.

- هل هناك أي زملاء يمكنهم الإدلاء بشهادتهم حول ذلك؟

- سبب عدم إسهام البحوث النروجية كثيراً في العالم هو أنه لا يطغى على الرضا عن الذات بين الأكاديميين النروجيين سوى كسلهم. كنت كالعادة بمفردي.

- وجوناس؟

- أعد لنفسه بعض الطعام، وجلس يشاهد التلفاز حتى عدت إلى المنـزل.

- في أي ساعة؟

- بعد التاسعة حسبما أعتقد.

- هل فتشت أغراض بيرت؟

- نعم.

- هل وجدت شيئاً؟

مسح فيليب بيكر طرف فمه بإصبعه، ثم هز رأسه، بينما حدق إليه هاري مستغلاً الصمت، لكن بيكر كان قد صمت نهائياً.

قال هاري وهو يحشر دفتر ملاحظاته في جيب سترته وينهض:

- شكراً على تعاونك. سأخبر جوناس أن بإمكانه القدوم إلى هنا.

- انتظر لحظة من فضلك.

وجد هاري المقهى حيث كان جوناس جالساً يرسم بينما تدلى طرف

لسانه من فمه، فوقف إلى جانب الصبـي محدقاً إلى الورقة التي كانت عليها دائرتان غير متساويتين.

- رجل ثلج.
- نعم. كيف عرفت ذلك؟
- لماذا كانت أمك تأخذك إلى الطبيب ياجوناس؟
- لا أعرف.

رسم جوناس رأساً لرجل الثلج.

- ما اسم الطبيب؟
- لا أعرف.
- أين مكانه؟
- ليس مسموحاً لي إخبار أحد، ولا حتى بابا.

انحنى جوناس على الورقة ورسم شعراً على رأس رجل الثلج.

- أنا شرطي ياجوناس، وأنا أحاول العثور على أمك.

خربش القلم بقوة أكبر فأكبر ليصبح الشعر أكثر سواداً.

- لا أعرف اسم المكان.
- هل تذكر أي شيء بالقرب منه؟
- بقرة الملك.
- بقرة الملك؟

هز جوناس رأسه.

- المرأة التي تجلس خلف النافذة تدعى بورغهيلد. كانت تعطيني مصاصة لأنني أسمح لها بسحب الدم مني بواسطة الإبرة.
- هل ترسم شيئاً محدداً؟

أجاب جوناس وهو يركز على الرموش:

- لا.

وقف فيليب بيكر إلى جانب النافذة، وشاهد هاري هول وهو يعبر مرأب السيارات... كان غارقاً في التفكير، فضرب دفتر الملاحظات الأسود الصغير براحة يده؛ حيث كان يتساءل إن كان هول قد صدقه حين ادعى أنه لا يعرف أن رجل الشرطة قد حضر محاضرته، أو حين قال إنه كان يعمل على مقالٍ في الأمسية السابقة، أو إنه لم يجد أي شيء بين أغراض بيرت. كان دفتر الملاحظات الأسود في درج مكتبها... لم تتكبد عناء إخفائه حتى... وماذا كان فيه؟

كاد أن يضحك، فقد ظنت الساذجة أنه يمكنها خداعه.

11 - اليوم الرابع

قناع الموت

كانت كاترين برات منحنية على جهاز حاسبها حين مد هاري رأسه قائلاً:

- هل وجدت أي روابط؟

- ليس الكثير. الضحايا نساء، وعيونهن زرقاء، وما عدا ذلك فجميعهن مختلفات بالشكل، كما أنهنّ جميعاً متزوجات ولديهن أطفال.

- عندي نقطة يمكننا البدء منها. بيرت بيكر أخذت جوناس إلى طبيب قريب من بقرة الملك، وأفترض أن ذلك في مزرعة كونغزغاردن الملكية في بيغدوي، وأنت قلت إن التوأم ذهبتا إلى متحف كون تيكي بعد زيارة الطبيب في بيغدوي أيضاً. لم يكن فيليب بيكر على معرفة بأي شيء حول الطبيب، لكن رولف أوترسون قد يكون على دراية.

- سأتصل به.

- تعالي إلى مكتبـي بعد أن تنتهي.

في مكتبه، أخذ هاري الأصفاد، حيث وضع الحلقة الأولى حول معصمه، بينما وضع الأخرى حول قائمة الطاولة وهو يستمع لبريده الصوتي؛ حيث قالت راكيل إن أوليغ سيحضر صديقه معه إلى ملعب فال هوفين. لم تكن هناك أي حاجة لهذه الرسالة، لذا عرف أنها تذكرة مخفية. لم يكن هاري قد نسي حتى هذا اليوم أي موعد مع أوليغ، لكنه تقبل الوكزات البسيطة التي قد يقوم بها الآخرون والتي تنبع عن عدم الثقة، كما أنه أحبها لأنها تخبره عن أي نوع من الأمهات هي، ولأنها أخفت التذكرة لئلا تزعجه.

دخلت كاترين من دون أن تطرق الباب:

- ملتوية لكنني أحبها.

قالت ذلك وهي تومئ إلى قائمة الطاولة التي كان هاري مقيداً إليها.

ابتسم هاري:

- تقييد الأصفاد السريع بيد واحدة... بعض ما تعلمته في الولايات المتحدة.

- عليك تجربة التقييد السريع بأصفاد من نوع هيات الجديد. ليس عليك أن تفكر حتى إن كنت ستقيده من اليسار أو اليمين؛ فالأصفاد ستغلق حول معصمك في كل الأحوال بمجرد الضرب بقوة، ويمكنك التدرب

بمجموعتي أصفاد؛ لتتسنى لك المحاولة مرتين.

فتح هاري الأصفاد:

- ماذا جرى معك؟

- لم يسمع رولف أوترسون بأي موعد طبيب أو أي طبيب في بيغدوي؛ إذ إن لديهم طبيبهم الخاص في بيروم. يمكنني سؤال التوأم إن كانت إحداهما تذكر الطبيب، أو يمكننا الاتصال بالعيادات في بيغدوي والتحقق بأنفسنا، فليست هناك سوى أربع عيادات.

وضعت لصاقة صفراء على مكتبه.

- من غير المسموح لهم الإفصاح عن أسماء مرضاهم.

- سأتكلم مع التوأم حين تعودان من المدرسة.

- انتظري.

قال هاري ذلك ثم رفع سماعة الهاتف ليتصل بالرقم الأول، فأجابه صوت حاد نطق باسم العيادة.

- هل بورغهيلد هنا؟

لم يكن هناك أحد يدعى بورغهيلد.

في الرقم الثاني، ردّ مجيب آلي بصوت حاد، ليذكّر أن العيادة لا تتلقى المكالمات سوى خلال ساعتين محددتين وقد مر ذلك منذ زمن.

أخيراً، وفي المحاولة الرابعة منحه صوت ضاحك ما كان يتمناه:

- نعم، أنا بورغهيلد.

- أهلاً يا بورغهيلد. أنا المحقق هاري هول من شرطة أوسلو.

- تاريخ الميلاد؟

- في وقت ما من الربيع. أنا أتصل لأستفسر في ما يخص جريمة قتل. أظن أنك قرأت الصحف اليوم. ما أريد معرفته هو إن كنت قد رأيت سيلفيا أوترسون في الأسبوع الماضي؟

ساد الصمت على الطرف الآخر من الخط.

- لحظة واحدة.

سمعها هاري تنهض، فانتظر عودتها.

- أنا آسفة يا سيد هول، فالمعلومات حول المرضى سرية. أعتقد أن الشرطة تعرف ذلك.

- نعم، لكن إن لم أكن مخطئاً فالابنتان هما المريضتان وليس سيلفيا.

- مهما يكن، فأنت تطلب معلومات قد تفصح بشكل غير مباشر

عن هوية مرضانا.

- أذكرك أن هذا تحقيق بجريمة قتل.

- أذكرك أنه يمكنك القدوم إلينا مع مذكرة تفتيش. قد نكون أكثر حذراً حول معلومات المرضى أكثر من معظم الآخرين؛ لكن هذه طبيعة عملنا.

- طبيعة عملكم؟!

- مجال خبرتنا.

- وهو؟

- الجراحة التجميلية والعمليات التخصصية. يمكنك مراجعة موقعنا الإلكتروني www.kirklinikk.no.

- شكراً لك، لكنني أظن أنني عرفت ما فيه الكفاية للوقت الحاضر.

- كما ترغب.

أنهت المكالمة، وسألت كاترين:

- إذاً؟

- زار جوناس والتوأم الطبيب نفسه، مما يعني أننا على الطريق الصحيح.

أحس هاري باندفاع الأدرينالين والارتعاش نفسه الذي يشعر به حين يشم أولى روائح الوحش، وبعد الاندفاع يأتي الهوس الكبير الذي كان كل شيء دفعة واحدة: الحب والعمى ووضوح الرؤية والمعنى والجنون. كان الزملاء يتكلمون بين الفينة والأخرى حول الإثارة، لكن هذا كان أمراً مختلفاً وخاصاً، فهو لم يخبر أحداً قط بالهوس أو يحاول تحليله؛ إذ لم يجرؤ على ذلك. فكل ما عرفه أنه يساعده ويدفعه ويدعم الوظيفة التي تولاها، ولم يكن بحاجة لمعرفة المزيد على الإطلاق.

- والآن؟

فتح هاري عينيه وقفز عن مقعده:

- والآن سنذهب للتسوق.

كان متجر الذوق الأفريقي قريباً من أكثر الشوارع ازدحاماً في ماجورستين في بوغستادفين، لكن موقعه على بعد أربعة عشر متراً في شارع جانبي، مما يعني لسوء الحظ أنه لا يزال على الهامش.

حين دخل هاري وكاترين رن جرس، ورأى في الإضاءة الباهتة أو-

بدقة أكبر انعدام الإضاءة- سجاداً خشناً بألوان مشرقة، وألبسة تلف حول الجسم، ووسائد كبيرة عليها أشكال غرب أفريقية، وطاولات قهوة صغيرة بدت كما لو أنها منحوتة مباشرة من الغابة المطرية، وأشكالاً خشبية نحيلة وطويلة تمثل رجال قبيلة ماساي ومجموعة من أشهر حيوانات السافانا. بدا كل شيء منظماً بعناية: لم تكن هناك أي تسعيرات ظاهرة، كما كمّلت الألوان بعضها، وكانت المنتجات موضوعة بأزواج. أي باختصار، بدا المكان كمعرض أكثر من كونه متجراً... معرض مغبر نوعاً ما. وقد تعزز هذا الانطباع بالسكون غير الطبيعي الذي ساد بعد أن أغلقا الباب وراءهما وتوقف الجرس عن الرنين.

نادى صوت من داخل المتجر:

- أهلاً؟

تبع هاري مصدر الصوت، حيث رأى في ظلمة الغرفة خلف زرافة خشبية ضخمة مضاءة بنور صغير ظهر امرأة كانت تقف على كرسي وتعلق قناعاً خشبياً أسود مبتسماً على الجدار.

قالت من دون أن تلتفت:

- ما الأمر؟

أعطتهما الانطباع بأنها كانت مستعدة لتوقع غير المتوقع وليس الزبائن فحسب.

- نحن من الشرطة.

- نعم.

التفتت المرأة فتسلّط الضوء على وجهها، وشعر هاري كما لو أن قلبه قد توقف عن الخفقان، فخطا خطوة تلقائية للوراء... كانت سيلفيا أوترسون.

سألت بعبوس بدا خلف عدستي نظارتها:

- هل من خطب؟

- من... أنت؟

فهمت مباشرة السبب الواضح لتعابير هاري المرتبكة:

- آن بيدرسين. أنا أخت سيلفيا التوأم.

بدأ هاري بالسعال، وسمع كاترين تقول من خلفه:

- هذا المحقق هاري هول، وأنا كاترين برات. كنا نأمل أن نجد رولف هنا.

- إنه في دار الجنائز.

صمتت آن بيدرسين. وفي تلك اللحظة، بدا أنهم ثلاثتهم عرفوا ما يفكر به الآخران... كيف يمكن دفن رأس فقط؟

استأنفت كاترين:

- وأنت تعوضين عن غيابه؟

ابتسمت آن بيدرسين باقتضاب:

- نعم.

ثم نـزلت عن الكرسي بتروٍّ وهي تمسك بالقناع الخشبـي.

سألت كاترين:

- أهو قناع شعائري؟

- شعائري من الهوتو في شرق الكونغو.

نظر هاري إلى ساعة يده:

- متى سيعود؟

- لا أعرف.

- ألا يمكنك التخمين؟

- كما قلت لا...

قاطعتها كاترين:

- هذا القناع جميل جداً. لقد ذهبت إلى الكونغو واشتريته بنفسك، أليس كذلك؟

نظرت إليها آن باندهاش:

- كيف عرفت؟

- يمكنني معرفة ذلك من الطريقة التي تمسكينه بها، فأنت لا تغطين عينيه أو فمه... إنك تحترمين الأرواح.

- هل أنت مهتمة بالأقنعة؟

- نوعاً ما.

قالت كاترين ذلك، ثم أشارت إلى قناع أسود مع ذراعين صغيرتين على الجانبين وساقين تتدليان من تحته. كان الوجه نصف بشري ونصف حيواني:

- هذا قناع من نوع كبيلي. أليس كذلك؟

- نعم، من ساحل العاج من قبيلة سينوفو.

- أهو قناع السلطة؟

مررت كاترين يدها على الشعر المدهن الخشن المتدلي من قشرة جوز الهند في أعلى القناع.

- واو. تعرفين الكثير.

سأل هاري:

- ما هو قناع السلطة؟

أجابت آن:

- إنه كاسمه. ففي أفريقيا، هذه الأقنعة ليست مجرد رموز فارغة، فأي شخص يضع هذا النوع من الأقنعة في مجتمع قبيلة لو سيحصل تلقائياً على جميع السلطات القضائية والتنفيذية الممنوحة له، ولا يمكن لأحد التشكيك بسلطته لأن القناع يمنحه السلطة.

قالت كاترين:

- رأيت قناعي موت يتدليان إلى جانب الباب... إنهما جميلان جداً.

أجابت آن بابتسامة:

- لدي العديد منها. إنها من ليسوتو.

- أيمكنني إلقاء نظرة؟

- بالطبع. انتظري لحظة.

حين ذهبت، نظر هاري إلى كاترين، فقالت رداً على سؤاله غير المنطوق:

- أعتقد أنه من المفيد أن نتحادث معها قليلاً لأعرف إن كانت هناك أي أسرار عائلية. أتفهمني؟

- أفهمك. وأعتقد أنه بإمكانك القيام بذلك على أفضل وجه بمفردك.

- ألديك عمل تقوم به؟

- سأعود إلى مكتبـي. وفي حال عاد رولف أوترسون فتذكري الحصولَ على تصريح خطي منه حول السرية في ما يتعلق بابنتيه.

عند الباب، وفيما كان يغادر، ألقى هاري نظرة على أقنعة الوجوه البشرية والمصنوعات الجلدية المتقلصة والمجمدة كما لو أنها تصرخ، وافترض أنها مجرد محاكاة.

دفعت إيلي كفال عربة التسوق بين رفوف متجر آيكا الذي يقع إلى جانب ملعب أوليفال. كان المتجر ضخماً، وأسعاره أغلى بقليل من المتاجر الأخرى، لكنه يقدم خيارات أفضل. لم تكن تأتي إلى هنا يومياً، وإنما فقط حين تريد صنع شيء جيد. والليلة سيأتي ابنها تريغف من الولايات المتحدة حيث كان في سنته الثالثة في كلية الاقتصاد في جامعة مونتانا. لكن، لم تكن لديه أية امتحانات هذا الخريف لذا سيدرس في البيت حتى شهر

يناير. وسيقوم أندريه بقيادة السيارة مباشرة من المكتب لاستقباله في مطار غاردرموين. وكانت تعلم أنهما حين سيصلان إلى البيت سيكونان قد تكلما بعمق حول صيد السمك ورحلات التجذيف.

اتكأت على الثلاجة لتشعر بالبرودة ترتفع بينما تجاوزها ظل ما. ومن دون أن ترفع عينيها، كانت تعلم أنه الظل نفسه... الظل نفسه الذي تجاوزها حين كانت واقفة في قسم الأطعمة الطازجة، وفي مرأب السيارات حين كانت تقفل سيارتها. لم يكن ذلك يعني أي شيء لها، وإنما الأمور القديمة فحسب. وكانت قد توصلت إلى نتيجة، وهي أن مخاوفها لن تدعها وشأنها على الإطلاق؛ حتى لو كانت حياتها نصف إنسانية. عند الصندوق، اختارت أطول طابور فهو الأسرع عادة وفقاً لخبرتها... لطالما اعتقد أندريه أنها مخطئة. انضم أحد ما إلى الطابور من ورائها... إذاً، هناك المزيد من الناس المخطئين. لم تلتفت إلى الوراء، وإنما فكرت أن الشخص يحمل الكثير من البضائع المجمدة، حيث شعرت بالبرودة في ظهرها.

لكنها حين التفتت لم يكن هناك أحد. أرادت عيناها أن تجولا متفحصتين الطوابير الأخرى، لكنها فكرت... لا تبدئي... لا تبدئي مجدداً.

ما إن خرجت من المتجر حتى أرغمت نفسها على المشي ببطء نحو السيارة؛ من دون أن تنظر حولها فيما كانت تفتح السيارة وتضع المشتريات في الصندوق وتجلس ثم تقود. وبينما زحفت التويوتا ببطء بين التلال الطويلة إلى الشقة المؤلفة من طابقين في نوردبيرغ، شغل تريغف والعشاء الذي ينبغي أن يكون جاهزاً لحظة دخول تريغف وأندريه من الباب كل تفكيرها.

كان هاري يستمع لإسبن ليبسفيك عبر الهاتف وهو يحدق في صور زملائه الموتى. كان ليبسفيك قد جمع مجموعته، ويطلب من هاري الحصول على جميع المعلومات ذات الصلة.

قال هاري:

- ستحصل على كلمة مرور من رئيس تكنولوجيا المعلومات لدينا، ويمكنك بعدها الدخول إلى الملف المسمى "رجل الثلج" في شبكة فرقة مكافحة الجرائم.
- رجل الثلج؟!
- ينبغي تسميته باسم ما.
- حسناً، شكراً ياهول. لكن، ما هي المدة التي تريد أن تحصل

خلالها على تقارير مني؟

- فقط حين يكون هناك شيء مهم. ليبسفيك؟
- نعم؟
- ابتعد عن مجالنا.
- وما هو مجالكم بالتحديد؟
- عليك التركيز على الأدلة والشهود والمجرمين السابقين الذين من الممكن أن يكونوا قتلة متسلسلين... هنالك يكمن عملكم.

كان هاري يعرف ما يفكر فيه المحقق المحترف في مكتب التحقيق المركزي: العمل المقرف.

سعل ليبسفيك:

- إذاً، نحن متفقون على أن هناك صلة بين حالات الاختفاء؟
- ليس علينا أن نتفق. اتبع حدسك.
- جيد.

أنهى هاري الاتصال، ونظر إلى الشاشة أمامه، حيث كان قد دخل الموقع الذي نصحته به بورغهيلد، وبدأ يشاهد صور فتيات جميلات وعارضين ذكور مع نقاط على وجوههم وأجسامهم تشير إلى الأماكن التي يمكن فيها تعديل مظهرهم الكامل في حال رغبوا بذلك. كان إيدار فيتليسين يبتسم له من صورة يتعذر تمييزه فيها عن العارضين الذكور.

وتحت صورة إيدار فيتليسين كانت هناك لائحة بالشهادات والدورات بأسماء طويلة بالفرنسية والإنكليزية من الممكن إنهاؤها خلال شهرين- حسب ما عرفه هاري- لكنها تمنحك الحق بإضافة اختصارات لاتينية لشهادة الدكتوراه. بحث عن إيدار فيتليسين في محرك البحث، فتوصل إلى لائحة من النتائج التي تبين أنها مسابقات كرلنغ، بالإضافة إلى موقع إلكتروني من أحد أصحاب عمله السابقين في عيادة مارينليست. وحين رأى الاسم المجاور لاسم إيدار فيتليسين بدأ يفكر في أن ما يقوله الناس صحيح؛ وهو أن النرويج بلد صغير لدرجة أن أي شخص يبعد شخصاً واحداً عن معرفة باقي الناس.

دخلت كاترين برات الغرفة، وارتمت على الكرسي المقابل لهاري، ثم لفت ساقاً على أخرى. فسألها هاري:

- هل صحيح أن الناس "الجميلين" يهتمون بالجمال أكثر من الناس القبيحين؟ ألهذا السبب يركز ذوو المظهر الحسن على مظهرهم؟
- لا أعرف. لكن هناك شيئاً من المنطق في ذلك حسب ما أظن،

فالناس شديدو الذكاء يركزون بشدة على ذكائهم؛ لدرجة أنهم أسسوا نوادي خاصة بهم. أليس كذلك؟ أظن أن المرء يركز على ما يملكه، فأنت مثلاً فخور جداً بموهبتك في التحقيق.

- أتعنين مورثات ملاحقة الفأر؟ القدرة الفطرية على تحديد الأشخاص الذين لديهم أمراض عقلية أو مشاكل إدمان أو انخفاض في مستوى الذكاء أو حرمان طفولي زائد؟

- إذاً، نحن مجرد صائدي فئران؟!

- نعم. ولهذا نشعر بسعادة غامرة حين تأتينا في حالات نادرة قضية كهذه؛ مما يوفر لنا الفرصة للقيام بعملية صيد كبيرة، كأن نلاحق أسداً أو فيلاً أو ديناصوراً.

لم تضحك كاترين، بل على العكس هزت رأسها بجدية.

- ما الذي قالته أخت سيلفيا التوأم؟

تنهدت كاترين وهي تثني يديها على ركبتيها المكسوتين بالجوربين:

- كدت أصبح صديقتها المفضلة.

- أخبريني.

- حسناً.

حين بدأت، أحس هاري بشعورها المشابه لإحساسه.

- أخبرتني آن أن كلاً من سيلفيا ورولف كانا يظنان أن رولف هو الشخص المحظوظ في زواجهما، بينما ظن الباقون العكس. فرولف كان قد أنهى لتوه دراسة الهندسة في جامعة بيرغن التقنية، ثم انتقل إلى أوسلو حيث شغل وظيفة في شركة كفارنر الهندسية، بينما كانت سيلفيا من النوع الذي يستيقظ كل صباح بفكرة جديدة عما ستفعله في باقي حياتها؛ حيث حضرت الكثير من الدورات التأسيسية المختلفة في الجامعة، ولم تستمر بالوظيفة نفسها لأكثر من ستة أشهر. كما كانت عنيدة وسريعة الغضب ومدللة واجتماعية ومهتمة بالمذاهب التي تعد بالقضاء على الذات، وقد هيمنت على صديقاتها القليلات، كما أن جميع الرجال الذين تعرفت عليهم تركوها بعد فترة قصيرة لأنهم لم يتمكنوا من احتمالها. وتعتقد أختها أن رولف كان واقعاً في حبها بشدة لأنها كانت تمثل نقيضه المطلق؛ فهو اتبع خطى والده وأصبح مهندساً، كما أنه متحدّر من عائلة تؤمن بالخيرية الخفية للرأسمالية وسعادة الطبقة الوسطى، بينما آمنت سيلفيا أننا في العالم الغربـي ماديون وفاسدون كبشر، وأننا فقدنا الاتصال مع هويتنا الحقيقية ومصدر سعادتنا.

غيرت كاترين وضعيتها على الكرسي، حيث لفت ساقها اليسرى على اليمنى، بينما وجه هاري نظرته لمكان ما.

- ربما. بكل الأحوال، رولف وسيلفيا أخذا سنة إجازة، وسافرا عبر غرب أفريقيا في رحلة أصبحت نقطة تحول في حياتيهما؛ حيث اكتشف رولف أن مهمته مساعدة أفريقيا على العودة للوقوف على قدميها. أما سيلفيا التي رسمت وشماً كبيراً لعلم أثيوبيا على ظهرها، فاكتشفت أن الجميع يبحثون عن أنفسهم حتى في أفريقيا، وهكذا افتتحا متجر الذوق الأفريقي. كان دافع رولف مساعدة القارة الفقيرة، بينما دافع سيلفيا هو أن الواردات رخيصة الثمن والدعم الحكومي شكلت باب رزق سهلاً. وكان لديها الدافع نفسه حين تم القبض عليها وهي تحمل حقيبة مليئة بالحشائش الممنوعة في الجمارك وهي عائدة من لاغوس.

- ها نحن ذا.

- تم الحكم على سيلفيا بحكم شَرطي مخفف لأنها تمكنت من زرع بذور الريبة؛ حيث قالت إنها لم تكن تعلم بما يوجد في الحقيبة، فقد أحضرتها معها كخدمة عائلية تؤديها لشخص نيجيري يعيش في النرويج.

- وماذا أيضاً؟

- آن تحب رولف؛ فهو لطيف وعميق التفكير ويحب الفتاتين بلا حدود، ولكن يبدو أنه أعمى في جميع الأمور الأخرى المتعلقة بسيلفيا. فقد وقعت في الحب مرتين من رجلين آخرين، وتركت رولف والبنتين من أجلهما، لكن حين تركها الرجلان كان رولف سعيداً بعودتها في المرتين.

- ما الذي كان يجعله متعلقاً بها برأيك؟

أظهرت كاترين برات ابتسامة ممزوجة بمسحة من الحزن، وحدقت في الهواء بينما داعبت يدها طرف تنورتها:

- كالمعتاد حسب ما أظن... لا أحد يترك شخصاً يستمتع بعلاقته معه... قد يحاولون، لكنهم يعودون دائماً، فنحن أرواح بسيطة أليس كذلك؟

هز هاري رأسه ببطء:

- وماذا عن الرجال الذين تركوها ولم يعودوا؟

- الرجال مختلفون، فمع مرور الوقت يعاني بعضهم من الخوف.

نظر إليها هاري وقرر أن لا يستمر في هذا الموضوع.

- هل رأيت رولف أوترسون؟

- نعم. لقد وصل بعد عشر دقائق من رحيلك، ولم يكن قد سمع بعيادة الجراحة التجميلية في بيغدوي، لكنه وقع على موافقته على خرق

السرية بين الطبيب والمريض.
ووضعت الورقة المطوية على مكتبه.

هبت ريح على المدرج المنخفض لملعب فال هوفين، حيث جلس هاري يشاهد المتزلجين على الجليد وهم ينـزلقون حول الحلبة. كانت تقنيات أوليغ قد أصبحت أكثر ليونة وفعالية خلال السنة الماضية، ففي كل مرة يسرع فيها صديقه ليتجاوزه ينخفض أوليغ، ويتحصن بقوة أكبر، وينـزلق بهدوء.

اتصل هاري بإسبن ليبسفيك وتبادلا المعلومات، ليكتشف هاري أن سيارة داكنة اللون قد دخلت منطقة هوفسفين في وقت متأخر من الليلة التي اختفت فيها بيرت لتعود من الطريق نفسه بعد فترة وجيزة.

ردد هاري برعشة متجهمة:

- داكنة اللون... في وقت متأخر من الليل.

تنهد ليبسفيك:

- نعم. أعرف أن المعلومات غير كافية.

كان هاري يحشر الهاتف المحمول في جيب سترته حين أحس بوجود شخص ما يحجب أحد الأضواء الكاشفة.

- آسف، لقد تأخرت قليلاً.

نظر إلى وجه ماثياس لوند هلغسين المبتسم والمرح بينما جلس مبعوث راكيل على كرسيه:

- هل أنت من محبـي الرياضات الشتوية ياهاري؟

لاحظ هاري أن لماثياس أسلوباً مباشراً في النظر إلى الشخص بتعابير حادة؛ مما يمنحك الشعور بأنه يستمع؛ حتى إن كان يتكلم.

- ليس تماماً... القليل من التزلج. وأنت؟

هز ماثياس رأسه:

- لا، لكنني قررت أنني في اليوم الذي ستنتهي فيه حياتي المهنية وأمرض لدرجة أنني لن أرغب بعدها بالعيش فسأركب العربة إلى البرج في قمة منحدر التزلج في ذلك التل.

هز إبهامه من فوق كتفه، لكن هاري لم يكن بحاجة إلى الالتفاف... هولمينكولين.. أفضل نصب في أوسلو، وأسوأ منحدر للتزلج يمكن رؤيته من جميع أنحاء البلدة.

- ثم سأقفز... ليس على المنحدر وإنما من البرج.

- هذا مثير.

ابتسم ماثياس:

- سقوط حر من على ارتفاع أربعين متراً لأنتهي خلال ثوانٍ.
- أظن أن هذا لن يكون قريباً.

ضحك ماثياس بحدة:

- مع وجود مضاد سي أل 70 في دمي لا يمكنك معرفة ذلك.
- مضاد سي أل 70؟
- نعم، هي أجسام مضادة جيدة لكن عليك الحذر دائماً حين تظهر؛ لأنها لا تظهر إلا لسبب.
- ممم. كنت أظن أن الانتحار فكرة مرفوضة بالنسبة للأطباء.
- لا أحد يعرف كالأطباء ما يعنيه المرض. وأنا أوافق زينون حين اعتبر الانتحار فعلاً ذا قيمة حين يكون الموت أفضل من الحياة. فحين كان في الثامنة والتسعين من العمر انخلعت إصبع قدمه مما أزعجه كثيراً فعاد إلى المنـزل وشنق نفسه.
- إذاً، لم لا تشنق نفسك بدلاً من التسلق إلى قمة منحدر هولمينكولين للتزلج؟
- حسناً، ينبغي أن يكون الموت كنوع من الإجلال للحياة، كما أن علي الاعتراف أنني أحب فكرة الشهرة التي ستنتج عنها. وأعتقد أن أبحاثي لا تجذب الكثير من الاهتمام.

تقطعت ضحكة ماثياس المرحة بصوت شفرتي المزلجتين السريعتين، فقال:

- بالمناسبة، أعتذر لأنني اشتريت المزلجتين السريعتين الجديدتين لأوليغ، فراكيل لم تخبرني قبلاً أنك كنت تخطط لشراء زوج له.
- لا مشكلة.
- كان سيفضل الحصول عليهما منك كما تعلم.

لم يجب هاري.

- أنا أحسدك ياهاري، إذ يمكنك الجلوس هنا وقراءة الصحيفة والاتصال بهاتفك المحمول والحديث مع الناس الآخرين؛ فبالنسبة له من الممتاز أنك هنا فحسب. أما أنا فحين أهتف وأشجعه وأقوم بكل ما يذكره كتاب التعليمات حول ما يجب على الوالد الجيد فعله فإنه ينـزعج. هل تعلم أنه يلمع مزلجتيه يومياً لأنه يعرف أنك كنت تقوم بذلك؟ كما أنه أصر على ترك مزلجتيه على الدرج في الخارج لأنك قلت له مرة إن فولاذ

المزلجة ينبغي أن يبقى بارداً دائماً؛ حتى أمرته والدته بإدخالها. أنت قدوته يا هاري.

ارتعش هاري من هذه الفكرة، لكنه في أعماقه أحس بالسعادة لسماعه ذلك لأنه كان غيوراً، ويرغب بإنـزال لعنة خفيفة على محاولات ماثياس لاستمالة أوليغ.

تململ ماثياس وهو يعبث بزر معطفه:

- من الغريب أنه في هذا العصر المليء بالطلاق- حيث يدرك الأطفال أصولهم بعمق- كيف لا يمكن للأب الجديد أن يحل محل الأب الحقيقي.

- والد أوليغ الحقيقي في روسيا.

- على الورق نعم، لكن ليس في الواقع يا هاري.

انـزلق أوليغ بجوارهما ملوحاً لكليهما فلوح له ماثياس:

- كنت تعمل مع طبيب يدعى إيدار فيتليسين.

نظر إليه ماثياس بدهشة:

- إيدار... نعم، في عيادة مارينليست... هل تعرف إيدار؟

- لا، كنت أبحث عن اسمه في محرك البحث، فوجدت موقعاً إلكترونياً قديماً يضع لائحة بأسماء الأطباء الذين عملوا في العيادة، وكان اسمك ضمن اللائحة.

- كان ذلك قبل بضع سنوات. لكننا استمتعنا كثيراً في مارينليست، فقد تم إنشاء العيادة حين كان الجميع يعتقدون بشدة أن المؤسسات الصحية الخاصة ستجني الكثير من المال؛ لكنها أغلقت حين اكتشفنا أن الأمور ليست كذلك على الإطلاق.

- هل أفلست؟

- أظن أن المصطلح المستخدم هو تضاءلت. هل أنت مريض لدى إيدار؟

- لا، لكن اسمه كان مرتبطاً بقضية ما. هل يمكنك إخباري أي نوع من الناس هو؟

- إيدار فيتليسين؟ نعم، يمكنني قول القليل عنه، فقد درسنا معاً، وخرجنا معاً مع الناس أنفسهم لعدة سنوات.

- هل يعني ذلك أنكما لم تعودا على اتصال؟

هز ماثياس كتفيه:

- أعتقد أننا كنا مختلفين. فمعظم رفاقنا كانوا ينظرون إلى الطب

على أنه... دعوة لتلبية واجب، باستثناء إيدار فهو لم يأبه لذلك، وإنما كان يدرس الطب لأن هذه المهنة تستدعي احتراماً أكبر. وفي كل الأحوال، أنا معجب بصراحته.

- إذاً، إيدار فيتليسين كان مهتماً بالحصول على الاحترام؟

- بالإضافة إلى المال بالطبع. لم يتفاجأ أحد حين توجه إيدار إلى الجراحة التجميلية، أو حين عمل في عيادة لنخبة من الزبائن الأثرياء والمشاهير؛ إذ لطالما كان مهتماً بهذا النوع من الناس. لقد أراد أن يصبح مثلهم، وأن يتحرك في دوائرهم، لكن المشكلة هي أن إيدار يبذل الكثير من الجهد، وأعتقد أن أولئك المشاهير يبتسمون في وجهه، لكنهم يدعونه من وراء ظهره بالمغفل المدعي والملتصق.

- هل تقول إنه من النوع الذي يفعل كل ما يتطلبه الأمر لتحقيق هدفه؟

فكر ماثياس ملياً في ذلك:

- لطالما بحث إيدار عن شيء يجلب له الشهرة، فمشكلة إيدار ليست أنه غير نشيط، لكنها عدم معرفته بمهمته في الحياة. وفي آخر مرة تكلمت معه فيها، بدا منـزعجاً ومكتئباً.

- هل يمكنك أن تتخيل أنه وجد مهمة تجلب له الشهرة؟ شيئاً ما بعيداً عن الطب ربما؟

- لم أفكر في ذلك. لكن، ربما... فهو ليس طبيباً بالفطرة.

- من أي ناحية؟

- من الناحية نفسها التي يبجل فيها إيدار الناجحين ويمقت الضعفاء والمرضى. وهو ليس الطبيب الوحيد هكذا، لكنه الوحيد الذي يقول ذلك صراحة. ففي مجموعتنا بدأنا كأشخاص مثاليين، وأصبحنا في وقت ما أكثر اهتماماً بالاستشارات والدفع للمرأب الجديد وأجور الدوام الإضافي. لكن إيدار لم يتخل عن أي مثل على الأقل.

ضحك إيدار فيتليسين:

- هل قال ماثياس ذلك حقاً!؟ أنني لم أتخلَّ عن أي مثل؟

كان لديه وجه أنثوي جميل بحاجبين ضيقين لدرجة أنك قد تشك في أنه يشذبهما، وأسنان بيضاء ومنتظمة؛ لدرجة أنك قد تشك في أنها ليست أسنانه. كما بدت بشرته ناعمة وطرية، بينما كان شعره كثيفاً ومتموجاً. باختصار، بدا أصغر بعدة سنوات من سبع وثلاثين سنة.

كذب هاري:

- لا أعرف ما كان يقصده بذلك.

كانا يجلسان على كرسيين طريين في غرفة المكتبة في المنـزل الأبيض الواسع المبني على طراز بيغدوي القديم... منـزل طفولته كما قال إيدار فيتليسين وهو يرشد هاري عبر الردهتين الواسعتين المظلمتين إلى الغرفة المغطاة جدرانها بالكتب؛ ميكجل فونهاس، وكجل أوكرست، وكتاب مدير المتجر لإينار جيرهاردسن، ومجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية الشهيرة والسير الذاتية لشخصيات سياسية، بالإضافة إلى رف كامل من الإصدارات صفراء اللون لمجلة ذا ريدر دايجست التي لم يكن هاري قد رأى أي نسخة لها منشورة منذ عام 1970.

ضحك إيدار:

- أعرف ما الذي كان يعنيه.

خطرت لهاري فكرة غامضة حول ما ألمح إليه ماثياس حين تحدث عن استمتاعهما مع بعضهما في عيادة مارينليست: ربما تنافسا في من سيضحك أكثر.

- ماثياس التافه الورع... التافه المحظوظ.

- ألست كذلك؟

رفع إيدار أحد حاجبيه المرسومين بعناية، ورمق هاري باهتمام، بينما كان ينتعل خفاً أزرق ناعماً ذا شرائط رخوة، وجينـزاً، وقميص تنس أبيض على ظهره صورة لاعب كرة. لم يتمكن هاري من تحديد علامتها التجارية، لكنه لسبب ما ربط بينها وبين الدب.

- أنا أتحدّر من عائلة عملية أيها المفتش. فأبـي كان سائق سيارة أجرة... نحن نثق بما نراه.

- ممم. إنه منـزل جميل بالنسبة لسائق سيارة أجرة.

- كان يمتلك شركة لسيارات الأجرة، ولديه ثلاث شهادات. لكن هنا في بيغدوي، يعتبر سائق سيارة الأجرة رجلاً عامياً وسيبقى كذلك.

نظر هاري إلى الطبيب محاولاً أن يعرف إن كان مخالفاً أو لا، وكان فيتليسين يجلس على كرسيه بطريقة مبالغ بها؛ كما لو أنه حريص على إخفاء حالة من الإثارة أو القلق. وكان هاري قد فكر في الأمر نفسه حين اتصل به ليخبره أن الشرطة تريد إجابات عن بعض الأسئلة فقام فيتليسين بدعوته المسرفة في العاطفة إلى منـزله.

قال هاري:

- لكنك لم ترغب بقيادة سيارة أجرة، وإنما أردت... جعل الناس يبدون أفضل، أليس كذلك؟

ابتسم فيتليسين:

- يمكنك القول إنني أعرض خدماتي في سوق التجميل، أو إنني أصلح أشكال الناس لتخفيف الألم داخلهم. اختر ما شئت فأنا لا آبه.

كان فيتليسين يتوقع أن تكون ردة فعل هاري الصدمة لذا ضحك. ولكن، حين لم يحدث ذلك أصبحت تعابير فيتليسين أكثر جدية:

- أنا أرى نفسي كنحات؛ إذ ليست لدي مهمة معينة لكنني أحب تغيير المظاهر وتشكيل الوجوه... لطالما أحببت ذلك. أنا ماهر في ذلك، والناس يدفعون لي... هذا كل شيء.

- ممم.

- لكن ذلك لا يعني أنني بلا مبادئ... والسرية بين الطبيب والمريض أحد هذه المبادئ.

لم يجب هاري.

- لقد تحدثت مع بورغهيلد، وأعرف ما تريده أيها المحقق. وأنا أفهم أن هذا الموضوع خطير، لكن لا يمكنني مساعدتك؛ فأنا ملتزم بقسمي.

- ليس بعد الآن.

أخرج هاري الورقة المطوية من جيبه الداخلي ووضعها على الطاولة بينهما:

- هذا تصريح بإعفائك موقع من والد التوأم.

هز إيدار رأسه:

- هذا لا يصنع أي فرق.

عبس هاري باستغراب:

- حقاً؟!

- لا يمكنني أن أقول أسماء من جاءوا لزيارتي أو ما قالوه، لكن يمكنني أن أقول لك عموماً إن من يقصدون الطبيب مع أطفالهم يكونون محميين بقسم السرية؛ حتى بالنسبة إلى زوجاتهم في حال رغبوا بذلك، والأمر كذلك بالنسبة إلى النساء أيضاً.

- ما الذي يجعل سيلفيا أوترسون تخفي عن زوجها أنها زارتك مع التوأم؟

- قد يبدو سلوكنا صارماً، لكن تذكر أن الكثير من عملائنا من

المشاهير المعرضين للقيل والقال والاهتمام الإعلامي غير المرغوب به. اذهب إلى كانستنيرنيس هاس مساء الجمعة وانظر حولك... لن تتخيل كم منهم قد جاء إلى عيادتي لإجراء تعديلات هنا وهناك، وسيغمى عليهم لمجرد فكرة أن زياراتهم إلى هنا قد تصبح معروفة للعامة. إن سمعتنا مبنية على السرية، وفي حال تبين أننا متساهلون في ما يخص معلومات المرضى فستكون العواقب على العيادة كارثية. أنا متأكد من أنك تتفهمني.

- لدينا جريمتا قتل ومصادفة واحدة. كلتا الضحيتين زارتا عيادتك.

- لا يمكنني تأكيد ذلك أو نفيه، لكن دعني أفترض جدلاً أنهما زارتا العيادة. ماذا إذاً؟ النروج دولة قليلة السكان، وتضم القليل جداً من الأطباء. هل تعلم كم شخصاً يربط بيننا؟ مصادفة أنهما زارتا الطبيب نفسه ليست أهم من احتمال أن تكونا في القطار نفسه وفي الوقت نفسه. هل التقيت يوماً أصدقاء في القطار؟

لم يستطع هاري التفكير بمصادفة واحدة، فهو لم يكن يركب القطار كثيراً.

- لقد قطعت مسافة طويلة لتخبرني أنك لن تقول لي شيئاً.

- أعتذر. لقد دعوتك إلى هنا لأنني افترضت أن البديل هو مركز الشرطة حيث تراقب الصحافة مجريات الأحداث... نعم، بالطبع أنا أعرف أولئك الناس.

- هل تدرك أن بإمكاني الحصول على مذكرة تفتيش تلغي قسمك بالسرية؟

- هذا ممتاز بالنسبة لي، ففي تلك الحالة ستظهر العيادة على أنها تقف إلى جانب الخير. لكن حتى ذلك الحين...

وأغلق سحاباً افتراضياً حول فمه.

عدل هاري جلسته... كان يعرف أن إيدار يعلم أن دفع المحكمة لإلغاء قسم السرية للطبيب- حتى في جريمة قتل- يحتاج إلى دليل واضح على أن معلومات الطبيب ستكون ذات أهمية. ما الذي لديهم؟ كما قال فيتليسين؛ مجرد فرصة لقاء في القطار. أحس هاري بحاجة ملحة للقيام بشيء ما... للشرب... أو لرفع الأثقال... أو تنشق الهواء.

- ما زلت مضطراً لسؤالك: أين كنت ليلتي الثاني والرابع من نوفمبر؟

- توقعت ذلك، لذا فكرت في الأمر. لقد كنت هنا. نعم، وها هي.

دخلت امرأة عجوز ذات شعر رمادي يتدلى كستائر حول وجهها

الغرفة بخطوات حذرة، وهي تحمل صينية فضية عليها كوبا قهوة تهتز منذرة. ألقت نظرة على ابنها الذي قفز بلمحة بصر وأخذ الصينية منها.

- شكراً يا أمي.
- اربط رباط حذائك.

ثم التفتت إلى هاري قائلة:

- هل سيخبرني أحد بمن يأتي ويذهب من منـزلي؟
- هذا المحقق هول يا أمي. إنه يرغب بمعرفة أين كنت البارحة ومنذ ثلاثة أيام.

وقف هاري ماداً يده.

رمقت العجوز هاري بنظرة سريعة وهي تمد يدها المغطاة بالبقع البنية:

- أتذكر بالطبع. لقد شاهدنا برنامج النقاش الذي استقبل صديقك لاعب الكرلنغ، ولم أحب ما قاله عن العائلة المالكة. ماذا كان اسمه؟

تنهد إيدار:

- آرف ستوب.

انحنت العجوز نحو هاري قائلة:

- قال إنه يرغب بالتخلص من العائلة المالكة. أيمكنك تخيل مدى فظاعة الأمر؟ أين كان من الممكن أن نكون خلال الحرب لولا العائلة المالكة؟

قال إيدار:

- حيثما نحن الآن. نادراً ما يقوم رئيس دولة ببذل مثل هذا الجهد الضئيل خلال الحرب، كما أنه قال إن الدعم الواسع للعائلة المالكة كان دليلاً أخيراً على أن الشعب لا يزال يعتقد بالقصص الخيالية.
- أليس ذلك رهيباً.
- بالفعل يا أمي.

ابتسم إيدار وهو يضع يده على كتفها ويلقي نظرة على ساعة يده في الوقت نفسه... ساعة بريتلينغ بدت كبيرة وغير عملية حول معصمه النحيل.

- عليّ الذهاب الآن ياهول. علينا شرب هذه القهوة بسرعة.

هز هاري رأسه مبتسماً للسيدة فيتليسين:

- أنا متأكد من أنها شهية، لكن علي تركها ليوم آخر.

تنهدت بعمق، وتمتمت بشيء غير مسموع، وأخذت الصينية لتخرج

مجدداً.

حين وصل إيدار وهاري إلى الصالة التفت هاري نحو إيدار قائلاً:

- ما الذي عنيته بكلمة محظوظ؟

- عذراً؟

- لقد قلت إن ماثياس لوند هلغسين لم يكن مجرد تافه ورع بل كان محظوظاً أيضاً.

- آه! عموماً ماثياس لا حيلة له في هذا الأمر، لكن ينبغي أن تكون المرأة مع رجال سيئين في حياتها حتى تحتاج إلى شخص يخاف الله مثله. حسناً، لا تخبر ماثياس أنني قلت ذلك أو حتى ذكرته.

- بالمناسبة، هل تعرف ما هو مضاد سي أل 70؟

- إنه جسم مضاد في الدم قد يشير إلى وجود تصلب بالجلد. هل تعرف أحداً لديه هذه المشكلة؟

- لا أعرف حتى ما هو تصلب الجلد.

أحس هاري أن عليه تجاهل الموضوع، وأراد أن يتجاهل الموضوع لكنه لم يستطع فعل ذلك:

- إذاً، ماثياس قال إنها كانت مع رجلين سيئين أليس كذلك؟

- هذا تأويلي. ففي نظره، كل إنسان لديه الإمكانات ليصبح شخصاً أفضل.

ترددت ضحكة إيدار فيتليسين في الغرف المظلمة.

بعد أن تقدم هاري بالشكر انتعل حذاءه، وخرج ليقف على الدرج، ثم التفت وشاهد إيدار وهو منحنٍ يربط رباط حذائه.

في طريق عودته، اتصل هاري بسكار وطلب منه أن يطبع صورة فيتليسين من موقع العيادة الإلكتروني، وأن يتوجه إلى وحدة المخدرات لمعرفة ما إن كان أحد المخبرين السريين قد رآه وهو يشتري شيئاً.

سأل سكار:

- في الشارع؟ ألا يملك جميع الأطباء مثل هذه الأمور في خزائن أدويتهم؟

- بلى، لكن القواعد التي تحكم التزويد بالمخدرات أصبحت صارمة جداً في الوقت الحالي، لدرجة أن الطبيب قد يشتري الأمفتامين من تاجر مخدرات في سكيبرغاتا.

وحين أنهيا المكالمة، اتصل هاري بكاترين في المكتب.

- لا شيء حتى هذه اللحظة. سأغادر الآن... هل أنت في طريقك إلى البيت؟

تردد هاري:

- نعم. برأيك، ما هو احتمال أن تلغي المحكمة قسم السرية المنافق لفيتليسين؟

- أعتقد أن علينا نسيان الأمر.

- حسناً.

توجه هاري إلى بيسليت وهو يفكر في شقته التي أصبحت عارية. نظر إلى ساعته وغير رأيه، وعاد إلى بايلستريديت متجهاً نحو مركز الشرطة.

كانت الساعة هي الثانية من بعد منتصف الليل حين سمع هاري صوت كاترين النائم عبر الهاتف.

- ماذا هناك الآن؟

- أنا في المكتب، وقد ألقيت نظرة على ما وجدته. لقد قلت إن جميع النساء المفقودات متزوجات ولديهن أطفال. أعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك شيء ما في ذلك.

- ماذا؟

- ليست لدي أدنى فكرة. لقد أردت أن أسمع صوتي وأنا أقول ذلك لأحد ما فحسب لأعرف إن كان ذلك غبياً.

- وكيف بدا ذلك؟

- غبياً. تصبحين على خير.

استلقت إيلي كفال مفتوحة العينين، بينما كان أندريه يتنفس بجانبها بثقل ومن دون أي اهتمام بالعالم. تسلل خيط من شعاع القمر من بين الستائر على الجدار. ما الذي أيقظها؟ هل هو تريغف؟ هل استيقظ؟ كان العشاء والأمسية كما كانت تأمل، فقد رأت وجهين سعيدين ومشرقين في أضواء الشموع؛ حيث تكلموا جميعاً في الوقت نفسه، إذ كان لديهم الكثير ليقولوه؛ وخاصة تريغف. وحين تكلم عن مونتانا وعن دراسته وأصدقائه هناك ظلت صامتة تنظر إلى الصبـي... الشاب الذي ينضج ليصبح شخصاً بالغاً كما يرغب أن يكون، ويبني حياته الخاصة. هذا ما جعلها أكثر سعادة: أن بإمكانه الاختيار بحرية وعلانية، وليس مثلها سراً وخفية.

سمعت المنـزل يصر، وسمعت الجدران تتكلم مع بعضها.

لكن، كان هناك صوت مختلف... صوت دخيل... صوت من الخارج.

نهضت من السرير، وتوجهت إلى النافذة، وفتحت الستائر قليلاً لتشاهد الثلج. كانت أغصان أشجار التفاح مغطاة بالثلج، وضوء القمر منعكساً على غطاء الأرض الأبيض الرقيق؛ مظهراً كل تفاصيل الحديقة. انتقلت نظراتها من البوابة إلى المرأب من دون أن تعرف عمّا تبحث، ثم توقفت... لهثت باستغراب ورعب لتقول لنفسها: ليس مجدداً . لا بد أنه تريغف... لا بد أنه بسبب الرحلة الطويلة لم يتمكن من النوم فخرج. كانت آثار الأقدام متجهة من البوابة إلى أسفل نافذتها، حيث كانت تقف كخط من النقاط السوداء على غطاء الثلج الرقيق. توقف مفاجئ في النص.

لم تكن هناك أي آثار أقدام عائدة.

12 - اليوم السابع

محادثة

- استطاع أحد المخبرين التعرف عليه. حين أريته صورة فيتليسين، قال المحقق إنه رآه عدة مرات عند تقاطع الطرق بين سكيبرغاتا وتولبوغاتا.

سأل غونار هاغن الذي أصر على الانضمام إلى لقاء الاثنين الصباحي في مكتب هاري:

- ماذا يوجد عند تقاطع الطرق؟

نظر سكار إلى هاغن بحيرة ليتأكد أنه لا يمزح:

- تجار وبائعات هوى ولاعبو ميسر. إنه مكانهم الجديد بعد أن طردناهم من بلاتا.

سأل هاغن وهو يبرز ذقنه:

- هناك فقط؟ علمت أنهم أكثر انتشاراً في الوقت الحالي.

قال سكار:

- إن المكان هناك كمركز لهم، لكنك ستجدهم بالطبع باتجاه سوق الأسهم المالية وبنك النروج، وحول متحف أستروب فيرنلي للفنون، وقاعة غامل لوغن للحفلات، ومقهى تشيرش ميشن...

توقف حين تثاءب هاري بصوت مرتفع.

اعتذر هاري:

- آسف. كانت عطلة نهاية أسبوع صعبة. أكمل.

- لا يذكر المحقق أنه رآه يشتري الأفيون، لكنه يظن أن فيتليسين كان يزور فندق ليون بشكر متكرر.

في تلك اللحظة، دخلت كاترين برات عبر الباب، وكانت تبدو شاحبة وعيناها شبه مغمضتين وشعرها مشعث. لكنها هتفت بتحية مرحة بأسلوب بيرغن وهي تبحث عن كرسي في الغرفة. قفز بيورن هولم عن كرسيه ولوح بيده، ثم ذهب ليبحث عن كرسي آخر.

تساءل هاغن:

- ليون في سكيبرغاتا؟ هل يبيعون المخدرات هناك؟

قال سكار:

- ذلك ممكن. لكنني رأيت الكثير من السوداوات يدخلن إليه أيضاً، لذا أفترض أنه قد يكون مكاناً للتدليك.

- هذا صعب.

قالت كاترين برات ذلك وهي تقف مديرة ظهرها لهم، وتعلق معطفها على المشجب:

- فناء التدليك جزء من السوق الداخلية، وقد حصل عليه الفيتناميون الآن. وهم يبقون في الضواحي في مناطق سكنية هادئة، ويستخدمون نساء آسيويات، ويبقون بعيدين عن منطقة السوق الأفريقية الخارجية.

قال هاري:

- أعتقد أنني رأيت إعلانات عن غرف رخيصة معلقة في الخارج. أربعمائة كرونر في الليلة.

- هذا صحيح. لديهم غرف صغيرة يتم تأجيرها رسمياً بشكل يومي، لكنها فعلياً يتم تأجيرها لساعات. أموال سوداء، وزبائن لا يطلبون إيصالات، لكن مالك الفندق الذي يجني الجزء الأكبر من الأرباح رجل أبيض.

كشر سكار وهو ينظر إلى هاغن:

- السيدة دقيقة في معلوماتها. من الغريب أن وحدة التحرشات في هاغن مطلعة بهذا الشكل على بيوت الدعارة في أوسلو.

قالت كاترين:

- إنها نفسها في كل مكان. أتريد الرهان على أي مما قلته؟

قال سكار:

- المالك باكستاني مقابل مائتي كرونر.

- موافقة.

قال هاري وهو يصفق بيديه.

- حسناً، ما الذي نفعله هنا؟

كان مالك فندق ليون بور هانسن من سولور في الشرق ذا بشرة بيضاء ناصعة كالثلج الذي يكون على أحذية نـزلاء فندقه. وكان يبقى على الأرضية الخشبية عند المنضدة تحت اللافتة المكتوبة عليها كلمة "الاستيقبال" بأحرف سوداء. وبما أن الزبائن وبور لم يكونوا مهتمين بالتهجئة، فقد بقيت اللافتة في مكانها من دون تغيير طوال فترة ملكية بور للفندق: أربع سنوات. قبل ذلك، كان قد سافر عبر السويد واكتسب لهجة بدت مزيجاً بين موسيقي راقص وواعظ. وفي سفاينساند التقى ناتاشا، وهي راقصة روسية، وبالكاد تمكنا من الهرب من مديرها الروسي؛ حيث حصلت ناتاشا على اسم جديد، وهي الآن تعيش مع بور في أوسلو. واشترى فندق ليون

من ثلاثة صربيين لم يعودوا قادرين لعدة أسباب على البقاء في البلاد، واستمر من حيث كانوا قد توقفوا، إذ لم يكن هناك سبب لتغيير نموذج العمل: تأجير الغرف لفترات قصيرة؛ وغالباً فترات قصيرة جداً. وكانت العائدات نقدية غالباً، والضيوف غير متطلبين في ما يتعلق بالمعايير والخدمة... كان عملاً جيداً لم يرغب في فقدانه، وبالتالي كره كل ما يتعلق بالشخصين الواقفين أمامه، وخاصة بطاقتي هويتيهما.

وضع الرجل الطويل ذو الشعر القصير صورة على المنضدة وسأل:

- هل رأيت هذا الرجل؟

هز بور هانسن رأسه؛ حيث شعر بالراحة بالرغم من كل شيء لأنهما لم يكونا يبحثان عنه.

قال الرجل وهو يضع ذراعه على المنضدة وينحني إلى الأمام:

- هل أنت متأكد؟

نظر بور إلى الصورة مجدداً وهو يفكر أنه كان عليه فحص بطاقة الهوية أكثر، فقد بدا هذا الشخص كمدمن؛ كأولئك الذين يتسكعون في الشوارع أكثر من كونه شرطياً. كما أن الفتاة وراءه لم تبد كشرطية أيضاً، فعلى الرغم من نظرتها القاسية إلاّ أنها تتمتع بأسلوب سيدة حقيقية، وفي حال حصلت لنفسها على قواد لا يسرقها فستكسب خمسة أضعاف مرتبها على الأقل.

قال الشرطي:

- نحن نعرف أنك تدير دار بغاء هنا.

- أنا أدير فندقاً شرعياً، ولدي رخصة وجميع أوراقي نظامية. هل تريد أن ترى؟

وأشار بور إلى المكتب الصغير وراء منطقة الاستقبال مباشرة.

هز رجل الشرطة رأسه قائلاً:

- أنت تؤجر الغرف للنساء وزبائنهن، وهذا مخالف للقانون.

بلع بور لعابه، فقد أخذت المحادثة المنحى الذي يخافه وقاله:

- اسمعني، لا يهمني ما يفعله زبائني طالما أنهم يدفعون فواتيرهم.

قال رجل الشرطة بصوت منخفض:

- لكنه يهمني. انظر إلى الصورة بدقة أكبر.

نظر بور... لا بد أن الصورة قد التقطت منذ عدة سنوات لأنه بدا شاباً جداً... شاباً وخالياً من الهموم... ومن دون أي دلالة على اليأس أو الأسى.

قال بور هانسن:

- في آخر مرة تأكدت منها لم تكن هذه المهنة في النروج غير قانونية.

قال الشرطي:

- لا. لكن إدارة مكان لهذه المهنة غير قانوني.

بذل بور هانسن جهده ليظهر تعابير غير مبالية.

قال الشرطي:

- كما تعلم، تضطر الشرطة في فترات متقطعة أن تتأكد من التزام الفنادق بالأنظمة؛ كمخارج الطوارئ لجميع الغرف في حال حدوث حريق.

أضافت الشرطية:

- تسليم استمارات التسجيل للضيوف الأجانب.
- آلة فاكس من أجل استفسارات الشرطة حول الضيوف.
- حساب لضريبة القيمة المضافة.

كان هانسن يترنح، فسدد الشرطي الضربة القاضية:

- نحن نفكر في إحضار فرقة الاختلاس للتحقق من الحسابات التي قدمتها لبعض الزبائن الذين لاحظت الشرطة السرية أنهم يدخلون ويخرجون خلال الأسابيع الأخيرة.

أحس بور هانسن بالغثيان... ناتاشا... الرهن... كما أحس بذعر أولي من فكرة أمسيات الشتاء الباردة والمظلمة على السلالم المألوفة.

قال الشرطي:

- أو يمكننا الاستغناء عن ذلك... فالقضية متعلقة بالأولويات وكيفية استخدام موارد الشرطة المحدودة. أليس كذلك يابرات؟

هزت الشرطية رأسها.

- إنه يستأجر غرفة مرتين في الأسبوع... دائماً الغرفة نفسها ويبقى هناك طوال المساء.

- طوال المساء؟

- تزوره العديد من النساء.

سألت المرأة:

- بيضاوات البشرة أم سوداوات؟

- سوداوات البشرة... كلهن كذلك.

- ما عددهن؟

- لا أعلم. إنه يتراوح بين ثماني نساء واثنتي عشرة.

استفسرت الشرطية:

- في الوقت نفسه؟

- لا. إنهن يتبادلن. بعضهن يأتين كل اثنتين معاً. فهنّ يكنّ عادة في الشارع كل اثنتين معاً بالطبع.

قال الشرطي:

- أهذا معقول؟

هز بور هانسن رأسه.

- ما الاسم الذي يسجل به؟

- لا أذكر.

- لكننا سنجده في سجل النـزلاء أليس كذلك؟ وفي الحسابات؟

ابتل قميص بور هانسن بالعرق تحت سترة بذلته المشرقة:

- يدعونه الدكتور وايت... أقصد، النساء اللواتي يسألن عنه. هذا كل شيء.

- دكتور؟

- ليست لي علاقة بالأمر، فهو...

تردد بور هانسن، إذ لم يكن يرغب بقول شيء إضافي عما هو مضطر لقوله، لكنه في الوقت نفسه أراد إظهار استعداده للتعاون، وقد خسر هذا الزبون في كل الأحوال.

- هو يحمل حقيبة طبيب كبيرة معه، ودائماً يطلب... مناشف إضافية.

قالت المرأة:

- أوه... يبدو محتالاً. هل رأيت أي دم أثناء تنظيف الغرف؟

لم يجب بور.

صحح لها الشرطي:

- إن كنتم تنظفون الغرف. حسناً؟

تنهد بور:

- ليس كثيراً... ليس أكثر من...

ثم صمت، فسألت المرأة بسخرية:

- من المعتاد؟

- لا أعتقد أنه يؤذيهن.

قال بور هانسن ذلك بسرعة، ثم ندم على قوله ذلك مباشرة.

سأل الشرطي:

- لم لا؟

هز بور كتفيه.

- أفترض أنهن ما كن ليعدن مجدداً لو آذاهن.

- وهن مجرد نساء؟

هز بور رأسه، لكن الشرطي لاحظ شيئاً ما؛ توتراً عصبياً في عضلات رقبته، وارتعاشاً بسيطاً في عينيه، فسأله:

- رجال؟

هز بور رأسه بالنفي.

سألت الشرطية التي لاحظت بوضوح ما رآه زميلها:

- شبّان؟

فهز بور رأسه مجدداً، ولكن بتمهل بسيط وغير واضح يظهر حين يكون على الدماغ الاختيار بين البدائل.

قال الشرطي وهو يخفض جبهته، كما لو كان على وشك توجيه تهمة:

- أطفال؟! هل كان يحضر أطفالاً إلى هنا؟

صرخ بور وهو يشعر بالعرق يتدفق عبر جسده كله:

- لا! أبداً! هذا خط أحمر بالنسبة لي... لم تكن هناك سوى تينك المرتين... ولم أسمح لهم بالدخول، فقد رميتهم إلى الشارع!

سأل الرجل:

- أهم أفارقة؟

- نعم.

- هل هم صبية أو بنات؟

- من الجنسين.

سألت المرأة:

- هل جاءوا بمفردهم؟

- لا، مع نساء... جاءوا مع أمهاتهم حسبما أعتقد. لكن، كما قلت لم أسمح لهم بالصعود إلى غرفته.

- قلت إنه يأتي إلى هنا مرتين في الأسبوع. هل لديه أوقات ثابتة؟

- الاثنين والخميس من الثامنة حتى منتصف الليل، وهو دقيق في مواعيده.

قال الرجل وهو ينظر إلى زميلته:

- الليلة أيضاً؟ حسناً... شكراً على مساعدتك.

تنفس بور الصعداء، واكتشف أن ساقيه كانتا تؤلمانه، فقد كان يقف على أطراف أصابعه طوال الوقت.

- على الرحب والسعة.

مشى الشرطيان نحو الباب، وكان بور يعرف أن عليه إبقاء فمه مغلقاً، لكنه لن يتمكن من النوم ما لم يحصل على طمأنة.

فقال وهما يغادران:

- لكن... هناك اتفاق بيننا. أليس كذلك؟

التفت الشرطي إليه رافعاً أحد حاجبيه باستغراب:

- حول ماذا؟

بلع بور لعابه:

- حول هذا... التفتيش؟

فرك الشرطي ذقنه:

- هل تلمح إلى أنك تخفي شيئاً؟

رمش بور مرتين، ثم سمع ضحكته الحادة حين انفجرت:

- لا لا، بالطبع لا! هههه... كل شيء هنا نظامي.

- ممتاز. إذاً لن تخشى شيئاً حين يأتون، فالتفتيش ليس مسؤوليتي.

غادرا تاركين بور فاتحاً فمه، وعلى وشك الاعتراض وقول شيء لم يكن يعلم ما هو.

رحب رنين الهاتف بهاري لدى عودته إلى مكتبه.

- كانت راكيل تريد إعادة القرص المضغوط الذي استعارته منه.

ردد هاري مستغرباً:

- "قواعد الانجذاب" ؟ هل أخذته؟

- لقد قلت إنه كان على قائمتك لأكثر الأفلام الحديثة التي لم تحصل على حقها في التقييم.

- نعم، لكنك لا تحبين هذا النوع من الأفلام.

- هذا ليس صحيحاً.

- لم تحبـي "فرسان الكوكب" .

- لأنه فيلم عنيف وتافه.

- إنه ساخر.

- حول ماذا؟

- الفاشية الفطرية في المجتمع الأمريكي.

- كفاك ياهاري... حرب ضد حشرات ضخمة على كوكب بعيد؟

- الخوف من الغرباء.
- بكل الأحوال، لقد أحببت فيلمك للسبعينيات حول إزعاج...
- "المحادثة" . إنه الأفضل لكوبولا.
- هذا هو... أعتقد أنه لم يحصل على التقييم الذي يستحقه.

تنهد هاري:

- لم يكن الأمر أنه لم يحصل على التقييم الذي يستحقه وإنما تم نسيانه، فقد تم ترشيحه لجائزة الأوسكار كأفضل فيلم.
- سأتناول العشاء مع بعض الأصدقاء هذا المساء، ويمكنني إيصال الفيلم أثناء عودتي إلى البيت. هل ستكون مستيقظاً حوالى منتصف الليل؟
- ربما. لم لا تمرين في طريقك ذهاباً بدلاً من ذلك؟
- سأكون متوترة قليلاً لكنني سأفعل ذلك بالطبع.

جاء جوابها سريعاً لكن ليس بما فيه الكفاية لئلا يلاحظه هاري، فقال:

- ممم. لن أتمكن من النوم بكل الأحوال. فأنا أتنشق الفطور ولا يمكنني حبس أنفاسي.
- أتعلم ماذا؟ سأضعه في صندوق البريد في الأسفل لئلا تضطر للاستيقاظ. اتفقنا؟
- حسناً.

أنهيا الاتصال، ولاحظ هاري أن يده ترتجف، وتوصل إلى نتيجة؛ وهي أن ذلك يعود إلى حاجة جسمه إلى النيكوتين فتوجه نحو المصعد.

خرجت كاترين من مكتبها كما لو كانت تعلم أنه هو من يخطو في الأرجاء:

- تحدثت مع إسبن ليبسفيك، ويمكننا استخدام أحد رجاله للعمل الليلة.
- عظيم.
- هناك أخبار جيدة؟
- ماذا؟
- أنت مبتسم.
- حقاً؟ إذاً، لا بد أنني سعيد؟
- بماذا؟

ربت على جيبه وقال:

- السجائر.

كانت إيلي كفال جالسة إلى طاولة المطبخ مع كوب من الشاي، وهي تنظر إلى الحديقة وتستمع للهدير المريح الصادر عن أداة غسل الأطباق. كان الهاتف الأسود على الرف، بينما أصبحت السماعة ساخنة في يدها وهي تضغط عليها بقوة، لكن الرقم كان خاطئاً. لقد استمتع تريغف بالسمك، حيث قال إنه طبقه المفضل؛ لكنه قال ذلك عن معظم الأشياء، فقد كان صبياً صالحاً. في الخارج، كان العشب بنياً وميتاً، ولم تكن هناك أي آثار على الثلج الذي تساقط. من يعلم؟ ربما تكون قد حلمت بكل شيء؟

تصفحت مجلة بلا هدف. كانت قد علمت أن تريغف سيبقى في المنـزل خلال الأيام الأولى، لذا سيكون لديهما بعض الوقت ليتحدثا معاً وحدهما. لكنه الآن يجلس مع أندريه في غرفة الجلوس، ويفعلان ما أفسحت له المجال. كان ذلك جيداً، فهناك الكثير ليتكلما عنه، فقد كانا متشابهين كثيراً. كما أنها دائماً أحبت فكرة الحديث أكثر من الواقع؛ لأن المحادثة تتوقف دائماً في نقطة ما عند حاجز لا يمكن تجاوزه في الغالب.

بالطبع لقد وافقت على تسمية الصبـي على اسم والد أندريه... على الأقل لتمنح الصبـي اسماً من طرف أندريه، فقد كانت على وشك كشف الأمر قبل موعد ولادتها، وعلى وشك الاعتراف بما حصل في مرأب السيارات الفارغ، وعلى وشك إخباره عن الظلام والآثار السوداء في الثلج والسكين الموضوعة على رقبتها والنفس المجهول على خدها.

في ما بعد، كانت كثيراً ما تتساءل عمّا كان سيحدث لو لم يكن أندريه رجل دين ولا يقبل بالإجهاض على الإطلاق، أو لو لم تكن جبانة لهذه الدرجة... لو لم يولد تريغف... ثم ظهر الحاجز... حاجز لا يهتز من الصمت.

كون تريغف وأندريه متشابهين أمر جيد، ويشع بالقليل من الأمل. لذا، ذهبت إلى عيادة طبيب حيث لا يعرفها أحد، وأعطتهم شعرتين كانت قد أخذتهما من على وسادتيهما؛ حيث كانت قد قرأت أنهما كافيتان لمعرفة رمز شيء يدعى الحمض النووي وهو نوع من البصمة الوراثية. أرسلت العيادة الشعرتين إلى معهد الطب الشرعي في ريكشوبيتالت الذي كان يستخدم هذه الطريقة الجديدة في قضايا الأبوة. وبعد شهرين، تلاشت جميع الشكوك، فلم يكن ذلك مجرد حلم: مرأب السيارات، والآثار السوداء، واللهاث، والألم.

نظرت إلى الهاتف مجدداً... بالطبع كان الرقم خطأ. كان التنفس الذي سمعته على الطرف الآخر مجرد رد فعل مرتبك لسماع صوت غير متوقع، ونتيجة للحيرة بين إغلاق السماعة أو لا. هذا كل ما في الأمر.

توجه هاري إلى الصالة ورفع سماعة المدخل.

- ألو؟

صرخ رافعاً صوته على صوت فرانـز فيرديناند الذي يصدح من مسجل غرفة الجلوس. لم يأته أي جواب، وإنما سمع صوت سيارة تهدر في بوابة صوفيز.

- ألو؟
- أهلاً. أنا راكيل... هل كنت نائماً؟
- لا. هل قضيت أمسية جيدة؟
- نعم.
- الساعة هي الحادية عشرة فقط.
- أرادت الفتيات أمسية مبكرة، إذ لدينا عمل غداً.
- ممم.

تخيلها هاري بنظرتها الساخرة والبريق في عينيها.

- لقد أحضرت لك الفيلم، ولأتمكن من وضعه في صندوق البريد الخاص بك يجب عليك أن تفتح لي.
- حسناً.

رفع إصبعه ليضغط على الجرس ليدخلها، غير أنه انتظر قليلاً، حيث كان يعرف أن ذلك يمنحه بعض الوقت... كانت لديهما ثانيتان... في تلك اللحظة، كانت لديهما ثانيتان للتراجع؛ وكان يعلم جيداً أنه لا يريد لذلك أن يحدث؛ إذ إن الأمر معقد جداً ومؤلم جداً. إذاً، لم كان يتنهد كما لو كان لديه قلبان؟ لِمَ لم يضغط مباشرة على الزر لتدخل وتخرج من البناء ومن رأسه؟ الآن سيفعل ذلك، ووضع رأس إصبعه على الزر البلاستيكي القاسي.

- أو يمكنني الصعود لإعطائك إياه.

كان هاري يعرف قبل أن يتكلم أن صوته سيبدو غريباً.

- ليس عليك ذلك. صندوق البريد الخاص بـي هو الذي لا يوجد عليه اسم. تصبحين على خير.
- تصبح على خير.

ضغط على الزر، وعاد إلى غرفة الجلوس، ورفع صوت فرانـز فيرديناند محاولاً تصفية أفكاره ونسيان توتر أعصابه الغبـي بينما يمتص الصوت فقط وهجمات الغيتار الغاضبة وغير الدقيقة، لكن صوتاً آخر انضم لسلسلة الأصوات المحمومة.

أخفض هاري صوت الموسيقى واستمع. كان على وشك رفع الصوت مجدداً حين سمع صوتاً كورق الزجاج على الخشب أو كاحتكاك الحذاء بالأرض. توجه إلى الصالة فرأى شخصاً يقف خلف الزجاج المموج للباب.

فتح الباب.

قالت راكيل له معتذرة:

- لقد رننت الجرس.

- حقاً؟

لوحت بأسطوانة مضغوطة:

- لم تدخل في الثقب.

كان على وشك قول شيء ما حيث أراد قول شيء ما، لكنه مد ذراعيه وأمسكها وسحبها إليه ليسمع لهاثها وهو يشدها إليه ويرى فمها ينفتح، ولم يكن هناك شيء يقولانه.

استكانت له ناعمة ودافئة.

همست:

- يا إلهي.

قبلها من جبينها.

كان العرق طبقة رقيقة فصلتهما وألصقتهما ببعضهما.

كان الأمر كما عرف أنه سيكون... كالمرة الأولى... لكن من دون التوتر والارتباك والأسئلة غير المطروحة. كان كالمرة الأخيرة؛ لكن من دون الحزن وبكائها في ما بعد. يمكنك ترك أحد ما تقيم علاقة جيدة معه. لكن كاترين كانت محقة، فأنت تعود دائماً. لكن هاري يعلم أن هذا مختلف أيضاً، فبالنسبة لراكيل كانت هذه الزيارة زيارة أخيرة وضرورية للحقول القديمة، ووداعاً لما أسمياه الحب العظيم في حياتيهما قبل أن تدخل حقبة جديدة... إلى حب أقل؟ ربما، لكنه حب دائم.

حين سألها أحس بها تجفل.

- لا أريد أن أتكلم عن ذلك.

لم يرد أن يتكلم عن ذلك أيضاً، حيث أراد أن يستلقي بسكون، ويستمع إلى نفسها، ويشعر بيدها على بطنه... لكنه علم ما عليها فعله،

ولم يكن يرغب بأي تأجيل.

- إنه بانتظارك ياراكيل.

- لا. هو والتقني يحضران جثة لمحاضرة في قسم التشريح صباح الغد، وقد أخبرته أنه لن يقترب مني بعد لمس جثة. لذا، سينام في بيته.

ابتسم هاري في الظلام وهو يفكر أنها خططت لهذا وعرفت أنه سيحصل:

- ماذا عني؟ كيف تعرفين أنني لم ألمس جثة؟

- هل فعلت؟

قال هاري وهو يفكر في علبة السجائر في الدرج المجاور للسرير:

- لا. ليس لدينا أي جثث.

قال من دون أي مقدمات:

- لدي شعور بأنني مراقب.

- ما الذي تعنيه؟

- لا أعرف تماماً. إنه مجرد شعور بأن أحداً ما يراقبني طوال الوقت، وأن هذا الشخص يراقبني الآن... إنني جزء من خطة أحد ما. هل تفهمينني؟

استكانت إليه وقالت:

- لا.

- إنها القضية التي أعمل عليها. إنها كما لو أنني شخصياً متورط في...

عضت أذنه:

- أنت دائماً متورط ياهاري، وهذه هي مشكلتك... استرخِ.

عند الساعة الثالثة، نهضت من السرير فرأى ظهرها في ضوء مصباح الشارع عبر النافذة... الظهر المتقوس وظل عمودها الفقري، وبدأ يفكر في شيء قالته كاترين، وهو أن سيلفيا أوترسون لديها وشم العلم الأثيوبي على ظهرها... عليه أن يتذكر أن يذكر ذلك في التقرير. كما أن راكيل محقة، فهو لا يتوقف عن التفكير في القضايا التي يعمل عليها.

رافقها إلى الباب، حيث قبلته بسرعة على فمه واندفعت على السلم... لم يكن هناك شيء يقال. كان على وشك إغلاق الباب حين رأى آثار أقدام مبللة خارج الباب، فتبعها إلى حيث اختفت في ظلام السلم. لا بد أنها لراكيل حين صعدت إليه. وفكر في فقمات بيرهاوس، وفي الإناث التي تنتهي من التزاوج مع الذكور في فترة التزاوج، ثم لا تقبل بالتزاوج مع الذكر

نفسه في فترة التزاوج التالية؛ لأن ذلك غير منطقي بيولوجياً. لا بد أن فقمات بيرهاوس مخلوقات ذكية.

13 - اليوم الثامن

ورق

كانت الساعة الثامنة والنصف، والشمس مشرقة على سيارة وحيدة تجول في أرجاء معبر سجوليست فوق الطريق السريع، ثم تنعطف إلى بيغدويفين المؤدية إلى شبه الجزيرة الريفية التي تبعد خمس دقائق بالسيارة عن ساحة سيتي هول. كان المحيط هادئاً، ولم تكن هناك أي سيارات تقريباً، ولا بقرات ولا أحصنة في مزرعة كونغزغاردن، كما كانت الممرات الضيقة التي يعبرها الناس للوصول إلى الشواطئ في الصيف مهجورة.

لف هاري بالسيارة حول المنعطفات في الأرض الملتوية مستمعاً لكاترين.

- ثلج.
- ثلج؟!
- فعلت كما قلت لي... ركزت على النساء المتزوجات اللواتي لديهن أطفال واختفين، ثم بدأت بالنظر إلى التواريخ، فكان معظم هذه الحالات يحصل في نوفمبر وديسمبر. وبعد ذلك بحثت في الانتشار الجغرافي فكان معظمها في أوسلو. كان هناك بعض الحالات في أجزاء أخرى من البلاد، لكن ما أذهلني هو الرسالة التي تلقيتَها؛ وتحديداً الجزء المتعلق برجل الثلج الذي يظهر مع أول تساقط للثلج. ففي اليوم الذي كنا فيه في هوفسفين كان الثلج قد تساقط لأول مرة في أوسلو.
- حقاً؟
- تحققت من معهد الأرصاد الجوية حول التواريخ والأماكن المعنية، وهل تعلم ماذا؟

كان هاري يعلم ما توصلت إليه، ويعلم أنه كان عليه أن يدرك ذلك منذ أمد.

- أول تساقط للثلج. إنه يقتلهن في يوم تساقط الثلج لأول مرة.
- بالضبط.

ضرب هاري على العجلة:

- يا إلهي... لقد اتضح لنا الأمر. كم عدد النساء المفقودات؟
- إحدى عشرة. واحدة كل سنة.
- واثنتان هذه السنة. لقد غير نمطه.
- كانت هناك جريمة قتل وحالتا اختفاء حين تساقط الثلج لأول

مرة في بيرغن عام 1992. أعتقد أن علينا البدء من هناك.

- لماذا؟

- لأن الضحية كانت امرأة متزوجة ولديها طفل، والمرأة المختفية صديقتها المفضلة. لذا لدينا جثة واحدة ومسرح جريمة واحد، وملفات قضية، بالإضافة إلى مشتبه به اختفى ولم يظهر منذ ذلك الحين.

- من هو؟

- شرطي... إنه غيرت رافتو.

نظر إليها هاري للحظة وقال:

- آه، تلك القضية. أليس هو الشرطي الذي كان يسرق الأشياء من مسرح الجريمة؟

- هذا ما يقال. لقد رأى الشهود رافتو يتجه إلى شقة إحدى المرأتين أوني هيتلاند قبل اختفائها، ولم يتوصل البحث المكثف لأي نتيجة، فقد اختفيا بلا أثر.

حدق هاري إلى الأشجار العارية على طول طريق هاك أفيني المؤدي إلى البحر والمتاحف؛ ما اعتبره النروجيون أعظم إنجازات الأمة: رحلة في طوف عبر المحيط الهادئ، ومحاولة فاشلة للوصول إلى القطب الشمالي.

- والآن، أنت تعتقدين أنه من المرجح أنه لم يختف؟ وأنه ربّما يعاود الظهور كل سنة عند أول ظهور للثلج؟

رفعت كاترين كتفيها:

- أعتقد أن الأمر يستحق التضحية ببعض الوقت لمعرفة ما حدث هناك.

- علينا البدء بطلب المساعدة من بيرغن.

- ما كنت لأفعل ذلك.

- حقاً؟

- قضية رافتو لا تزال قضية حساسة جداً للشرطة في بيرغن، فقد وضعوا موارد هائلة في تلك القضية لدفنها وليس للتحقيق فيها. لقد كانوا مرتعبين مما كان من الممكن أن يكتشفوه. وبما أن الرجل اختفى من تلقاء نفسه...

ثم رسمت إشارة ضرب كبيرة في الهواء.

- فهمت... لكن، ما الذي تقترحينه؟

- أن نذهب إلى بيرغن ونقوم ببعض التحقيقات بأنفسنا؛ فقد أصبحت القضية الآن جزءاً من قضية جريمة قتل في أوسلو.

ركن هاري سيارته أمام العنوان... بناء حجري من أربعة طوابق إلى جانب الماء، ومحاط برصيف للسفن. أوقف عمل المحرك لكنه بقي جالساً على مقعده، ينظر عبر خليج فروغنركايلن إلى مرفأ فيليبستاد.

- كيف وصلت قضية رافتو إلى لائحتك. أولاً، هي بعيدة في الزمن عن الفترة التي طلبت منك البحث فيها. وثانياً، أعتقد أنها ليست قضايا أشخاص مفقودين وإنما جريمة قتل.

التفت إلى كاترين فالتقت عيونهما من دون أن ترمش.

- قضية رافتو مشهورة نوعاً ما في بيرغن، كما كانت هناك صورة.

- صورة؟

- نعم. يتم عرضها على جميع المتدربين الجدد في مركز شرطة بيرغن. كانت الصورة لمسرح الجريمة في أعلى جبل أولريكن. أعتقد أن الغالبية كانوا يرتعبون من التفاصيل في المقدمة لدرجة أنهم كانوا لا ينظرون إلى الخلفية، أو لم يصعدوا من قبل إلى أولريكن. على أي حال، كان هناك شيء لا يمكن فهمه... رابية في الخلف... وحين تكبر الصورة يمكنك معرفة ما هي.

- أوه!

- رجل ثلج.

هز هاري رأسه ببطء.

- بمناسبة الحديث عن الصور.

قالت كاترين ذلك وأخرجت من حقيبتها مغلّفاً بحجم A4 ورمته في حضن هاري.

كانت العيادة في الطابق الثاني، وتضم غرفة انتظار مصممة بتكاليف باهظة، وتحتوي على مفروشات إيطالية وطاولة قهوة ومنحوتات زجاجية لنيكو وايدربيرغ وصورة أصلية لروي لايشتنشتاين تظهر مسدساً يتصاعد منه الدخان.

بدلاً من مساحة الاستقبال الإلزامية ذات الحاجز الزجاجي، كانت هناك امرأة جالسة وراء مقعد قديم وجميل في منتصف الغرفة، مرتدية معطفاً أبيض مفتوحاً فوق بذلة عمل زرقاء وتبتسم بترحيب... ابتسامة لم تتيبس حين قدّم هاري نفسه وذكر هدف زيارتهما، وافترض أنها بورغهيلد.

- هل يمكنك الانتظار للحظة؟

قالت ذلك وهي تشير إلى الأرائك بأناقة متدرب عليها كمضيفة جوية

تشير إلى مخارج الطوارئ. رفض هاري عرض القهوة أو الشاي أو الماء بينما جلس في مكانه.

لاحظ هاري أن المجلات الموضوعة جانباً كانت حديثة، ففتح نسخة من مجلة ليبيرال ليلفت انتباهه القائد الذي ادعى آرف ستوب به استعداد السياسيين للظهور في برامج الترفيه للتباهي بأنفسهم، وأن أداء دور المهرج هو النصر المطلق للحكومة، حيث يجلس العامة على العرش ليكون السياسيون مهرجي البلاط.

ثم انفتح الباب الذي علقت عليه لافتة إيدار فيتليسين ، وخطت امرأة بسرعة عبر غرفة الانتظار لتلقي تحية الوداع بسرعة على بورغهيلد وتخرج من دون الالتفات يمنة أو يسرى.

حدقت كاترين فيها:

- ألم تكن تلك المرأة من نشرة أخبار القناة الثانية؟

في تلك اللحظة، أعلنت بورغهيلد أن فيتليسين مستعد لاستقبالهما، وتوجهت نحو الباب لتفتحه لهما.

كان مكتب إيدار فيتليسين بحجم مكتب مدير عام بإطلالة على خليج أوسلو، وكانت الشهادات معلقة في أطر على الجدار خلف طاولة المكتب.

- لحظة واحدة.

قال فيتليسين ذلك وهو يكتب من دون أن يحوّل نظره عن شاشة الحاسب، ثم وبتعابير النصر قام بالضغط على آخر زر، ودار في كرسيه مزيلاً نظارته.

- شد وجه ياهول أم شفط دهون؟

- شكراً على العرض. هذه الشرطية برات. لقد جئنا مجدداً لطلب مساعدتك بالمعلومات حول أوترسون وبيكر.

تنهد إيدار فيتليسين وبدأ بتنظيف عدستي نظارته بمنديل.

- كيف يمكنني شرح ذلك لك بطريقة تفهمها ياهول؟ حتى بالنسبة إلى شخص مثلي لديه رغبة حقيقية وملحة بمساعدة الشرطة لا يمكنني تجاهل المبادئ. طوال السنوات التي عملت فيها كطبيب لم أقم قطّ بالحنث بالقسم، وأنا لا أنوي القيام بذلك الآن.

تلا ذلك صمت طويل نظر فيه فيتليسين إليهما وهو يشعر بالرضا على التأثير الذي خلفه.

سعل هاري:

- ربما يمكننا تحقيق رغبتك الملحة بالمساعدة يافيتليسين، فنحن

نحقق في قضية استغلال الأطفال في فندق في أوسلو يدعى ليون. في الليلة الماضية، كان هناك ضابطان من ضباطنا في الخارج في سيارة يلتقطان الصور للأشخاص الداخلين والخارجين.

فتح هاري المغلف البني الذي أعطته إياه كاترين، وانحنى إلى الأمام ليضع الصور أمام الطبيب.

- هذا أنت. أليس كذلك؟

بدا فيتليسين كما لو أن شيئاً ما قد سد حنجرته، فقد جحظت عيناه وبرزت عروق رقبته.

تلعثم:

- أنا... أنا... لم أقم بشيء خاطئ أو ممنوع.

- لا. على الإطلاق. نحن نفكر باستدعائك فقط كشاهد، ويمكنك قول ما يحدث هناك. من المعروف أن فندق ليون مركز لبائعات الهوى وزبائنهن، لكن الجديد في الأمر أن الأطفال بدأوا بالظهور هناك. وبخلاف ذلك، إن هناك استغلالاً للأطفال، لذا فكرت بإعلامك قبل أن نكشف عن القضية للإعلام.

حدق فيتليسين إلى الصور وهو يفرك وجهه بقوة.

- بالمناسبة، لقد رأينا للتو مذيعة أخبار القناة الثانية تخرج من عندك. ما كان اسمها؟

لم يجب فيتليسين، وبدا كأن كل شبابه الناعم قد ذوى أمام عيونهما؛ كما لو أن وجهه قد هرم خلال ثانية من الزمن.

- اتصل بنا في حال وجدت ثغرة في القسم.

كان هاري وكاترين في طريقهما إلى الباب حين أوقفهما فيتليسين.

- كانتا هنا للخضوع للفحص. هذا كل ما في الأمر.

- ما نوع الفحص؟

- مرض.

- ما هو المرض؟

- إنه غير مهم.

قال هاري وهو يتجه إلى الباب:

- حسناً. حين يتم استدعاؤك كشاهد يمكنك النظر للأمر من هذا المنظور. إنه غير مهم، ففي كل الأحوال نحن لم نجد أي شيء غير قانوني.

- انتظر!

التفت هاري فرأى فيتليسين مسنداً رأسه إلى يديه:

- متلازمة فاهر.
- متلازمة فاتر؟
- فاهر. ف.ا.هـ.ر، وهو مرض وراثي نادر كالزهايمر؛ حيث تتدهور المهارات الحركية وخاصة في المجالات الإدراكية، كما يصبح هناك بعض التشنج في الحركة. يظهر المرض في معظم الحالات بعد عمر الثلاثين، لكن من الممكن ظهوره في مرحلة الطفولة.
- ممم. إذاً، هل كانت بيرت وسيلفيا تعرفان أن أطفالهما يعانون من هذا المرض؟
- كانتا تشكان في الأمر حين جاءتا، إذ من الصعب تشخيص متلازمة فاهر، وقد زارت بيرت بيكر وسيلفيا أوترسون العديد من الأطباء، على الرغم من عدم التوصل إلى نتيجة حاسمة مع أطفالهما. وأذكر أن كلتيهما بحثتا في الإنترنت، وكتبتا الأعراض، واكتشفتا فاهر الذي كان مناسباً تماماً.
- لذا جاءتا إليك؟! جراح تجميلي؟!
- يصدف أنني اختصاصي بمرض فاهر.
- يصدف؟
- هناك ثمانية عشر ألف طبيب في النروج. وهل تعرف عدد الأمراض المعروفة في العالم؟ أشار فيتليسين برأسه إلى جدار الشهادات. صدف أن متلازمة فاهر كانت جزءاً من دورة حضرتها في سويسرا حول القنوات العصبية. وإن القليل الذي تعلمته يكفي لأكون اختصاصياً في النروج.
- ما الذي يمكنك إخبارنا به عن بيرت بيكر وسيلفيا أوترسون؟

هز فيتليسين كتفيه:

- جاءتا إلى هنا مع أطفالهما مرة في السنة، وقمت بفحصهم، لكنني لم أتمكن من تحديد أي تدهور في حالتهم. وباستثناء ذلك، لا أعرف أي شيء عن حياتيهما أو موتهما.

سأل هاري وهو يقود عبر الحقول الخالية:

- هل تصدقينه؟
- ليس تماماً.
- ولا أنا. أعتقد أن علينا التركيز على هذا الأمر ونسيان أمر بيرغن في الوقت الحالي.
- لا.

- لا؟
- هناك صلة في مكان ما هناك.
- وهي؟
- لا أعرف. يبدو الأمر غبياً، لكن من الممكن أن تكون هناك صلة بين رافتو وفيتليسين. ربما هكذا تمكن رافتو من الاختباء طوال تلك السنوات.
- ما الذي تعنينه؟
- أعني أنه ببساطة حصل لنفسه على قناع... قناع حقيقي... شد وجه.
- من فيتليسين؟
- يمكن لذلك أن يفسر مصادفة وجود ضحيتين لدى طبيب واحد. ربما يكون رافتو قد رأى بيرت وسيلفيا في العيادة واختارهما لتكونا ضحيّتيه.
- أنت تتسرعين.
- أتسرع؟
- هذا النوع من التحقيق في جرائم القتل شبيه بالأحجية... في المرحلة الأولى، تجمعين القطع وتلعبين بها بصبر. أما ما تفعلينه أنت الآن فهو أنك تحاولين وضع القطع في أماكنها... لا يزال الوقت باكراً على ذلك.
- أنا أتكلم بصوت مرتفع فحسب لأرى إن كانت الأفكار تبدو غبية.
- إنها تبدو غبية.
- هذا ليس الطريق إلى مركز الشرطة.

أحس هاري بالفضول في صوتها فرمقها، لكن وجهها لم يبد أي تعابير.

- أرغب بالتحقق من بعض الأشياء التي أخبرنا عنها فيتليسين من شخص أعرفه ويعرف فيتليسين.

كان ماثياس يرتدي معطفاً أبيض وقفازين أصفرين حين استقبل هاري وكاترين في المرأب تحت بريكلينيكال؛ وهو الاسم المعتاد للبناء البني في جزء من مشفى غوستاد المواجه لطريق رينغ 3 السريع.

أرشد سيارتهما لما تبين أنها مساحة الركن الخاصة به.

قال ماثياس وهو يستخدم بطاقته لفتح الباب المؤدي من المرأب إلى ممر قبو في قسم التشريح:

- أحاول ركوب الدراجة قدر الإمكان. هذا النوع من المداخل عملي لنقل الجثث. كنت أرغب بتقديم القهوة لكما، لكنني انتهيت لتوي من العمل مع مجموعة من الطلاب وستصل المجموعة الثانية بعد قليل.

- آسف على الإزعاج. لا بد أنك متعب اليوم.

رمقه ماثياس بنظرة فضولية.

- كنت أتكلم مع راكيل عبر الهاتف، وقد قالت إنك عملت البارحة حتى وقت متأخر.

حين قال هاري ذلك بدأ بشتم نفسه متمنياً أن تعابير وجهه لم تظهر شيئاً.

هز ماثياس رأسه:

- راكيل... نعم. لقد خرجت هي أيضاً حتى وقت متأخر مع صديقاتها؛ مما اضطرها لأخذ إجازة من العمل اليوم. لكن، حين اتصلت بها كانت في منتصف عملية تنظيف كبيرة في المنـزل... ياللنساء! ما رأيك؟

ابتسم هاري قليلاً، وفكر إن كان هناك رد محدد لهذا السؤال.

مر رجل يرتدي ملابس مشفى خضراء وهو يجر طاولة معدنية باتجاه باب المرأب.

سأل ماثياس:

- أهي توصيلة أخرى لجامعة ترومسو؟

ابتسم الرجل الذي يرتدي الملابس الخضراء ويضع صفاً من الأقراط الصغيرة في إحدى أذنيه كحلقات الرقبة التي تضعها نساء الماساي؛ باستثناء أن هذه الأقراط منحت وجهه عدم تناسق مزعج، وقال:

- قل وداعاً لكجيلدسين.

سأل ماثياس:

- كجيلدسين؟ حقاً؟

- بعد ثلاثين سنة من الخدمة، حان الآن دور جامعة ترومسو لتشرحه.

رفع ماثياس الغطاء ليلمح هاري الجثة. كانت البشرة فوق الجمجمة مشدودة، حيث شدت تجاعيد الرجل العجوز إلى وجه لا يمكن تحديد جنسه وأبيض كقناع من اللاصق. كان هاري يعلم أن سبب ذلك يعود إلى أن الجثة كانت محفوظة؛ أي أن الشرايين مملوءة بخليط من الفورمالين والغليسرين والكحول لضمان عدم تحلل الجثة من الداخل، كما تم ربط لوحة معدنية محفورة عليها ثلاثة أرقام بإحدى أذنيه. وقف ماثياس يشاهد

المساعد وهو يدفع كجيلدسين نحو باب المرأب، ثم بدا كما لو أنه استفاق من جديد:

- آسف. لقد كان كجيلدسين معنا منذ أمد طويل. لقد كان أستاذاً في قسم التشريح حين كان في مركز المدينة. إنه عالم تشريح لامع بعضلات واضحة... سنفتقده.

قال هاري:

- لن نؤخرك كثيراً. كنا نتساءل إن كان بإمكانك إخبارنا شيئاً عن علاقة إيدار بمريضاته من النساء وأطفالهن.

رفع ماثياس رأسه، ونظر بدهشة إلى هاري ثم إلى كاترين ثم إلى هاري مجدداً.

- هل تسألني ما أعتقد أنك تسألني عنه؟

هز هاري رأسه.

قادهما ماثياس عبر باب، حيث دخلوا غرفة فيها ثماني طاولات معدنية ولوح في نهايتها. كانت الطاولات مجهزة بمصابيح ومغاسل، وكان على كل طاولة شيء مستطيل ملفوف بمناشف بيضاء. ومن تقديره لشكل هذا الشيء وحجمه خمن هاري أن موضوع اليوم يقع في مكان ما بين الورك والقدم. كانت هناك رائحة خفيفة لمسحوق التبييض، لكنها ليست قوية بالقدر الذي اعتاد عليه هاري في غرفة التشريح في معهد الطب الشرعي. جلس ماثياس على أحد المقاعد، بينما جلس هاري على حافة طاولة المحاضر، وتوجهت كاترين إلى إحدى الطاولات لتفحص ثلاثة أدمغة: كان من المستحيل معرفة إن كانت نماذج أو حقيقية.

فكر ماثياس مطولاً قبل أن يجيب:

- شخصياً، لم ألاحظ أو أسمع أحداً يشير إلى وجود أي شيء بين إيدار وأي من مرضاه.

شيء ما في تشديده على كلمة مرضاه دفع هاري لكي يسأل:

- ماذا عن غير المرضى؟

- لا أعرف إيدار جيداً لأعلق على هذا. لكنني أعرفه جيداً لأفضل عدم التعليق إن كان ذلك مناسباً؟

وابتسم ابتسامة خفيفة.

- بالطبع. هناك أمر آخر أريد سؤالك عنه. متلازمة فاهر... هل تعرف ما هي؟

- بشكل سطحي... إنه مرض فظيع... ولسوء الحظ وراثي...

- هل تعرف أي طبيب نروجي مختص بهذا المرض؟

فكر ماثياس:

- لا أذكر أحداً حالياً.

حك هاري رقبته.

- حسناً. شكراً لمساعدتك يا ماثياس.

- على الرحب والسعة. إن كنت تريد معرفة المزيد عن متلازمة فاهر، فبإمكانك الاتصال بـي ليلاً حين تكون هناك بعض الكتب بالقرب مني.

وقف هاري ومشى نحو كاترين التي كانت قد رفعت غطاء أحد الصناديق الأربعة المجاورة للجدار، وحدق من فوق كتفها. وخزه لسانه... ليس بسبب أعضاء الجسم المنقوعة بالكحول، والتي تبدو كقطع من اللحم لدى الجزار، وإنما بسبب رائحة الكحول... أربعون بالمائة.

قال ماثياس:

- نبدأ بها كقطعة واحدة، ثم نقطعها حين نحتاج لعضو واحد.

لاحظ هاري وجه كاترين التي بدت غير متأثرة على الإطلاق، ثم فتح الباب من ورائهم ليدخل الطلاب ويبدأوا بارتداء معاطف زرقاء وقفازات مطاطية بيضاء.

تبعهما ماثياس إلى المرأب. وعند الباب، أمسك ماثياس بذراع هاري وأرجعه إلى الوراء.

- هناك أمر صغير ينبغي أن أذكره يا هاري، أو أن لا أذكره... لست متأكداً.

- قله.

حين قال هاري ذلك كان يفكر في أن ماثياس قد علم بما حصل بينه وبين راكيل.

- أنا في مأزق أخلاقي بسيط هنا... الأمر متعلق بإيدار.

- أوه حسناً؟

كان هاري يشعر بخيبة الأمل وليس الارتياح.

- أنا متأكد من أن الأمر لا يعني شيئاً، لكن خطر ببالي أنه ليس من صلاحياتي أن أقرر، وأنه لا يمكنني السماح للولاء أن يطغى في مثل هذه الحالة الفظيعة مهما كان الأمر. في السنة الماضية، حين كنت أعمل في أ.ي توجهت مع أحد زملائي الذين يعرفون إيدار أيضاً إلى بوستكافين لتناول الفطور بعد مناوبة ليلية. إنه مقهى يفتح عند بزوغ الفجر ويقدم

الشراب. لذا، الكثير من الناس الذين يستيقظون باكراً يجتمعون هناك، بالإضافة إلى بعض المساكين.

- أعرف المكان.

- ما أثار دهشتنا أننا وجدنا إيدار هناك. كان يجلس إلى الطاولة مع صبـي صغير متسخ يرتشف الحساء. عند رؤيتنا، قفز إيدار مصدوماً، وصرفنا بعيداً بعذر ما. ولم أفكر في الموضوع بعد ذلك حتى قلت لي هذا، فتذكرت ما فكرت فيه في ذلك الحين؛ وهو أنه ربما... أنت تعلم.

- أعلم.

حين قال هاري ذلك، رأى تعابير الندم على وجه محدثه فأضاف:

- لقد فعلت الأمر الصائب.

ابتسم ماثياس:

- شكراً، لكنني أشعر كما لو أنني خائن.

حاول هاري قول شيء منطقي، لكن كل ما استطاع فعله هو مد يده وتمتمة:

- شكراً.

ثم ارتعش وهو يضغط على قفاز ماثياس البارد.

بينما كانا عائدين عبر سليمدالسفين فكّر هاري وقال:

- اتصلي بالعيادة.

سمع صوت أصابع كاترين السريعة وأصوات الطنين الصغيرة، ثم ناولته الهاتف المحمول.

أجابت بورغهيلد بمزيج من اللطف والكفاءة.

- معك هاري هول. أخبريني، من ينبغي أن أقابل إن كنت أعاني من متلازمة فاهر؟

صمت.

قالت بورغهيلد بعجلة:

- الأمر يتوقف على...

- على ماذا؟

- على المتلازمة التي لدى والدك حسبما أعتقد.

- حسناً. هل إيدار فيتليسين هنا؟

- لقد رحل اليوم.

- حقاً؟

- لديه مباراة كرلنغ. حاول مجدداً غداً.

أظهرت نفاد صبرها، مما جعل هاري يفترض أنها كانت على وشك المغادرة.

- في نادي بيغدوي للكرلنغ؟
- لا. النادي الخاص في غيمل.
- شكراً... استمتعي بأمسيتك.

أعاد هاري الهاتف لكاترين.

- سنحضره.
- من هو؟
- الاختصاصي الذي لديه مساعدة لم تسمع من قبل بالمرض المختص به.

بعد السؤال عن الطريق وجدا فيلا غراند؛ وهي ملكية فخمة كانت تعود خلال الحرب العالمية الثانية للنروجي الذي كان اسمه- بخلاف بحار الطوف ومستكشف القطب الشمالي- معروفاً خارج النروج: كيسلينغ الخائن.

في أسفل المنحدر، إلى جنوب المبنى، كان هناك منـزل خشبـي مستطيل يشبه ثكنة عسكرية قديمة. وما إن تدخل المبنى حتى تشعر بالبرد يصفعك، لتهبط الحرارة أكثر عندما تعبر الباب التالي.

كان هناك أربعة رجال على الجليد ترتد صرخاتهم من على الجدران الخشبية، ولم يلاحظ أي منهم دخول هاري وكاترين، حيث كانوا يصرخون وهم يلاحقون حجراً لامعاً ينـزلق عبر حلبة التزلج.

همست كاترين:

- رياضة المتكبرين... انظر إليهم.

لم يجب هاري، فقد كان يحب الكرلنغ والعامل التأملي حين تشاهد الانـزلاق البطيء للحجر وهو يدور في مجال خالٍ من الاحتكاك كواحدة من السفن الفضائية في فيلم الأوديسة للمخرج كابريك غير مصحوب بستروس، وإنما بالقعقعة الهادئة للحجر والاندفاع المحموم للعصي.

عندها، رآهما الرجال، واستطاع هاري التعرف على وجهين من الإعلام... كان أحدهما آرف ستوب.

تزلج إيدار فيتليسين باتجاههما.

- هل ستنضم إلينا في اللعبة ياهول؟

صرخ بذلك من على بعد؛ كما لو كان يقصد إسماع الرجال الآخرين

وليس هاري، ليتبع صراخه ضحك مرح، لكن عضلات فكه خذلته في اللعبة التي يلعبها. توقف أمامهما بينما خرج النفس من فمه.

قال هاري:

- انتهت اللعبة.

ابتسم إيدار:

- لا أظن ذلك.

أحس هاري ببرودة الجليد تزحف عبر أسفل حذائه لتصعد إلى ساقيه.

- نريدك أن تأتي معنا إلى مركز الشرطة الآن.

تلاشت ابتسامة إيدار فيتليسين:

- لماذا؟

- لأنك تكذب علينا... هناك الكثير من الأمور التي كذبت فيها، ومن بينها أنك لست اختصاصياً بمتلازمة فاهر.

سأل إيدار وهو ينظر إلى لاعبي الكرلنغ الآخرين ليتأكد من أنهم بعيدون بما فيه الكفاية لئلا يسمعوا:

- من قال ذلك؟

- مساعدتك؛ إذ إنها لم تسمع بهذا المرض طيلة حياتها.

قال إيدار بينما تسلل اليأس إلى صوته:

- اسمعني، لا يمكنك القدوم إلى هنا ببساطة واعتقالي... ليس هنا... ليس أمام...

- مرضاك؟

طرح هاري سؤاله، ثم نظر من فوق كتف إيدار حيث استطاع رؤية آرف ستوب يمسح الجليد عن أسفل حجر وهو يتفحص كاترين، ثم سمع إيدار يقول:

- لا أدري ما الذي تريد الوصول إليه. يسعدني أن أتعاون معك، لكن ليس إن كنت تتعمد إذلالي وتدميري. هؤلاء أفضل أصدقائي.

- سنستمر يا فيتليسين...

قال صوت صادح وعميق... كان صوت آرف ستوب.

نظر هاري إلى الجراح التعس، وتساءل عما يعنيه بقوله أفضل أصدقائه، ثم فكر في أنه في حال وجود أقل فرصة لكسب أي شيء بتحقيق رغبة فيتليسين فإن الأمر يستحق العناء.

- حسناً، سنذهب... لكن عليك القدوم إلى مركز الشرطة في غرونلاند خلال ساعة بالضبط. وفي حال لم تأتِ فسنأتي نحن للقبض عليك مع

صفارات وصخب. من السهل سماع هذه الأصوات في بيغدوي أليس كذلك؟
هز فيتليسين رأسه، وللحظة بدا كما لو أنه سيضحك بحكم العادة.

أغلق أوليغ الباب بقوة، وخلع حذاءه، ثم ركض إلى الطابق العلوي حيث طغت رائحة الليمون والصابون في أنحاء المنـزل. دخل غرفته فرنت الأجراس المتدلية من السقف، بينما خلع بنطاله الجينـز وارتدى بذلة التدريب، ثم ركض خارجاً من جديد. لكنه حين أمسك بعمود السلم لينـزل بخطوتين كبيرتين سمع اسمه من وراء باب غرفة نوم أمه المفتوح.
دخل الغرفة ليجد راكيل راكعة على ركبتيها أمام السرير وهي تحمل فرشاة بعصا طويلة.
- ظننت أنك قمت بالتنظيف في عطلة نهاية الأسبوع؟
- نعم، لكنه لم يكن جيداً بما فيه الكفاية.
قالت أمه ذلك وهي تنهض وتمسح جبينها بيدها:
- إلى أين أنت ذاهب؟
- إلى الملعب... سأذهب للتزلج. كارستين ينتظرني في الخارج... سأعود في وقت الشاي.
اندفع من الباب، وانـزلق على الأرض بقدميه المكسوتين بالجوربين؛ بالطريقة نفسها التي علمه إياها إريك في؛ وهو أحد خبراء التزلج في فال هوفين.
- انتظر لحظة أيها الشاب. بمناسبة الحديث عن المزلجات...
توقف أوليغ... أوه لا... لقد وجدت المزلجات .
وقفت عند الباب مميلة رأسها وحدقت به:
- ماذا عن واجباتك المدرسية؟
ابتسم براحة وقال:
- ليس عندي الكثير... سأنجزها بعد العشاء.
رآها تتردد فأضاف مسرعاً:
- تبدين جميلة بهذا الثوب ياماما.
نظرت إلى الثوب القديم الذي طُبعت عليه أزهار بيضاء. وعلى الرغم من أنها رمقته بتحذير، إلاّ أن ابتسامة لاحت على فمها:
- انتبه ياأوليغ... بدأت تصبح كوالدك.
- حقاً؟! كنت أظن أنه لا يتكلم سوى اللغة الروسية.
لم يكن يقصد أي شيء بذلك التعليق، لكن شيئاً ما حدث لأمه كما

لو أنها صدمت.

وقف على أطراف أصابعه وسأل:

- هل بإمكاني الذهاب الآن؟

- نعم يمكنك الذهاب!

دوى صوت كاترين برات في غرفة اللياقة البدنية في قبو مركز الشرطة.

- هل قلت ذلك حقاً؟ هل أخبرت إيدار فيتليسين أن يذهب؟

حدق هاري في وجهها المنحني فوق المقعد الذي كان مستلقياً عليه بينما شكّل ضوء السقف على شكل قبة هالة صفراء مضيئة حول رأسه، حيث كان يلهث لأن قضيباً معدنياً كان موضوعاً على صدره. كان على وشك القيام بتمارين الضغط بوزن خمسة وتسعين كيلوغراماً، وكان يرفع القضيب عن القاعدة حين دخلت كاترين وأفسدت محاولته.

قال هاري وهو يحاول دفع القضيب إلى الأعلى قليلاً ليصبح على عظم صدره:

- كان محاميه معه... جوهان كروهن.

- إذاً؟

- حسناً، بدأ كروهن بسؤالنا عن نوع الأساليب التي استخدمناها لابتزاز موكله، ثم قال إن تقديم الخدمات الجنسية في النروج أمر قانوني، وإن أساليبنا لإجبار طبيب محترم على الحنث بقسمه الأبقراطي تستحق الظهور في عناوين الأخبار.

صرخت كاترين بصوت يرتجف من الحنق:

- لكن، اللعنة... هذه جريمة قتل.

لم يكن هاري قد رآها تفقد السيطرة على نفسها من قبل، فأجاب بصوت لطيف:

- اسمعي، لا يمكننا الربط بين الجرائم والمرض، أو حتى أن نجعل الصلة تبدو احتمالاً؛ وكروهن يعرف ذلك... لذا، لا يمكنني الاحتفاظ به.

- لا، لكن لا يمكنك... الاستلقاء هنا... من دون فعل أي شيء.

أحس هاري بعظام صدره تؤلمه، بينما أذهله أنها كانت محقة تماماً.

وضعت كلتا يديها على وجهها:

- أنا... أنا... أنا... آسفة. كنت أفكر... لقد كان يوماً غريباً.

أنّ هاري:

- حسناً، هل يمكنك مساعدتي على رفع هذا القضيب؟ أكاد...

قالت وهي تبعد يديها عن وجهها:

- النهاية الأخرى! علينا البدء من النهاية الأخرى في بيرغن.

همس هاري بآخر نفس من الأوكسجين في رئتيه:

- لا، بيرغن ليست النهاية. هل بإمكانك...؟

نظر إليها، ورأى عينيها الداكنتين مغرورقتين بالدموع.

همست:

- إنه دوري.

ثم ابتسمت بسرعة كما لو أنّ شخصاً آخر من يقف فوق رأسه، مع بريق غريب في عينيها وصوت تحت السيطرة بالكامل:

- أما أنت فيمكنك الموت فحسب.

بذهول، سمع صوت خطواتها تتلاشى، وسمع عظامه تطقطق، وبدأت نقاط حمراء بالرقص أمام عينيه، فشتم ثم لف يديه حول القضيب المعدني ودفعه وهو يزأر لكن القضيب لم يتحرك.

كانت محقة، إذ من الممكن في الواقع أن يموت هكذا... كان بإمكانه الاختيار.. إن هذا مضحك لكنه حقيقي.

قلب القضيب إلى أحد طرفيه حتى سمع الأثقال تنـزلق مصدرة قعقعة تصم الآذان، ثم ارتطم القضيب بالأرض من الجانب الآخر.

استحم هاري وارتدى ملابسه، ثم صعد إلى الطابق السادس حيث جلس على كرسيه الدوار وهو يشعر بالألم الحلو في عضلاته؛ مما جعله يدرك أن عضلاته ستكون متصلبة في الصباح التالي.

كانت هناك رسالة في بريده الصوتي من بيورن هولم يطلب منه فيها أن يتصل به بأسرع وقت ممكن.

رفع هولم السماعة ليصدر صوت تنهد يذيب القلب إلى جانب نغمات غيتار فولاذي.

سأل هاري:

- ماذا هناك؟

- دوايت يوكام. حقير رائع أليس كذلك؟

- أقصد، ما سبب اتصالك بـي؟

- حصلنا على النتائج بالنسبة إلى رسالة رجل الثلج.

- إذاً؟

- لا شيء مميز بالنسبة للكتابة... طابعة ليزر عادية.

انتظر هاري، فقد كان يعلم أن لدى هولم شيئاً ما.

- المميز هو الورق المستخدم. فلا أحد في المخبر هنا قد رأى مثل هذا النوع من قبل، لهذا استغرق الأمر بعض الوقت. إنه مصنوع من الميتسوماتا؛ وهو ورق البردي الياباني كأنسجة الليف. يمكنك معرفة الميتسوماتا من رائحتها، حيث يستخدم اللحاء لصنع الأوراق يدوياً، وهذه الورقة خاصة جداً. إنها تدعى كونو.

- كونو؟

- عليك الذهاب إلى متاجر خاصة لشراء هذا النوع من الأوراق؛ كالأماكن التي تشتري منها أقلام حبر بعشرة آلاف كرونر ومحابرَ باهظة الثمن ودفاتر ملاحظات جلدية. أنت تعلم...

- لا، لا أعلم في الواقع.

أقر هولم:

- ولا أنا. هناك متجر في غامل درامنسفين يبيع أوراق كونو. تحدثت مع البائع، وأخبرني أنهم نادراً ما يبيعون مثل هذه الأشياء حالياً، لذا من غير المحتمل أن يقوموا بطلب جديد. إنهم يرون أن الناس لم يعد لديهم أي إحساس بالجودة كما كانوا من قبل.

- هل يعني ذلك...؟

- نعم. أخشى أنه يقصد أنه لا يذكر متى كانت آخر مرة باع فيها ورق كونو.

- وهل هو البائع الوحيد؟

- نعم. كان هناك واحد آخر في بيرغن لكنه توقف عن البيع منذ بضع سنوات.

انتظر هولم جواباً أو سؤالاً بينما غنى دوايت يوكام بصوت منخفض لحب حياته وهي تدخل قبرها، لكن لم يأته أي سؤال.

- هاري؟

- نعم، أنا أفكر.

- ممتاز.

كان هذا المزاح البطيء هو ما يجعل هاري يضحك مطولاً في ما بعد من دون أن يعرف السبب؛ لكن ليس في ذلك الحين. سعل هاري:

- أعتقد أن الأمر غريب؛ أقصد أن يتم وضع ورق كهذا بين يدي محقق جرائم، ما لم يرغب بأن يتم تتبعه للوصول إليه. إذ ليس بحاجة لمشاهدة الكثير من برامج الجرائم ليعرف أننا سنتحقق منه.

- ربما لم يكن يعلم أنه نادر؟ وربما لم يشتره؟
- بالطبع هذا ممكن، لكن شيئاً ما يخبرني أن رجل الثلج لن يخطئ هكذا.
- لكنه أخطأ.
- أعني أنني لا أظن أنها هفوة.
- أتعني...
-نعم. أظن أنه يريدنا أن نتعقبه.
- لماذا؟
- إنه أمر تقليدي. القاتل المتسلسل النرجسي يقوم بلعبة يؤدي فيها الدور الأساسي، وهو دور الشخص القوي الذي لا يقهر وينتصر في النهاية.
- ينتصر على من؟
قال هاري ولأول مرة بصوت مرتفع:
- حسناً... على المجازفة بأن أبدو نرجسياً.
- أنت؟! لماذا؟
- ليست لدي أدنى فكرة... ربما لأنه يعلم أنني الشرطي الوحيد في النروج الذي قبض على قاتل متسلسل. إنه يراني كتحدٍ. وتشير الرسالة إلى ذلك، فقد أشار إلى تووميا... لا أعلم ياهولم. بالمناسبة هل لديك اسم المتجر في بيرغن؟

كلام رخو!

أو بدا الأمر كذلك حين لفظ كلمة فلاسك بلكنة بيرغن، أي بلام مرققة وألف ممدودة مع انحدار في المنتصف وحرف سين مكتوم. بيتر فليش الذي لفظ اسمه طوعاً بهذا الشكل كان مقطوع النفس وصاخباً؛ حيث كان سعيداً بالدردشة، فقد كان يبيع جميع أنواع التحف الصغيرة لكنه مختص بالغليون والولاعات والأقلام والحقائب الجلدية والقرطاسية الجديدة والمستعملة، وكان معظم زبائنه منتظمين، وبعمر يوازي عمره تقريباً.

وحين سأله هاري عن أوراق كونو، أجاب بأسف بدا واضحاً في صوته أنه لم يعد يحضر أيًّا من هذا الورق، فقد تخلص منه منذ عدة سنوات.

قال هاري:

- قد يكون هذا السؤال صعباً، لكن بما أن معظم زبائنك منتظمون فهل من الممكن أنك تتذكر أسماء بعض الذين كانوا يشترون

ورق كونو؟

- بعضهم ربما... مولر... وكيكوسان العجوز من مولارين. نحن لا نحتفظ بأي سجلات، لكن زوجتي لديها ذاكرة قوية.

- ربما يمكنك كتابة الأسماء كاملة والعمر التقريبي والعناوين التي تذكرها وترسلها بالبريد الإلكتروني...

قاطع الرجل هاري بصوت منزعج:

- ليس لدينا أي بريد إلكتروني، ولن أحصل على واحد. من الأفضل أن تعطيني رقم فاكس.

أعطاه هاري رقم مركز الشرطة ثم تردد. كان إلهاماً مفاجئاً، لكن الإلهام لا يأتي من دون سبب.

- هل كان لديك يوماً ما منذ عدة سنوات زبون اسمه غيرت رافتو؟

ضحك بيتر فليش:

- آيرون رافتو؟

- هل سمعت باسمه؟

- البلدة بكاملها تعرف من هو رافتو. لا... لم يكن زبوناً لدينا.

كان مولر يقول دائماً إنه لكي تتخلص مما هو ممكن فعليك التخلص من كل ما هو مستحيل. ولهذا، إن على المحقق أن لا ييأس، وإنما أن يشعر بالسعادة كلما حسم دليلاً لا يؤدي إلى الحل؛ كما أن تلك كانت مجرد فكرة.

- حسناً، شكراً لك في كل الأحوال. أتمنى لك يوماً سعيداً.

- لم يكن زبوناً لديّ، لكنني أنا كنت كذلك.

- ماذا؟!

- نعم، كان يحضر لي قطعاً صغيرة كولاعات فضية، وأقلام ذهبية، ومثل هذا النوع من الأشياء... كنت أحياناً أشتريها منه قبل أن أدرك من أين كان يأتي بها...

- من أين كان يأتي بها؟

- ألا تعلم؟ كان يسرقها من مسارح الجرائم التي كان يعمل فيها.

- لكنه لم يشتر منك شيئاً؟

- لم يكن رافتو بحاجة إلى الأشياء التي كانت لدينا.

- لكن الورق؟ الجميع يحتاج إلى الورق أليس كذلك؟

- ممم. انتظر لحظة لأتكلم مع زوجتي.

وضع فليش يده على السماعة، لكن هاري تمكن من سماع الصراخ، ثم سمع محادثة بصوت منخفض. بعد ذلك ابتعدت اليد، وقال فليش بلكنة بيرغن مبتهجاً:

- إنها تظن أن رافتو أخذ بقية الأوراق حين توقفنا عن بيعها مقابل حاملة أقلام فضية مكسورة. هذا ما تظنه؛ فذاكرة زوجتي مميزة.

أنهى هاري المكالمة وهو يعلم أنه في طريقه إلى بيرغن... سيعود إلى بيرغن.

عند الساعة التاسعة من ذلك المساء، كانت الأنوار الليلية مضاءة في الطابق الأول من برينسالين 6 في أوسلو. ومن الخارج، بدا البناء المؤلف من ستة طوابق كأي مجمع تجاري بواجهته الفولاذية الرمادية والقرميدية الحمراء العصرية. وفي الداخل أيضاً، كان أربعمائة موظف أو أكثر يعملون كمهندسين واختصاصيي تكنولوجيا المعلومات وعلماء اجتماعيين وتقنيي مخابر ومصورين وغير ذلك... كانت تلك هي الوحدة الوطنية للقضاء على الجريمة المنظمة المشار إليها عموماً بالاسم القديم كريمينالبوليتيسينترالين أو بالاسم المختصر كريبوس.

كان إسبن ليبسفيك قد صرف رجاله للتو بعد مراجعة التطورات في التحقيق بالجريمة، ولم يبق سوى شخصين في غرفة الاجتماعات الجرداء والمنارة بشكل سيّئ.

قال هاري هول:

- كان ذلك رقيقاً نوعاً ما.

- إنه أسلوب لطيف لقول لا شيء .

قال إسبن ليبسفيك ذلك وهو يفرك عينيه بإبهامه وسبابته:

- ما رأيك بالذهاب وتناول شيء ما بينما تخبرني بما اكتشفته؟

أخبره هاري بينما كان إسبن ليبسفيك يقود سيارته إلى مركز المدينة ومقهى جاستيسين الذي كان على طريقيهما إلى بيتيهما. جلسا إلى الطاولة في مؤخر المقهى المزدحم الذي يزوره الجميع؛ بدءاً من الطلاب الراغبين بتناول الشراب، ووصولاً إلى رجال الشرطة والمحامين الظمئين.

- أفكر في اصطحاب كاترين برات بدلاً من سكار إلى بيرغن.

قال هاري ذلك وهو يرتشف من زجاجة الماء:

- لقد تحققت من سجلها الوظيفي قبل قدومها إلى هنا، وكان نظيفاً تماماً. لكن سجلها يقول إنها عملت على جريمتي قتل في بيرغن،

وأذكر أنه تم إرسالك إلى هناك لتقودهما.

- براتـ... نعم... أذكرها.

ابتسم إسبن ليبسفيك ورفع سبابته طالباً كأساً ثانية من الشراب.

- هل كنت راضياً عنها؟

- كنت راضياً جداً. للغاية.

ثم غمز ليبسفيك هاري الذي رأى أن الرجل الآخر قد شكل النظرة الكامدة لمحقق متعب مع ثلاث كؤوس في جوفه:

- ولو لم نكن كلانا متزوجين لكنت قد تعلقت بها بشدة.

احتسى شرابه.

قال هاري:

- كنت أتساءل إن كنت تظنها متزنة.

- متزنة؟!

- نعم. هناك شيء غريب فيها... لا أعرف تماماً كيف أفسره... شيء حاد.

هز إسبن ليبسفيك رأسه ببطء بينما حاولت عيناه التركيز على وجه هاري:

- أعرف ما تعنيه. سجلها لا غبار عليه، لكنني سمعت أحد الشباب هناك يقول شيئاً ما عنها وعن زوجها.

بحث ليبسفيك عن بعض التشجيع على وجه هاري. وحين لم يجد أي شيء تابع بكل الأحوال:

- كما تعلم... السادية. يبدو أنها من هذا النوع. إنها متطرفة نوعاً ما.

- هذا لا يهمني.

قال ليبسفيك وهو يرفع يده دفاعاً:

- لا، لا، لا. ولا يهمني أيضاً. إنها مجرد شائعة... وهل تعلم ماذا؟

ضحك ليبسفيك ضحكة مكبوتة وهو ينحني للأمام، فشمّ هاري نفسه الذي تفوح منه رائحة الشراب:

- يمكنها السيطرة عليّ في أي يوم.

أدرك هاري أن هناك شيئاً ما بدا في عينيه، لأن ليبسفيك بدا مباشرة نادماً على صراحته، وتراجع بسرعة إلى الوراء ليكمل بأسلوب عملي:

- إنها مهنية وذكية وحادة وملتزمة ومصممة مع القليل من الاتقاد، لدرجة أنني اضطررت لمساعدتها في عدة قضايا بسيطة حسبما أذكر.

لكنها ليست غير متزنة، بل على العكس... إنها من النوع الجدي والمنغلق. لكن هناك الكثيرات مثلها. نعم، أعتقد أن بإمكانكما تشكيل فريق مثالي.

ابتسم هاري لدى سماعه كلام ليبسفيك الساخر ووقف:

- شكراً على النصيحة ياليبسفيك.
- ماذا عن نصيحة لي؟ هل هناك شيء... بينك وبينها؟

قال هاري وهو يرمي 100 كرونر على الطاولة:

- نصيحتي لك أن تترك سيارتك هنا.

14 - اليوم التاسع

بيرغن

في تمام الساعة 08:26 لامست عجلات طائرة دي 604 الأسفلت المبلل في مطار فليسلاند في بيرغن بقوة، وأيقظت هاري فجأة.

سألته كاترين:

- هل نمت جيداً؟

هز هاري رأسه وفرك عينيه، ثم حدق إلى ضوء الفجر المثقل بالمطر.

ابتسمت:

- كنت تتكلم في نومك.

- معقول!

لم يرغب هاري أن يسألها عما كان يتكلم، لكنه تذكر بسرعة ما كان يحلم به. لم تكن راكيل! لم يكن قد حلم بها منذ ليالٍ... لقد أبعدها... لكنه كان يحلم بمولر مشرفه ومديره السابق الذي دخل هضاب بيرغن وتم العثور عليه في بحيرة ريفرتجيرن بعد أسبوعين. كان ذلك قراراً قد اتخذه مولر لأنه لم يكن يعتقد أن الحياة تستحق العيش أكثر. هل توصل غيرت رافتو إلى النتيجة نفسها؟ أو إنه لا يزال في مكان ما هناك؟

قالت كاترين وهي تمشي عبر صالة القادمين:

- لقد اتصلت بزوجة رافتو السابقة، لكنها لم ترغب هي أو ابنتها بالحديث مع الشرطة مجدداً... إنهما لا تريدان فتح الجروح القديمة... لا بأس في ذلك، فالتقارير منذ ذلك الحين أكثر من كافية.

استقلا سيارة أجرة من قرب باب المطار.

سألها هاري بصوت مرتفع طغى على صوت هطول المطر وحفيف مساحتي الزجاج الأمامي:

- أليست العودة إلى الوطن أمراً جميلاً؟

هزت كاترين كتفيها بلا مبالاة:

- أنا أكره المطر، كما أكره سكان بيرغن الذين يؤكدون أنها لا تمطر هنا كما يقول النروجيون الشرقيون.

عبرا ساحة دانماركسبلاس، ونظر هاري إلى أعلى قمة أولريكن المغطاة بالثلج، حيث استطاع رؤية العربات المعلقة وهي تتحرك، ثم مرا عبر شكل أفعواني من الطرق الملتوية بجانب خليج ستور لانغيغاردسفان ليصلا إلى المركز الذي كان دائماً مفاجأة ترحيبية بالنسبة إلى الزوار بعد الطريق

الكئيب.

دخلا فندق ساس في بيرغن في واجهة المرفأ، وسألها هاري إن كانت ستبقى مع والديها، لكن كاترين أجابت أن ذلك يعني الكثير من التوتر لليلة واحدة، وسيتسبب الأمر لهما بالكثير من المتاعب، كما أنها لم تخبرهما أنها هنا.

أعطوهما المفتاحين. وفي المصعد بقيا صامتين، حيث نظرت كاترين إلى هاري وابتسمت كما لو كان صمتهما في المصعد دعابة خفية، بينما نظر هاري إلى الأسفل وهو يأمل أن لا يكون جسده يرسل أي إشارات زائفة أو حقيقية.

فتح باب المصعد في النهاية وتمايلت في الممر.

قال هاري:

- سنلتقي بعد خمس دقائق.

- ما هو جدول المواعيد؟

سألها حين كانا جالسين في الردهة بعد ست دقائق.

انحنت كاترين إلى الأمام على الكرسي المريح، وبحثت في مفكرتها الجلدية. كانت قد غيرت ثيابها وارتدت بذلة رمادية أنيقة؛ مما عنى أنها اختلطت على الفور مع نـزلاء الفندق من رجال الأعمال.

- ستلتقي نوت مولر نيلسن رئيس وحدة الجرائم العنيفة والأشخاص المفقودين.

- ألن تأتي معي؟

- سيتوجب عليّ عندها إلقاء التحية على الجميع والدردشة معهم؛ مما سيهدر اليوم بأكمله. في الواقع، سيكون من الأفضل أن لا تذكر اسمي على الإطلاق، فهم سيتضايقون إن لم أعرج عليهم. أما أنا فسأتوجه إلى أويجوردسفين لأتكلم مع آخر شاهد رأى رافتو.

- أين؟

- عند المرفأ. لقد رآه الشاهد وهو يترجل من سيارته ويمشي نحو منتزه نوردنس، ولم يعد أحد إلى السيارة، كما تم تمشيط المنطقة بدقة من دون التوصل لشيء.

- ثم ماذا سنفعل؟

مرر هاري إبهامه وإصبعه الوسطى على فكه، وفكر أنه كان ينبغي عليه الحلاقة قبل القيام برحلة إلى خارج البلدة.

- ستراجع التقارير القديمة مع المحققين الذين عملوا على القضية ولا يزالون في المركز. انهض بسرعة وحاول أن ترى الأمور من زاوية مختلفة.

قال هاري:

- لا.

رفعت كاترين رأسها عن مفكرتها ونظرت إليه.

- لقد توصل المحققون في ذلك الحين إلى استنتاجاتهم وسيحاولون الدفاع عنها. أُفضِّل قراءة التقارير بهدوء في أوسلو، أما هنا فسأقضي وقتي في معرفة غيرت رافتو أكثر. هل يمكنني رؤية ممتلكاته في مكان ما؟

هزت كاترين رأسها بالنفي.

- تبرعت عائلته بكل ما يملكه؛ ومن الواضح أنه لم يكن كثيراً... بعض المفروشات والملابس.

- ماذا عن مكان إقامته؟

- كان يعيش وحيداً بعد طلاقه في شقة في ساندفيكن، لكن تم بيعها منذ زمن.

- ألا يوجد منـزل طفولة أو كوخ ريفي أو كوخ لا تزال العائلة تحتفظ به؟

ترددت كاترين:

- ذكرت التقارير كوخاً صغيراً في حي البيوت الصيفية للشرطة في جزيرة فينوي في فيدج. تبقى الأكواخ ملكاً للعائلة في مثل هذه الحالة، لذا من الممكن أن نراه... معي رقم هاتف زوجة رافتو... سأتصل بها.

- كنت أظن أنها لا تريد التحدث إلى الشرطة.

غمزته كاترين بمكر.

تمكن هاري من استعارة مظلة من قسم الاستقبال في الفندق، لكنها انقلبت بفعل الرياح قبل أن يصل إلى فيسكيتورغيت- سوق السمك عند المرفأ- وبدت كخفاش متشابك حين بدأ بالعدو والتوجه إلى مدخل مركز الشرطة.

حين كان هاري واقفاً في قاعة الاستقبال منتظراً نوت مولر نيلسن اتصلت به كاترين لتخبره أن الكوخ في فينوي لا يزال ملكاً لعائلة رافتو.

- لكن زوجته لم تطأه بقدمها منذ الحادثة، ولا ابنتها حسبما تظن.

- سنذهب إلى هناك... سأنتهي من هنا خلال ساعة.

- حسناً سأؤمن قارباً. لاقني عند رصيف زاشارياس.

كان نوت مولر نيلسن يبدو كلعبة دب ضاحك بعينين باسمتين ويدين ضخمتين بحجم مضارب التنس، وقد جعلته الرفوف الطويلة المتراصة من الورق يبدو كما لو أن الثلج تساقط في مكتبه، بينما طوى يديه أمام رأسه.

قال مولر نيلسن بعد أن ذكر أنها لا تمطر في بيرغن كما يقول النروجيون الشرقيون:

- رافتو...

قال هاري وهو يمسك صورة غيرت رافتو التي أتت مع التقارير الموجودة في حضنه:

- يبدو أن رجال الشرطة عادة ينـزلقون عبر أصابعك.

تساءل مولر نيلسن وهو ينظر إلى هاري الذي وجد كرسياً دواراً في الزاوية الوحيدة الخالية من الورق في المكتب:

- إذاً؟

- بيارني مولر.

قال مولر نيلسن:

- صحيح.

- الشرطي الذي اختفى من فلوين.

صفع مولر نيلسن جبهته:

- بالتأكيد... قضية مأساوية. لم يبق هنا سوى لفترة وجيزة، لذا لم أتمكن من... الافتراض أنه كان قد ضاع، أليس كذلك؟

- هذا ما حدث.

حين قال هاري ذلك نظر من النافذة، وبدأ يفكر بطريق بيارني مولر من المثالية إلى الفساد، وبنواياه الطيبة وأخطائه المأساوية التي ما كان الآخرون ليعلموا بها.

- ماذا يمكنك أن تخبرني عن غيرت رافتو؟

شقيق روحي في بيرغن... هذا ما فكّر به هاري بعد سماع وصف مولر نيلسن: إدمان غير صحي، ومزاج صعب المراس، ووحيد، وغير موثوق، وذو أخلاقيات مشكوك بها وسجل مليء بالشوائب.

قال مولر نيلسن:

- لكن، كانت لديه قدرات استثنائية في التحليل، والحدس، وإرادة لا تلين. كان يبدو مدفوعاً بـ... شيء ما. لا أعرف كيف أصف ذلك تماماً، فقد كان رافتو متطرفاً... حسناً، هذا هو الأمر من دون أن نقول إننا

نعرف ما حدث.

سأل هاري وهو يلمح منفضة سجائر بين أكوام الورق:

- وما الذي حدث؟

- كان رافتو عنيفاً. ونحن نعلم أنه كان في شقة أوني هيتلاند قبل اختفائها مباشرة، وأنه قد تكون لدى أوني هيتلاند معلومات قد تكشف عن هوية قاتل ليلى آسن، وقد اختفى بعد ذلك مباشرة... من غير المحتمل أنه أغرق نفسه. في كل الأحوال، لم نجد أي سبب لإجراء تحقيق واسع النطاق.

- ألم يكن بإمكانه الهروب خارج البلاد؟

ابتسم مولر نيلسن وهز رأسه بالنفي.

- لِمَ لا؟

- دعني أقول لك إننا في هذه القضية لدينا ميزة معرفة المشتبه به جيداً. وعلى الرغم من أنه نظرياً كان بإمكانه مغادرة بيرغن، لكنه لم يكن من هذا النوع... بهذه البساطة.

- ألم يبلغ أي صديق أو قريب عن وجود دلائل على حياته؟

هز مولر نيلسن رأسه بالنفي:

- والداه ميتان، ولم يكن لديه الكثير من الأصدقاء. وقد كانت علاقته بزوجته السابقة سيئة، لذا ما كان ليتصل بها مجدداً بأي حال.

- ماذا عن ابنته؟

- كانا مقربين... إنها فتاة لطيفة وذكية... وهي تراعي جيداً التربية التي تلقتها بالطبع.

لاحظ هاري المعرفة الملمح بها؛ إذ يستخدم العبارات التقليدية المستخدمة في مراكز الشرطة الصغيرة، حيث من المتوقع منك أن تعرف معظم الأمور عن معظم الأمور.

سأل هاري:

- كان لدى رافتو كوخ في فينوي أليس كذلك؟

- نعم، وهو مكان من الطبيعي أن يلجأ إليه للتفكير ملياً ثم...

أشار مولر بإحدى يديه الضخمتين إلى عنقه كما لو أنه يمرر سكيناً وتابع:

- لقد فتشنا الكوخ وبحثنا في الجزيرة بواسطة الكلاب، كما مسحنا المياه ولم نجد شيئاً.

- كنت آمل أن يكون بإمكاني إلقاء نظرة هناك.

- ليس هناك الكثير لتراه. لدينا كوخ مقابل لكوخ آيرون رافتو، وهو للأسف بحالة مزرية. من الشائن أن زوجته لم تتخل عنه؛ فهي لم تذهب إلى هناك على الإطلاق.

ألقى مولر نيلسن نظرة على ساعته:

- لدي اجتماع، لكن يمكن لأحد الضباط المسؤولين عن القضية أن يراجع التقارير معك.

- ما من حاجة إلى ذلك.

قال هاري ذلك وهو ينظر إلى الصورة في حضنه. فجأة، بدا الوجه مألوفاً بشكل غريب كما لو أنه رآه منذ أمد قصير. أحد متنكر؟ أحد مر به في الشارع؟ أحد يؤدي دوراً ثانوياً ما كان ليلاحظه؟ أحد رجال شرطة المرور في بوابة صوفيز أو مساعد في فينمونوبول؟ استسلم هاري.

- إذاً، ليس غيرت؟

قال مولر نيلسن:

- عذراً؟

- قلت آيرون رافتو ولم تدعه باسم غيرت حينها؟

نظر مولر نيلسن إلى هاري بارتياب محاولاً الضحك، لكنه اكتفى بابتسامة ساخرة:

- لا أظن أن ذلك قد خطر لنا على الإطلاق.

- حسناً، شكراً لك على المساعدة.

في طريقه للخروج، سمع هاري مولر نيلسن يناديه فالتفت. كان مولر يقف عند باب مكتبه في نهاية الممر لتلقي الكلمات صدى قصيراً بين الجدران:

- لا أظن أن رافتو كان سيحب ذلك أيضاً.

خارج مركز الشرطة، وقف هاري متأملاً الناس المنحنين وهم يشقون طريقهم تحت المطر والريح... لم يختف الإحساس... الإحسان بأن أحداً ما أو شيئاً ما هناك بالقرب منه... في الداخل... مرئي... فقط لو كان بإمكانه رؤية الأمور على نحو صحيح وفي الضوء الصحيح.

أقلت كاترين هاري من على الرصيف كما اتفقا.

- لقد استعرت هذا من صديق.

قالت ذلك وهي تحرك قارب الجيب بطول إحدى وعشرين قدماً من بوابة المرفأ الضيق، وبينما التفا حول شبه جزيرة نوردنس، صدر ضجيج

جعل هاري يلتفت ليلمح تمثالاً طوطمياً. كانت الوجوه الخشبية تصرخ عليه بصوت أجش وبأفواه مفتوحة، كما مرت الرياح عبر القارب.

قالت كاترين:

- إنها الفقمات في الحوض المائي.

شد هاري معطفه حوله بشدة.

كانت فينوي جزيرة صغيرة. وباستثناء المروج، لم تكن هناك أي نباتات على قطعة اليابسة المغسولة بمياه المطر لكنها كانت تضم رصيف ميناء حيث ركنت كاترين قاربها بخبرة. كانت المنطقة السكنية تتكون من ستين كوخاً خشبيًّا صغيراً؛ مما ذكر هاري بأكواخ عمال المناجم التي رآها في سويتو.

قادت كاترين هاري عبر الطريق الحصوي بين الأكواخ، ثم توجهت إلى أحدها. كان بارزاً لأن الطلاء على الجدران كان مقشوراً وإحدى النوافذ متشققة.

قالت كاترين وهي تدخل المفتاح في الباب:

- لقد أحبتني الزوجة السابقة.

فاحت رائحة العفن والخشب الرطب من الداخل، بينما حدق هاري في الظلام الجزئي، وسمع صوت زر ثم غمر الضوء المكان.

قال:

- توجد كهرباء حتى لو لم يكن الكوخ مستخدماً!

قالت كاترين وهي تلقي نظرة متمهلة في الأرجاء:

- الشرطة من يدفع.

كان الكوخ بمساحة خمسة وعشرين متراً، ويتكون من غرفة جلوس ومطبخ وغرفة نوم... لم يكن هناك شيء معلق على الجدران، ولا زينة على عتبات النوافذ أو كتب على الرفوف.

قالت كاترين وهي تشير إلى باب في الأرض:

- هناك قبو أيضاً... هذه منطقتك... ما الذي سنفعله الآن.

- سنبحث.

- عمّ؟

- هذا آخر ما سنفكر فيه.

- لماذا؟

- لأنه من السهل أن تفوتي شيئاً هاماً إن كنت تبحثين عن شيء آخر. صفي ذهنك، وستعرفين عمّا تبحثين حين ترينه.

قالت كاترين ببطء مبالغ به:

- حسناً.
- ابدئي من هنا.

قال هاري ذلك وهو يتجه إلى باب القبو ويسحب الإطار المعدني ليقوده سلم ضيق إلى الظلام... كان يأمل أن لا تكون قد رأت تردده.

ارتطمت شبكات عناكب جافة لعناكب ماتت منذ زمن بوجهه بينما نـزل إلى الظلام الرطب الذي فاحت منه روائح التراب والألواح المتعفنة... كان كامل القبو تحت الأرض. وفي نهاية السلم، وجد زراً فضغطه ولكن شيئاً لم يحدث، فقد كان الضوء الوحيد نقطة حمراء في أعلى الثلاجة إلى جانب الجدار. بحث عن مصباح جيبه وأناره فوقع الضوء على باب غرفة تخزين.

صرخت المفصلات حين فتح الباب. كانت الغرفة ورشة نجارة مليئة بالأدوات لشخص يطمح للقيام بشيء هام إلى جانب القبض على المجرمين حسب ما فكر هاري.

لكن الأدوات لم تبد كما لو كانت مستخدمة كثيراً، لذا ربما أدرك رافتو في النهاية أنه لم يكن بارعاً في أي شيء آخر، فهو ليس من النوع الذي يصنع الأشياء وإنما من النوع الذي يقوم بالترتيب في ما بعد. وفجأة، صدر صوت جعل هاري يستدير، ثم تنفس الصعداء حين رأى أن منظم حرارة الثلاجة قد شغل المروحة. دخل هاري غرفة التخزين الثانية، حيث كانت هناك سجادة ممدودة فوق كل شيء، فسحبها وفاحت رائحة الرطوبة والعفن، بينما أظهر المصباح مظلة متآكلة وطاولة بلاستيكية وكومة من الأدراج الخاصة بالثلاجة وكراسي بلاستيكية فقدت لونها، ولم يكن هناك شيء آخر في القبو. سمع صوت كاترين وهي تفتش بدقة في الأعلى، وكان على وشك إغلاق باب غرفة التخزين، لكن أحد الأدراج كان قد انـزلق إلى الممر حين أزال السجادة. وكان على وشك ركله بقدمه حين توقف ونظر إليه، ففي ضوء مصباحه تمكن من رؤية الحروف البارزة على الجانب... إلكترولوكس... مشى نحو الجدار حيث كانت مروحة الثلاجة لا تزال تهدر... إنها إلكترولوكس. أمسك بالمقبض وسحبه، لكن الباب لم يتزحزح. لاحظ وجود قفل تحت المقبض، فأدرك أن الثلاجة كانت مقفلة ببساطة. توجه نحو مخزن الأدوات لإحضار رافعة، وحين عاد كانت كاترين قد نـزلت إلى الأسفل.

- لا يوجد شيء في الأعلى... أظن أن علينا الذهاب فحسب. ما

الذي تفعله؟

قال هاري:

- أكسر الباب.

وأدخل طرف الرافعة في باب الثلاجة فوق القفل، وسحب بكل ثقله للجهة الثانية لكنه لم يتزحزح، فعدل من قبضته ووضع إحدى قدميه على السلم ودفع.

- تباً.

وبطقة حادة انفتح الباب، بينما انكفأ هاري على وجهه، وسمع المصباح يرتطم بالأرضية الحجرية، وشعر بالبرد يضربه كنهر جليدي. بدأ يتلمس الأرض بحثاً عن المصباح من خلفه حين سمع كاترين... أصابه صوتها بقشعريرة؛ حيث أصدرت صراخاً عميقاً تحول إلى نشيج هيستيري بدا كالضحك، ثم صمتت لثانيتين كما لو كانت تستجمع أنفاسها قبل أن تبدأ مجدداً بالصرخات الطويلة والعميقة نفسها كامرأة في المخاض... لكن، في ذلك الحين كان هاري قد رأى كل شيء وعرف السبب. كانت تصرخ لأنه بعد اثني عشر عاماً لا تزال الثلاجة تعمل بشكل ممتاز، وقد أظهر الضوء الداخلي شيئاً محشوراً داخلها... كانت ذراعاه للأمام، وركبتاه مثنيتين، والرأس ملتوياً إلى أحد الجانبين. كانت الجثة مغطاة بالجليد الأبيض كما لو أن طبقة من الفطور كانت تقتات عليه، كما كان الشكل المشوه تمثيلاً مرئياً لصرخات كاترين. لكن ذلك لم يكن ما جعل معدة هاري تنقبض، إذ بعد لحظات من فتح الثلاجة وقعت الجثة وارتطمت الجبهة بحافة الباب مما تسبب بتكسر البلورات الجليدية عن الوجه وتساقطها على أرضية القبو. وهكذا، تمكن هاري من التعرف على غيرت رافتو وهو يبتسم لهما، لكن الابتسامة لم تكن من الفم الذي كان مخاطاً بخيط خشن على شكل متعرج حول الشفتين، وإنما تجاوزت الابتسامة الذقن لتصعد إلى الوجنتين ولترتسم بخط من المسامير السوداء التي لا يمكن أن تكون قد وصلت إلى هناك سوى من خلال تثبيتها بالمطرقة. لكن ما لفت انتباه هاري هو الأنف، فأزال المادة الصفراء... لا بد أن الغضروف والعظمة الأنفيين قد أزيلا في البداية بينما امتص البرد كل اللون من الجزرة ليكتمل رجل الثلج.

القسم الثالث

15 - اليوم التاسع

الرقم ثمانية

كانت الساعة الثامنة مساء، إلا أن الناس الذين يمرون من غرونلاند سليرت يمكنهم رؤية أن الأنوار كانت مضيئة في كامل الطابق السادس من مركز الشرطة.

في القاعة ك1 كان هولم وسكار وإسبن ليبسفيك وغونار هاغن والرئيس يجلسون أمام هاري. كانت قد مضت ست ساعات ونصف الساعة على العثور على رافتو في فينوي، وأربع ساعات منذ اتصال هاري من بيرغن للدعوة لاجتماع قبل أن ينطلق للمطار.

قام هاري بالحديث عن تفاصيل اكتشاف الجثة، وحتى الرئيس شعر بالجبن حين أظهر هاري صور مسرح الجريمة التي أرسلتها شرطة بيرغن بالبريد الإلكتروني.

قال هاري:

- تقرير التشريح لم يكن جاهزاً بعد، لكن سبب الموت واضح نوعاً ما... مفرقعات نارية في الفم، ورصاصة عبر الصدغ خرجت من مؤخر الرأس. لقد حصل ذلك في مسرح الجريمة، فقد وجد رجال بيرغن الرصاصة في جدار غرفة التخزين.

سأل سكار:

- دم ومواد دماغية؟

- لا.

قال ليبسفيك:

- ليس بعد كل هذه السنوات... جرذان وحشرات...

قال هاري:

- قد تكون هناك آثار متبقية، لكنني تكلمت مع اختصاصي علم الأمراض واتفقنا... ربما ساعده رافتو لئلا يحدث الكثير من الفوضى.

قال سكار:

- ماذا؟

قال ليبسفيك بأسى:

- أوف.

بدا كما لو أن الحقيقة قد هبطت على سكار بينما تغضن وجهه رعباً:

- أوه... يا للهول!

قال هاغن:

- عفواً... هل يمكن لأحد أن يفسر لي ما تتحدثون عنه؟

- هذا شيء نصادفه أحياناً في حالات الانتحار، حيث يتنشق الشخص الهواء من ماسورة البندقية قبل أن يطلق النار على نفسه فيتسبب الفراغ هناك بأقل قدر من...

حاول البحث عن الكلمة المناسبة:

- ... التلطيخ. ما حدث هنا ربما هو أن رافتو تلقى الأوامر بتنشق الهواء.

هز ليبسفيك رأسه قائلاً:

- وبالنسبة لرجل شرطة، لا بد أن رافتو كان يعلم السبب.

شحب هاغن:

- لكن كيف... كيف يمكنك جعل شخص يتنشق...؟

اقترح هاري:

- ربما تم تخييره. هناك طرق أسوأ للموت من إطلاق الرصاص على نفسك.

حل صمت ثقيل عليهم تركه هاري ليملأ الفراغ لبضع ثوانٍ قبل أن يكمل:

- لم نجد الجثث حتى الآن... رافتو كان مخفياً أيضاً، لكن كان من الممكن العثور عليه بسرعة أكبر لو أن أقاربه لم يتجنبوا الكوخ. هذا يدفعني للاعتقاد أن رافتو لم يكن جزءاً من خطة القاتل.

- وأنت تظن أنه قاتل متسلسل؟

لم تكن هناك أي معارضة في نبرة الرئيس، وإنما رغبة بالحصول على تأكيد.

هز هاري رأسه.

- إن لم يكن رافتو جزءاً من هذه الخطة فما هو الدافع؟

- لا أعرف... لكن، حين يتم قتل محقق فمن الطبيعي الاعتقاد أنه كان يشكل تهديداً للقاتل.

سعل إسبن ليبسفيك:

- أحياناً يمكن للأسلوب الذي يتم فيه التعامل مع الجثث أن يخبرنا شيئاً عن الدافع. في هذه الحالة على سبيل المثال، تم استبدال الأنف بجزرة، أي إنه يشير بأنفه إلينا.

سأل هاغن:

- أيهزأ منا؟

اقترح هولم مبدئياً:

- ربما يريد إخبارنا أن لا نحشر أنوفنا في القضية؟

قال هاغن:

- بالضبط... تحذير للآخرين بالبقاء بعيدين.

خفض الرئيس رأسه ونظر إلى هاري بطرف عينه:

- ماذا عن الفم المُخاط؟

زعق سكار:

- رسالة لإبقاء أفواهنا مقفلة.

قال هاغن:

- حسناً. إن كان رافتو تفاحة عفنة فلا بد أنه كان متعاوناً مع القاتل بطريقة أو بأخرى... وقد كان رافتو يهدد بفضحه.

نظر الجميع إلى هاري الذي لم يستجب لأي من الاقتراحات.

قال الرئيس:

- إذاً؟

قال هاري:

- قد تكون محقاً بالطبع، لكنني أظن أن الرسالة الوحيدة التي أريد إرسالها هي أن رجل الثلج كان هناك وهو يحب رجال الثلج... نقطة انتهى.

تبادل المحققون نظرات سريعة لكن أحداً منهم لم يعترض.

قال هاري:

- لدينا مشكلة أخرى... لقد أصدرت شرطة بيرغن بياناً يفيد أنه تم العثور على شخص ميت في فينوي فقط. وقد طلبت منهم إخفاء التفاصيل الأخرى في الوقت الحالي ليتاح لنا يومان للبحث عن أدلة من دون أن يعرف رجل الثلج أنه تم العثور على الجثة. ولسوء الحظ، إن يومين فترة غير واقعية، إذ ليس هناك مركز شرطة منيع لهذه الدرجة.

قال إسبن ليبسفيك:

- لقد حصلت الصحافة على اسم رافتو في وقت باكر من هذا الصباح... أنا أعرف الناس في صحيفتي بيرغنز تيدينند وبيرغنزافين.

جاء صوت من ورائهم:

- هذا خطأ... سيظهر ذلك في نشرة أخبار القناة الثانية الليلة..

ليس الاسم فحسب وإنما تفاصيل مسرح الجريمة والصلة مع رجل الثلج.

التفت الجميع إلى حيث وقفت كاترين برات عند الباب. كانت لا تزال شاحبة، لكن ليس بالشحوب نفسه كما حين رآها هاري عندما كانت تقود القارب من فينوي لتتركه ينتظر الشرطة.

سأل إسبن ليبسفيك بابتسامة ماكرة:

- إذاً، أنت تعرفين الناس في القناة الثانية أليس كذلك؟

قالت كاترين وهي تجلس:

- لا، أنا أعرف مركز شرطة بيرغن.

سأل هاغن:

- أين كنت يا برات؟ لقد اختفيت لعدة ساعات.

ألقت كاترين نظرة سريعة على هاري الذي هز رأسه لها قليلاً وسعل:

- كانت كاترين تقوم ببعض المهام التي أوكلتها بها.

- لا بد أنها هامة... أسمعينا يا برات.

قال هاري:

- ما من داعٍ لذلك الآن.

قال هاغن:

- إنني أشعر بالفضول فحسب.

فكر هاري... أيها السيد صاحب المنصب الرفيع... أيها السيد الدقيق... أيها السيد مستخلص المعلومات... ألا يمكنك تركها وشأنها؟ ألا ترى أن الفتاة لا تزال في حالة صدمة؟ لقد شحب لونك حين رأيت الصور... أما هي فعادت لبيتها هرباً من كل شيء... ماذا إذاً؟ لقد عادت الآن. عليك التربيت على كتفها وليس إذلالها أمام زملائها... هذا ما خطر ببال هاري بنبرة واضحة ومرتفعة وهو يحاول النظر إلى عيني هاغن وجعله يفهم.

قال هاغن:

- حسناً يا برات؟

قالت كاترين وهي ترفع ذقنها:

- كنت أتحقق من بعض الأمور.

- فهمت... مثل ماذا؟

- مثل أن إيدار فيتليسين كان يدرس الطب حين قتلت ليلى آسن واختفى كل من أوني هيتلاند ورافتو.

سأل الرئيس:

- هل لهذا أي علاقة؟
- نعم، لأنه درس في جامعة بيرغن.

ساد الهدوء في القاعة ك1.

نظر الرئيس إلى هاري:

- طالب طب؟!

قال هاري:

- لِمَ لا؟ لقد تخصص في ما بعد بالجراحة التجميلية، وقد قال لي إنه يحب تشكيل الوجوه.

قالت كاترين:

- لقد تحققت من الأماكن حيث تدرب كطبيب مقيم ثم عمل. لم أجد أي مصادفة مع اختفاء النساء اللواتي نعتقد أن رجل الثلج قد قتلهن... لكن، كطبيب شاب، كان يسافر كثيراً لحضور المؤتمرات وشغل وظائف مؤقتة وبسيطة.

قال سكار:

- تباً. من المعيب أن كروهن لن يدعنا نتكلم معه.

قال هاري:

- انسوا الأمر... سنعتقل فيتليسين.
- بأي تهمة؟ لأنه درس في بيرغن؟
- لأنه حاول شراء خدمات واستغلال القاصرين.

سأل الرئيس:

- على أي أساس؟
- لدينا شاهد... مالك فندق ليون، ولدينا صور تربط بين فيتليسين والمكان.

قال إسبن ليبسفيك:

- أكره قول ذلك، لكنني أعرف مالك فندق ليون، وهو لن يشهد على الإطلاق؛ وبالتالي لن تثبت القضية. سيكون عليكم إطلاق سراح فيتليسين خلال أربع وعشرين ساعة... بلا شك.

قال هاري وهو ينظر إلى ساعته ويحسب الوقت الذي سيستغرقه في القيادة إلى بيغدوي:

- أعلم، لكن كمية المعلومات التي قد تصل إليها في تلك الفترة غير معقولة.

ضغط هاري على الجرس مرة أخرى وهو يتذكر عطل الصيف حين كان صغيراً وكان الجميع يغادرون ليبقى الصبـي الوحيد في أوبسال. كان يقف هناك ويرن جرس بيت أويستين أو أي واحد من الآخرين وهو يحلم أن يكون أحدهم في البيت وليس عند جدته في هادلن أو في كوخ في سون أو في مخيم في الدنمارك. رن الجرس مرة ثانية وثالثة حتى تأكد من أنه لم يعد هناك سوى احتمال واحد... تريسكو... تريسكو هو الشخص الذي لم يرغب قط هو أو أويستين باللعب معه، لكنه ظل يلاحقهما كظلهما منتظراً أن يغيرا رأيهما ويدخلاه من البرد مؤقتاً. لربما قد اختار أويستين وهاري لأنهما لم يكونا من أكثر الأولاد شعبية، لذا فقد اعتبر أنه لكي يكون مقبولاً في نادٍ ما فإن أعظم آماله ستكون هناك. والآن ظهرت فرصته الوحيدة لأنه كان الوحيد الباقي، وكان هاري يعرف أن تريسكو كان دائماً في البيت لأن عائلته لا يمكنها تحمل مصاريف أي رحلة، كما أنه ليس لديه أي صديق ليلعب معه.

سمع هاري أصوات خف في الداخل، ثم انفتح الباب قليلاً، وأضاء ضوء وجه المرأة كما يُضاء وجه أم تريسكو حين كانت ترى هاري. لم تدعه للدخول قط، وإنما كانت تنادي تريسكو وتوبخه بقسوة وتلبسه سترته الرياضية القبيحة وتدفعه إلى الخارج إلى السلم حيث كان يقف متجهماً في وجه هاري. وقد كان هاري يعرف أن تريسكو يعرف... وكان يشعر بكراهيته الصامتة وهما يمشيان نحو الكشك... لكن، لا بأس في ذلك، فقد ساعد في مرور الوقت.

قالت السيدة فيتليسين:

- أخشى أن إيدار ليس هنا. ألن تدخل وتنتظر؟ قال إنه خارج لقيادة سيارته قليلاً.

هز هاري رأسه وهو يتساءل إن كان بإمكانها رؤية الأضواء الزرقاء التي تلمع في ظلام المساء في بيغدوي في الشارع من ورائه. لا بد أن سكار هو من شغلها... الأحمق.

- متى غادر؟
- قبل الخامسة بقليل.

قال هاري:

- لكن ذلك منذ عدة ساعات. هل قال لك إلى أين سيذهب؟

هزت رأسها بالنفي:

- لا يخبرني بشيء على الإطلاق. ما رأيك بذلك؟ لا يريد حتى أمه

أن تعرف ما يفعله.

شكرها هاري وقال إنه سيعود في ما بعد، ثم مشى في الطريق الحصوي نازلاً السلم إلى البوابة الصغيرة. لم يستطيعوا العثور على إيدار في عيادته أو في فندق ليون، كما أن نادي الكرلنغ مغلق ومظلم. أغلق هاري البوابة من ورائه ومشى نحو السيارة ليفتح ضابط الشرطة النافذة.

قال هاري وهو يلتفت لسكار على المقعد الخلفي:

- أطفئ الأضواء الزرقاء. إنها تقول إنه ليس في المنـزل... ربما تقول الحقيقة. عليك الانتظار لترى إن كان سيعود. اتصل بضابط المهام واطلب منه البحث عنه... لا شيء عبر راديو الشرطة. هل هذا مفهوم؟

في طريق العودة إلى البلدة، اتصل هاري بشركة تيلينور حيث تم إخباره أن توركيلدسن قد عاد إلى بيته اليوم، وأن جميع الاستفسارات حول موقع هاتف إيدار فيتليسين المحمول ينبغي أن تتم عبر القنوات الرسمية في صباح اليوم التالي. أنهى الاتصال، ورفع صوت أغنية فيرميليون لفرقة سليبنوت، لكنه أحس أنه ليس بمزاج جيد فاستبدل الأسطوانة بأسطوانة غيل إيفانـز التي اكتشف وجودها من جديد في مؤخر خزانة القفازات. وكانت نشرة الأخبار تذاع بينما كان يحاول فتح غطاء الأسطوانة.

الشرطة تبحث عن طبيب ذكر في الثلاثينات من العمر مقيم في بيغدوي ويشتبه أنه مرتبط بجرائم رجل الثلج.

- تباً.

صرخ هاري وهو يرمي غيل إيفانـز على النافذة ويملأ السيارة بقطع البلاستيك. تدحرجت الأسطوانة إلى مكان القدمين. داس هاري على دواسة السرعة وتجاوز شاحنة كانت على يساره... عشرون دقيقة... لم يستغرق الأمر سوى عشرين دقيقة. لم لا يضعون مكبرات صوت في مركز الشرطة ويقومون ببث حي ومباشر؟

كان مقصف الشرطة مغلقاً وخاوياً خلال المساء، لكن هاري لم يجدها إلا هناك... هي وشطائرها على طاولة لشخصين. جلس هاري على الكرسي الثاني.

قالت برقة:

- شكراً لك على عدم إخبار أحد بفقداني السيطرة في فينوي.

هز هاري رأسه:

- ماذا فعلت؟

- استقللت رحلة الساعة الثالثة... كنت أريد الابتعاد فحسب.

ثم نظرت إلى كوب الشاي وقالت:

- أنا... آسفة.

أجاب هاري وهو ينظر إلى رقبتها النحيلة المنحنية وشعرها المرفوع ويدها الصغيرة الموضوعة على الطاولة... إنها تبدو مختلفة الآن:

- لا بأس. حين ينهار الشخص القاسي فإنه ينهار بشدة.

- لماذا؟

- ربما لأنه غير معتاد على فقدان السيطرة.

هزت كاترين رأسها وهي تحدق في كوب الشاي الذي يحمل شعار فريق الشرطة الرياضي:

- إنك مهووس بالسيطرة أيضاً ياهاري. ألا تفقدها أبداً؟

رفعت عينيها نحوه، بينما فكر هاري في أن الضوء الحاد في قزحيتيها هو ما منح بياض عينيها بريقاً أزرق. تلمس بيديه بحثاً عن سيجارته:

- لقد تدربت كثيراً على ذلك... لم أتدرب على أي شيء آخر سوى الانهيار؛ حيث كنت حاصلاً على الحزام الأسود في فقدان السيطرة.

ابتسمت ابتسامة خفيفة كنوع من الرد، فقال:

- لقد قاسوا نشاط الدماغ لدى الملاكمين المحترفين. هل تعلمين أنهم يفقدون الوعي عدة مرات خلال المواجهة؟ لجزء من الثانية هنا وجزء من الثانية هناك، لكنهم مع ذلك يبقون واقفين على أقدامهم كما لو أن الجسم يعلم أن ذلك مؤقت ويتولى السيطرة ويساعدهم حتى يستعيدوا الوعي.

أخرج هاري سيجارة:

- لقد فقدت السيطرة أيضاً في الكوخ، لكن الفرق هو أنني بعد كل هذه السنين أصبح جسمي يعلم أن السيطرة ستعود.

قالت كاترين وهي تبعد خصلة شعر عن وجهها:

- لكن ماذا تفعل كي لا تسقط من الضربة الأولى؟

- أفعل ما يفعله الملاكمون... أتأرجح مع اللكمات... لا تقاومي... إن وصل إليك أي من الأشياء التي حدثت في العمل فدعيه، فأنت لن تستطيعي طرده على المدى البعيد بكل الأحوال. تقبلي الأمر تدريجياً، وتخلصي منه ببطء، ولا تدعيه يتجمع حتى يتشقق الجدار.

وضع السيجارة بين شفتيه:

- نعم أعلم. لقد أخبرك الاختصاصي النفسي في الشرطة كل ذلك

حين كنت مجندة جديدة، لكن وجهة نظري هي التالية: حتى حين تطلقين الأمر في الحياة الواقعية فعليك أن تشعري بما يفعله الأمر لك وأن تشعري إن كان يدمرك.

قالت كاترين:

- حسناً. وماذا تفعل إن شعرت أنه يدمرك؟
- تبحثين لنفسك عن وظيفة أخرى.

حدقت به مطولاً.

- وماذا فعلت ياهاري؟ ماذا فعلت حين شعرت أنه يدمرك؟

عض هاري قليلاً على السيجارة ليشعر بأنسجتها الجافة والناعمة تحتك بأسنانه وهو يفكر أنه كان من الممكن أن تكون أخته أو ابنته، فهما مصنوعان من المادة القاسية نفسها... مادة بناء ثقيلة وصلبة وغير متعاونة ومليئة بالشقوق.

- نسيت أن أبحث عن وظيفة أخرى.

همست:

- أتعلم ماذا؟
- ماذا؟

مدت يديها وسحبت السيجارة من فمه وانحنت عبر الطاولة:

- أعتقد...
- فتح باب المقصف... كان هولم.
- القناة الثانية... إنه على الأخبار الآن... اسما رافتو وفيتليسين وصورهما.

ومعه حلت الفوضى... على الرغم من أن الساعة كانت الحادية عشرة ليلاً لكن بهو مركز الصالة امتلأ خلال نصف ساعة بالصحفيين والمصورين. كانوا كلهم ينتظرون رئيس كريبوس أو إسبن ليبسفيك أو هاغن رئيس فرقة مكافحة الجرائم أو رئيس الشرطة أو أي أحد لينـزل ويقول شيئاً وهم يتمتمون في ما بينهم أن على الشرطة الاعتراف بمسؤوليتها بإعلام العامة عن مثل هذا الأمر الخطير والهام والمتزايد.

وقف هاري إلى جانب عمود السلم في الدهليز وهو ينظر إليهم. كانوا يتجولون كأسماك قرش قلقة، ويتكلمون مع بعضهم، ويتحايلون على بعضهم، ويساعدون بعضهم، وينشرون الأخبار أو يحاولون الوصول إليها. هل سمع أحد ما شيئاً؟ هل سيكون هناك مؤتمر صحفي اليوم؟ أو على الأقل

موجز مرتجل؟ هل فيتليسين في طريقه إلى تايلنده؟ كان الموعد النهائي وشيكاً... لا بد أن يحدث شيء ما.

كان هاري قد قرأ أن عبارة الموعد النهائي يعود أصلها إلى ساحات معارك الحرب الأهلية الأمريكية حين كانوا يجتمعون معاً ويرسمون خطاً في الوحل حول الأسرى لعدم وجود أي شيء ملموس لحبس الأسرى فيه، وأصبح هذا الخط معروفاً باسم خط النهاية ، حيث يتم إطلاق النار على كل من يتعداه. كان ذلك تماماً ما هم عليه... مقاتلو الأخبار في الردهة: إنهم أسرى حرب محجوزون وراء خط النهاية.

كان هاري في طريقه إلى غرفة الاجتماعات مع الآخرين حين رن هاتفه المحمول... كان ماثياس.

- هل سمعت البريد الصوتي الذي تركته لك؟

- لم تسنح لي الفرصة، فالأمور في تسارع محموم هنا. هل يمكننا الحديث في ما بعد؟

- بالطبع، لكن الأمر يتعلق بإيدار... لقد رأيت في الأخبار أنه مطلوب.

نقل هاري الهاتف إلى يده الأخرى:

- أخبرني الآن إذاً.

- اتصل بـي إيدار في وقت باكر اليوم... كان يطلب مادة كارنادريوكسيد. إنه يتصل بـي عادة لسؤالي عن الأدوية، فالصيدلة ليست من نقاط قوة إيدار؛ لذا لم أفكر في الأمر في ذلك الحين. أتصل بك الآن لأن كارنادريوكسيد مادة خطرة للغاية... أظن أنك ترغب في معرفة ذلك.

- بالتأكيد... بالتأكيد.

قال هاري ذلك وهو يبحث في جيبه حتى وجد قلم رصاص صغيراً وبطاقة قطار:

- كارنا...؟

- كارنادريوكسيد. إنه يحتوي على سم من الأفاعي المخروطية ويستخدم كمسكن آلام لمرضى السرطان والإيدز، وهو أقوى بآلاف المرات من المورفين. كما أن الجرعة الزائدة منه ستشل العضلات بتأثيرات مباشرة؛ حيث سيتوقف القلب والأعضاء التنفسية مما سيؤدي إلى الوفاة المباشرة.

دوَّن هاري الملاحظات:

- حسناً. ماذا قال أيضاً؟

- لا شيء... بدا متوتراً وشكرني ثم أنهى الاتصال.

- هل لديك أي فكرة عن مكانه؟
- لا، لكن هناك شيئاً غريباً في الصوت... لا بد أنه لم يتصل من عيادته فقد بدا الصوت كما لو كان يتكلم من قبو. أتفهم ما أعنيه؟
- أفهم. شكراً لك ياماثياس. سنتصل بك في حال احتجنا لمزيد من المعلومات.
- يسعدني...

لم يسمع هاري التتمة فقد ضغط على زر إنهاء المكالمة.

داخل القاعة ك1 كان كامل فريق التحقيق يجلس مع أكواب القهوة، بينما كان هناك إبريق مليء بالقهوة الطازجة كما تدلت الستر من وراء المقاعد. كان سكار قد عاد لتوه من بيغدوي حيث ذكر المحادثة التي جرت بينه وبين والدة إيدار فيتليسين التي رددت أنها لم تكن تعلم أي شيء، وأنه لا بد أن يكون الأمر بأكمله مجرد سوء فهم هائل.

اتصلت كاترين بمساعدته بورغهيلد موين التي عبرت عن المشاعر نفسها.

قال هاري:

- سنستجوبهما غداً في حال دعت الحاجة إلى ذلك، أما الآن فلدينا أمور أكثر إلحاحاً.

نظر الثلاثة الآخرون إلى هاري وهو يذكر موجزاً عن المحادثة مع ماثياس وهو يقرأ من على تذكرة القطار اسم الدواء كارنادريوكسيد.

سأل هولم:

- هل تظن أنه قتلهم؟ بدواء يشل؟

قاطعه سكار:

- ها نحن ذا. لذلك كان عليه إخفاء الجثث لئلا يكشف التشريح عن وجود الدواء ويتم تتبعه إليه.

قال هاري:

- كل ما نعرفه هو أن إيدار فيتليسين قد فقد السيطرة. وفي حال كان هو رجل الثلج فإنه يكسر نمطه.

قالت كاترين:

- السؤال هو وراء من يسعى الآن. لا بد أن أحداً ما سيموت من هذه المادة عما قريب.

فرك هاري رقبته:

- هل حصلت على نسخة من مكالمات فيتليسين الهاتفية ياكاترين؟

- نعم، وحصلت على أسماء أصحاب الأرقام وراجعتها مع بورغهيلد فكان معظمهم من المرضى. كما قام بمكالمتين مع كروهن محاميه، والأخرى التي ذكرتها للتو مع لاند هيلغسين. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك رقم مسجل باسم دار بوبر للنشر.

قال هاري:

- ليس لدينا الكثير لنعمل عليه... يمكننا الجلوس هنا واحتساء القهوة وحك رؤوسنا الغبية، أو يمكننا الرجوع إلى بيوتنا والعودة غداً بالرؤوس الغبية نفسها لكن غير المرهقة لهذه الدرجة.

حدق الآخرون فيه.

- أنا لا أمزح. عودوا إلى بيوتكم.

عرض هاري على كاترين أن يقلها إلى منطقة غرانرلوكا العمالية السابقة حيث توقف وفقاً لإرشاداتها خارج بناء قديم من أربع طبقات في سيلدوكسغاتا.

سألها وهو ينحني للأمام:

- في أي شقة؟
- الطابق الثاني على اليمين.

حدق إلى الأعلى، لكن جميع النوافذ كانت مظلمة فلم ير أي ستائر:

- لا يبدو أن زوجك في المنـزل، أو ربما قد أوى إلى فراشه.

قالت من دون أن تتحرك:

- ربما. هاري؟

نظر إليها باستفهام:

- حين طرحت السؤال عمّن يسعى رجل الثلج وراءه الآن فهل عرفت من كنت أقصد؟
- ربما.
- ما وجدناه في فينوي لم يكن جريمة عشوائية ارتكبت بحق شخص عرف الكثير... لقد تم التخطيط لها قبل زمن.
- ما الذي تعنينه؟
- أعني أنه في حال كان رافتو قد عثر حقاً على أثره فإن ذلك كان مخططاً له أيضاً.
- كاترين...
- لحظة. رافتو كان أفضل محقق في بيرغن وأنت الأفضل في أوسلو.

إن بإمكانه توقع أنك أنت من سيحقق في هذه الجرائم ياهاري ولذلك تلقيت الرسالة... كل ما أقوله هو أن عليك توخي الحذر.

- هل تحاولين إخافتي؟

هزت كتفيها:

- إن كنت خائفاً فهل تعلم ما يعنيه ذلك؟
- لا؟

فتحت كاترين باب السيارة:

- عليك أن تبحث لنفسك عن وظيفة جديدة.

فتح هاري باب شقته وخلع حذاءه، ثم وقف عند عتبة غرفة الجلوس. كانت الغرفة مجردة بالكامل الآن كبناء مقلوب، بينما سقط ضوء القمر على شيء أبيض على الجدار الأحمر الأجرد. دخل ليجده الرقم ثمانية مرسوماً بالطبشور. مد يده ولمسه... لا بد أن رجل القوالب من رسمه، لكن ما الذي يعنيه؟ ربما هو رمز ليخبره أي نوع من السوائل عليه أن يستخدم هناك.

خلال الليل، أجهدت الكوابيس جسد هاري ليتقلب يمنة ويسرى، فقد حلم أن شيئاً ما قد أقحم في فمه واضطر للتنفس عبر فتحة لئلا يموت من الاختناق، وكان في فمه مذاق الزيت والمعدن والبارود. وفي النهاية، لم يعد هناك المزيد من الهواء في الداخل وإنما مجرد فراغ، فبصق الشيء واكتشف أنه لم يكن يتنفس عبر ماسورة بندقية، وإنما عبر الرقم ثمانية بدائرة كبيرة في الأسفل ودائرة أصغر في الأعلى. تدريجياً، اكتسب الرقم ثمانية دائرة ثالثة أصغر في الأعلى، وفي القمة كان رأس سيلفيا أوترسون. كانت تحاول الصراخ وإخباره بما حصل لكنها لم تستطع، فقد كانت شفتاها مخاطتين.

حين استيقظ كانت عيناه منتفختين، وكان يعاني من الصداع، بالإضافة إلى وجود طبقة على شفتيه يصدر منها مذاق الطبشور والمرارة.

16 - اليوم العاشر

كرلنغ

كان صباحاً بارداً في بيغدوي حين فتحت آستا جوهانسن نادي الكرلنغ عند الساعة الثامنة كالمعتاد. كانت الأرملة العجوز ذات السبعين عاماً تنظف النادي مرتين في الأسبوع، وهو أكثر من كافٍ فالصالة الخاصة الصغيرة لم يكن يستخدمها أكثر من بضعة رجال، كما أنها لا تضم أي دش. أضاءت النور فبدت الجدران الخشبية الموصولة بمسننات مليئة بالكؤوس والشهادات والأعلام المزينة بعبارات لاتينية وصور قديمة بالأبيض والأسود لرجال بلحى يرتدون بذلات مع تعابير تستحق التقدير. كانت آستا تظن أنهم يبدون مضحكين كصيادي الثعالب في ذلك المسلسل التلفزيوني الإنكليزي عن الطبقات الراقية. دخلت إلى صالة الكرلنغ حيث عرفت من البرودة في الداخل أنهم قد نسوا رفع منظم الحرارة للجليد، وهو ما يفعلونه عادة لتوفير الكهرباء. نقرت آستا على زر الإضاءة، وبينما ومضت الأنوار وضعت نظارتها ورأت أن منظم الحرارة لكابلات التبريد منخفض جداً فرفعته.

أضاء النور السطح الرمادي للجليد، ومن خلال نظارة قراءتها لمحت شيئاً في الطرف الآخر من الصالة، فأزالتها لتتضح لها الأشياء ببطء. شخص! أرادت أن تمشي عبر الجليد لكنها ترددت. لم تكن آستا جوهانسن من النوع الجبان لكنها كانت تخاف من أن تكسر حوضها يوماً ما على الجليد وتبقى هناك حتى يجدها صائدو الثعالب. أخذت إحدى العصي المائلة والمتكئة على الجدار، واستخدمتها كعكاز وهي تمشي بخطى بطيئة وتتأرجح على الجليد.

كان الرجل الهامد مستلقياً في نهاية مساحة الجليد، بينما كان رأسه في مركز الحلبة حيث سقط الشعاع الأبيض والأزرق للأضواء على الوجه المتصلب وهو يكشر. كان هناك شيء مألوف في وجهه... هل كان من المشاهير؟ كانت العينان المتلألئتان تبدوان كما لو أنهما تبحثان عن شيء ما وراءها... وراء ما هو موجود هنا، بينما أمسكت اليد اليمنى المتشنجة حقنة بلاستيكية تحتوي على بقايا محتوى أحمر.

توصلت آستا جوهانسن بهدوء إلى أنه ما من شيء يمكنها فعله له، فركزت على طريق عودتها على الجليد إلى أقرب هاتف.

وبعد أن اتصلت بالشرطة ووصلوا ذهبت إلى منـزلها وشربت قهوتها الصباحية.

ولم تدرك من هو الشخص الذي وجدته حتى أمسكت بصحيفة آفتنبوستن.

كان هاري جاثماً يفحص حذاء إيدار فيتليسين.

- ما الذي قاله اختصاصي علم الأمراض حول وقت الوفاة؟

كان سؤاله موجهاً لبيورن هولم الذي كان يقف إلى جانبه مرتدياً سترة من الجينـز عليها فرو أبيض ومنتعلاً حذاء من جلد الأفعى لا يصدر أي صوت وهو يدوس به على الجليد. لم تكن قد مرت ساعة منذ أن اتصلت آستا جوهانسن، لكن الصحفيين اجتمعوا خارج شريط الشرطة الأحمر حول نادي الكرلنغ.

قال هولم:

- قال إنه من الصعب معرفة ذلك. يمكنه فقط تخمين مدى سرعة هبوط حرارة جسد على الجليد في غرفة أكثر دفئاً.

- وهل خمن؟

- في وقت ما بين الخامسة والسابعة من مساء الأمس.

- أي قبل إذاعة نشرة الأخبار التلفزيونية حوله. هل فحصت القفل؟

هز هاري رأسه:

- من نوع ييل العادي. كان مقفلاً حين وصلت مسؤولة التنظيف. رأيتك تنظر إلى الحذاء لقد تحققت من الآثار. إنني متأكد من أنها متطابقة مع الآثار التي حصلنا عليها من سوليهوغدا.

فحص هاري النمط على القدم:

- إذاً، أنت تظن أن هذا هو رجلنا المطلوب.

- أظن ذلك... نعم.

هز هاري رأسه وهو يفكر بعمق:

- هل تعلم إن كان فيتليسين أعسر.

- أشك في ذلك، فكما ترى إنه يمسك الحقنة بيده اليمنى.

هز هاري رأسه:

- نعم. وبكل الأحوال تحقق من ذلك.

لم يكن هاري قد جرّب الشعور بالسعادة حين تصل القضايا التي يعمل عليها للنهاية يوماً ما ويتم حلها وتنتهي، فطالما أن القضية قيد

التحقيق فإن ذلك يكون هدفه، لكنه ما إن يحققه حتى يعرف أنه لم يصل إلى نهاية رحلته، أو أنها لم تكن النهاية التي تخيلها، أو أنها تبدلت أو هو تغير أو الله أعلم ماذا. لقد كان يشعر بالفراغ فمذاق النجاح لم يكن كما هو متوقع، فالقبض عن المذنبين دائماً يأتي مرتبطاً بالسؤال: ماذا الآن؟

كانت الساعة السابعة مساء حين تم استجواب الشهود وجمع الأدلة الجدلية وعقد مؤتمر صحفي، وفي ممر فرقة مكافحة الجرائم كان هناك جو احتفالي، حيث طلب هاغن الكعك، واستدعى أعضاء فريقي ليبسفيك وهاري ليهنئهم في القاعة ك1.

جلس هاري على كرسي وهو يحدق في قطعة كبيرة من الكعك كان أحد ما قد وضعها في حضنه. كان قد استمع لهاغن وهو يتحدث مع الضحك والتصفيق، بينما كان البعض ينكزونه في ظهره وهم يمرون، في حين تركه الآخرون بسلام. وكان ضجيج المحادثة يملأ الجو من حوله.

- كان الحقير خاسراً... لقد جبن حين عرف أننا كشفنا أمره.
- لقد خدعنا.
- خدعنا؟! هل تعني ياليبسفيك أنك...؟
- لو قبضنا عليه حياً لأعلنت المحكمة أنه مجنون و...
- ينبغي أن نكون سعداء. في النهاية، ليس لدينا أي أدلة حاسمة وإنما مجرد أدلة ظرفية.

هدر صوت إسبن ليبسفيك من الجانب الآخر من الغرفة:

- حسناً ياشباب... اصمتوا! لقد اتفقنا على اللقاء في فينريس في تمام الثامنة. هذا أمر... هل فهمتم؟

تعالت أصوات الابتهاج.

وضع هاري الكعكة جانباً، وأوشك على الوقوف حين أحس بيد خفيفة على كتفه... كان هولم.

- لقد تحققت من الأمر. كما قلت لك فيتليسين يستخدم يده اليمنى.

فار ثاني أوكسيد الكربون من الزجاجة التي تم فتحها، ثم وضع سكار المترنح يده على كتف هولم.

- يقولون إن متوسط الحياة للأشخاص الذين يستخدمون أيديهم اليمنى أعلى منه لدى الأشخاص الذين يستخدمون أيديهم اليسرى. هذا لا ينطبق على فيتليسين أليس كذلك؟ هههههه...

ابتعد سكار ليتشارك حكمته مع الآخرين، فسأل هولم هاري:

- هل ستذهب؟

- أريد أن أمشي قليلاً. قد أراك في فينريس.

لم يكد هاري يصل إلى الباب حتى أمسك هاغن بذراعه، وقال بهدوء:

- من اللطيف أن لا يغادر أحد. لقد قال رئيس الشرطة إنه سيأتي ويقول بضع كلمات.

نظر هاري إلى هاغن، وأدرك أن هناك شيئاً بدا في عينيه لأن هاغن ترك ذراعه كما لو أنه احترق.

قال هاري:

- أنا ذاهب إلى الحمام فحسب.

ابتسم هاغن ابتسامة مقتضبة وهز رأسه.

توجه هاري إلى مكتبه، وارتدى سترته، ونـزل السلم ببطء ليخرج من مركز الشرطة إلى غرونلاند سليرت. كانت ندف الثلج تتطاير في الهواء، بينما تلألأت الأضواء على حافة إكيبيرغ وارتفع صوت صفارة ثم اختفى كأغنية بعيدة لحوت. كان هناك باكستانيان يتناقشان بسعادة بينما استقر الثلج عليهما، في حين كان هناك شخص مترنح يغني أغنية بحرية في سوق غرونلاندس. كان هاري يحس بالمخلوقات الليلية تتنشق الهواء وتتساءل إن كان الخروج آمناً... كم أحب هذه البلدة.

- هل أنت هنا؟

نظرت إيلي كفال باستغراب إلى ابنها تريغف الذي كان جالساً إلى طاولة المطبخ يقرأ مجلة بينما المذياع يئز.

كانت على وشك سؤاله عن سبب عدم جلوسه في غرفة الجلوس مع أبيه، لكن خطر ببالها أنه من الطبيعي أيضاً أن يرغب بالحديث معها... لكن ذلك لم يكن طبيعياً. صبت لنفسها كوباً من الشاي وجلست تشاهده بصمت. كان وسيماً جداً، بينما كانت تظن دائماً أنها ستجده قبيحاً لكنها كانت مخطئة.

قال الصوت في المذياع إن الرجال لم يعودوا سبب عدم قدرة النساء على الوصول إلى المناصب الإدارية في النروج؛ فالشركات كانت تعاني لتصل إلى النسبة المحددة قانونياً من النساء؛ لأن غالبيتهن يمقتن المناصب حيث يتعرضن للانتقاد ويجدن أنفسهن يواجهن تحديات مهنية من دون وجود

أحد ليختبئن وراءه.

قال الصوت:

- إنهن كأطفال يبكون ويبكون للحصول على الفستق، لكنهم يبصقونه حين يحصلون عليه في النهاية. ياله من أمر مزعج... متى ستتحمل النساء المسؤولية ويظهرن بعض الشجاعة.

فكرت إيلي أن هذا صحيح فالأمر متعلق بالوقت.

قال تريغف:

- قد جاء إلي أحد ما في معهد الفنون المعاصرة اليوم.

قالت إيلي بينما قفز قلبها:

- أوه نعم، وماذا يريد؟

- لقد سألني إن كنت ابنك... ابنك وابن بابا.

قالت إيلي بهدوء وهي تشعر بالدوار:

- حسناً. وبماذا أجبت؟

رفع تريغف نظره عن مجلته وقال:

- بمَ أجبت؟ أجبت بنعم بالطبع.

- ومن هو الرجل الذي يسأل؟

- ما الأمر ياأمي؟

- ماذا تعني؟

- وجهك شاحب جداً.

- لا شيء ياحبيبـي. من كان؟

عاد تريغف إلى مجلته:

- لم أقل إنه كان رجلاً. هل قلت ذلك؟

وقفت إيلي على قدميها، وأخفضت صوت المذياع بينما كان صوت امرأة يشكر وزير الصناعة وآرف ستوب على الحوار، وحدقت في الظلام بينما تطايرت ندف الثلج هنا وهناك بلا هدف وبلا تأثر بالجاذبية وبلا إرادة منها؛ إذ ستحط حيث تملي عليها الصدفة لتذوب وتختفي في ما بعد... كان في ذلك بعض الراحة.

سعلت.

قال تريغف:

- ماذا؟

- لا شيء. أعتقد أنني سأصاب بالزكام.

مشى هاري بلا هدف عبر شوارع أوسلو، ولم يدرك إلى أين كان متجهاً حتى وقف خارج فندق ليون؛ حيث التجار وبائعات الهوى في الشوارع المجاورة. كان الوقت وقت الذروة، حيث إن الزبائن يفضلون الاستفادة من الخدمات قبل منتصف الليل.

مشى هاري إلى منضدة الاستقبال، ورأى من تعابير بور هانسن المذعورة أنه قد تعرف عليه.

اشتكى مالك الفندق وهو يمسح الحرق عن جبينه:

- لقد اتفقنا!

تساءل هاري عن سبب تغلّف جميع الناس الذين يعتاشون من حاجات الآخرين بهذه الطبقة الرقيقة من العرق كمظهر خادع للعار الزائف بسبب انحلالهم الأخلاقي.

قال هاري:

- أعطني مفاتيح غرفة الطبيب، فهو لن يأتي الليلة.

كانت هناك ثلاثة جدران في الغرفة مغطاة بورق جدران من السبعينيات برسوم باللونين البني والبرتقالي، في حين كان جدار الحمام الرئيس مطلياً بالأسود ومليئاً باللطخ والشقوق الرمادية حيث كان الجص قد تساقط. أما السرير المزدوج فكان في المنتصف والسجادة قاسية. أزال منشفة اليد البالية عن الكرسي في أسفل السرير وجلس وهو يستمع لدمدمة الإثارة المتوقعة في البلدة، وأحس أن الكلاب قد عادت إلى حيث نهشت ونبحت وشدت السلاسل الحديدية. لم يكن هاري بمزاج يسمح له بالضحك لكنه ضحك في كل الأحوال. أشعل سيجارة فتلوى الدخان حتى وصل إلى المصباح المصنوع من ورق الأرز.

ما هي العفاريت التي كان إيدار فيتليسين يتصارع معها؟ هل أحضرها إلى هنا؟ أو إن هذا كان الملجأ والملاذ؟ ربما يكون قد اكتشف بعض الإجابات، ولكن ليس كلها على الإطلاق مثل إن كان الجنون والشر كيانين مختلفين، أو إننا لم نعد نفهم هدف الدمار الذي نسميه بكل بساطة الجنون. نحن قادرون على فهم أن أحداً ما عليه رمي قنبلة ذرية على مدينة مليئة بالمدنيين الأبرياء، لكننا لا نفهم أن بائعات الهوى ينشرن الأمراض والانحلال الأخلاقي في أحياء لندن، فندعو الحالة الأولى بالواقعية والثانية بالجنون.

إنه بحاجة للشراب... كأس واحدة ليخفف من حدة الألم في هذا اليوم وهذه الليلة.

دق الباب:

- نعم.

حين صرخ هاري تفاجأ من الغضب البادي في صوته.

فتح الباب ليظهر وجه أسود، فنظر إليها هاري. تحت الرأس والرقبة القويين الجميلين كانت ترتدي سترة قصيرة جداً لدرجة أن الدهون المكدسة في أعلى بنطالها الضيق كانت ظاهرة.

سألت باللغة الإنكليزية، بينما منحها التشديد على المقطع الثاني من الكلمة لكنة فرنسية:

- دكتور؟

مرت ثانيتان قبل أن يقوم هاري عن كرسيه ويتجه إلى الباب. كانت المرأة قد وصلت إلى نهاية الممر.

صرخ هاري بالإنكليزية:

- لو سمحت. عودي من فضلك.

توقفت ونظرت إليه بحذر.

قالت وهي تشدد على آخر مقطع:

- مائتي كرونر.

هز هاري رأسه.

جلست على السرير واستمعت لأسئلته مرتبكة حول الطبيب... الرجل السيئ... وحول العربدة مع العديد من النساء... وحول الأطفال الذين يتم استغلالهم. ومع كل سؤال جديد، كانت تهز رأسها للدلالة على عدم الفهم. وفي النهاية، سألته إن كان من الشرطة.

هز هاري رأسه.

تغضن حاجباها وقالت:

- لم تسأل كل هذه الأسئلة؟ أين الطبيب؟

- الطبيب قتل أناساً.

تأملته بارتياب لتقول في النهاية:

- هذا غير صحيح.

- لماذا؟

- لأن الطبيب شخص لطيف... إنه يساعدنا.

سألها هاري كيف؟ وهنا حان دوره ليجلس ويستمع بينما أخبرته المرأة السوداء أنه في كل اثنين وخميس يجلس الطبيب في هذه الغرفة مع حقيبته ويتكلم معهن ويرسلهن إلى المرحاض للحصول على عينات من

بولهن، ثم يأخذ عينات من دمهن ويفحصها للتأكد من عدم إصابتهن بالأمراض. كان يعطيهن أدوية وعلاجاً في حال كن مصابات بأي من الأمراض المعتادة، وعنوان المشفى إن كن مصابات بالأمراض الأخرى... الوبائية. في حال وجود أي مشكلة أخرى لديهن، كان يعطيهن الحبوب أيضاً من دون أن يأخذ أي مقابل. كان الشيء الوحيد الذي يطلبه هو أن يعدنه بعدم إخبار أحد سوى زميلاتهن في الشارع. بعض الفتيات أحضرن أطفالهن حين كانوا مرضى لكن مالك الفندق منعهم من الدخول.

دخن هاري سيجارة وهو يسمع. هل كانت هذه متعة فيتليسين؟ نظير الشر للحصول على التوازن الضروري؟ أو إن ذلك يبرز الشر ويريحه؟

استمر لسانه بالتورم في فمه... لا بد أنه سيختنق ما لم يتناول شراباً.

توقفت المرأة عن الكلام بينما كانت تتلمس ورقة المائتي كرونر، ثم سألت في النهاية:

- هل سيأتي الطبيب؟

فتح هاري فمه ليجيبها لكن لسانه اعترض الطريق، بينما رن هاتفه المحمول فرد على المكالمة:

- هول يتحدث.

- هاري؟ أنا أودا بولسن. هل تذكرني؟

لم يتذكرها لكنها بدت شابة جداً.

- من التلفاز النروجي الحكومي. لقد دعوتك إلى بوس في المرة الماضية.

الباحثة... فخ العسل.

- إننا نتساءل إن كنت ترغب بالانضمام إلينا مجدداً يوم غد. نرغب بسماع قصة انتصاركم على رجل الثلج... نعم... نعلم أنه قد مات، لكن على الأقل نود معرفة ما كان يدور في رأس ذلك الشخص إن كان بإمكاننا تسميته...

- لا.

- ماذا؟

- لا أريد الانضمام إليكم.

قالت أودا بولسن بدهشة في صوتها:

- إنها بوس في التلفاز النروجي الحكومي.

- لا.

- اسمعني ياهاري. ألن يكون من الممتع أن نتكلم...؟

رمى هاري الهاتف المحمول على الجدار الأسود فسقطت قطعة من الجص.

وضع هاري رأسه بين يديه محاولاً الإمساك به لئلا ينفجر... كان عليه شرب شيء ما... أي شيء. حين نظر إلى الأعلى ثانية كان بمفرده في الغرفة.

ربما كان سيتجنب الاجتماع لو أن فينريس لا تقدم الشراب، ولو أن الساقي لم يكن يصرخ بصوته الأجش حول التخدير والعفو:

- هاري! تعال إلى هنا ودعنا نستذكر الأيام الخوالي حول تلك الأشباح الرهيبة التي طردناها، وحول الليالي التي تمكنا من النوم فيها.

من جهة أخرى، ربما لا يكون كذلك.

لم يلحظ هاري زملاءه سوى بصعوبة، كما أنهم لم ينتبهوا له حين دخل المكان المبهرج الذي يبدو مدخله على شكل مركب دنماركي أحمر. كانوا قد وصلوا مسبقاً، حيث كانوا متكئين على أكتاف بعضهم وهم يصرخون ويغنون مع ستيفي وندر الذي كان يدعي أنه اتصل ليقول إنه أحبك. كانوا يبدون كفريق كرة قدم ربح الكأس، وبينما ختم ستيفي وندر أغنيته بذكر أن إعلانه الحب قد نبع من صميم قلبه، كانت كأس هاري الثالثة موضوعة أمامه على الطاولة.

كانت كأس الشراب الأولى قد خدرت كل شيء حيث لم يعد قادراً على التنفس، فراودته فكرة، وهي أن هذا هو الشعور نفسه الناجم عن أخذ حقنة من كارنادريوكسيد. أما الثانية فجعلت معدته تنقلب، لكن جسده كان قد تجاوز الصدمة الأولى وعرف أنه قد تلقى ما كان يطلبه منذ زمن، والآن بدأ بالاستجابة بدمدمة أنه بخير وأن الحرارة بداخله قد غسلت... فهذه موسيقى الروح.

- أتشرب؟

كانت كاترين واقفة بجانبه.

- هذه آخر كأس.

قال هاري ذلك بينما لم يعد لسانه ثقيلاً وإنما صار ناعماً ولیناً... لهذا لا يزال محافظاً على وظيفته.

قالت كاترين:

- إنها ليست الأخيرة وإنما الأولى.

رفع هاري نظره إليها:

- هذا أوّل مبادئ الإدمان.

يا للعينين الزرقاوين والأنف الرفيع والشفتين الممتلئتين... يا الله، إنها تبدو رائعة!

- هل أنت مدمنة يا كاترين برات؟
- كان والدي مدمناً.
- ألذلك لم ترغبي بزيارتهم في بيرغن؟
- هل تتجنب زيارة الناس إن كانوا مرضى؟
- لا أدري. ربما قضيت طفولة تعيسة بسببه أو ما شابه.
- لم يكن بإمكانه جعلي تعيسة، فقد ولدت هكذا.
- تعيسة؟
- ربما... ماذا عنك؟

هز هاري كتفيه:

- الأمر واضح.

احتست كاترين شرابها.

- ولم أنت تعيس يا هاري؟

خرجت الكلمات من فمه قبل أن يسنح له الوقت ليفكر:

- أحب شخص لا يحبني.

ضحكت كاترين:

- يا مسكين. هل كانت لديك بداية حياة منسجمة ومزاج مرح ثم تدمر كل شيء؟ أو إن طريقك كان مرسوماً لك؟

حدق هاري في كأسه:

- أحياناً أتساءل، ولكن ليس كثيراً... أحاول التفكير في أمور أخرى.
- مثل ماذا؟
- أمور أخرى.
- هل تفكر فيّ أحياناً؟

ارتطم أحدهم بها فاقتربت منه، حيث امتزج عطرها برائحة الشراب.

قال وهو يمسك بكأسه ويتجرع محتوياتها:

- أبداً.

ثم حدق في الأمام إلى المرآة وراء الزجاجات حيث رأى كاترين برات وهاري هول يقفان قريبين جداً من بعضهما، ثم انحنت هي للأمام:

- أنت تكذب يا هاري.

التفت إليها، كانت عيناها خامدتين ومشوشتين كالأضواء الكاشفة في سيارة تقترب، بينما كانت فتحتا أنفها تتسعان وهي تتنفس بصعوبة.

- أخبرني بالضبط وبالتفصيل ما الذي ترغب بفعله الآن ياهاري... كل شيء... ولا تكذب هذه المرة.

عاد ذهنه إلى الشائعة التي ذكرها إسبن ليبسفيك حول كاترين برات وميول زوجها... هراء... فذهنه لم يعد للوراء، وإنما كان متقدماً جداً في هذا الأمر طوال الوقت.

تنهد:

- حسناً ياكاترين، أنا رجل بسيط، وحاجاتي بسيطة.

أرجعت رأسها إلى الوراء كما تفعل بعض أنواع الحيوانات لإظهار خضوعها، فرفع كأسه قائلاً:

- أرغب بالشرب.

ترنحت كاترين نحو هاري حين ارتطم بها أحد زملائها من الخلف، فتفادى هاري سقوطها حين أمسك بجانبها الأيسر بيده الخالية، في حين ظهرت علامات الألم على وجهها.

قال:

- آسف. هل تأذيت؟

وضعت يديها على ضلوعها:

- السور... لا، لا شيء... آسفة.

أدارت ظهرها له، وشقت طريقها عبر زملائها، فرأى عدة شباب يتابعونها بأعينهم. توجهت نحو الحمام، وألقى هاري نظرة شاملة على الغرفة، فأشاح ليبسفيك بنظره بعيداً حين التقت نظراتهما. لم يستطع البقاء أكثر، فهناك أماكن أخرى يمكنه فيها الدردشة مع الشراب، فدفع وكان على وشك المغادرة. كان هناك بعض الشراب المتبقي في كأسه، لكن ليبسفيك وزميلين آخرين كانوا يراقبونه من الجانب الآخر من المشرب، وكان الموضوع متعلقاً بالسيطرة على الذات. أراد هاري تحريك ساقيه لكنهما كانتا ملتصقتين بالأرض كالصمغ، فأخذ الكأس ووضعها على شفتيه متجرعاً محتوياتها.

كان هواء الليل البارد رائعاً على بشرته الملتهبة.

حين وصل هاري إلى المنـزل تقيأ، ونظر إلى التقويم المتدلي من المسمار على الخزانة العلوية؛ ذاك التقويم الذي أعطته إياه راكيل كهدية قبل عدة سنوات. كان يضم صورهم هم الثلاثة... صورة لكل شهر. في نوفمبر كان راكيل وأوليغ يضحكان عليه ومن ورائهما خلفية من أوراق

الشجر الصفراء الخريفية وسماء زرقاء باهتة كلون الثوب ذي الزهور البيضاء الذي كانت راكيل ترتديه في أول مرة، فقرر أنه في هذه الليلة سيحلم بتلك السماء، ثم فتح الخزانة تحت الرف وأخرج عبوات الكولا الفارغة التي تساقطت محدثة جلبة، ليجدها هناك في الخلف. ولأنه كان يعلم ما كان سيفعله ليحصل على المادة، ولكي يؤخر المحتوم مرر يده على العلامة التجارية ثم فتح الزجاجة. كانت الحقنة التي استخدمها فيتليسين لا تزال مغطاة باللون الأحمر من السم، مما يظهر أنها كانت ممتلئة... أحمر قرمزي.

تنشق الهواء، ورفع الزجاجة ثم وضعها على فمه ليشعر بجسده يتوتر ويتصلب استعداداً للصدمة، ثم شرب بنهم ويأس كما لو أنه يريد الانتهاء منها. كانت حنجرته تصدر بين الجرعات صوتاً كالنشيج.

17 - اليوم الرابع عشر

أخبار سارة

مشى غونار هاغن في الممر بسرعة.

كان ذلك يوم الاثنين بعد أربعة أيام من حل قضية رجل الثلج... لا بد أنها كانت أربعة أيام سعيدة ومليئة بالكثير من التهاني، والتعليقات الإيجابية في الصحافة، وحتى الاستفسارات من الصحف الأجنبية في ما إن كان بإمكانهم الحصول على كامل خلفية القصة والتحقيق من البداية حتى النهاية، كما كان الرؤساء مبتسمين. وهنا بدأت المشكلة: الشخص الذي كان بإمكانه إعطاء هاغن تفاصيل عن قصة النجاح لم يكن موجوداً، فقد مرت أربعة أيام ولم ير أحد أو يسمع شيئاً عن هاري هول لسبب واضح... لقد رآه زملاؤه في فينريس. حاول هاغن التكتم على هذه المعلومة، لكن الشائعة وصلت لرئيس الشرطة الذي استدعى هاغن إلى مكتبه هذا الصباح.

- هذا لن ينفع على الإطلاق ياهاغن.

قال غونار هاغن إنه من الممكن أن تكون هناك أسباب أخرى، فهاري لم يكن من النوع الذي يعلمهم دائماً إن كان يعمل خارج المكتب؛ إذ ما زالت هناك الكثير من التحقيقات التي ينبغي إنجازها في قضية رجل الثلج على الرغم من العثور على القاتل.

لكن رئيس الشرطة كان قد اتخذ قراره:

- لقد وصلنا إلى آخر الطريق مع هول ياهاغن.
- إنه أفضل محققينا ياتورليف.
- وأسوأ ممثل للشرطة. هل تريد مثله قدوة ليحتذي به رجال الشرطة اليافعون ياغونار؟ الرجل مدمن، وكل من في المركز يعرف أنه كان في فينريس وأنه لم يأت إلى العمل منذ ذلك الحين. وفي حال تغاضينا عن ذلك، فإننا نضع معايير منخفضة جداً؛ مما يؤدي إلى أضرار يتعذر إصلاحها.
- لكن، الطرد! ألا يمكننا...
- لا مزيد من التحذيرات... الأنظمة المتعلقة بالعمال المدنيين واضحة بما فيه الكفاية.

كانت هذه المحادثة لا تزال تتردد في رأسه وهو يطرق باب مكتب رئيس الشرطة مجدداً.

قال هاغن:

- لقد وجدناه.

- من وجدتم؟
- هول.
قال رئيس الشرطة وهو يقف على قدميه:
- جيد. إذاً، دعنا نذهب ونتكلم معه مباشرة.
حين مشيا عبر رواق مكاتب فرقة مكافحة الجرائم في المنطقة الحمراء في الطابق السادس من مركز الشرطة، بدأ الموظفون الذين أحسوا بوجود شيء ما بالوقوف عند أبواب مكاتبهم، ومد رؤوسهم، ومشاهدة الرجلين يمشيان جنباً إلى جنب بوجهين متجهمين.
حين وصلا إلى الباب الذي يحمل الرقم 616 توقفا ليأخذ هاغن نفساً عميقاً.
- تورليف...
بدأ بالكلام، لكن رئيس الشرطة كان قد أمسك بمقبض الباب وفتحه.
وقفا عند الباب، بينما اتسعت عيونهما بذهول.
همس رئيس الشرطة:
- يا إلهي!
كان هاري هول يرتدي كنـزة قطنية ويجلس وراء مكتبه مع وجود ضمادة مطاطية حول ذراعه، ورأسه منحنٍ للأمام. كانت هناك حقنة متدلية من الجلد مباشرة تحت الضمادة المطاطية تظهر محتوياتها، ومن حيث يقفان عند الباب تمكنا من رؤية عدة نقاط حمراء من وخز الإبرة على الذراع البيضاء الناصعة.
همس رئيس الشرطة وهو يدفع هاغن أمامه ويصفق الباب خلفه:
- ماذا تفعل يارجل؟
رفع هاري رأسه ونظر إليهما كما لو كانا على بعد أميال، ولاحظ هاغن أن هاري كان يحمل ساعة توقيت. فجأة، سحب هاري الحقنة ونظر إلى المحتوى المتبقي، ثم رمى الحقنة ودوّن بعض الملاحظات على ورقة صغيرة.
تلعثم رئيس الشرطة:
- هـ... هذا سيسهل الأمور في الواقع ياهول لأن لدينا أخبار سيئة.
قال هاري وهو يمزق قطعة من القطن من كيس ويمسح بها ذراعه:
- لدي أخبار سيئة أيها السادة... من غير الممكن أن يكون إيدار فيتليسين قد انتحر، وأنا أفترض أنكما تعرفان ما يعنيه ذلك.
شعر غونار هاغن برغبة ملحة بالضحك، إذ بدا الوضع بكامله سخيفاً؛

حيث إن ذهنه لم يقم بأي رد فعل مُرضٍ، واستطاع أن يرى على وجه رئيس الشرطة أنه لا يعلم أيضاً ما عليه فعله.

نظر هاري إلى ساعة يده ووقف:

- تعاليا إلى غرفة الاجتماعات بعد ساعة بالضبط لتعرفا السبب. أما الآن فلدي بعض الأشياء الأخرى التي تحتاج إلى التنسيق.

تجاوز المفتش رئيسيه المذهولين، وفتح الباب ليختفي في الممر بخطوات عصبية طويلة.

بعد ساعة وأربع دقائق دخل غونار هاغن إلى القاعة ك1 الهادئة مع رئيس الشرطة والمدير... كانت الغرفة مليئة حتى الباب بضباط من فريقي تحقيق ليبسفيك وهاري، وكان صوت هاري هو الصوت الوحيد المسموع. وجدا مساحة للوقوف في الخلف، بينما كانت صور إيدار فيتليسين معروضة على الشاشة وتظهر كيف تم العثور عليه في صالة الكرلنغ.

- كما ترون هنا، فيتليسين يحمل الحقنة بيده اليمنى وهو أمر طبيعي بما أنه يستخدم يده اليمنى... لكن الحذاء هو ما أثار فضولي. انظروا هنا.

ظهرت صورة أخرى للحذاء عن قرب.

- هذا الحذاء هو الدليل الجنائي الحقيقي الوحيد، لكنه كافٍ لأن آثاره تتطابق مع الآثار التي وجدناها في الثلج في سوليهوغدا. بكل الأحوال انظروا إلى الرباط.

أشار هول بالمؤشر:

- أجريت البارحة بعض الاختبارات على حذائي... لكي تبدو العقدة هكذا عليّ ربط الرباط من الخلف للأمام كما لو كنت أستخدم يدي اليسرى، والبديل الوحيد هو أن أقف أمام الحذاء كما لو كنت أقوم بالأمر لشخص آخر.

ساد شعور من عدم الارتياح في الغرفة.

قال إسبن ليبسفيك:

- أنا أستخدم يدي اليمنى وأربط حذائي بهذا الشكل.

- حسناً... قد يبدو ذلك حالة شاذة، لكن هذا النوع من الأشياء هو ما يثير بعض...

بدا هاري كما لو كان يتذوق الكلمة قبل اختيارها:

-... القلق. القلق الذي يدفعك لطرح أسئلة أخرى. هل هذا حقاً

حذاء فيتليسين؟ هذا الحذاء رخيص جداً. لقد زرت والدة فيتليسين البارحة، وحصلت على إذنها لرؤية مجموعة أحذيته. جميعها باهظة الثمن من دون استثناء. وكما فكرت، إنه لا يختلف عنا في ربط شريط حذائه، فقد خلع بعض أحذيته من دون حل الرباط؛ ولهذا يمكنني القول إنني متأكد من أن إيدار فيتليسين لم يربط حذاءه بهذا الشكل.

نظر هاغن إلى رئيس الشرطة الذي كانت جبهته مغضنة بالتجاعيد.

قال هول:

- السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو إن كان بإمكان أحد ما إلباس فيتليسين الحذاء؛ الحذاء نفسه الذي انتعله أحد ما في سوليهوغدا؟ الدافع من ذلك هو أن يبدو الأمر كما لو أن فيتليسين هو رجل الثلج بالطبع.

صرخ محقق من فريق ليبسفيك:

- رباط حذاء وحذاء رخيص. لدينا شخص مريض أراد استغلال الأطفال ويعرف كلتا الضحيتين هنا في أوسلو ويمكننا وضعه في مسرح الجريمة... كل ما لديك مجرد توقعات.

أحنى رجل الشرطة الطويل رأسه الحليق:

- هذا صحيح حتى الآن، لكنني سأصل إلى الحقائق الصعبة. ففي الواجهة، يبدو أن إيدار فيتليسين قد أنهى حياته باستخدام كارنادريوكسيد بإدخال حقنة ذات رأس دقيق في عروقه، ووفقاً لتشريح ما بعد الوفاة كان تركيز الكارنادريوكسيد كبيراً جداً، لدرجة أنه لا بد أن يكون قد حقن عشرين ميليمتراً في ذراعه، وذلك يتراكم مع البقايا في الحقنة التي تظهر أنها كانت مليئة. وكما عرفنا، إن الكارنادريوكسيد مادة تسبب الشلل، ويمكن للجرعات القليلة منها أن تقتل، حيث يحدث عجز في القلب والأعضاء التنفسية في الحال. ووفقاً لاختصاصي علم الأمراض، إن ذلك سيستغرق ثلاث ثوانٍ كحد أقصى ليموت الشخص البالغ في حال تم حقن الجرعة في العروق مباشرة كما كانت الحال مع إيدار فيتليسين... وهذا ببساطة غير معقول.

لوح هول بورقة تمكن هاغن من أن يرى أنه قد كتب عليها الأرقام بقلم رصاص.

- لقد قمت بإجراء بعض الاختبارات على نفسي بالنوع نفسه من الحقنة والإبرة التي استخدمها فيتليسين. لقد حقنت نفسي بمحلول يحتوي على المياه العقيمة التي تتطابق مع الكارنادريوكسيد في أن جميع المحاليل

المشابهة تتكون من الماء بنسبة خمس وتسعين بالمائة وتحققت من الأرقام. ومهما حقنت نفسي بقوة أكبر فإن الإبرة الضيقة تعني أنه لا يمكنني حقن عشرين ميليلتراً في أقل من ثماني ثوانٍ. وهكذا...

انتظر المحقق حتى تترسخ النتيجة المحتومة في الأذهان قبل أن يكمل:

- من المفترض أن يصاب فيتليسين بالشلل قبل أن يحقن ثلث الكمية... ببساطة، من غير الممكن أن يكون قد حقن كل شيء من دون مساعدة.

بلع هاغن لعابه، فهذا اليوم سيكون أسوأ بكثير مما توقع.

حين انتهى الاجتماع، رأى هاغن المدير يهمس بشيء ما في أذن رئيس الشرطة، ثم انحنى رئيس الشرطة على هاغن قائلاً:

- اطلب من هول وفريقه أن يجتمعوا في مكتبي الآن، واطلب من ليبسفيك ورجاله أن يتكتموا على الأمر... لا نريد لأي من هذا الكلام أن يظهر. هل هذا مفهوم؟

كان هاغن قد فهم... وبعد خمس دقائق، كانوا مجتمعين في مكتب رئيس الشرطة الكبير والقاتم.

أغلقت كاترين برات الباب وكانت آخر من جلس، بينما انزلق هاري هول على كرسيه ومد ساقيه مباشرة أمام مكتب رئيس الشرطة.

قال رئيس الشرطة وهو يمرر يده على وجهه كما لو كان يمحو ما رآه... فها هو فريق التحقيق يعود إلى نقطة الصفر:

- اسمحوا لي أن أتكلم بإيجاز... هل لديك أي أخبار سارة ياهول؟ لتخفيف مرارة حقيقة أننا أثناء غيابك الغامض قد أخبرنا الصحافة أن رجل الثلج قد مات بفضل جهودنا المتواصلة.

- حسناً، يمكننا الافتراض أن إيدار فيتليسين كان يعرف شيئاً ما كان يفترض أن يعرفه، وأن القاتل قد اكتشف أننا كنا في أعقابه، وبالتالي فقد تخلص من احتمال أن يتم فضحه. وفي حال كان ذلك صحيحاً، فهذا يعني أن فيتليسين قد مات نتيجة لجهودنا المتواصلة.

احمرت وجنتا رئيس الشرطة من شدة التوتر:

- ليس هذا ما أعنيه بعبارة أخبار سارة ياهول.

- لا... الأخبار السارة هي أننا أصبحنا أكثر كفاءة، وإلا ما قام رجل الثلج بتكبد هذا العناء ليبدو الأمر كما لو أن فيتليسين هو الشخص الذي نتعقبه. إنه يريدنا أن نوقف التحقيق ونظن أننا حللنا القضية.

ببساطة، إنه يتعرض للضغوط، وهنا يبدأ القتلة كرجل الثلج بارتكاب الأخطاء. بالإضافة إلى ذلك، إن هذا يشير إلى أنه لا يجرؤ على استئناف حمام الدم.

استغرق رئيس الشرطة في التفكير.

- إذاً، هذا ما تظنه ياهول، أليس كذلك؟ أو إنه ما تتمناه فحسب؟

قال هاري هول وهو يحك ركبته من خلال الشق في بنطاله.

- أنت من طلب الأخبار السارة أيها الرئيس.

تأوه هاغن ونظر من النافذة... كانت السماء ملبدة بالغيوم، كما تم توقع تساقط الثلج.

حدق فيليب بيكر إلى جوناس وهو يجلس على أرضية غرفة الجلوس وعيناه معلقتان بشاشة التلفاز. منذ أن تم الإبلاغ عن اختفاء بيرت والصبـي يجلس هكذا لساعات كل مساء؛ كما لو كان التلفاز نافذة إلى عالم أفضل يمكنه فيه أن يجدها إن بحث بما فيه الكفاية.

- جوناس.

نظر الصبـي إليه بإذعان ولكن من دون اهتمام، ثم تصلب وجهه برعب حين رأى السكين:

- هل ستذبحني؟

كانت تعابير وجهه وصوته الواهن ممتعة جداً، لدرجة أن فيليب بيكر انفجر ضاحكاً. لمع ضوء المصباح فوق طاولة القهوة على الفولاذ... كان قد اشترى السكين من حداد في مركز ستورو للتسوق بعد أن اتصل بإيدار فيتليسين مباشرة.

- قليلاً جداً... قليلاً جداً.

ثم قام بشق صغير.

18 - اليوم الخامس عشر

إطلالة

في تمام الساعة الثانية، كانت كاميلا لوسيوس تقود سيارتها إلى البيت من النادي الرياضي. كانت قد قادت سيارتها كالمعتاد عبر البلدة إلى غرب أوسلو ومركز كولوسيوم بارك للياقة البدنية، وليس سبب ذلك أن لديهم تجهيزات مختلفة عن المركز القريب من منـزلها في تفيتا، وإنما لأن الناس في كولوسيوم كانوا شبيهين بها أكثر، فقد كانوا من الجانب الغربـي. كان الانتقال إلى تفيتا جزءاً من اتفاق الزواج مع إريك فاضطرت لقبوله. انعطفت إلى الشارع حيث تقيم، ورأت الضوء ينبعث من نوافذ الجيران الذين كانت تلقي عليهم التحية لكنها لم تتكلم معهم بالفعل... كانوا قوم إريك. داست على المكابح... لم يكونوا الوحيدين الذين لديهم مرأب مزدوج في هذا الشارع في تفيتا، لكنه كان الوحيد بأبواب كهربائية. كان إريك مهووساً بهذه الأشياء، أما هي فلم تكن تأبه لذلك. ضغطت على جهاز التحكم عن بعد فارتفع الباب، فأبعدت يدها عن المقبض ودخلت. وكما توقعت، لم تكن سيارة إريك هناك فقد كان في العمل. انحنت على المقعد الجانبـي وأمسكت بحقيبتها الرياضية وحقيبة التسوق من سوبرماركت آي سي أيه، ثم ألقت نظرة سريعة على نفسها في المرآة قبل أن تنـزل من السيارة. كان أصدقاؤها قد قالوا لها إنها تبدو بحال جيدة، إذ إنها لم تبلغ الثلاثين من العمر ولديها منـزل منفصل وسيارة ثانية ومنـزل ريفي بالقرب من نيس. وكانوا يسألونها كيف كانت الحياة في الجانب الشرقي، وعن وضع والديها بعد الإفلاس... من الغريب كيف تربط عقولهم بين السؤالين تلقائياً.

نظرت كاميلا في المرآة ثانية... لقد كانوا محقين؛ فقد كانت تبدو بحال جيدة. ظنت أنها رأت شيئاً آخر؛ كحركة في طرف المرآة... لا، إنه الباب يهبط إلى مكانه مجدداً. ترجلت من السيارة، وبدأت بالبحث عن مفاتيح المنـزل حين تذكرت أن هاتفها المحمول لا يزال على قاعدته في السيارة.

التفتت كاميلا وصرخت صرخة قصيرة.

كان الرجل واقفاً خلفها، فتراجعت برعب خطوة إلى الوراء وهي تضع يدها على فمها. كانت على وشك الاعتذار مع ابتسامة، ليس لأن هناك ما يحتاج إلى الاعتذار، وإنما لأنه بدا غير مؤذٍ على الإطلاق. لكن حينها لمحت

المسدس الموجه إليها في يده، وكان أول ما فكرت فيه هو أنه يبدو كلعبة.

قال:

- اسمي فيليب بيكر... لقد رننت الجرس، لكن لم يكن هناك أحد في المنـزل.

سألته وهي تحاول السيطرة على الارتعاش في صوتها؛ فقد أخبرها حدسها أن عليها إخفاء خوفها:

- ما الذي تريده؟ لِمَ كل هذا؟

تكلف ابتسامة مقتضبة وقال:

- خدمات.

بصمت، شاهد هاري هاغن وهو يقاطع اجتماع الفريق في مكتب هاري ليكرر أوامر رئيس الشرطة بعدم تسريب نظرية مقتل فيتليسين تحت أي ظرف، ولا حتى للزملاء والأزواج وغيرهم. في النهاية، التقت عيون هاري وهاغن.

فختم كلامه بسرعة:

- حسناً... هذا كل ما أردت قوله.

ثم غادر الغرفة.

قال هاري لبيورن هولم الذي كان يقدم تقريراً عما وجدوه في مسرح الجريمة في صالة الكرلنغ، أو بدقة أكبر عما لم يجدوه:

- أكمل.

- لم نبدأ العمل حتى تقرر أنه انتحار...لم نجد أي أدلة جنائية، وقد تلوث مسرح الجريمة الآن. لقد ألقيت نظرة هذا الصباح، لكن لم يكن هناك الكثير لرؤيته.

قال هاري:

- حسناً، كاترين.

نظرت كاترين إلى ملاحظاتها:

- نعم... حسناً... نظريتك تقوم على أن فيتليسين والقاتل التقيا في نادي الكرلنغ، وأنه قد تم التخطيط لذلك مسبقاً. النتيجة الواضحة التي ينبغي التوصل إليها إذاً هي أنهما كانا قد تواصلا هاتفياً، وقد طلبت مني التحقق من لائحة المكالمات.

قال هاري وهو يكبت تثاؤبه:

- نعم.

قلبت الأوراق:

- لقد حصلت على لوائح من تيلينور لمكالمات هاتف فيتليسين المحمول وهاتف عيادته، ثم أخذتها إلى منـزل بورغهيلد.

استفسر سكار:

- منـزلها؟

- بالطبع، إذ لم يعد لديها عمل لتذهب إليه بعد الآن. لقد أخبرتني أن إيدار فيتليسين لم يستقبل أي زوار باستثناء المرضى خلال اليومين الماضيين. وهذه قائمة بأسمائهم.

أخرجت ورقة من الملف ووضعتها على الطاولة بينهم.

- وكما افترضت، بورغهيلد مطلعة على معارف فيتليسين الاجتماعيين والمهنيين، وقد ساعدتني في تحديد جميع الأشخاص على لائحة الاتصال، ثم قسمناهم إلى قسمين: المعارف المهنيين، والمعارف الاجتماعيين. ويظهر أمام اسم كل منهم رقم الهاتف، ووقت المكالمة وتاريخها، وإن كانت واردة أو صادرة ومدتها.

حين أحنى الثلاثة الآخرون رؤوسهم وتفحصوا الأسماء، لمست يد كاترين يد هاري، لكنه لم يلحظ أي دلائل على الإحراج لديها. ربما كان قد حلم بكل ذلك... بالاقتراح الذي قدمته في فينريس. المشكلة هي أن هاري لا يحلم حين يكون على تلك الحالة، وهذا هو المغزى. لكنه حين استيقظ في اليوم التالي كانت تسيطر عليه فكرة أن أحداً ما رآه في مكان ما بين إفراغه زجاجة الشراب ولحظة استيقاظه... فكرة اللون القرمزي وحقنة فيتليسين الممتلئة. كانت تلك هي الفكرة التي حمته من العودة إلى فينمونوبول في بوابة تيريزا، وإنما دفعته للعودة إلى العمل... إدمان بدل الآخر.

سأل هاري:

- هذا رقم من؟

سألت كاترين وهي تنحني للأمام:

- أي واحد؟

أشار هاري إلى رقم على قائمة المعارف الاجتماعيين.

سألت كاترين وهي تحدق إليه بفضول:

- ما الذي يجعلك تسأل عن هذا الرقم بالذات؟

- لأن هذا الشخص من المعارف الاجتماعيين هو الذي اتصل به

وليس العكس. نظن أن القاتل هو من ينظم الأمور هنا، وبالتالي هو من اتصل.

تحققت كاترين من الرقم مقابل لائحة الأسماء:

- آسفة، لكن هذا الشخص موجود على كلتا القائمتين. إنه مريض أيضاً.

- حسناً، لكن علينا البدء من مكان ما. من هو؟ أهو رجل أو امرأة؟

ابتسمت كاترين باستهزاء:

- رجل بالطبع.

- ما الذي تقصدينه؟

- رجولي... إنه آرف ستوب.

انفجر هولم:

- آرف ستوب! أهو آرف ستوب؟

قال هاري:

- ضعيه في أعلى لائحة الأشخاص الذين سنـزورهم.

حين انتهوا، كانت لديهم لائحة من سبع مكالمات ينبغي التحري عنها، وقد توصلوا إلى الأسماء التي تتطابق مع الأرقام السبعة كلها باستثناء رقم واحد، وهو هاتف مدفوع مسبقاً في مركز ستورو للتسوق صباح مقتل إيدار.

قال هاري:

- لدينا الوقت المحدد. هل هناك كاميرا مراقبة بالقرب من الهاتف.

قال سكار:

- لا أظن ذلك. لكنني أعلم أن هناك كاميرا عند كل مدخل. يمكنني التحقق من شركة الأمن إن كانت لديهم أية تسجيلات.

قال هاري:

- راقب جميع الوجوه قبل وبعد نصف ساعة.

قال سكار:

- هذا عمل ضخم.

قال هاري:

- احزر من يمكنك أن تطلب منه المساعدة.

قال هولم:

- بتي لون.

- صحيح... أحسنت.

هز هولم رأسه، بينما أحس هاري بوخز الضمير. رن هاتف سكار بأغنية ذير شي غوز لفرقة لا.

شاهدا سكار وهو يستمع، بينما فكر هاري في كيفية تجاهله الاتصال ببيت كل هذا الوقت، إذ لم يرها منذ زيارته الوحيدة لها في الصيف بعد الولادة. كان يعلم أنها لا تلومه على مقتل هالفورسن خلال تأديته واجبه، لكن ذلك كان كثيراً عليه: رؤية طفل هالفورسن... الطفل الذي لم يتمكن الشرطي الشاب من رؤيته ومعرفة أن بتي كانت مخطئة؛ كان بإمكانه بل كان عليه أن ينقذ هالفورسن.

أنهى سكار المكالمة.

- تم الإبلاغ عن اختفاء امرأة في تفيتا من قبل زوجها. كاميلا لوسيوس تبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً، متزوجة ولكن من دون أطفال. لقد وصل البلاغ منذ ساعتين، لكن هناك بعض التفاصيل التي تدعو للقلق، فهناك حقيبة للتسوق على الرف، لكنها لم تضع شيئاً مما فيها في الثلاجة، كما أنها تركت الهاتف المحمول في السيارة. ووفقاً للزوج، إنها لا تذهب لأي مكان من دونه. وقد قالت إحدى الجارات للزوج إنها رأت رجلاً يتسكع حول المنـزل والمرأب كما لو كان ينتظر أحداً ما. لم يستطع الزوج تحديد إن كان هناك شيء مفقود ولا حتى مستحضرات التجميل أو حقيبة سفر. إنهما من الأشخاص الذين لديهم فيلا بالقرب من نيس والكثير من الممتلكات لدرجة أنهم لا يلاحظون في حال فقدان شيء ما. هل تفهمون ما أعنيه؟

قال هاري:

- حسناً. ما رأي وحدة الأشخاص المفقودين؟

- يعتقدون أنها ستظهر، لكنهم رغبوا بإبقائنا على اطلاع فحسب.

قال هاري:

- حسناً، لنكمل إذاً.

لم يعلق أحد على التقرير حتى نهاية الاجتماع، لكن هاري أحس به يخيم على الجو كدوي الرعد البعيد الذي قد يقترب أو لا يقترب. وبعد تحديدهم الأسماء في لائحة الاتصال، تفرقت المجموعة من مكتب هاري.

عاد هاري إلى النافذة، وحدق إلى المنتزه حيث كان المساء يخيم بوقت مبكر أكثر فأكثر، فقد كان ذلك ملموساً بينما مرت الأيام. فكر بأم إيدار فيتليسين حين أخبرها بالمساعدات الطبية المجانية التي كان يقدمها

لبائعات الهوى الأفريقيات في المساء، ولأول مرة أسقطت قناعها؛ ليس حزناً وإنما حنقاً، وصرخت أن كل ذلك كذب. ثم فكر هاري في ما قاله لرئيس الشرطة في اليوم السابق، وهو أن الحمام الدموي قد توقف للوقت الحالي. وفي الظلام المخيم في الأسفل لم يستطع سوى رؤية ما هو قريب منه... كان طلاب الروضة يلعبون هناك غالباً وخاصة في حال تساقط الثلج كما حصل في الليلة الماضية، أو على الأقل ذلك ما اعتقده حين رآه في طريقه إلى العمل هذا الصباح. كان رجل ثلج أبيض كبيراً.

فوق مكاتب تحرير مجلة ليبيرال في أكير بريغ في الطابق العلوي المطل على خليج أوسلو، كانت قلعة أكيرشاس وقرية نيسودتانغن تقعان بالقرب من أكثر المساحات الخاصة باهظة الثمن في أوسلو. كانت المُلكية تعود لمالك مجلة ليبيرال ومحررها آرف ستوب أو آرف فحسب كما هو مكتوب على الباب حيث رن هاري الجرس. كان السلم مزيناً بأسلوب عملي، كما كان هناك إبريق مطلي يدوياً على كلا جانبي الباب من خشب الصنوبر، وبدأ هاري يفكر في ما سيجنيه لو هرب بأحدهما.

رن الجرس مرة أخرى ليسمع في النهاية صوتين من الداخل... كان أحدهما تغريداً مشرقاً، بينما الآخر عميقاً وهادئاً. فتح الباب لتجلجل ضحكة نسائية من امرأة تعتمر قبعة من الفرو الأبيض- افترض هاري أنه صناعي- تدلى من تحتها شعر أشقر طويل.

قالت وهي تلتفت، ثم لمحت هاري:

- أنا أتطلع إلى ذلك!

قالت بنبرة محايدة:

- مرحباً.

لكنها حين تعرفت عليه غيرت نبرتها بحماسة:

- أهلاً وسهلاً.

قال هاري:

- أهلاً.

سألته:

- كيف حالك؟

استطاع هاري أن يرى أنها قد تذكرت محادثتهما الأخيرة للتو... المحادثة التي انتهت على الجدار الأسود في فندق ليون.

- إذاً، أنت وأودا تعرفان بعضكما.

وقف آرف ستوب في الممر وقد شبك يديه. كان حافي القدمين، ويرتدي كنـزة عليها شعار لويس فويتون بالكاد يرى وبنطالاً أخضر من الكتان كان سيبدو نسائياً على أي رجل آخر، لكن آرف ستوب كان بطول هاري وعرضه تقريباً، ولديه وجه يطمح أي مرشح رئاسي أمريكي للحصول على مثله: ذقن يبدو عليه التصميم، وعينان زرقاوان صبيانيتان محاطتان بالتجاعيد، وشعر رمادي كثيف.

قال هاري:

- لقد تبادلنا التحيات فحسب. لقد ظهرت في برنامجهم الحواري ذات مرة.

- عليّ الإسراع أيها الشابان.

قالت أودا ذلك وهي تملأ الجو بالقبلات، بينما تسارعت خطواتها على السلم كما لو أنها مسألة حياة أو موت.

قال ستوب وهو يشير لهاري بالدخول ويمسك بيده:

- نعم، كان ذلك حول ذلك البرنامج الحواري اللعين أيضاً... أخشى أن رغبتي بالظهور قد وصلت إلى درجة تدعو للشفقة، فهذه المرة لم أسأل حتى عن الموضوع قبل أن أوافق على المشاركة. كانت هنا تقوم ببحثها... حسناً... لقد عملت معهم؛ مما يعني أنك تعرف كيف يعملون.

قال هاري وهو يشعر بالحرارة من يد ستوب تنتقل إلى بشرته:

- في حالتي اكتفوا بالاتصال بـي هاتفياً.

- لقد كنت تبدو جاداً جداً على الهاتف ياهول. كيف يمكن لصحفي بائس أن يساعدك؟

- الأمر متعلق بطبيبك وزميلك في لعبة الكرلنغ إيدار فيتليسين.

- آه... فيتليسين... بالطبع... تفضل بالدخول.

لوى هاري قدمه ليخرجها من حذائه، ثم تبع ستوب في الممر إلى غرفة جلوس تنخفض بدرجتين عن باقي الشقة. كانت نظرة واحدة كافية لمعرفة من أين استوحى إيدار تصميم غرفة الجلوس، بينما أشرق ضوء القمر على الخليج خارج النافذة.

قال ستوب وهو يرتمي على أصغر قطعة من الأثاث... كرسي بلاستيكي صغير:

- أظن أنك تجري تحقيقاً سابقاً.

قال هاري وهو يجلس على الأريكة:

- عذراً؟

- أنت تبدأ بالحل، ثم ترجع للوراء لمعرفة كيف حصل ذلك.
- هل هذا ما تعنيه كلمة سابق ؟
- الله أعلم. أنا أحب استخدام الكلمات الغريبة.
- ما رأيك بحلنا؟ هل تصدقه؟

ضحك ستوب:

- أنا؟ أنا لا أصدق أي شيء، فهذه مهنتي، إذ ما إن يبدأ شيء ما بالتشابه مع حقيقة ثابتة حتى يبدأ عملي بمناقشته... هذه هي الليبرالية.
- وما رأيك في هذه القضية؟
- أووف. لم أر أي دافع منطقي لفيتليسين، أو ربما كان مجنوناً بطريقة تتحدى المعايير.
- إذاً، أنت لا تعتقد أن فيتليسين هو القاتل؟
- إن مناقشة الاعتقاد بأن الأرض كروية تختلف عن الاعتقاد بأنها مسطحة. أفترض أن لديكم أدلة. هل تشرب القهوة؟
- نعم لو سمحت.

ابتسم ستوب:

- كنت أمزح... ليس لدي سوى الماء والشراب... لا أنا أكذب، فلدي بعض عصير التفاح الحلو من مزرعة أبيدينغن... ستتذوقه سواء أردت ذلك أو لم ترد.

عدا ستوب إلى المطبخ، بينما وقف هاري ليتفحص المحيط:

- لديك شقة رائعة ياستوب.

صرخ ستوب من المطبخ:

- كانت ثلاث شقق. الأولى حيث تجلس كان يملكها مالك سفينة ناجح انتحر شنقاً بسبب الملل، والثانية حيث أقف كان يملكها سمسار في البورصة أفلس في تجارة داخلية، ودخل السجن ثم باع شقته لي وتبرع بكل المال لمهمة تبشيرية؛ لكن هذا الأمر يشمل نوعاً من التجارة الداخلية كما تعلم. وقد سمعت أن الرجل أكثر سعادة الآن، فلم لا؟

جاء ستوب إلى غرفة الجلوس وهو يحمل كأسين تحويان سائلاً أصفر باهت اللون، وقدم إحداهما لهاري.

- أما الشقة الثالثة فكان يملكها سمكري من أوستنسجو، وقد قرر حين كانوا يصممون مساحة فناء أكبر بريغ أنه سيعيش هنا كنوع من الانتقال إلى طبقة أخرى. وبعد الاقتصاد والتوفير والعمل في السوق السوداء

ورفع أجره لعشر سنوات تمكن من شرائها؛ لكن الأمر كلفه مبالغ طائلة، ولم يعد بإمكانه دفع تكاليف شركة النقل فقام بالنقل بنفسه مع اثنين من أصدقائه. كانت لديه خزنة تزن أربعمائة كيلوغرام لا بد أنه يحتاجها لإيداع أرباحه من السوق السوداء، وعند وصولهم للسلم الأخير على بعد ثماني عشرة خطوة، انـزلقت الخزنة ووقع السمكري تحتها وانكسر ظهره وأصيب بالشلل. إنه يعيش الآن في مصحة في المنطقة التي جاء منها، مع إطلالة على بحيرة أوستينسوفان. وعلى الرغم من أنها مجرد بحيرة، لكنه يتمتع بإطلالة على الأقل.

كان ستوب واقفاً إلى جانب النافذة، وهو يشرب من كأسه ويحدق إلى الخليج.

- إننا نتساءل عن صلتك مع إيدار فيتليسين.

استدار ستوب وأدّى حركة شكر مسرحية. كانت حركته رشيقة كشاب في الحادية والعشرين.

- صلة؟ إنها كلمة قوية... لقد كان طبيبـي، كما يصدف أننا كنا نلعب الكرلنغ معاً. هذا كل شيء... كنا نلعب الكرلنغ... فما كان يفعله إيدار لا يمكن وصفه بأكثر من أنه كان يدفع حجراً وينظف الجليد. نعم، أعلم أنه ميت، لكن هذا ما كان عليه الأمر.

وضع هاري كأس عصير التفاح على الطاولة من دون أن يمسه:

- عم كنتما تتكلمان؟
- عن جسمي بشكل رئيس.
- حقاً؟
- لقد كان طبيبـي!
- وأنت أردت تغيير بعض الأشياء في جسمك؟

ضحك آرف ستوب بحماسة:

- لم أشعر قط بأي حاجة للقيام بأيّ من ذلك. بالطبع، أعلم أن إيدار يقوم بمثل هذه العمليات التجميلية السخيفة كشفط الدهون وما إلى ذلك، لكنني أفضل الوقاية على العلاج؛ فأنا أمارس الرياضة أيها المحقق. ألا تحب عصير التفاح؟

قال هاري:

- إنه يحتوي على الكحول.

قال ستوب وهو يتأمل كأسه:

- حقاً؟! لا أتخيل ذلك.

- إذاً ما هي أجزاء الجسم التي كنتم تتناقشون حولها؟
- المرفق. لدي إصابة في مرفقي بسبب لعب التنس، وهي تزعجني حين ألعب الكرلنغ. لقد أوصاني الأحمق بتناول مسكن للألم قبل التمرين لأنه يكبح الالتهاب أيضاً، وبالتالي كنت أجهد عضلاتي في كل مرة. لا أعتقد أن علي رفع دعوى عليه لأننا نتكلم عن طبيب ميت، لكن لا ينبغي عليك تناول الحبوب لتسكين الألم، لأن الألم أمر جيد؛ إذ ما كنا لنعيش بدونه... ينبغي أن نكون ممتنين للألم.
- حقاً؟

نقر ستوب بسبابته على زجاج النافذة السميك الكاتم للصوت:

- إن كنت تتساءل فهذه الإطلالة ليست كالإطلالة على مياه عذبة أليس كذلك ياهول؟
- ليست لدي أي إطلالة.
- حقاً؟! ينبغي أن تحصل على واحدة. فالإطلالة تمنحك منظوراً.
- بالحديث عن المنظور. أعطتنا شركة تيلينور لائحة بآخر مكالمات فيتليسين الهاتفية. عم كنتما تتحدثان في اليوم السابق لوفاته؟

نظر ستوب إلى هاري باستغراب وهو ينحني إلى الوراء وينهي كأس عصير التفاح، ثم أخذ نفساً عميقاً:

- كدت أنسى أننا تكلمنا، لكنني أفترض أن ذلك كان عن المرفق.

كان تريسكو قد ذكر مرة أن لاعب الميسر الذي يعتمد بلعبته على قدرته على الإحساس بالخداع معرض للخسارة، فعلى الرغم من أننا نتعامل بأسلوب سطحي حين نكذب، لكننا غير قادرين على تمييز المخادع الجيد ما لم نقم ببرودة وصدق بتصنيف جميع هذه الأساليب لكل شخص بمفرده وفقاً لرأي تريسكو. كان هاري يظن أن تريسكو محق، لذا لم يعتمد في قناعته بأن ستوب يكذب على تعابير الرجل أو صوته أو لغة جسده.

سأل هاري:

- أين كنت بين الساعة الرابعة والثامنة يوم مقتل فيتليسين؟

رفع ستوب حاجبه:

- حقاً؟ هل في هذه القضية ما ينبغي أن أعرفه أنا أو أي أحد من قرائي؟
- أين كنت؟
- من الواضح أنكم لم تقبضوا على رجل الثلج... أليس كذلك؟
- سأكون ممتناً لو أنك سمحت لي بطرح الأسئلة ياستوب.

- حسناً. لقد كنت مع...

صمت آرف بينما أشرق وجهه فجأة بابتسامة صبيانية.

- لا، انتظر لحظة. إنك تلمح إلى أن لي علاقة بموت فيتليسين. وإن كنت سأجيب فهذا يعني أنني أقبل بهذا الافتراض.

- يمكنني ببساطة أن أسجل أنك رفضت الإجابة عن السؤال ياستوب.

رفع ستوب كأسه:

- هذه حركة معاكسة معروفة ياهول. إنها حركة ندفع الناس لاستخدامها كل يوم... الصحافة... الناس. لكن، أرجوك انتبه إلى أنني لا أرفض الإجابة، وإنما أحجم عن الإجابة في هذه اللحظة، أي إنني أفكر في الأمر قليلاً.

ثم مشى نحو النافذة حيث بقي هناك يهز رأسه:

- أنا لا أرفض، وإنما لم أقرر بعد إن كنت سأجيب أو ماذا سأقول؛ وفي هذه الأثناء عليك الانتظار.

- لدي متسع من الوقت.

استدار ستوب:

- وأنا لا أنوي أن أهدره ياهول، لكنني قد أعلنت في ما مضى أن رأس مال مجلة ليبيرال ووسائل إنتاجها هي نـزاهتي الشخصية. آمل أن تقدر أنني كصحفي ملتزم باستغلال هذا الوضع.

- استغلال؟

- أعلم أنني أجلس على قنبلة ذرية صغيرة لسبق صحفي هنا، وأفترض أنه ما من صحيفة لديها أدنى فكرة عن وجود شيء خاطئ في مقتل فيتليسين. وفي حال أعطيتك أية إجابات الآن فذلك سيبعدني عن الشبهات، وبالتالي لن أتمكن من السؤال عن المعلومات ذات الصلة. ألست محقاً ياهول؟

كانت لدى هاري فكرة غامضة عما سيؤدي إليه ذلك، وأن ستوب نذل أذكى مما كان يتوقع.

قال هاري:

- أنت لست بحاجة إلى المعلومات، وإنما لمعرفة أنه يمكن ملاحقتك قضائياً بسبب إعاقتك الشرطة عن أداء واجباتها.

ضحك ستوب بحماسة:

- أحسنت، ولكنني كصحفي وليبرالي لدي مبادئ علي التفكير بها،

فالقضية هنا هي إن كان علي تقديم خدماتي من دون شروط لقوى النظام والقانون الحاكمة.

كان يبصق الكلمات من دون إخفاء سخريته.

- وما هي شروطك المسبقة؟

- أن أكون الناقل الحصري للمعلومات بالتأكيد.

- يمكنني منحك حق النقل الحصري، بالإضافة إلى منعك من نقل المعلومات إلى أي شخص.

حشر ستوب يديه في جيبـي سرواله:

- حسناً، هذا لن يوصلنا إلى أي مكان للأسف، لكن لدي معلومات كافية لمعرفة ما إن كانت الشرطة قد توصلت إلى شكوك حول الشخص الصحيح.

- إنني أحذرك.

تنهد ستوب:

- شكراً، لقد حذرتني مسبقاً. لكن عليك التفكير في من تتعامل معه ياهول. يوم السبت سنقيم حفلة كبرى في البلازا، حيث سيحضر ستمائة ضيف للاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على ولادة مجلة ليبيرال . هذا ليس سيئاً بالنسبة لمجلة لطالما كانت تجابه عوائق حرية التعبير عن الرأي التي ظهرت في المياه الملوثة قانونياً في كل يوم من وجودها. هل يمكن أن نخسر قضية في المحكمة بعد مرور خمسة وعشرين عاماً؟ سأناقش الموضوع مع محامينا جوهان كروهن. أعتقد أن الشرطة تعرفه ياهول؟

هز هاري رأسه بكآبة، بينما أشار ستوب بحركة خفية إلى الباب بما معناه أنه يعتبر أن الزيارة قد انتهت.

قال ستوب بينما وقفا في الصالة إلى جانب الباب:

- أعدكم بتقديم المساعدة بأي طريقة ممكنة في حال قامت الشرطة بمساعدتنا.

- أنت تعلم تماماً أنه من المستحيل بالنسبة لنا أن نعقد مثل هذا الاتفاق.

ابتسم ستوب وهو يفتح الباب:

- ليست لديك أدنى فكرة عن الاتفاق الذي توصلنا إليه للتو... إنكم لا تعرفون. أتوقع رؤيتك مجدداً عما قريب.

قال هاري وهو يفتح الباب:

- لم أتوقع رؤيتك مجدداً عما قريب.

فهرولت راكيل وهي تصعد آخر الدرجات إلى شقته، وقالت وهي تتسلل إلى ما بين ذراعيه:

- بلى، لقد توقعت.

ثم دفعته للداخل، وركلت الباب لتغلقه بكعب حذائها، وبعد ذلك أمسكت برأسه بيديها وقبلته بنهم، وقالت:

- الأمور ليست بخير مع ماثياس. إنه جيد وممتاز لكنني أنا غير الجيدة.

- ما المشكلة؟

- ليتني أعرف. أنظر إلى ماثياس وأفكر أن هذا رجل أحلامي، ثم أفكر أنه يضرم ناري فأحاول أن أضرم ناره، فأهاجمه لأنني أريد بعض المتعة. هل تفهمني؟ كان من الممكن أن يكون الأمر جيداً جداً لكنني لا أستطيع...

- ممم. أجد صعوبة في تخيل ذلك، لكنني أسمع ما تقولينه.

شدت شحمة أذنه بقوة:

- إن حقيقة أننا كنا دائماً مشتاقين إلى بعضنا لا تعني بالضرورة أن علاقتنا كانت جيدة ياهاري.

راقب هاري حلقة دخان صغيرة تتصل بالحلقة الأكبر منها لتشكل الرقم ثمانية... نعم... بلى... هذا ما فكر به.

قالت:

- بدأت بالبحث عن أعذار. على سبيل المثال، انظر إلى هذه الصفة الجسدية المضحكة التي ورثها ماثياس عن أبيه.

- أي واحدة؟

- لا شيء مميز لكنه يشعر بالحرج قليلاً بسببها.

- هيا أخبريني.

- لا لا. ليس للأمر أي أهمية، وقد كنت أظن في البداية أن حرجه ظريف جداً، أما الآن فأنا أشعر أنه مزعج؛ كما لو أنني أحاول إيجاد عيب في هذا الأمر التافه كعذر لـ... لـ...

ثم صمتت.

فأكمل هاري:

- لمجيئك إلى هنا.

عانقته بقوة ونهضت.

قالت بتجهم:

- لن أعود.

كان الوقت منتصف الليل حين غادرت راكيل شقة هاري، بينما هطل رذاذ المطر الخفيف والصامت على الأسفلت ليجعله لامعاً تحت مصباح الشارع. انعطفت إلى ستينسبيرغاتا حيث كانت قد ركنت سيارتها، ثم ركبتها وأوشكت على تشغيل المحرك حين لاحظت وجود ورقة مكتوبة يدوياً وموضوعة تحت ماسحة الزجاج. فتحت الباب قليلاً والتقطتها محاولة قراءة الكتابة التي غسلها المطر تقريباً.

سنموت أيتها العاهرة

أجفلت راكيل ونظرت حولها، لكنها كانت وحيدة، ولم ترَ في الشارع سوى سيارات أخرى مركونة. هل هناك أوراق عليها أيضاً؟ لم تر أي واحدة. لا بد أن هذه صدفة، إذ ما كان بإمكان أحد معرفة أين كانت سيارتها. فتحت النافذة، وأمسكت الورقة بين إصبعيها ورمتها، ثم شغلت المحرك وانطلقت في الطريق.

قبل نهاية شارع أوليفالسفين، راودها فجأة شعور بأن هناك أحداً يجلس على المقعد الخلفي ويحدق إليها، فالتفتت ورأت وجه صبـي... ليس أوليغ وإنما وجه صبـي آخر غير مألوف. ضغطت على المكابح، بينما دوى صوت احتكاك الإطارات بالأسفلت، ثم صدر صوت غاضب لبوق سيارة أخرى ثلاث مرات. حدقت في المرآة بينما كانت تلهث، ورأت وجه الشاب المرعوب في السيارة التي وراءها مباشرة، فانطلقت بالسيارة مجدداً وهي ترتعش.

وقفت إيلي كفال في الممر كما لو كانت ملتصقة بالأرض، بينما كانت تمسك بيدها سماعة الهاتف... لم تكن تتخيل الأشياء على الإطلاق.

لم تنتبه حتى ناداها أندريه باسمها مرتين.

قال:

- من المتصل؟

- لا أحد. الرقم خطأ.

حين أويا للفراش، أرادت أن تضمه إليها لكنها لم تستطع... لم تستطع دفع نفسها للقيام بذلك فهي مدنسة.

كان الصوت على الهاتف قد قال:

- سنموت... سنموت أيتها العاهرة.

19 - اليوم السادس عشر

تلفاز

حين اجتمع فريق التحقيق في الصباح التالي كانوا قد تحققوا من ستة أسماء من أصل سبعة على لائحة كاترين برات، ولم يتبقَ سوى واحد.

تساءل بيورن هولم وماغنوس سكار في اللحظة نفسها:

- آرف ستوب؟

لم تقل كاترين شيئاً.

قال هاري:

- حسناً، لقد تكلمت مع كروهن عبر الهاتف، وقد أوضح لي أن ستوب لا يرغب بالإجابة عن سؤالي له إن كانت لديه حجة غياب أو لا أو أي سؤال آخر. يمكننا اعتقال ستوب، لكنه يتمتع بالحق الكامل بعدم الإدلاء بأي تصريح. الشيء الوحيد الذي سنحققه من ذلك هو أن نعلن للعالم أن رجل الثلج لا يزال طليقاً. السؤال الآن هو إن كان ستوب يقول الحقيقة أو إن كان ذلك مجرد تمثيل.

قال سكار بتجهم:

- لكن شخصاً من كبار المشاهير مجرم! من سمع بهذا من قبل؟

قال هولم:

- أو.ج. سيمبسون وفيل سبيكتور ووالد مارفين غاي.

- ومن هذا فيل سبيكتور؟

قال هاري:

- سيكون من الأفضل أن تقولوا لي جميعكم ما رأيكم بسلاسة ومن البداية. هل لدى ستوب ما يخفيه ياهولم؟

فرك بيورن هولم سالفيه:

- من المثير للريبة أنه لا يريد الإجابة عن سؤال واضح مثل مكان تواجده حين مات فيتليسين.

- برات؟

- أعتقد أن ستوب يجد أن كونه محط شبهة أمر مسلٍ. وفي ما يتعلق بمجلته فهذا لا يعني شيئاً، بل العكس في الواقع، فهي تعزز صورتها الخارجة عن القانون... الشهيد العظيم يقف بثبات في وجه تيار الرأي العام.

قال هولم:

- أوافقك الرأي. أنا أغير رأيي. ما كان ليخاطر لو كان مذنباً، وإنما كان سيقوم بسبق صحفي.

- سكار؟

- إنه يخادع... هذا مجرد هراء. هل فهم أحدكم بالفعل الأمور المتعلقة بالصحافة والمبادئ؟

لم يجب أي من الآخرين.

قال هاري:

- حسناً، بافتراض أن الأغلبية محقون وأنه يقول الحقيقة فإن علينا استبعاده بأسرع ما يمكن والمضي قدماً. هل من أحد يمكننا التفكير به على أنه قد يكون معه في وقت مقتل فيتليسين؟

قالت كاترين:

- لا. لقد اتصلت بفتاة أعرفها في مجلة ليبيرال وقالت لي إن ستوب ليس اجتماعياً خارج ساعات العمل؛ فهو في الغالب يبقى وحيداً في شقته في أكير بريغ، كما تزوره بعض السيدات... هذا كل ما في الأمر.

نظر هاري إلى كاترين... كانت تذكره بالطالب المتحمس الذي كان يسبق المحاضرات بفصل دراسي كامل.

قال سكار:

- سيدات! بالجمع؟

- وفقاً لما قالته صديقتي، إن ستوب مشهور ببقائه بالقرب من العسل. فبعد أن رفضت أحد عروضه قال لها مباشرة إنها لا ترقى لتوقعاته كصحفية، وإن عليها أن تفكر في العمل بمجال آخر.

همس سكار:

- نذل بوجهين.

قالت كاترين:

- إنها خلاصة تتشاركها أنت وهي؛ لكنها في الواقع صحافية سيئة.

انفجر هاري وهولم بالضحك.

قال هاري وهو ينهض:

- اسألي صديقتك إن كان بإمكانها إعطاؤك أسماء بعض الحبيبات، وبعدها اتصلي بباقي موظفي المجلة واطرحي عليهم الأسئلة نفسها. أريده أن يشعر أننا نتتبعه... هيا بنا.

قالت كاترين التي لم تتحرك:

- وماذا عنك؟

- ماذا عني؟
- لم تخبرنا إن كنت تظن أن ستوب يخادع.
ابتسم هاري:
- حسناً، إنه بالتأكيد لا يقول الحقيقة كاملة.
نظر الثلاثة الآخرون إليه.
- لقد قال إنه لا يتذكر ما كان يتحدث عنه هو وفيتليسين خلال آخر مكالمة هاتفية بينهما.
- و؟
- في حال اكتشفت أن الشخص الذي كنت تتكلم معه في اليوم السابق كان قاتلاً متسلسلاً انتحر، ألن تتذكر المحادثة مباشرة وتدقق في تفاصيلها وتسأل نفسك إن كان عليك تخمين شيء ما؟
هزت كاترين رأسها ببطء.
قال هاري:
- الشيء الآخر الذي أفكر فيه هو: لماذا قد يتصل رجل الثلج بـي ليخبرني أن أبحث عنه، وحين أقترب منه كما توقع يشعر باليأس ويحاول جعل الأمر كما لو أن فيتليسين هو رجل الثلج؟
قالت كاترين:
- ربما كانت هذه هي الفكرة منذ البداية. ربما كان لديه دافع لتوجيه أصابع الاتهام إلى فيتليسين لتسوية خلاف سابق بينهما... وقد قادك إلى هذا الطريق منذ البداية.
اقترح هولم:
- أو إن هذا أسلوبه في هزيمتك... سيدفعك لارتكاب الأخطاء، ثم سينتصر عليك بهدوء.
زعق سكار:
- انتظر، إنك تجعل الأمر يبدو كما لو أنه شخصي بين هاري ورجل الثلج.
نظر الثلاثة الآخرون إلى المحقق بصمت.
عبس سكار:
- هل هو كذلك؟
أخذ هاري سترته من على المشجب:
- أريدك ياكاترين أن تزوري بورغهيلد مجدداً، وأن تقولي لها إن لديك تصريحاً يخولنا النظر إلى السجلات الطبية للمرضى. أنا سأتحمل

مسؤولية ذلك بنفسي... وحاولي معرفة ما يمكنك كشفه عن آرف ستوب. أي شيء آخر قبل أن ألاحقه.

قال هولم:

- تلك المرأة في تفيتا... كاميلا لوسيوس لا تزال مختفية.
- اذهب ياهولم وألق نظرة.

سأل سكار:

- وما الذي ستفعله أنت؟

ابتسم هاري قليلاً:

- سأتعلم لعب الميسر.

عند وقوفه خارج شقة تريسكو في الطابق السادس من مجمع الشقق الوحيد في ساحة فروغنر، راود هاري الشعور نفسه الذي كان يراوده حين كان صبياً صغيراً وكان الآخرون كلهم في إجازات في أوبسال. كان هذا ملجأه الأخير وتصرفه اليائس الأخير بعد أن يرن أجراس أبواب جميع البيوت. فتح تريسكو أو أسبجورن تريشو- وهو اسمه الحقيقي- الباب، وحدق بتجهم إلى هاري؛ لأنه عرف الآن كما كان يعرف من قبل أنه الملجأ الأخير.

كان الباب الأمامي يؤدي مباشرة إلى مساحة جلوس من ثلاثين متراً مربعاً يمكن تسميتها ردهة، مع مطبخ مفتوح أو غرفة جلوس ونوم. كانت الرائحة النتنة خانقة... رائحة بكتيريا تعتاش على روائح الأقدام والهواء النتن، أو كما يدعوه المصطلح النروجي العامي لكن الدقيق تافيس . كان تريسكو قد ورث قدمه كثيرة التعرق من والده كما ورث لقب تريسكو . كان ينتعل قبقاباً على نحو دائم؛ لاعتقاده أن الخشب يمتص الرائحة.

وكان الشيء الإيجابي الوحيد الذي من الممكن قوله عن رائحة قدم تريسكو الابن هو أنها تطغى على رائحة الأطباق المكدسة في الحوض، ومنفضة السجائر الممتلئة، والقمصان المتشربة للعرق التي وضعها على الكراسي لتجف. خطر لهاري أنه من المرجح أن قدم تريسكو المتعرقة هي التي دفعت خصومه إلى حد الجنون خلال نصف نهائيات بطولة العالم في لاس فيغاس.

قال تريسكو:

- مضت مدة طويلة.
- نعم. من الرائع أن لديك بعض الوقت لي.

ضحك تريسكو كما لو أن هاري قد قال نكتة، فدخل هاري- الذي لم يكن يرغب بقضاء أي وقت أكثر ممّا هو ضروري في هذه الغرفة- مباشرة في صلب الموضوع:

- إذاً، لم الميسر يدور فقط حول قدرتك على رؤية أن منافسك يكذب؟

لم يبدُ أن تريسكو كان يمانع تجاهل المجاملات الاجتماعية.

- يظن الناس أن لعبة الميسر متعلقة بالإحصائيات والأفضلية والاحتمالات، لكنك إن لعبت ووصلت إلى مستويات عالية فجميع اللاعبين عندها يعرفون الأفضليات عن ظهر قلب، لذا المعركة لا تدور هناك. ما يُميّز النخبة عن الباقين هو قدرتهم على قراءة الآخرين. قبل أن أذهب إلى فيغاس عرفت أنني سأواجه النخبة، وكان بإمكاني رؤية النخبة وهم يلعبون على قناة غامبلرز الفضائية. قمت بتسجيل الحلقات ودراسة كل واحد منهم وهم يخادعون. ثم قمت بإعادة العرض ببطء، وراقبت تعابير وجوههم- حتى أبسط التفاصيل- وما كانوا يقولونه ويفعلونه وكل تصرف مكرر. وبعد أن عملت على ذلك لفترة طويلة، كان هناك دائماً شيء ما كأسلوب متكرر... أحدهم كان يوسّع فتحتي أنفه، والآخر يربت على أوراقه... وحين غادرت النروج، كنت متأكداً من أنني سأربح، لكن تبين للأسف أن لدي تعابير فاضحة أكثر.

بدا صوت ضحك تريسكو كنوع من النشيج؛ مما جعل جسده غير المنتظم يرتجف.

- إذاً، إن أحضرت شخصاً للاستجواب فهل يمكنك معرفة إن كان يكذب أو لا؟

هز تريسكو رأسه بالنفي:

- الأمر ليس بهذه البساطة. في البداية، ينبغي أن أحصل على تسجيل، ثم علي رؤية الورق لأعرف متى يخادع، وبعدها يمكنني إعادة الشريط إلى بدايته، وتحليل ما يفعله بشكل مختلف. الأمر مماثل لآلة كشف الكذب، أليس كذلك؟ فقبل أن تجري الاختبار، تجعل الشخص يقول شيئاً صحيحاً كاسمه، ثم شيئاً كاذباً، وبعد ذلك تقرأ المخرجات لتحصل على نقاط مرجعية.

تمتم هاري:

- حقيقة واضحة وكذبة واضحة على فيلم.

- لكن، كما قلت لك على الهاتف، لا يمكنني ضمان شيء.

وجد هاري بتي لون في بيت الألم؛ وهي الغرفة التي كانت قد قضت معظم وقتها فيها حين كانت تعمل في وحدة السرقات. كان بيت الألم مكتباً من دون نوافذ، ومليئاً بمعدات المراقبة وتحرير كاميرات المراقبة وتكبير الصور وتحديد الأشخاص في اللقطات المشوشة أو الأصوات في تسجيل هاتفي مشوش، لكنها الآن رئيسة كريمتيكنيسك؛ قسم الطب الشرعي في برينسالين، كما أنها في إجازة أمومة.

كانت الآلات تطن بينما وضعت الحرارة الجافة وروداً على وجنتيها الشاحبتين والشفافتين.

قال هاري وهو يغلق الباب الحديدي من ورائه:

- مرحباً.

نهضت المرأة الصغيرة والرشيقة وتعانقا وهما يشعران بالإحراج.

قالت:

- أصبحت نحيلاً.

هز هاري كتفيه:

- كيف... الحال؟

- غريغر ينام حين يريد، ويأكل متى يشاء، ونادراً ما يبكي، وبالنسبة لي هذا كل شيء حالياً.

فكر أن عليه قول شيء ما حول هالفورسن ليظهر أنه لم ينس، لكن الكلمات المناسبة لم تأتِ، وبدلاً من ذلك سألته عن حاله.

فقال وهو يهوي على كرسي:

- بخير... لست سيئاً... بالطبع فظيع... يعتمد الأمر على وقت السؤال.

التفتت إلى شاشة التلفاز وضغطت على زر فبدأ الناس على الشاشة بالركض إلى الوراء إلى مركز ستورو للتسوق:

- واليوم؟

- أنا مصاب بجنون الارتياب. لدي شعور بأنني أطارد شخصاً يتلاعب بـي، وأن كل شيء مليء بالفوضى، وأنه يدفعني لفعل ما يريده بالتحديد. هل تعرفين هذا الشعور؟

- نعم. لقد أسميته غريغر.

أوقفت الشريط وقالت:

- هل تريد رؤية ما توصلت إليه؟

دفع هاري كرسيه ليقترب... لم يكن من الغريب أن بتي لون تتمتع بموهبة خاصة، وأن تلافيف ذهنها المغزلية- وهي الجزء من الدماغ المسؤول عن تخزين الوجوه البشرية وتحديدها- متطورة وحساسة؛ لدرجة أنها كانت كملف مفهرس للمجرمين.

قالت:

- لقد تفحصت الصور التي لديكم للأشخاص المتورطين في القضية؛ كالأزواج والأطفال والشهود وغيرهم... وأنا أعرف كيف يبدو أصدقاؤنا القدامى بالطبع.

حركت الصور لحظة تلو الأخرى، ثم قالت وهي تقف:

- هنا.

كانت الصورة مجمدة وتملأ الشاشة لتظهر مجموعة من الأشخاص باللون الأبيض والأسود .

قال هاري بالحماقة نفسها التي يظهرها كلما تفحص الصور مع بتي لون:

- أين؟

- هنا. إنه الشخص نفسه في هذه الصورة.

ثم أخرجت إحدى الصور من ملفها.

- هل من الممكن أن يكون هذا هو الشخص الذي يتعقبك يا هاري؟

حدق هاري إلى الصورة بذهول، ثم هز رأسه ببطء ورفع سماعة الهاتف لتجيب كاترين برات بعد ثانيتين.

- ارتدي معطفك ولاقيني في المرأب... سنذهب في رحلة.

قاد هاري سيارته عبر شارعي أورانينبورغفين وماجورستوفين لتجنب إشارات المرور في بوغستادفين.

قالت كاترين:

- هل كانت متأكدة من أنه هو؟ فجودة صور كاميرات المراقبة...

- صدقيني... إذا قالت بتي لون إنه هو فهذا يعني أنه هو. اتصلي بالاستعلامات مباشرة، واحصلي على رقم هاتفه.

قالت كاترين:

- لقد حفّظته على هاتفي المحمول.

حدق هاري بها:

- حفّظته؟! هل تفعلين هذا مع كل من تقابلينهم؟
- نعم. أضعهم في مجموعة ثم أحذف المجموعة حين تنتهي القضية. عليك تجربة ذلك... إنه شعور رائع حين تضغط على زر الحذف... حقاً.

وقف هاري مقابل المنـزل الأصفر في هوف.

كانت جميع النوافذ مظلمة.

قالت كاترين:

- فيليب بيكر... أتتخيل ذلك؟
- تذكري أننا نرغب فقط بإجراء محادثة معه، فقد تكون لديه أسباب واضحة للاتصال بفيتليسين.
- من هاتف مدفوع مسبقاً في مركز ستورو للتسوق؟

نظر هاري إلى كاترين... كان النبض تحت البشرة الرقيقة على رقبتها مرئياً، ثم أشاح بنظره بعيداً إلى نافذة غرفة الجلوس في البيت.

- هيا بنا.

وفي اللحظة التي أمسك بها باب السيارة رن هاتفه المحمول:

- نعم.

بدا الصوت على الطرف الآخر مهتاجاً، لكنه بقي يتكلم بجمل قصيرة وواضحة، بينما قاطع هاري الكلام ببعض الهمهمة وكلمة ماذا ؟ باستغراب و أين ؟

وفي النهاية، صمت الطرف الآخر.

قال هاري:

- اتصل بقسم الحوادث، واطلب منهم إرسال أقرب سيارتي دورية لهوفسفين من دون أي صفارات، وأخبرهم أن يتوقفوا عند جانبـي المجمع السكني... ماذا؟... لأن هناك مشتبهاً به في الداخل، ولا نريد أن يصبح بيكر أكثر عصبية، مفهوم؟

من الواضح أن ذلك كان مفهوماً.

انحنى هاري أمام كاترين وفتح خزانة القفازات وبحث ثم أخرج الأصفاد:

- كان ذلك هولم. لقد وجد رجاله بعض البصمات على السيارة في مرأب لوسيوس وقارنوها بالبصمات الأخرى في القضية.

أخرج هاري مفتاح السيارة- الذي كان موضوعاً في حلقة تضمّ الكثير من المفاتيح- من فتحة الإشعال، وانحنى للأمام وأخرج صندوقاً معدنياً من

تحت المقعد، ثم أدخل مفتاحاً في القفل وفتح الصندوق، وأخرج مسدس سميث وويسون أسود ذا ماسورة قصيرة:

- وقد وجدنا تطابقاً مع واحدة على النافذة الأمامية.

جعلت كاترين فمها على شكل دائرة، واستفسرت بهزة من رأسها إن كان المنـزل الأصفر.

- نعم. الأستاذ فيليب بيكر.

رأى عيني كاترين برات تتسعان، لكن صوتها بقي هادئاً كما كان من قبل:

- أشعر أنني سأضغط على زر الحذف عما قريب.

قال هاري وهو يفتح أسطوانة المسدس ويتحقق من وجود رصاصات في جميع الحجرات:

- ربما.

هزت رأسها من جانب لآخر كما لو كانت تقوم بالإحماء لمباراة ملاكمة:

- لا يمكن أن يكون هناك رجلان يخطفان النساء بهذا الشكل.

- افتراض منطقي.

راقبها هاري وهو يتساءل عن سبب عدم مشاركته لها في حماستها، وعما حصل للسعادة والنشوة بالاعتقال. هل كان ذلك لأن كل هذا سيستبدل عما قريب بالشعور الفارغ بالوصول متأخراً وكونك رجل إطفاء يتنشق الركام؟ نعم، لكن هذا ليس كل شيء، وإنما كان هناك شيء آخر يمكنه الإحساس به الآن. كان لديه شك مستمر، فالبصمات والتسجيلات من مركز ستورو للتسوق قد تستغرق وقتاً طويلاً في المحكمة لكنها سهلة جداً. والقاتل لم يكن هكذا، فهو لم يرتكب مثل تلك الأخطاء المبتذلة. هذا ليس الشخص نفسه الذي وضع رأس سيلفيا أوترسون في أعلى رجل الثلج وجمد رجل شرطة في ثلاجته وأرسل لهاري رسالة تقول:

ما عليك إلاّ أن تسأل نفسك: من الذي صنع رجل الثلج؟

سألت كاترين:

- ماذا سنفعل؟ هل سنعتقله بمفردنا؟

لم يستطع هاري أن يعرف من نبرة صوتها إن كان هذا سؤالاً أو إقراراً بالواقع.

- في الوقت الحالي سننتظر، حتى يصل الدعم إلى الموقع، ثم سنرن الجرس.

- وإن لم يكن في المنـزل؟
- إنه في المنـزل.
- حقاً؟ كيف...؟
- انظري إلى نافذة غرفة الجلوس بتركيز.

نظرت إلى النافذة، وحين تغير الضوء الأبيض خلف النافذة الكبيرة استطاع أن يرى أنها فهمت... كان الضوء صادراً عن تلفاز.

انتظرا بصمت من دون سماع أي أصوات، ثم زعق غراب، وبعد ذلك عمّ الهدوء من جديد، وبعدها رن هاتف هاري.

لقد وصل الدعم.

أعطاهم هاري تعليمات مقتضبة، فهو لا يريد رؤية أي بذلات حتى يتم استدعاؤهم؛ باستثناء إن سمعوا أصوات صراخ أو إطلاق نار مثلاً.

قالت كاترين بعد أن أنهى المكالمة:

- ضعه بوضع صامت.

ابتسم قليلاً وفعل ما طلبته منه، ثم استرق النظر إليها وفكر بوجهها حين فتح باب الثلاجة، لكن وجهها الآن لا يظهر أي خوف أو توتر وإنما التركيز فحسب. وضع الهاتف في جيب سترته، وسمعه يرتطم بمسدسه.

نـزلا من السيارة وعبرا الشارع ثم فتحا البوابة، فبلل الحصى الرطب حذاءيهما. أبقى هاري عينيه ثابتتين على النافذة الكبيرة وهو يبحث عن ظلال وحركة على الجدار الأبيض.

وحين وقفا عند عتبة الباب، نظرت كاترين إلى هاري الذي هز رأسه، فضغطت على زر الجرس ليصدر من الداخل صوت رنين عميق ومتردد.

تحرك هاري إلى الأمام، ووضع أذنه على الزجاج؛ وهي طريقة بسيطة وفعالة جداً في مراقبة منـزل، لكنه لم يستطع سماع أي صوت ولا حتى التلفاز، فرجع ثلاث خطوات للوراء، وأمسك بالإفريز البارز من فوق مقدمة السلم، وارتفع إلى المزراب بكلتا يديه، ورفع نفسه بما يكفي ليرى غرفة الجلوس بالكامل من خلال النافذة. كان على الأرض شخص يجلس مثني الساقين ومديراً ظهره لهما، ويرتدي معطفاً رمادياً، ويضع سماعة ضخمة تحيط برأسه كهالة سوداء، بينما يمتد سلك من السماعة إلى التلفاز.

قال هاري وهو ينـزل ليرى كاترين وهي تمسك بمقبض الباب:

- لا يمكنه سماعنا لأنه يضع سماعة.

ابتعد الغلاف المطاطي حول الإطار عن الباب مصدراً صوت صرير.

قالت كاترين بصوت لطيف وهي تدخل:

- أهلاً وسهلاً بنا.

لحق بها هاري وهو يشتم في سره. كانت كاترين قد وصلت إلى غرفة الجلوس وفتحتها، ووقفت هناك حتى وصل هاري إليها، ثم تراجعت للخلف واصطدمت بقاعدة؛ حيث تأرجحت الزهرية بتهديد حتى قررت البقاء في الأعلى.

كانت هناك ستة أمتار على الأقل بينهما وبين الشخص الجالس وهو يدير ظهره لهما.

على الشاشة، كان هناك طفل رضيع يحاول المشي وهو يمسك بإصبع امرأة مبتسمة، وكان الضوء الأزرق لمشغل الأقراص المضغوطة يلمع تحت التلفاز. شعر هاري بذكريات الماضي وبإحساس أن المأساة ستتكرر تماماً كهذا: صمت وأفلام منـزلية عن الأوقات السعيدة مع العائلة والتباين بينها وبين الآن... المأساة التي تم عرضها ولا تحتاج سوى لخاتمة.

أشارت كاترين لكنه كان قد رآه.

كان المسدس وراء الشخص بين لعبة أحجية شبه منتهية ولعبة إلكترونية، وكان يبدو كلعبة أطفال. خمن هاري أنه من نوع غلوك 21، ثم شعر بالغثيان وأن مزيداً من الأدرينالين قد أفرز في دمه.

كان لديهما خياران: إما البقاء عند الباب ومناداة بيكر باسمه والمخاطرة بتبعات مواجهة رجل مسلح، أو تجريده من سلاحه قبل أن يراهما. وضع هاري يده على كتف كاترين ودفعها إلى ورائه وهو يفكر كم سيستغرق بيكر ليلتفت ويمسك بالمسدس ويصوبه نحوهما ويطلق النار... أربع خطوات طويلة ستكون كافية. لم يكن هناك أي ضوء خلف هاري ليعكس أي ظلال، والكثير من الضوء من الشاشة لينعكس هناك.

أخذ هاري نفساً عميقاً، وانطلق حيث وضع قدمه بهدوء قدر الإمكان على الأرض الخشبية. لم يتحرك الشخص، وحين كان في منتصف الخطوة الثانية سمع صوت ارتطام من ورائه، وعرف بحدسه أنها كانت الزهرية. رأى الشخص يلتفت، ثم رأى تعابير فيليب بيكر المتألمة، فتجمد هاري في مكانه، وحدق كل منهما إلى الآخر بينما أصبحت شاشة التلفاز من وراء بيكر سوداء، وفتح بيكر فمه ليقول شيئاً، بينما كان بياض عينيه محمراً بشدة، ووجنتاه منتفختين كما لو كان يبكي.

- المسدس!

كانت كاترين تصرخ، فرفع هاري عينيه تلقائياً، ورأى انعكاس صورتها على الشاشة السوداء. كانت تقف عند الباب وقد باعدت بين ساقيها

ومدت ذراعيها للأمام وضغطت بيديها حول المسدس.

بدا الوقت بطيئاً؛ كمادة ثخينة بلا شكل لم يعمل فيها سوى إحساسه.

كان على شرطي مدرب كهاري أن يرمي نفسه مباشرة على الأرض ويشهر مسدسه، لكن كان هناك شيء آخر أبطأ من حدسه لكنه عمل بقوة أكبر. كان هاري سيغير رأيه في ما بعد، لكنه في البداية فكر أنه تصرف هكذا بسبب تجربة أخرى من الماضي... رؤية رجل ميت على الأرض بعد أن أطلق رجال الشرطة رصاصة عليه؛ لأنه عرف أنه وصل إلى نهاية الطريق، وأنه لم تعد لديه القوة ليتصارع مع أي أشباح أخرى.

خطا هاري إلى اليمين، إلى خط النار لمسدس كاترين مباشرة.

سمع طقطقة خفيفة من ورائه... صوت تثبيت صمام الأمان للمسدس، وتخفيف ضغط الإصبع على الزناد.

ضغط بيكر بيده على الأرض بالقرب من المسدس، وكانت أصابعه والجلد بينها بيضاء، مما يعني أن بيكر كان يستند بكامل ثقل جسده على يده. أما اليد الأخرى اليمنى فكانت تمسك بجهاز التحكم عن بعد، ولو أن بيكر حاول الوصول إلى مسدسه بيده اليمنى في وضعيته الحالية لفقد توازنه.

صرخ هاري:

- لا تتحرك.

كانت الحركة الوحيدة التي أتى بها بيكر هي الرمش مرتين كما لو كان يتمنى مسح صورة هاري وكاترين. تقدم هاري إلى الأمام بهدوء وفعالية، وانحنى ليلتقط المسدس الذي بدا خفيفاً جداً لدرجة أنه كان من المستحيل أن يجدوا أي طلقات في المخزن.

وضع هاري المسدس في جيب سترته مع مسدسه وجثم على الأرض. وعلى الشاشة، استطاع رؤية مسدس كاترين مصوباً إليهما وهي تنقل ثقلها من قدم لأخرى. مد يده لبيكر الذي تراجع كحيوان أليف وأزال السماعة عن أذنيه.

سأل هاري:

- أين جوناس؟

تفحص بيكر هاري كما لو أنه لم يفهم الوضع أو اللغة.

ردد هاري:

- جوناس؟

ثم صرخ:

- جوناس! جوناس هل أنت هنا؟

قال بيكر:

- إنه نائم.

كان صوته منخفضاً كما لو كان قد تناول حبوباً مهدئة:

أشار بيكر إلى السماعة وقال:

- ينبغي أن لا يستيقظ.

بلع هاري لعابه:

- أين هو؟

رفع بيكر رأسه ونظر إلى هاري كما لو أنه قد تعرف عليه للتو:

- أين؟ في السرير بالطبع. جميع الصبية ينامون في أسرتهم.

كان صوته يرتفع وينخفض كما لو كان يردد أغنية.

أدخل هاري يده في جيب سترته الأخرى وأخرج الأصفاد:

- مد يديك.

رمش بيكر ثانية.

قال هاري:

- هذا لسلامتك.

كانت عبارة جيدة تتعلمها في كلية الشرطة، وهي تهدف بشكل أساسي لإراحة المعتقل. لكن، حين سمع هاري نفسه يقولها عرف على الفور لِمَ خطا إلى خط النار، وأن ذلك ليس بسبب الأشباح.

رفع بيكر يديه لهاري باستسلام، بينما أغلق هذا الأخير الفولاذ حول معصميه الضيقين المليئين بالشعر.

- ابق في مكانك... ستهتم بك.

استقام هاري وتوجه نحو الممر حيث كانت كاترين تقف. كانت قد أخفضت مسدسها وابتسمت له بتوهج فضولي في عينيها؛ وكأن الجمر داخلها يحترق.

سألها هاري بنبرة منخفضة:

- هل أنت بخير ياكاترين.

ضحكت:

- بالطبع.

تردد هاري ثم صعد السلالم. كان قد تذكر مكان غرفة نوم جوناس لكنه فتح الأبواب الأخرى أولاً محاولاً تأخير اللحظة التي يرهبها. وعلى

الرغم من أن النور في غرفة نوم بيكر مطفأ لكنه استطاع رؤية السرير المزدوج حيث كان قد أزال إحدى الوسائد عن أحد الجانبين كما لو كان يعرف أنها لن تعود على الإطلاق.

ثم وقف هاري خارج غرفة جوناس حيث أفرغ ذهنه من الأفكار والصور قبل أن يفتح الباب. صدرت مجموعة غير منتظمة من النغمات الناعمة في الظلام، وعلى الرغم من عدم قدرته على رؤية شيء فقد عرف أن فتح الباب قد أطلق مجموعة صغيرة من الأنابيب المعدنية الرقيقة لأن أوليغ عنده الجرس نفسه يتدلى من سقف غرفته. دخل هاري ولمح أحداً ما أو شيئاً ما تحت الوسادة. حاول سماع صوت أنفاس لكن كل ما أمكنه سماعه هو النغمات المستمرة بالطنين من دون أن تتلاشى. وضع يده على الوسادة، وللحظة أحس بالرعب يخدره، فعلى الرغم من عدم وجود شيء يمثل خطراً في هذه الغرفة فقد كان خائفاً لأن أحداً آخر- رئيسه السابق بيارني مولر- قد صاغ له الأمر على أنه خائف من إنسانيته.

سحب الوسادة بحذر عن الجسد المستلقي هناك... كان جوناس في الظلام يبدو نائماً حقاً، باستثناء عينيه اللتين كانتا مفتوحتين وتحدقان في السقف. لاحظ هاري وجود ضمادة على ذراعه، فانحنى فوق فم الصبي نصف المفتوح ولمس جبهته، وأجفل حين أحس بالبشرة الدافئة وتيار الهواء على أذنه، ثم سمع صوتاً نائماً يقول:

- ماما؟

كان هاري غير مستعد أبداً لهذا؛ ربما لأنه كان يفكر في أوليغ، أو لأنه كان يفكر في نفسه حين كان صبياً واستيقظ مرة معتقداً أنها لا تزال على قيد الحياة، فانطلق إلى غرفة نوم والديه في أوبسال ورأى السرير المزدوج وقد أزيلت عنه إحدى الوسائد.

كان هاري غير قادر على كبح دفق الدموع التي ترقرقت فجأة في عينيه حتى تشوشت صورة وجه جوناس أمامه، وسالت على خديه مخلفة طرقاً ساخنة قبل أن تجد أخاديد توصلها لأطراف فمه ويشعر هاري بطعمها المالح.

القسم الرابع

20 - اليوم السابع عشر

نظارة شمسية

كانت الساعة السابعة صباحاً حين فتح هاري باب الزنـزانة 23 في قسم الاعتقال. كان بيكر جالساً بثيابه الكاملة على سرير السجن وهو ينظر إليه بتعابير فارغة. وضع هاري الكرسي الذي كان قد أحضره معه من غرفة الحراسة في المركز الذي تبلغ مساحته خمسة أمتار مربعة، والمخصص للضيوف الليليين والسجناء في السجن الاحتياطي في مركز الشرطة وجلس على الكرسي، ثم عرض على بيكر سيجارة من علبة السجائر المجعدة.

قال بيكر:

- من غير القانوني التدخين هنا، أليس كذلك؟

- إن كنت أجلس هنا بانتظار حكم مؤبد فأعتقد أنني سأجازف.

حدق بيكر إليه.

فقال هاري:

- هيا، لن تجد مكاناً أفضل لتدخن به سراً.

تكلف الأستاذ الابتسام، وأخذ السيجارة التي ناوله إياها هاري:

- لقد تكلمت مع آل بينديكسينـز، وقد وافقوا على إبقائه معهم لعدة أيام. كان علي الجدل مع موظفي الخدمات الاجتماعية قليلاً لكنهم استسلموا في النهاية، ولم ندلِ بأي تعليق عن اعتقالك للصحافة حتى الآن.

سأل بيكر وهو يتنشق الدخان من السيجارة بحذر:

- لم لا؟

- سأناقش هذا، لكنني متأكد من أنك تفهم أنك إن لم تتعاون معنا فلن أتمكن من التكتم على الأخبار أكثر.

- إذاً، أنت الشرطي الطيب، أما الذي استجوبني البارحة فهو الشرطي السيئ أليس كذلك؟

- هذا صحيح يابيكر. أنا الشرطي الطيب، وأرغب أن أسألك بعض الأسئلة غير الرسمية، وكل ما ستقوله لي لن ولا يمكن أن يستخدم ضدك. هل توافقني على ذلك؟

هز بيكر كتفيه.

قال هاري وهو ينفث دخان سيجارته على حساس الدخان في السقف:

- إسبن ليبسفيك الذي استجوبك البارحة يظن أنك تكذب.

- حول ماذا؟
- حين قلت إنك تحدثت مع كاميلا لوسيوس في المرأب فحسب ثم غادرت.
- هذه هي الحقيقة. ما الذي يظنه هو؟
- ما قاله لك الليلة الماضية؛ أي أنك خطفتها وقتلتها ثم أخفيتها.

انفجر بيكر:

- هذا جنون... لقد تكلمنا فحسب... هذه هي الحقيقة.
- لِمَ ترفض إذاً إخبارنا عمّا تكلمتما؟
- قلت لكم إنه أمر خاص.
- وأنت تعترف أنك اتصلت بإيدار فيتليسين يوم عثرنا عليه ميتاً، لكنك تعتبر المكالمة أمراً خاصاً أيضاً أليس كذلك؟

نظر بيكر حوله كما لو كان يفكر في أنه ينبغي أن تكون هناك منفضة سجائر في مكان ما:

- اسمع، لم أفعل شيئاً غير قانوني، لكنني لا أريد الإجابة عن أي أسئلة من دون حضور المحامي؛ وهو لن يأتي حتى وقت متأخر اليوم.
- لقد عرضنا عليك الليلة الماضية محامياً كان قادراً على الحضور مباشرة.
- أريد محامياً محترماً وليس واحداً من أولئك... الموظفين الحكوميين المحليين. ألم يحن الوقت بعد لتخبروني لِمَ تظنون أنني فعلت شيئاً لزوجة لوسيوس؟

تفاجأ هاري بالعبارة، أو بدقة أكبر بالإشارة إلى كاميلا على أنها زوجة لوسيوس.

أكمل بيكر:

- إن اختفت فعليكم اعتقال إريك لوسيوس. أليس الزوج هو من يفعل ذلك دائماً؟
- نعم، لكنّ لديه حجة غياب، فقد كان يعمل في وقت اختفائها. أمّا أنت فجالس هنا لأننا نظن أنك رجل الثلج.

فتح بيكر فمه ورمش كما فعل في غرفة الجلوس في هوفسفين في الليلة الماضية، وأشار هاري إلى دخان السيجارة المتصاعد من بين إصبعيه:

- عليك الانتباه قليلاً لئلا نشغّل حساس الدخان.

قال بيكر:

- رجل الثلج؟! لقد كان فيتليسين، أليس كذلك؟

- لا... نحن نعلم أنه لم يكن رجل الثلج.

رمش بيكر مرتين قبل أن ينفجر بضحكة جافة بدت كالسعال:

- لهذا لم تسربوا أي معلومات للصحافة... يجب أن لا يعرفوا أنكم فشلتم. وفي الوقت الحالي، أنتم يائسون لمعرفة الشخص الحقيقي أو الشخص الحقيقي المحتمل.

قال هاري وهو يمص سيجارته:

- صحيح. وفي الوقت الحالي هذا الشخص هو أنت.

- في الوقت الحالي؟! كنت أظن أن دوركم إقناعي بأنكم تعرفون كل شيء لأعترف مباشرة.

- لكنني لا أعرف كل شيء.

أغمض بيكر إحدى عينيه:

- هل هذه خدعة؟

هز هاري كتفيه:

- إنه مجرد حدس، وأريدك أن تقنعني أنك بريء؛ فالمقابلة القصيرة عززت الانطباع لديّ بأنك رجل لديه الكثير ليخفيه.

- لم يكن لدي ما أخفيه... أعني ليس لدي ما أخفيه. وأنا لا أرى سبباً لإخباركم بأي شيء ما دمت لم أفعل أي شيء خطأ.

- اسمعني جيداً يابيكر. أنا لا أظن أنك رجل الثلج أو أنك قتلت كاميلا لوسيوس. كما أظن أنك شخص منطقي يقدر أن الضرر سيكون أقل في حال كشفت لي هنا والآن عن أمورك الخاصة بدلاً من أن تقرأ في صحف الغد أن الأستاذ فيليب بيكر قد تم اعتقاله بتهمة كونه أسوأ قاتل في النروج؛ لأنك تعلم أنه حتى لو تمت تبرئتك وإطلاق سراحك بعد غد فسيبقى اسمك واسم ابنك مرتبطين إلى الأبد بعناوين الأخبار هذه.

شاهد هاري حنجرة بيكر وهي ترتفع وتنخفض، كما لاحظ ذقنه غير الحليقة، وشاهد ذهنه وهو يتوصل للنتائج المنطقية والبسيطة، ثم جاء صوته متألماً لدرجة أن هاري ظن في البداية أن ذلك بسبب عدم اعتياده على الدخان.

- بيرت زوجتي ساقطة.

حاول هاري إخفاء دهشته:

- ماذا؟

أسقط بيكر سيجارته على الأرض، وانحنى للأمام وسحب دفتراً أسود من جيبه الخلفي:

- وجدت هذا في اليوم التالي لاختفائها... كان في درج مكتبها، حتى إنها لم تخفه. في البداية، كان يبدو بريئاً كأي مذكرة عادية كتبتها لنفسها، بالإضافة إلى تضمنه أرقام هواتف. وحين تحققت من أرقام الهواتف من الاستعلامات لم أجدها؛ فقد كانت شيفرة، لكن زوجتي لم تكن بارعة في كتابة الشيفرة، إذ لم يستغرق الأمر أكثر من يوم لفكها بالكامل.

كان إريك لوسيوس يمتلك شركة ريد آند فليت، وهي شركة نقل وجدت بيئة ملائمة لها في سوق أقل من رابح من خلال خفض الأسعار المعتادة، والتسويق العدواني، والعمالة الأجنبية الرخيصة، والعقود التي طالبت بالدفع النقدي ما إن يتم تحميل الشاحنة ولكن قبل أن تغادر إلى وجهتها. لم يكن قد خسر قط أي أموال؛ لأنه من بين عدة أمور، كانت الكتابة الصغيرة تذكر أن أي شكاوى في ما يتعلق بالضرر أو السرقة ينبغي تقديمها خلال يومين؛ مما يعني أن حوالى 90 بالمائة من الشكاوى العديدة كانت تأتي متأخرة وبالتالي يتم رفضها. أما بالنسبة للباقين الذين يشكلون 10 بالمائة، فقد ابتكر إريك لوسيوس روتيناً لمنع الناس من الوصول إليه أو لإبطاء الإجراءات المعتادة المستنـزفة لدرجة أنه حتى من يفقدون تلفازاً حديثاً أو تضرر البيانو الخاص بهم خلال النقل يستسلمون في النهاية.

كان إريك لوسيوس قد بدأ عمله بعمر مبكر مع المالك السابق لشركة ريد آند فليت الذي كان صديقاً لوالد إريك، وقد حصل له والده على الوظيفة.

فقد قال الأب:

- إن ابني ضجر جداً من المدرسة، وهو ذكي جداً وباستطاعته أن يكون محتالاً، فهل يمكنك توظيفه؟

وكبائع يعمل بتفويض، تمكن إريك فوراً من التميز بسحره وكفاءته وهمجيته. كان قد ورث عيني أمه البنيتين، وشعر أبيه المجعد، وبنية رياضية؛ مما دفع النساء على وجه التحديد لئلا يستشرن شركات النقل الأخرى ويوقعن على العقد مباشرة. وقد كان ذكياً ومتأنقاً ويقدم خدعاً في المناسبات القليلة التي كان على الشركة فيها المزايدة على أعمال أكبر، فقد كان يخفض السعر ويرفع حد الضرر أو الضياع. وبعد خمس سنوات، أصبحت الشركة تكسب أرباحاً طائلة، وأصبح إريك اليد اليمنى للمالك في معظم مجالات العمل. لكن وخلال عملية نقل سهلة نوعاً ما أثناء نقل طاولة إلى مكتب إريك الجديد الذي يقع إلى جانب مكتب المدير في

الطابق الأول، أصيب المالك بنوبة قلبية وسقط ميتاً. وفي الأيام التي تلت، خفف هاري عن زوجة المالك قدر المستطاع. وبعد أسبوع من الجنازة، اتفقا على مبلغ رمزي يعكس ما أكد إريك على أنه "عمل صغير في سوق أقل من رابحة بمخاطر عالية وهوامش ربح معدومة"، لكنه أكد على أن أهم شيء بالنسبة له هو أن يقوم أحد ما بإكمال عمل زوجها خلال حياته، ثم تلألأت الدموع في عينيه البنيتين وهو يقول ذلك، فوضعت يداً مرتعشة على يده، وقالت له إن عليه زيارتها شخصياً لإبقائها على اطلاع. وهكذا أصبح لوسيوس مالك ريد آند فليت، وكان أول ما فعله أن رمى جميع رسائل الشكاوى في القمامة، وأعاد صياغة العقود، وأرسل مناشير لجميع المنازل في منطقة غرب أوسلو الثرية حيث ينتقل السكان كثيراً ويهتمون كثيراً بالأسعار.

وحين بلغ إريك لوسيوس الثلاثين من العمر، كان معه ما يكفي من المال لشراء سيارتي بـي إم دبليو، وبيت صيفي شمال كان، ومنـزل منفصل بمساحة خمسمائة متر مربع في تفيتا حيث لا تحجب الشقق المرتفعة التي نشأ فيها الشمس. وباختصار، كان قادراً على تحمل نفقات كاميلا ساندين.

انحدرت كاميلا من عائلة نبيلة مفلسة في المنطقة الغربية في بلومنهولم، وهي منطقة غريبة بالنسبة لابن الرجل العامل كالشراب الذي يكدسه حالياً على ارتفاع متر في قبو منـزله في تفيتا. لكنه حين دخل المنـزل الكبير ورأى جميع الأشياء التي ينبغي نقلها اكتشف ما لا يملكه وعليه أن يملكه: الرقي والأناقة والمجد السابق والتفوق الطبيعي الذي تعززه الابتسامات والأدب. وكان كل ذلك مجسداً في كاميلا التي كانت جالسة على الشرفة تراقب خليج أوسلو من خلال نظارة شمسية كبيرة عرف إريك أنه يمكن شراؤها من محطة البترول المحلية لكنها على وجهها أصبحت غوشي أو دولش آند غابانا أو أي ماركة أخرى.

والآن عرف أسماء جميع الماركات الأخرى.

نقل جميع الأغراض باستثناء لوحتين إلى منـزل أصغر بعنوان أقل هيبة، ولم يتلق أي تقرير عن فقدان الشيء الوحيد الذي سرقه من الحمولة. وحتى حين كانت كاميلا لوسيوس تقف كعروس بينما وقف البرجان المرتفعان كشاهدين صامتين، لم يظهر والداها ولا حتى بنظرة أنهما لا يوافقان على خيار ابنتهما؛ ربما لأنهما رأيا أن إريك وكاميلا يكملان بعضهما بشكل أو بآخر، فهو تنقصه الدماثة وهي ينقصها المال.

كان إريك يعامل كاميلا كأميرة، وكانت تسمح له بذلك؛ إذ كان

يمنحها ما تريده ويتركها بسلام في جناح غرفة النوم كلما أرادت ذلك، ولم يطالبها سوى بأن تتأنق حين يخرجان معاً أو حين يدعوان ثنائياً من أصدقائهما- أي أصدقاء طفولته- إلى العشاء، وكانت تتساءل بين الحين والآخر إن كان يحبها، ثم بدأت بإظهار عاطفة عميقة للشاب الطموح والنشيط من شرق أوسلو.

من جانبه كان إريك سعيداً للغاية، فقد كان يعرف منذ البداية أن كاميلا ليست من النوع ذي الدم الحار، وكان ذلك أحد الأشياء التي رفعتها في عينيه فوق الفتيات اللواتي كان معتاداً عليهن.

كانت بيرت أولسن رقيقة، وذات شعر داكن وجسد مكتنـز، وكانت أصغر منه، كما جعلها صوتها المرتفع ولغتها تبدو أصغر أكثر. كانت حاملاً في شهرها الثاني، وتنتقل إلى البلدة من حيه في تفيتا إلى هوفسفين مع والد الطفل المنتظر، وهو رجل من الجانب الغربـي ستتزوجه قريباً. باختصار، كان إريك لوسيوس قد قابل قرينته.

نعم بالطبع، لأنه فكر بها كما يفكر الرجل وهي لم تتظاهر أنها تريد أي شيء مختلف. كانا يعيشان حياة متوازية في واقع موازٍ بدا أنه يناسبه كما يناسبها. وهكذا استمرا باللقاء الذي لم يقطعه سوى ولادتها التي تمت بعملية قيصرية. والآن، وبعد مرور عشر سنوات، كان أمام إريك لوسيوس رجل طويل ذو رأس حليق يجلس على صندوق من الورق المقوى في شقة شبه فارغة، ويسأله إن كان يعرف بيرت بيكر.

بلع إريك لوسيوس لعابه.

كان الرجل قد عرَّف عن نفسه على أنه هاري هول، المحقق في فرقة مكافحة الجرائم، لكنه بدا كأحد عمال النقل لديه أكثر من كونه محققاً في أي شيء. كان رجال الشرطة الذين تكلم معهم إريك بعد أن أبلغ عن اختفاء كاميلا من فرقة الأشخاص المفقودين. لكن حين أبرز هذا المحقق بطاقة هويته فإن أول ما خطر ببال إريك هو أنه سيتلقى أخباراً عن كاميلاً. وبما أن المحقق الواقف أمامه لم يتصل وإنما تبعه إلى هنا فقد خشي أن تكون الأخبار سيئة، وبالتالي أرسل طاقم النقل لديه إلى الخارج، وطلب من المحقق الجلوس بينما وجد سيجارة وحاول تحضير نفسه لما سيأتي.

قال المحقق:

- إذاً؟

كرر إريك لوسيوس وهو يحاول إشعال سيجارته ويفكر بسرعة.

- بيرت بيكر؟

قال المحقق وهو يخرج علبة سجائر:

- أقدر أن عليك أن تستجمع قواك... خذ وقتك.

شاهد إريك المحقق وهو يشعل سيجارة وينحني ليناوله الولاعة.

تمتم إريك وهو يسحب نفساً قوياً من السيجارة لدرجة أن التبغ طقطق:

- شكراً.

ملأ الدخان رئتيه كما لو أن النيكوتين يتم حقنه في دمه ليزيل جميع العوائق. كان يفكر دائماً أن هذا سيحصل عاجلاً أو آجلاً، وأن الشرطة ستكتشف صلة بينه وبين بيرت، وستأتي لطرح الأسئلة. لكن في الوقت الحالي، كان كل ما يفكر فيه هو كيف سيخفي الأمر عن كاميلا، فكل شيء اختلف من الآن فصاعداً لأنه حتى هذه اللحظة لم يكن قد أدرك أن الشرطة قد تفكر أن هناك صلة بين حالتي الاختفاء.

- كان زوج بيرت فيليب بيكر قد وجد دفتر مذكرات كتبت عليه بيرت نوعاً من الشيفرة سهلة الفك، وكانت هناك أرقام هواتف وتواريخ ورسائل صغيرة لا تترك مجالاً للشك في أن بيرت كانت تتواصل بانتظام مع رجال آخرين.

زل لسان إريك:

- رجال؟!

أضاف هاري:

- إن كان في ذلك أي عزاء، فبيكر يظن أنك الشخص الذي كانت تقابله غالباً في مجموعة ضخمة من العناوين حسب ما أظن.

لم يجب إريك، وشعر بنفسه مرمياً في قارب، ويشاهد موجة مدية ترتفع في الأفق.

- وهكذا وجد بيكر عنوانك، وأخذ مسدس ابنه اللعبة معه وهو تقليد ممتاز لمسدس غلوك 21، وانطلق إلى تفيتا وانتظر عودتك إلى المنـزل. كان يريد رؤية الخوف في عينيك حسب قوله، وأن يهددك لتخبره بكل ما تعرفه ليتمكن من تقديم اسمك لنا، وقد تبع السيارة إلى المرأب، لكن تبين له أن زوجتك هي التي كانت تقود.

- و... هو...

- أخبرها بكل شيء... نعم.

نهض إريك عن صندوق الورق المقوى ومشى نحو النافذة. كانت

الشقة مطلة على منتزه تورشوف ومدينة أوسلو الغارقة في شمس الصباح الباهتة. لم يكن يحب مباني الشقق القديمة ذات الإطلالة فهي تعني السلالم، وكلما كانت الإطلالة أفضل كانت السلالم أعلى، وكلما كانت الشقق أفضل كانت البضائع أثمن وتعويضات الأضرار أعلى وأيام المرض لدى موظفيه أكثر. لكن، هكذا كانت الأمور حين تعرض نفسك لمخاطر الحفاظ على الأسعار المنخفضة الثابتة، فأنت دائماً تربح المنافسة على أسوأ الأعمال، ومع الوقت كان هناك سعر لجميع المخاطر. أخذ إريك نفساً عميقاً، وسمع المحقق يضرب بقدمه على الأرض الخشبية وعرف، فهذا المحقق لا يمكن التغلب عليه بأساليب التأخير هذه، وقد كان هذا تقرير ضرر لا يمكنه رميه في القمامة، فبيرت أولسن- الآن بيكر- ستكون أول عميلة سيخسر معها.

قال هاري:

- ثم أخبرني أنه كان على علاقة مع بيرت بيكر منذ عشر سنوات، وأنهما حين التقيا لأول مرة كانت حاملاً بزوجها.

صححت له راكيل وهي تربت على الوسادة لتراه بشكل أفضل:

- أنت حامل بصبي أو بنت أو حامل من زوجك.

قال هاري وهو يرفع نفسه على ذراعه، ويتمدد ليتناول علبة السجائر عن الطاولة المجاورة للسرير:

- ممم، ليس أكثر من ثمانين بالمائة من المرات.

- ماذا؟

- قالوا عبر المذياع إن هناك ما بين خمسة عشر وعشرين بالمائة من جميع الأطفال في الدول الإسكندنافية يكون آباؤهم الحقيقيون غير آبائهم الذين يعرفونهم.

هز سيجارة ليخرجها من العلبة، ورفعها في ضوء المساء المتسرب من تحت الستائر.

- أتريدين واحدة؟

هزت راكيل رأسها من دون أن تتكلم... لم تكن تدخن، لكنهما كانا يفعلان ذلك حين يكونان مع بعضهما؛ إذ يتشاركان سيجارة واحدة. أول مرة طلبت فيها راكيل أن تشاركه سيجارته بررت ذلك بالقول إنها أرادت أن تشعر بشعوره نفسه، وأن تتحفز مثله وتقترب منه قدر المستطاع. عندها، تذكر جميع المدمنات اللواتي التقاهن واللواتي تناولن أول جرعة لهن

للسبب الغبـي نفسه فرفض، لكنها أقنعته، ومع مرور الوقت أصبح الأمر شعائرياً.

قال هاري:

- لكن لديه حجة غياب طوال الأمسية التي اختفت فيها بيرت. اجتماع ليلي للشباب في تفيتا بدأ عند الساعة السادسة واستمر طوال الليل، وهناك على الأقل عشرة شهود يعيشون على الشراب معظم الوقت؛ ولم يتمكن أحد منهم من العودة إلى البيت قبل السادسة صباحاً.

- لِمَ تتكتمون على خبر أن فيتليسين لم يكن رجل الثلج؟

- طالما أن رجل الثلج الحقيقي يعتقد أننا نظن أننا عثرنا على القاتل فسيبقى ساكناً، ولن يرتكب المزيد من الجرائم، ولن يصبح عدائياً إن ظن أن المطاردة قد انتهت. في الوقت الحالي يمكننا تتبعه بهدوء...

- هل أسمع نوعاً من السخرية؟

قال هاري وهو يناولها سيجارة:

- ربما.

- إذاً، أنت لا تثق بذلك؟

- أعتقد أن رؤساءنا لديهم الكثير من الأسباب لإخفاء حقيقة أن فيتليسين لم يكن رجلنا؛ فرئيس الشرطة وهاغن عقدا المؤتمر الصحفي حين كانا يهنئان نفسيهما على حلّ القضية...

- ممم.

تفحصت راكيل السيجارة:

- هل سبق لك أن كنت غير مخلص ياهاري؟

- نعم.

- أقصد حين كنت معي.

- أنت تعلمين أنه لا يمكنني أن أكون متأكداً تماماً.

- حسناً، إذاً هل تذكر ذلك؟

- لا، أبداً.

- إذاً، بماذا تفكر حين آتي إلى هنا؟

- هل هذا سؤال خادع؟

- أنا جادة ياهاري.

- أعلم، لكنني لا أعرف إن كنت أرغب بالإجابة عنه.

- إذاً، لن تحصل على المزيد من السيجارة.

- حسناً. أعتقد أنك تظنين أنك تريدينني لكنك تتمنين لو كنت

تريدينه.

خيمت الكلمات فوقهما كما لو كانت مطبوعة في الظلام.

انفجرت راكيل وهي تناول هاري السيجارة وتشبك ذراعيها:

- أنت منفصل... جداً.

اقترح هاري:

- ربما علينا أن لا نتكلم عن هذا.

- لكن، عليّ أن أتكلم عن هذا، ألا ترى؟ وإلا فسأفقد عقلي. لقد فقدت عقلي حين أتيت إلى هنا الآن...

استدار هاري وانـزلق نحوها، وقبل أن يلمسها كانت قد أغمضت عينيها وأرجعت رأسها للوراء، ومن بين شفتيها المتباعدتين تمكن من سماع نفسها يتسارع، ففكر:

كيف تفعل ذلك؟

وحين رآها تفتح عينيها وتحدق في السقف بدهشة وإحباط من الملاطفة التي لم تتبلور قال:

- هل تعتقدين... أن الضمير يجعلنا نعاني؟ وأننا غير مخلصين ليس على الرغم من الخزي وإنما بسببه؟

رمشت عدة مرات.

وأخيراً قالت:

- هناك شيء من هذا، لكن هذا ليس كل شيء... ليس الآن.

- الآن؟

- نعم.

- سألتك مرة وحينها قلت...

- كنت أكذب. لم أكن غير مخلصة من قبل.

- ممم.

استلقيا بصمت وهما يستمعان لهدير السيارات البعيد في ساعة الازدحام المسائية في بيلستريديت. كانت قد جاءت إلى شقته من العمل مباشرة، وكان يعرف روتين راكيل وأوليغ، ويعرف أن عليها الرحيل فوراً.

قالت وهي تقرص أذنه:

- أتعرف ما أكرهه فيك؟ أنت عنيد وفخور جداً بنفسك، لدرجة أنك لا تسأل حتى إن كنت غير مخلصة لك.

قال هاري وهو يأخذ نصف السيجارة:

- حسناً، ولم أريد أن أعرف؟

- للسبب نفسه الذي كان لدى زوج بيرت... لكشف الكذبة وفضح الحقيقة.

- هل تعتقدين أن الحقيقة ستجعل فيليب بيكر أقل تعاسة؟

- أتعلم ماذا ياسيد هول؟ بالنسبة لشخص عمله الكشف عن الحقائق غير السارة، أنت تعيش كذبة بالتأكيد.

قال هاري وهو يسحق السيجارة في منفضة السجائر:

- حسناً، وما هي؟

- كنت في موسكو حين كنت مع فجودور، وكان هناك ملحق في السفارة كنت أتدرب معه، وقد وقعنا في الحب.

- و؟

- كان أيضاً في علاقة أخرى، وبينما كنا على وشك إنهاء علاقتينا بشريكينا، سبقتني هي وأخبرته أنها حامل. وبما أنني أتمتع بذوق جيد في ما يتعلق برحيل الرجال...

اخترت بالطبع شخصاً لن يتخلى عن مسؤولياته، وهكذا تقدم بطلب للعودة إلى أوسلو، ولم نر بعضنا منذ ذلك الحين، ثم تزوجت فجودور.

- وهل حملت مباشرة؟

- نعم. إنني أتساءل بين الفينة والأخرى إن كان ذلك قد حصل للتغلب عليه، وإن كان أوليغ نتاج الحب أو الملل من الحب. ما رأيك؟

- ليست لدي أدنى فكرة، فكل ما أعرفه هو أنه نتاج عظيم.

ابتسمت له امتناناً، ثم انحنت لتقبله على جبهته:

- لن نرى بعضنا بعد الآن ياهول.

قال وهو يستوي بجلسته على السرير ويحدق في الجدار الأعزل:

- بالطبع.

ثم سمع صوت باب الشقة وهو يغلق خلفها بضربة كسولة، فمشى إلى المطبخ، وفتح الصنبور، وأخذ كأساً من الخزانة العلوية. وبينما كان ينتظر المياه لتنـزل باردة، وقع نظره على التقويم الذي يحمل صورة أوليغ وراكيل بالفستان الأزرق السماوي، ثم على الأرض. كانت هناك آثار حذاء مبلل على المشمع. لا بد أنه حذاء راكيل.

ارتدى معطفه وحذاءه وكان على وشك المغادرة، ثم التفت وأحضر مسدسه سميث وويسون من أعلى الخزانة، وحشره في جيب معطفه.

حين وصل إلى الباب الخارجي، صدر صوت طقطقة جعله يلتفت ويحدق في الساحة حيث كان الظلام أشد حلكة مما هو عليه في الشارع.

كان ينوي المضي في طريقه لولا الآثار... آثار الأقدام على المشمع. لذا توجه إلى الساحة حيث كانت الأضواء الصفراء من النوافذ فوقه تنعكس على آثار الثلج التي لا تزال ترقد حيث لا تصل أشعة الشمس. كان يقف بجانب مدخل مخزن القبو شكل منحن ذو رأس مائل وعينين من الحصى وتكشيرة مزعجة تضحك له... ضحكات صامتة تتردد بين الجدران الحجرية لتمتزج بالصرخات الهيستيرية التي أدرك أنها صادرة عنه وهو يمسك بمجرفة الثلج بجانب سلم القبو ويؤرجحها بغضب وحنق لترتطم الحافة المعدنية الحادة للمجرفة بأسفل الرأس، وترفعه عن الجسد؛ مما أدى لتطاير الثلج المبلل على الجدار. أما الضربة القوية التالية فقطعت جذع رجل الثلج إلى نصفين، في حين بعثرت الضربة الثالثة البقايا على الأسفلت الأسود في منتصف الساحة. وقف هاري هناك يلهث حين سمع طقطقة أخرى من ورائه بدت كصوت مطرقة مسدس، وبحركة سريعة واحدة استدار ورمى المجرفة وشهر مسدسه الأسود.

كان محمد وسلمى يقفان إلى جانب السور الخشبي تحت شجرة القضبان القديمة، ويحدقان بصمت بجارهما بعيون طفولية خائفة، وكان كل منهما يحمل غصناً جافًّا يبدو كذراعين أنيقتين لرجل ثلج ما لم تكسر سلمى غصنها بسبب رعبها الشديد.

تلعثم محمد:

- رجلنا... الثلجي.

أعاد هاري المسدس إلى جيب معطفه، وأغمض عينيه وهو يشتم نفسه، ثم بلع لعابه وقرر أن ينسى قصة المسدس، وحين فتح عينيه ثانية رأى الدموع تترقرق في عيني سلمى البنيتين.

همس:

- أنا آسف، سأساعدكما في صنع واحد آخر.

همست سلمى بصوت أجش:

- أريد أن أعود للبيت.

أخذ محمد أخته الصغيرة من يدها ورافقها إلى البيت وهو يرمق هاري بغضب.

أحس هاري بقبضته على المسدس... الطقطقة... لقد ظن أنها صوت مطرقة مسدس ترتفع لكنه كان مخطئاً بالطبع، فهذه المرحلة من إجراءات إطلاق النار صامتة. ما تسمعه هو صوت مطرقة تنـزل، وصوت الطلقة التي لم تطلق، وصوت كونك حياً. أخرج مسدس الخدمة مجدداً، ووجهه إلى

الأرض وضغط على الزناد، لكن المطرقة لم تتحرك حتى ضغط على الزناد في ثلث طريقه للوراء. وكان يفكر أن المسدس سيطلق النار في أي لحظة تبدأ فيها المطرقة بالارتفاع. أبعد يده عن الزناد فرجعت المطرقة للوراء إلى موقعها مصدرة طقطقة معدنية ليسمع الصوت مجدداً، ويدرك أن من ضغط على الزناد ليرجع المطرقة إلى الوراء كان ينوي إطلاق النار.

نظر هاري إلى الأعلى، إلى نوافذ شقته في الطابق الثاني التي كانت مظلمة لتخطر بباله فكرة ما: لم تكن لديه أدنى فكرة عما يجري وراءها حين كان غير موجود.

جلس إريك لوسيوس بتململ وهو يحدق إلى النافذة في مكتبه، ويستغرق في التفكير في مدى ضآلة المعلومات التي يعرفها وراء عيني بيرت البنيتين، وفي مدى سوء شعوره لدى معرفته أنها كانت مع رجال آخرين أكثر من الشعور السيئ الذي انتابه حين عرف أنها اختفت وربما تكون ميتة. كان يتمنى لو فقد كاميلا على يدي القاتل بدلاً من أن يحصل الأمر بهذا الشكل. لكن أهم ما كان إريك لوسيوس يفكر فيه هو أنه قد أحب كاميلا ولا يزال يحبها. اتصل بوالديها لكنهما لم يكونا قد سمعا أية أخبار عنها أيضاً. ربما تكون مع إحدى صديقاتها في غرب أوسلو اللواتي لا يعرف عنهن سوى أسمائهن.

حدق في ظلام المساء الذي يهبط ببطء على غروراداالين وهو يشتد ويمحو التفاصيل. لم يكن هناك ما يفعله اليوم، لكنه لا يريد العودة إلى البيت؛ إلى المنـزل الكبير والخالي... ليس بعد. كان هناك صندوق من المشروبات في الخزانة وراءه، وهي الخزانة التي كسبها من عمله في نقل العديد من علب المشروبات. سكب الشراب في فنجان قهوته، وتمكن من رشف رشفة صغيرة قبل أن يرن الهاتف على المكتب، حيث تعرف على الرمز الدولي الفرنسي، ولم يكن الرقم على لائحة الشكاوى لذا رد على الاتصال.

عرف من تنفسها أنها زوجته؛ حتى قبل أن تنبس ببنت شفة.

سألها:

- أين أنت؟

بدا صوتها بعيداً:

- أين تظن؟

- ومن أين تتصلين؟

- من كاسبر.

كان ذلك المقهى على بعد ثلاثة كيلومترات من منـزلهما الريفي.

- الشرطة تبحث عنك ياكاميلا.

- حقاً؟!

بدا صوتها كما لو أنها كانت نائمة تحت الشمس بملل، أو كما لو أنها تمر بحالة من حالات عدم الاكتراث المؤدب والبعيد الذي أحبه كل تلك السنوات الماضية على الشرفة في بلومنهولم.

بدأ:

- أنا...

ثم صمت، فماذا عساه يقول؟

- فكرت أنه من الأفضل أن أتصل بك قبل أن يتصل بك محامينا.

- محامينا؟

- محامي عائلتي. إنه واحد من بين الأفضل. سيحاول التوصل لانفصال مع تقاسم للممتلكات. سنطلب المنـزل وسنحصل عليه على الرغم من أنني لن أخفي عليك أنني أنوي بيعه.

فكر في أن هذا أمر مفروغ منه.

- سأعود للبيت خلال خمسة أيام، وفي ذلك الحين أفترض أنك ستكون قد انتقلت.

- هذه فترة قصيرة.

- يمكنك القيام بذلك، فقد سمعت أنه ما من أحد يعمل أسرع وأرخص من ريد آند فليت.

لفظت عبارتها الأخيرة بنفور جعله يجفل، كما جفل أثناء محادثته مع المحقق هول، كان كبطانية مغسولة بحرارة مرتفعة جداً، وقد أصبح صغيراً جداً عليها وغير قابل للاستخدام. وباليقين نفسه الذي عرف به الآن في هذه اللحظة أنه أحبها أكثر من ذي قبل، عرف أنه قد فقدها نهائياً، وأنه لن تكون هناك أي مصالحة. وحين أنهت الاتصال، تخيلها تنظر إلى غروب الشمس على الريفييرا الفرنسية من خلال نظارة شمسية اشترتها بعشرين يورو، لكنها تبدو عليها كما لو كانت تساوي ثلاثة آلاف من ماركة غوشي أو دولش آند غابانا أو... لقد نسي الماركات الأخرى.

قاد هاري سيارته إلى أعلى هولمينكولن ريدج في الجانب الغربـي من البلدة، وكان قد ركن سيارته في المركز الرياضي في مرأب السيارات المهجور

الكبير ومشى إلى هولمينكولن. وقف هناك على النتوء الخليجي ذي الإطلالة إلى جانب منحدر التزلج، حيث كان هو وبعض السياح يحدقون إلى المدرج المسقوف الفارغ على جانبي منحدر التزلج، حيث تقع البركة في الأسفل التي كانت تتلاشى في الشتاء. كانت الإطلالة رائعة، ولم يكن لديهم أي دليل ملموس، فرجل الثلج كان قريباً كما لو أن كل ما عليهم القيام به هو البحث واعتقاله، لكنه حينها كان يفلت من قبضتهم مجدداً كملاكم محترف ومراوغ. أحس المحقق أنه عجوز وثقيل وأخرق... وكان أحد السياح ينظر إليه بينما سحب ثقل مسدسه معطفه إلى الجانب الأيمن. الجثث... أين الجثث؟ حتى الجثث المدفونة تظهر في ما بعد. هل يستخدم الحمض؟

أحس هاري بالاستسلام... لا، لن يستسلم! ففي دورة مكتب التحقيقات الفيدرالي قاموا بدراسة قضايا استغرقت أكثر من عشر سنوات حتى تمكنوا من القبض على القاتل. عموماً، إن تفصيلاً بسيطاً وعشوائياً هو الذي يحل القضية. لكن ما يحلها بالفعل هو عدم اليأس على الإطلاق.

تسلل ظلام المساء من البلدة في الأسفل، وبدأت الأضواء المحيطة به تُنار ببطء.

كان عليهم البدء بالبحث عن أماكن الضوء... كانت هذه قاعدة مبتذلة ولكنها ضرورية... ابدأ من حيث لديك دليل. في هذه المناسبة، كان ذلك يعني أن يبدأ من آخر شخص محتمل قد يتخيله، وأسوأ أفكاره التي خطرت له وأكثرها جنوناً.

تنهد هاري وأخرج هاتفه المحمول وبحث عبر لائحة المكالمات... لم يكن هناك الكثير، لذا كان الرقم لا يزال هناك... تلك المكالمة القصيرة التي تلقاها حين كان في فندق ليون. فضغط على زر موافق.

أجابت باحثة قناة بوس أودا بولسن مباشرة بصوت سعيد وحيوي يرى جميع المكالمات الواردة كفرصة جديدة مليئة بالإثارة، وقد كانت محقة نوعاً ما هذه المرة.

21 - اليوم الثامن عشر

غرفة الانتظار

كانت غرفة التوتر والقلق. وربما لذلك السبب كان بعض الناس يدعونها غرفة الانتظار، كما لو كنت عند طبيب الأسنان أو كما لو أن الباب الثقيل بين ردهتي الاستديو 1 يؤدي إلى شيء مهم. لكن في التلفزيون النروجي الحكومي، في أبنية القناة الرسمية في منطقة مارينليست في أسلو، كانت تدعى ببساطة ردهة الاستديو 1، وقد كانت أكثر الغرف التي عرفتها أودا بولسن إثارة.

كان معظم الضيوف المشاركين في حلقة اليوم من بوس قد وصلوا. وكالعادة، إن الضيوف الأقل شهرة والذين يظهرون على الشاشة لفترات أقصر هم الذين يظهرون أولاً. وكانوا الآن جالسين على إحدى الأرائك بعد أن تمت تهيئتهم، وتتوهج وجناتهم من التوتر وهم يثرثرون ويحتسون الشاي، بينما تتعلق عيونهم باستمرار بالشاشة التي تعرض صورة كاملة للاستديو في الطرف الآخر من الباب، حيث يتم إدخال الضيوف ليتلقوا التعليمات من المخرج عن الطريقة التي ينبغي أن يصفقوا بها ويضحكوا ويبتهجوا. كما أظهرت الشاشة مقعد المضيف، ومقاعد أربعة ضيوف فارغة بانتظار الناس والرضى والتسلية.

كانت أودا تحب هذه الدقائق الانفعالية والمتوترة قبل الظهور على الهواء؛ ففي كل يوم جمعة، ولمدة أربعين دقيقة، كانت هذه أقرب نقطة لها من مركز الأرض؛ أكثر من أي مكان آخر في النروج. إذ إن ما يتراوح بين 20 و25 بالمائة من سكان البلاد كانوا يشاهدون البرنامج؛ وهي نسبة متابعة عالية جداً بالنسبة لبرنامج حواري. لم يكن العاملون هنا في مكان الحدث فحسب، وإنما كانوا الحدث بحد ذاته، وقد كان القطب الجنوبي للمشاهير يجذبهم جميعاً. وبما أن الشهرة تتسبب بالإدمان، وهناك اتجاه واحد للقطب الجنوبي - جنوباً نحو الأسفل- فقد كان الجميع متمسكين بعملهم، لذا كان على موظفة مستقلة كأودا العمل بجد لتبقى في الفريق في الموسم التالي. وكان ذلك سبب سعادتها عند تلقيها المكالمة في وقت متأخر من مساء اليوم السابق قبل اجتماع التحرير مباشرة، فقد ابتسم لها بوس إغين بنفسه، وقال لها إن ذلك كان سبقاً صحفياً... سبقها الصحفي.

كان موضوع الأمسية هو ألعاب الكبار. وهو موضوع تقليدي لبرنامج بوس، إذ إنه جاد نوعاً ما من دون أي ثقل، فجميع الضيوف يمكنهم

تقديم رأي شبه محترف. وكان بين الضيوف عالمة نفس كانت قد كتبت أطروحتها عن هذا الموضوع، لكن الضيف الرئيس هو آرف ستوب الذي سيحتفل بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لمجلة ليبيرال في اليوم التالي. لم يعترض ستوب على فكرة الشخص البالغ اللعوب حين التقته أودا للتحضير للحلقة في شقته، وإنما ضحك فحسب حين ضربت مثالاً حول هيو هيفنر العجوز وهو يرتدي ثوباً ويدخن غليوناً في حفلة عزوبية في قصره. لقد شعرت بعينيه تحدقان إليها وتتفحصانها بفضول حتى سألته إن كان يندم على عدم إنجاب طفل وريث لمملكته.

فسألها:

- هل لديك أي أطفال؟

وحين أجابت بالنفي، بدا فجأة وكأنه فقد الاهتمام بها وبالحديث، وبالتالي غيرت الموضوع بسرعة بتقديم المعلومات المعتادة: وقت الوصول، والتجميل، وعدم ارتداء ثياب كاشفة، كما أن الضيوف قد يتم تغييرهم قبل فترة قصيرة بما أن هذا برنامج عام... وغير ذلك من الأمور.

وها هو آرف ستوب الآن في ردهة الاستديو 1 بعد خروجه مباشرة من غرفة التجميل بعينيه الزرقاوين الحادتين، وشعره الرمادي الكثيف المصفف والطويل جداً؛ حيث لا يمكن للأطراف أن تتمايل للأعلى والأسفل بأسلوب ثوري. وكان يرتدي بذلة رمادية كان الجميع يعرفون أنها تساوي مبالغ طائلة على الرغم من أن أحداً منهم لم يستطع قول كيف عرف، وقد مد يده السمراء لتحية العالمة النفسية التي كانت تجلس على أريكة وتتناول الفول السوداني وتشرب شيئاً ما.

- لم أكن أعلم أن عالمات النفس بهذا الجمال... أتمنى أن ينصت الناس لما تقولينه أيضاً.

شاهدت أودا عالمة النفس تتردد قبل أن تتألق. وعلى الرغم من أن المرأة رأت بوضوح أن إطراء ستوب مجرد دعابة، فقد رأت أودا من الوميض الذي بدا في عينيها أن الإطراء قد لاقى صداه.

اندفع بوس إغين إلى الغرفة:

- مرحباً بكم جميعاً... أشكركم على الحضور.

وبدأ بمصافحة الضيوف بدءاً من اليسار وهو ينظر إلى أعينهم، ويعلن عن مدى سعادته باستضافتهم، ويخبرهم أن بإمكانهم المقاطعة لطرح أسئلة على الضيوف الآخرين أو التعليق فهذا سيبعث الحيوية في المحادثة.

أشار غاب المنتج أنه على ستوب وبوس الانسحاب إلى غرفة جانبية

للمناقشة حول بنية المقابلة الأساسية ومقدمة البرنامج، بينما تحققت أودا من ساعتها؛ إذ لم تتبقَ سوى ثماني دقائق ونصف الدقيقة لحين الظهور على الهواء، فبدأت تشعر بالقلق، وتفكر إن كان عليها الاتصال بالاستقبال لمعرفة إن كان ينتظر هناك: الضيف الرئيس الحقيقي... السبق الصحفي. لكنها حين رفعت عينيها وجدته أمامها مع أحد المساعدين، فشعرت أودا بقلبها يكاد يتوقف. لم يكن وسيم المظهر- بل ربما كان قبيحاً- لكنها لا تشعر بالخجل من الاعتراف لنفسها بأنها تنجذب له، وقد كانت لهذا الانجذاب علاقة بأنه الشخص الذي أرادت جميع القنوات التلفزيونية الإسكندنافية استضافته؛ لأنه الرجل الذي قبض على رجل الثلج في أكبر قصة جريمة في النروج منذ سنين.

قال هاري هول قبل أن تتمكن من نطق أي كلمة:

- قلت لك إنني سأتأخر.

تنشقت نفسه، ففي آخر مرة ظهر فيها في البرنامج كان مترنحاً بشكل ملحوظ، وأزعج الشعب بكامله، أو على الأقل ما بين 20 و 25 بالمائة من الشعب.

- نحن سعداء للغاية بحضورك إلى هنا... ستظهر على الهواء خلال ثوانٍ، ثم ستبقى حتى نهاية البرنامج، في حين أن الآخرين سيأخذون وقتهم فحسب.

- ممتاز.

قالت أودا للمساعد:

- خذه إلى غرفة التجميل واستعن بغوري.

لم تكن غوري ماهرة فحسب، وإنما كانت تعرف كيف تجعل وجهاً مرهقاً مناسباً للظهور على التلفاز ببعض الحيل البسيطة جداً.

وحين خرجا تنفست أودا الصعداء، فقد كانت تحب الدقائق الأخيرة الحرجة، حيث كل شيء يبدو فوضوياً، لكنه في النهاية يتم حسبما هو مخطط.

عاد ستوب وبوس من الغرفة الجانبية، لترفع إصبعها لبوس بإشارة معناها أن كل شيء على ما يرام، ثم سمعت الجمهور يصفق بينما أغلق باب الاستديو. ورأت على الشاشة بوس يجلس على مقعده، وعرفت أن المخرج قد بدأ بالعد التنازلي لتبدأ نغمة البداية ويظهروا على الهواء مباشرة.

أدركت أودا أن هناك شيئاً ما في غير مكانه الصحيح، فالبرنامج يسير بدقة حتى الآن، وآرف ستوب متألق، وبوس مستمتع بذلك، وقد قال آرف ستوب إنه يتم النظر إليه على أنه من النخبة لأنه من النخبة، وأن ذكراه لن تبقى حية ما لم يعان فشلاً حقيقياً أو أكثر.

- القصص الجيدة ليست عن سلسلة من النجاحات، وإنما عن الإخفاقات الرائعة. فعلى الرغم من أن رولد أماندسن قد فاز بالسباق إلى القطب الجنوبـي، فإن العالم خارج النروج يتذكر روبرت سكوت. ولا يتذكر العالم أياً من انتصارات نابليون كما يتذكرون هزيمته في معركة واترلو. كما أن الفخر الوطني لسيبيريا يعتمد على المعركة مع الأتراك في كوسوفو عام 1389؛ وهي معركة هزم فيها الصرب هزيمة نكراء.

كان ستوب قد أظهر على نحو غير متوقع جانباً محبوباً ومتواضعاً من شخصيته بدلاً من غطرسته الشهيرة، فسأله بوس إن كان كرجل أعزب متقدم بالعمر يتمنى وجود امرأة بجانبه. وحين أجاب ستوب بالإيجاب، عرفت أودا أنه ستكون هناك مجموعة ضخمة من عروض الزواج في طريقها إليه، بينما استجاب الجمهور بالتصفيق الحار لفترة طويلة. عندها، أعلن بوس بشكل مسرحي:

- دائماً في مطاردة... الذئب الوحيد في شرطة أوسلو... المحقق هاري هول.

لتلاحظ أودا تعابير الدهشة حين ركزت الكاميرا على ستوب لثانية.

من الواضح أن بوس قد استمتع بالرد الذي تلقاه على قضية المرأة الدائمة، لأنه حاول الحفاظ على هذا الموضوع بسؤال هاري- بما أنه كان يعرف أنه أعزب أيضاً- إن كان يتمنى وجود امرأة معه؟ فتكلف هاري الابتسام وهز رأسه بالنفي، لكن بوس لم يغير الموضوع، وإنما سأله إن كانت هناك امرأة مميزة ينتظرها.

أجاب هاري باقتضاب ولطف:

- لا.

عادة، كان مثل هذا النوع من الرفض يدفع بوس للضغط أكثر، لكنه عرف أن عليه أن لا يفسد الوضع... فهناك موضوع رجل الثلج. لذا، سأل هاري إن كان بإمكانه إخبارهم عن القضية التي كانت النروج بكاملها تتكلم عنها... عن أول قاتل متسلسل في النروج. تلوى هاري على مقعده؛ كما لو كان صغيراً جداً على جسده الطويل، وهو يلخص سلسلة الأحداث بجمل قصيرة مقتضبة. فخلال السنوات الماضية، كانت هناك قضايا أشخاص

مفقودين متشابهة على نحو واضح، وكانت جميع النساء المفقودات في علاقة، ولديهن أطفال، ولم تكن هناك أي آثار للجثث.

تظاهر بوس بالجدية بتعابير تشير إلى أنه لا مجال للتحاذق في هذا الموضوع.

- في هذه السنة اختفت بيرت بيكر من منـزلها في هوف هنا في أوسلو ضمن ظروف مشابهة. وبعد فترة قصيرة، تم العثور على سيلفيا أوترسون ميتة في سوليهوغدا بالقرب من أوسلو. كانت هذه أول مرة نجد فيها جثة، أو على الأقل جزءاً من الجثة.

قاطعه بوس:

- نعم، لأنكم وجدتم رأسها أليس كذلك؟

كان يحاول بحذر إخبار من لا يعلم، ويثير فضول من يعلم، وقد كان محترفاً جداً لدرجة أن أودا بلعت لعابها برضى مباشرة.

أكمل هاري:

- ثم وجدنا خارج بيرغن جثة شرطي كان مفقوداً منذ اثنتي عشرة سنة.

- آيرون رافتو.

صحح له هاري:

- غيرت رافتو. ومنذ عدة أيام، وجدنا جثة إيدار فيتليسين في بيغدوي. هذه هي الجثث الوحيدة التي لدينا.

- وما هو الجانب الأسوأ في هذه القضية برأيك؟

أحست أودا بنفاد الصبر في صوت بوس، ربما لأن هاري لم يتناول الطعم الذي وضعه له، ولم يصور الجرائم بالتفاصيل الدموية التي كان ينتظرها.

- مرور العديد من السنين قبل أن ندرك أن هناك صلة بين حالات الاختفاء.

جواب فاتر آخر، فأشار المخرج لبوس أن عليه البدء بالتفكير في صلة مع الموضوع التالي.

ضغط بوس برؤوس أصابعه على بعضها:

- والآن، تم حل القضية، وأصبحت نجماً ياهاري. ما هو شعورك؟ هل لديك بريد إلكتروني للمعجبين؟

ثم ابتسم ابتسامته الصبيانية مظهراً أنه قد فتح المجال للتحاذق في هذا الموضوع.

هز المحقق رأسه ببطء، وبلل شفتيه بتركيز كما لو أن صياغة الجواب في غاية الأهمية:

- حسناً، لقد حصلت على رسالة في بداية هذا الخريف، لكنني متأكد من أن بإمكان ستوب إخبارنا المزيد عنها.

نظر ستوب إلى هاري بفضول، بينما ساد الصمت لمدة ثانيتين في الاستديو. عضت أودا على شفتها السفلى... ما الذي يعنيه هاري؟ فتدخل بوس وأصلح الوضع:

- بالطبع، إذ إن ستوب يتلقى الكثير من الرسائل من المعجبين... ماذا عنك ياهول؟ هل لديك معجبون أيضاً؟ هل هناك مجموعات من المعجبين بالشرطة؟

ضحك الجمهور بحذر.

هز هاري هول رأسه بالنفي.

قال بوس:

- هيا... لا بد أن بعض المجندات يأتين إليك أحياناً ويطلبن منك بعض التدريب الإضافي حول البحث عن الجثث.

ضج الاستديو بالضحك، بينما ابتسم بوس بسعادة.

لم يبتسم هاري هول وإنما بدا مستسلماً، وألقى نظرة على المخرج. ولثانية جنونية، تخيلته أودا وهو ينهض ويغادر... لكنه التفت إلى ستوب الجالس على الكرسي المجاور.

تحدثوا عن الكبار الذين يلعبون، بينما لاحظت أودا أن بوس كان يدير الحوار بعيداً عن هاري هول... لا بد أنه رأى أن الشرطي الذي لا يمكن توقع تصرفاته ليس بأحسن حالاته اليوم. وبالتالي، إن آرف ستوب- الذي كان بأحسن حالاته اليوم- سيحصل على المزيد من الوقت على الهواء.

سأل بوس بتعابير بريئة تؤكد على مضمون غير بريء:

- كيف تلهو ياستوب؟

ابتهجت أودا، فهي التي كتبت هذا السؤال.

لكن، قبل أن يتمكن ستوب من الإجابة، انحنى هاري هول نحو الأمام، وسأله بنبرة واضحة ومرتفعة:

- هل تصنع رجال ثلج؟

هنا أحست أودا أن الأمور ليست على ما يرام... نبرة هول الغاضبة والحاسمة، ولغة جسده العدوانية، وستوب الذي رفع مرفقه متفاجئاً بينما

بدا وجهه منقبضاً ومتوتراً. صمت بوس، ولم تعرف أودا ما الذي يحدث، لكنها اعتبرت فترة الصمت التي دامت أربع ثوانٍ فترة طويلة للغاية بالنسبة للبث التلفزيوني المباشر، ثم أدركت أن بوس كان يعرف ما يفعله. فعلى الرغم من أن بوس يرى أن من واجبه إحداث جو ودود بين المتحاورين، لكنه يعرف بالطبع أن أهم شيء وأن واجبه الأسمى هو التسلية، وليست هناك تسلية أفضل من الأشخاص الغاضبين الذين يفقدون السيطرة ويبكون وينهارون أو يظهرون مشاعرهم بشكل أو بآخر أمام جمهور كبير على الهواء مباشرة. وبالتالي، أفسح لهما المجال ببساطة، وجلس ينظر إلى ستوب فحسب.

بعد أن انتهت الثواني الأربع:

- بالطبع، أنا أصنع رجال ثلج على الشرفة المجاورة لبركة السباحة الخاصة بـي... أصنع كل واحد ليبدو كعضو في العائلة المالكة، وهكذا حين يأتي الربيع يمكنني النظر إلى الثلج في غير أوانه وهو يذوب ويختفي.

لأول مرة هذا المساء لم يحصل ستوب على الضحك ولا التصفيق، وفكرت أودا أنه كان على ستوب معرفة أن التعليقات المناهضة للعائلة المالكة لن تلاقي أي صدى.

كسر بوس حاجز الصمت بتقديم النجم الغنائي الذي سيتكلم عن انهياره الأخير على المنصة، ثم سيختم الحلقة بغناء أغنيته التي ستصدر يوم الاثنين.

سأل غاب المنتج من وراء أودا مباشرة:

- ما هذا؟
- ربما يكون غير متزن على الإطلاق.
- إنه رجل شرطة غريب.

في تلك اللحظة، تذكرت أودا أنها هي التي أحضرته، وأنه سبقها الصحفي:

- لكن... ألن يحقق آمالي؟

لم يجب المنتج.

كان المغني يتكلم عن المشاكل النفسية، ويشرح أنها وراثية، بينما نظرت أودا إلى ساعة يدها... بقيت أربعون ثانية. كان ذلك حافلاً جداً بالنسبة لليلة الجمعة... وقد قاطع بوس المغني قائلاً:

- ماذا عنك يا آرف؟

كان بوس عادة ينادي الضيف الرئيس باسمه الأول عند نهاية البث:

- هل تعرضت للجنون أو لمرض وراثي خطير؟

ابتسم ستوب:

- لا يابوس، إلا إن كنت تعتبر الرغبة بالحرية المطلقة مرضاً... في الواقع، إنها نقطة الضعف في عائلتنا.

كان بوس قد وصل لنقطة النهاية، وحان الوقت لتوديع الضيوف الآخرين قبل تقديم الأغنية... بضع كلمات قليلة من عالمة النفس حول اللعب في الحياة ثم:

- وبما أن رجل الثلج لم يعد معنا، فأنا أفترض أنك ستمضي بعض الوقت باللهو لعدة أيام ياهاري؟

قال هاري وهو يسترخي على كرسيه، لدرجة أن ساقيه الطويلتين كادتا تصلان إلى المغني:

- لا، لم يتم القبض على رجل الثلج.

عبس بوس وابتسم منتظراً إياه أن يتابع كلامه، ومنتظراً الخاتمة، بينما كانت أودا تتمنى أن تكون أفضل من عبارته الافتتاحية.

قال هاري:

- لم أقل قط إن إيدار فيتليسين هو رجل الثلج... بل على العكس، فكل شيء يشير إلى أن رجل الثلج لا يزال طليقاً.

ضحك بوس ضحكة خافتة... كانت الضحكة التي اعتاد على إطلاقها على محاولات الضيف المنحوسة لكي يكون مرحاً.

قال بوس بيأس:

- آمل أنك تمزح لتتمكن زوجتي من النوم.

- لا، أنا لا أمزح.

نظرت أودا إلى ساعتها، وعرفت أن المخرج كان يقف خلف الكاميرا الآن ويتنقل بعصبية، بينما مررت إصبعها على رقبتها لتظهر لبوس أن الوقت يكاد ينفد، وأن عليه البدء بالأغنية إن كانوا يرغبون بعرض المقطع الأول قبل انتهاء الوقت. لكن بوس كان الأفضل، فقد كان يعلم أن هذا أكثر أهمية من جميع الأغاني في الدنيا، لذا تجاهل الإشارة، وانحنى للأمام ليظهر للذين لديهم أي شكوك عن هذا الأمر... السبق الصحفي... الإعلان المثير... هنا... في هذا البرنامج. وكان التهدج في صوته حقيقياً نوعاً ما.

- هل تقول لنا هنا إن الشرطة كانت تكذب ياهول؟ وإن رجل الثلج طليق وبإمكانه حصد المزيد من الأرواح؟

- لا... لم نكن نكذب، وإنما ظهرت معطيات جديدة في الضوء.

دار بوس في كرسيه، بينما ظنت أودا أنها تسمع المخرج التقني يصرخ لأجل الكاميرا 1، ثم ظهر وجه بوس بينما حدقت عيناه بهما.

- أظن أننا سنسمع عن جميع هذه التفاصيل في نشرة أخبار الليلة... نلقاكم الجمعة المقبلة... شكراً على متابعتكم.

أغمضت أودا عينيها، بينما بدأت الفرقة بعزف الموسيقى.

سمعت المنتج يزأر من ورائها:

- ما هذا!؟ ما هذا؟

رغبت أودا بالصراخ من شدّة السعادة... فكرت أنه هنا في القطب الجنوبـي... نحن لسنا في مكان الحدث وإنما نحن الحدث.

22 - اليوم الثامن عشر

مباراة

كان غونار هاغن واقفاً عند الباب في شرودر يتفحص الغرفة بعد أن كان قد انطلق من منـزله قبل اثنتين وثلاثين دقيقة، وبعد أن أجرى ثلاث مكالمات هاتفية منذ أن انتشر الخبر في برنامج بوس. لم يعثر على هاري في شقته، ولا في كانستنيرنيس هاس، ولا في مكتبه، فنصحه بيورن هولم أن يحاول إيجاده في شرودر. وكان التباين بين الزبائن الشبان والشهيرين تقريباً في كانستنيرنيس هاس والمدمنين الخليعين في شرودر مذهلاً. وفي الخلف، في زاوية إلى جانب النافذة، كان هاري جالساً بمفرده إلى طاولة يشرب كأساً كبيرة.

شق هاغن طريقه إلى الطاولة.

- كنت أحاول الاتصال بك ياهاري. هل أطفأت هاتفك المحمول؟

رفع المحقق رأسه ونظر بعينيه المجهدتين:

- كان هناك الكثير من المتاعب، فمئات الصحفيين الأغبياء بدأوا بملاحقتي فجأة.

- قال لنا العاملون في التلفاز النروجي الحكومي إن طاقم برنامج بوس وضيوفه يذهبون عادة إلى كانستنيرنيس هاس بعد البرنامج.

- كان رجال الصحافة واقفين في الخارج بانتظاري... لذا رحلت. ما الذي تريده أيها المدير؟

هوى هاغن على كرسي، وشاهد هاري يرفع الكأس إلى شفتيه والسائل الذهبـي يتدفق إلى فمه.

قال هاغن:

- كنت أتكلم مع المدير العام... الأمر خطير ياهاري، فتسريبك أن رجل الثلج لا يزال طليقاً خرق مباشر لأوامره.

قال هاري وهو يرتشف الشراب مجدداً:

- هذا صحيح.

- صحيح! أهذا كل ما لديك ياهاري لتقوله!؟ لماذا؟

- من حق العامة أن يعرفوا، فديمقراطيتنا مبنية على الانفتاح أيها المدير.

ضرب هاغن بقبضته على الطاولة، وتلقى بضع نظرات تشجيعية من الطاولات المجاورة، ونظرة تحذيرية من النادلة التي عبرت بجوارهما وهي

تحمل مجموعة من الكؤوس بحجم نصف ليتر.

- لا تعبث معي ياهاري. لقد ظهرنا أمام العامة، وأخبرناهم أن القضية قد حُلّت. لقد أظهرت الشرطة بشكل سيئ جداً. أتدرك هذا؟

- وظيفتي هي القبض على الأوغاد وليس أن أظهر بشكل جيد.

- إنهما وجهان لعملة واحدة ياهاري! فظروف عملنا تعتمد على كيفية نظر العامة إلينا... الإعلام أمر أساسي.

هز هاري رأسه:

- لم يعقني الإعلام أو يساعدني في حل أي قضية. فهو أساسي فقط للأشخاص الذين يرغبون بالظهور في الأضواء. إن الأشخاص الذين تهتم لأمرهم مهتمون فقط بالحصول على نتائج ملموسة تجعلهم يبدون جيدين أو تمنع ظهورهم بمظهر سيئ في الإعلام. أريد القبض على رجل الثلج... نقطة انتهى.

- أنت خطر على زملائك... أتدرك ذلك؟

بدا كما لو أن هاري يفكر في العبارة، ثم هز رأسه ببطء وتجرّع ما بقي في كأسه، ثم أشار للنادلة أنه يرغب بكأس أخرى.

- كنت أتكلم منذ قليل مع رئيس الشرطة والمدير العام، وقد طلبا مني أن أعثر عليك مباشرة لأسكتك منذ هذه اللحظة. هل هذا مفهوم؟

- ممتاز أيها المدير.

رمش هاغن بذهول، لكن وجه هاري لم يظهر شيئاً.

قال:

- بدءاً من هذه اللحظة، سأكون أنا المشرف طوال الوقت... أريد تقارير منتظمة. أعرف أنك لن تقوم بذلك، لذا تكلمت مع كاترين برات وكلفتها بالمهمة. هل لديك أي اعتراضات؟

- على الإطلاق.

كان هاغن يفكر في أنه لا بد أن هاري مترنح أكثر مما يبدو.

- لقد أخبرتني برات أنك طلبت منها مقابلة مساعدة إيدار فيتليسين للتحقق من ملفات آرف ستوب من دون الرجوع للمدعي العام. تباً... ما الذي تفعلانه؟ أتعرفان ما الذي سنواجهه في حال كشفنا ستوب؟

رفع هاري رأسه كحيوان حذر:

- ما الذي تعنيه بقولك في حال كشفنا ؟

- لحسن الحظ، لم تكن هناك أي ملفات لستوب، فقد قالت سكرتيرة فيتليسين إنه لم يكن لديهم يوماً أي ملف له.

- حقاً؟ ولم لا؟
- كيف عساي أعرف ياهاري؟ إنني مرتاح فحسب. فنحن لا نريد المزيد من المشاكل... آرف ستوب... مهما يكن الأمر، من الآن فصاعداً ستطلع برات على كل خطوة تقوم بها لتذكرها في التقرير.

قال هاري وهو يهز رأسه للنادلة التي وضعت أمامه كأساً أخرى:

- ألم يتم إعلامها؟
- ما الذي تعنيه؟
- حين بدأت العمل أخبرتها أنني سأكون...

توقف هاري عن الكلام.

- ستكون ماذا؟

هز هاري رأسه.

- ماذا هناك؟ هل هناك خطب ما؟

أجاب هاري:

- لا شيء.

ثم شرب نصف الكأس دفعة واحدة وهو يضع ورقة نقدية من فئة مائة كرونر على الطاولة:

- يوماً سعيداً أيها المدير.

جلس هاغن إلى الطاولة حتى غادر هاري المطعم، وعندها انتبه لعدم وجود فقاعات ثنائي أوكسيد الكربون تتصاعد من كأسه شبه الفارغة. استرق بضع نظرات جانبية، ثم وضع الكأس على شفتيه بحذر. كان مذاقها لاذعاً... عصير تفاح.

مشى هاري إلى منـزله عبر الشوارع الصامتة، بينما أضاءت نوافذ المباني القديمة المنخفضة كعيون قططة في الليل. أحس برغبة بالحديث إلى تريسكو لمعرفة كيف تجري الأمور، لكنه قرر أن يدعه الليلة كما اتفقا. انعطف عند الزاوية باتجاه بوابة صوفيز المهجورة. كان متجهاً نحو مبناه حين انتبه لحركة ووميض بسيط كضوء منعكس عن نظارة شخص يقف عند صف السيارات المركونة على طول الرصيف وهو يحاول فتح باب السيارة. كان هاري يعرف السيارات التي يتم ركنها عموماً في هذا الطرف من الشارع، لكن هذه السيارة الزرقاء من نوع فولفو طراز سي 70 لم تكن من بينها.

كان الظلام حالكاً فلم يتمكن هاري من رؤية الوجه بوضوح، لكنه عرف من طريقة خفضه لرأسه أنه كان يرغب بالبقاء بعيداً عن نظر

هاري... أهو صحفي؟ عبر هاري بجوار السيارة، ومن المرآة الجانبية لمح حركة سريعة، وأحس بأحد ما وراءه، فأدخل هاري يده في جيبه من دون أي عجلة مفرطة. ثم سمع صوت خطوات تقترب، وما لبث أن سمع صوته الغاضب. فبعد أن عد للرقم ثلاثة واستدار ليتجمد الشخص الذي وراءه، زعق هاري:

- أتتبعني؟

ثم خطا للأمام وهو يرفع المسدس، وأمسك بالرجل وجره جانباً حتى أفقده توازنه، وبعد ذلك هاجمه فوقع كلاهما على غطاء سيارة. ضغط هاري بذراعه الأمامية على حنجرة الرجل، ووضع ماسورة المسدس على إحدى عدستي نظارته.

همس هاري:

- أتلاحقني؟

طغى صوت إنذار السيارة على جواب الرجل؛ إذ ملأ الصوت الشارع بكامله. حاول الرجل تحرير نفسه، لكن هاري كان محكماً عليه الخناق، فاستسلم بينما ضرب رأسه بصندوق السيارة مصدراً صوتاً مكتوماً وناعماً. وحين أضاء نور مصباح الشارع وجه الرجل، أفلته هاري، فاستقام الرجل وهو يسعل.

صرخ به هاري:

- تعال.

ثم أمسك بالرجل من ذراعه، وجره على الطريق، ثم فتح باب المبنى ودفعه إلى الداخل.

- ماذا تفعل هنا؟ وكيف عرفت عنوان منـزلي؟

- كنت أحاول الاتصال بالرقم الذي أعطيتني إياه طوال المساء، وفي النهاية اتصلت بالاستعلامات وحصلت على عنوانك.

راقب هاري الرجل، أو بمعنى أدق راقب شبح الرجل، فحتى في زنـزانة الاعتقال كان أشبه بالأستاذ فيليب بيكر.

- اضطررت لإغلاق هاتفي المحمول.

مشى هاري أمام بيكر حتى وصل إلى شقته، وفتح الباب، ثم ركل حذاءه ودخل المطبخ وأشعل مغلاة الماء.

قال بيكر الذي لحقه إلى المطبخ وهو لا يزال يرتدي معطفه وينتعل حذاءه ووجهه شاحب ولا حياة فيه:

- رأيتك في برنامج بوس هذا المساء. لقد كنت شجاعاً، لذا فكرت

في أنه علي التحلي بالشجاعة أيضاً. إنني مدين لك بذلك.

- مدين لي؟!

- لقد صدقتني حين كذبني الآخرون، كما أنقذتني من الخزي العلني.

- مممم.

سحب هاري كرسياً للأستاذ الذي هز رأسه رافضاً.

- سأرحل بعد دقيقة، لكنني سأخبرك شيئاً يجب أن لا يعرفه أي شخص آخر. لست متأكداً إن كان للأمر أي علاقة بالقضية، لكنه متعلق بجوناس.

- إذاً؟

- لقد أخذت عينة من دمه ليلة زيارتي لكاميلا لوسيوس.

تذكر هاري الضمادة على ذراع جوناس.

- بالإضافة إلى عينة من لعابه وأرسلتهما إلى قسم الأبوة في معهد الطب الشرعي لإجراء اختبار الحمض النووي.

- آه، لقد كنت أظن أن عليك الرجوع إلى محامٍ للقيام بذلك.

- كان هذا في السابق، لكن الآن يستطيع أي شخص إجراء الاختبار مقابل ألفين وثمانمائة كرونر للشخص، أو أكثر بقليل إن كنت تريد نتيجة سريعة، وهذا ما فعلته لتأتيني النتيجة اليوم. جوناس...

توقف بيكر وأخذ نفساً عميقاً:

- جوناس ليس ابني.

هز هاري رأسه ببطء.

تأرجح بيكر على كعبي قدميه كما لو كان على وشك الركض.

- لقد طلبت منهم أن يربطوا بينه وبين جميع البيانات في بنك البيانات، وقد وجدوا توافقاً كاملاً.

- كامل! إذاً جوناس سبق له أن أجرى اختباراً؟

- نعم.

فكّر هاري، فقد بدأت الأمور تتضح له.

- بعبارة أخرى، هناك أحد ما سبق له أن أرسل عينة من حمض جوناس النووي، وقد أخبروني أن العينة السابقة كانت قبل سبع سنوات.

- وهل أكدوا أنه جوناس؟

- لا، كانت لشخص مجهول. لكن لديهم اسم العميل الذي طلب الاختبار.

- وهو؟
- مركز طبـي لم يعد موجوداً...
عرف هاري الجواب قبل أن يقوله بيكر:
- عيادة مارينليست.
قال هاري:
- إيدار فيتليسين.
ثم أحنى رأسه وكأنه يتفحص صورة ليرى إن كانت معلقة بشكل مستقيم.
قال بيكر وهو يصفق بيديه ويبتسم بوهن:
- صحيح. هذا هو... ما أردت قوله هو أنه... ليس لدي ابن.
- آسف.
- في الواقع، كنت أحس بذلك منذ زمن.
- ولِمَ العجلة والقدوم إلي وإخباري؟
- لا أدري.
انتظر هاري.
- كان... كان عليّ فعل شيء كهذا الليلة... ولو لم أفعل ما كنت أعرف ماذا كنت سأفعل. أنا...
تردد الرجل قبل أن يتابع:
- أنا وحيد الآن، ولم يعد لحياتي أي معنى. لو كان المسدس حقيقياً...
- لا، لا تفكر حتى بذلك، فالفكرة ستصبح أكثر إغواء كلما فكرت فيها أكثر. كما أنك نسيت شيئاً هامًّا؛ فحتى لو كانت حياتك بلا معنى بالنسبة إليك فإن لها معنى بالنسبة إلى الآخرين... كجوناس على سبيل المثال.
ضحك بيكر بمرارة:
- جوناس؟ الأحمق؟ لا تفكر في الأمر. أهذا ما يعلمونك إياه في كلية الشرطة؟
- لا.
تبادلا النظرات.
- مهما يكن... أصبحت الآن تعرف.
- شكراً.
حين غادر بيكر، بقي هاري جالساً في مكانه وهو يحاول تحديد ما

إن كانت الصورة معلقة بشكل مستقيم، من دون أن يلاحظ أن الماء قد غلى وأن المغلاة قد أطفئت وأن الضوء الأحمر الصغير تحت زر التشغيل يتلاشى ببطء.

23 - اليوم التاسع عشر

فسيفساء

كانت الغيوم الكثيفة الزغبة تخفي ضوء الفجر حين دخل هاري الممر في الطابق السادس من مبنى الشقق المرتفعة في فروغنر. كان تريسكو قد ترك باب شقته الصغيرة مواربةً، وحين دخل هاري وجد تريسكو رافعاً قدميه على طاولة القهوة وردفاه على الأريكة، وجهاز التحكم عن بعد في يده اليسرى. كانت الصور التي تعرض للوراء بسرعة على الشاشة تتلاشى كفسيفساء رقمية.

كرر تريسكو وهو يرفع زجاجته شبه الفارغة:

- ألا تريد كأساً من الشراب؟ إنه يوم السبت.

أحس هاري أن هناك غازات مليئة بالبكتيريا في الجو، في حين كانت منفضتا السجائر مليئتين كلياً بأعقاب السجائر.

قال هاري وهو يجلس:

- لا، شكراً... إذاً، إلامَ توصلت؟

قال تريسكو وهو يوقف مشغّل الأقراص المضغوطة:

- حسناً. لقد عملت لليلة واحدة عليه... عادة يستغرق الأمر عدة أيام.

- هذا الشخص ليس لاعب ميسر محترفاً.

قال تريسكو وهو يرشف من الزجاجة:

- لا تكن واثقاً جداً... إنه مخادع أكثر من معظم لاعبي الورق. في هذه المرحلة سألته السؤال الذي ظننت أنه سيجيب عنه بكذبة. أليس كذلك؟

ضغط تريسكو على زر التشغيل، بينما رأى هاري نفسه في الاستديو. كان يرتدي سترة بذلة مخططة من ماركة سويدية ضيقة عليه قليلاً، وقميصاً أسود أهدته إياه راكيل وبنطال جينز من ديزل، وينتعل حذاء من دكتور مارتينز. وكان يجلس بوضعية غير مريحة على الإطلاق، كما لو أن هناك مسامير في ظهر الكرسي. بدا السؤال أجوف من خلال مكبر الصوت في التلفاز:

- هل دعوتها لبعض التعليم الإضافي في غرفتك في الفندق؟

أجاب ستوب:

- لا... لا أظن أنني فعلت هذا.

ثم جمدت الصورة حين ضغط تريسكو على زر الإيقاف.

سأله تريسكو:

- في هذه اللحظة كنت تعلم أنه يكذب، أليس كذلك؟

- نعم، فقد أقام علاقة معها، وقد أخبرتني راكيل بذلك؛ فهي صديقتها. ماذا رأيت؟

- إذا أدخلت هذه إلى جهاز الحاسب فسأتمكن من تكبير العينين، لكنني لست بحاجة إلى ذلك؛ إذ يمكنك رؤية أن حدقة العين قد اتسعت.

وأشار تريسكو بسبابته التي قرض ظفرها إلى الشاشة:

- هذه هي الدلالة التقليدية للتوتر. وانظر إلى فتحتي الأنف... أيمكنك رؤية أنهما اتسعتا قليلاً؟ نفعل هذا حين نشعر بالتوتر ويحتاج الدماغ للمزيد من الأوكسجين، لكن هذا لا يعني أنه يكذب. إذ يتعرض الكثير من الناس للتوتر حتى حين يقولون الحقيقة، وأحياناً لا يتوترون حين يكذبون. يمكنك على سبيل المثال رؤية أن يديه ثابتتان.

لاحظ هاري أن صوت تريسكو يتغير، فالصوت المرتجف اختفى وأصبح ناعماً ولطيفاً. نظر هاري إلى الشاشة... إلى يدي ستوب الساكنتين في حضنه... اليد اليسرى فوق اليمنى.

أكمل تريسكو:

- أخشى أنه ما من دلالات ثابتة، فجميع لاعبي الميسر مختلفون، لذا كل ما عليك فعله هو تحديد الاختلافات. اعثر على ما هو مختلف لدى الشخص حين يكذب وحين يقول الحقيقة.

- كذبة وجواب صريح... يبدو الأمر سهلاً.

- يبدو كلمة صحيحة. وفي حال افترضنا أنه يقول الحقيقة حين يتكلم عن تأسيس مجلته وسبب كراهيته للسياسيين فإن لدينا نقطة أخرى.

أعاد تريسكو الشريط إلى الوراء وشغله:

- انظر.

نظر هاري، لكن إلى غير المكان الذي يفترض أن ينظر إليه، فهز رأسه.

قال تريسكو:

- اليدان... انظر إلى يديه.

نظر هاري إلى يدي ستوب السمراوين على ذراعي الكرسي.

قال هاري:

- إنهما لا تتحركان.

- نعم، لكنه لا يخفيهما. من الدلائل التقليدية على لاعب الميسر السيئ الذي يحمل أوراقاً سيئة أنه يبذل جهداً لإخفائها وراء يديه. وحين يخادع، فإنه غالباً يضع يداً فوق فمه كما لو أنه يفكر؛ وذلك لإخفاء تعابير وجهه... هؤلاء نسميهم المخفين. أما الآخرون فيبالغون بالخداع، ويجلسون باستقامة على الكرسي، أو يستندون للخلف ليظهروا أضخم من حجمهم الطبيعي... هؤلاء هم المخادعون. ستوب مخفي وليس مخادعاً.

انحنى هاري إلى الأمام:

- هل...؟

- نعم. الأمر ينطبق على الشريط بكامله. إنه يبعد يديه عن ذراعي الكرسي ويخفي اليد اليمنى حين يكذب... أظن أنه يستخدم يده اليمنى.

سأل هاري من دون أن يحاول إخفاء لهفته:

- ماذا فعل حين سألته إن كان يصنع رجال ثلج؟

- كان يكذب.

- في أي قسم؟ في القسم المتعلق بصنع رجال الثلج؟ أو المتعلق بصنعهم على شرفته؟

صدر عن تريسكو صوت خفيف أدرك منه هاري أنه يخفي ضحكته.

- هذا ليس علماً دقيقاً. وكما قلت لك، إنه ليس لاعب ورق سيئاً، ففي الثواني الأولى بعد طرحك للسؤال كان يضع يديه على ذراعي الكرسي كما لو كان يفكر بقول الحقيقة، وفي الوقت نفسه اتسعت فتحتا أنفه كما لو أنه متوتر، ثم غير رأيه وأخفى يده اليمنى وكذب.

- بالضبط. وهذا يعني أن لديه ما يخفيه، أليس كذلك؟

أطبق تريسكو شفتيه على بعضهما ليظهر أنه سؤال شائك:

- قد يعني أيضاً أنه اختار قول كذبة يعلم أنه سيتم التحقق منها ليخفي حقيقة أنه كان بإمكانه قول الحقيقة ببساطة.

- ماذا تقصد؟

- حين تكون لدى لاعبي الميسر المحترفين أوراق جيدة، فإنهم أحياناً يقدمون عروضاً عالية في البداية، ويظهرون دلائل على أنهم يخادعون؛ كطعم ليظن اللاعبون عديمو الخبرة أنهم ميزوا خدعة ما، وعندها يشاركون في العرض. هكذا يبدو الأمر بشكل أساسي... خدعة مخادعة.

هز هاري رأسه:

- أتقصد أنه يريدني أن أظن أن لديه شيئاً يخفيه؟

نظر تريسكو إلى زجاجة الشراب الفارغة، ثم نظر إلى الثلاجة، وقام بمحاولة بسيطة لرفع جسده الضخم عن الأريكة، ثم تنهد:

- كما قلت لك، هذا ليس علماً دقيقاً. أيمكنك...؟

نهض هاري وتوجه إلى الثلاجة باحثاً داخلها. حين اتصل بأودا في برنامج بوس كان يعلم أنهم سيقبلون عرضه للظهور في البرنامج، كما كان يعلم أنه سيتمكن من سؤال ستوب أسئلة مباشرة من دون عوائق... هذه هي طبيعة البرنامج... وأن الكاميرا ستصور الشخص الذي يجيب عن الأسئلة بلقطات قريبة ومتوسطة، أي الجزء العلوي من الجسد. كان كل ذلك ممتازاً بالنسبة لتحليل تريسكو، ومع ذلك فقد فشلا. كان هذا آخر شعاع أمل، وآخر مكان يبحث فيه حيث يوجد بعض الضوء، بينما الباقي يسوده الظلام، وربما عشر سنوات من التعثر والدعاء للحصول على الحظ والاكتشاف بالصدفة وارتكاب الأخطاء.

حدق هاري في صفوف الزجاجات المكدسة بترتيب في الثلاجة، والتي تشكل تبايناً مضحكاً مع الفوضى السائدة في الشقة. تردد ثم أخرج زجاجتين باردتين جداً، لدرجة أنهما لسعتا راحة يده، ثم دفع باب الثلاجة ليغلق.

قال تريسكو من حيث يجلس على الأريكة:

- السؤال الوحيد الذي يمكنني أن أؤكد أن ستوب كذب في الإجابة عنه هو حين قال إنه ما من جنون أو أمراض وراثية في عائلته.

حاول هاري أن يمسك بباب الثلاجة بقدمه، فانعكس الضوء من الشق على النافذة السوداء الخالية من الستائر.

- كرر.

فكرر تريسكو.

بعد خمس وعشرين ثانية، كان هاري في منتصف طريقه نازلاً السلم، بينما كان تريسكو قد احتسى نصف زجاجة الشراب التي أحضرها له هاري.

تمتم تريسكو لنفسه:

- نعم، هناك أمر آخر... لقد سألك بوس إن كان هناك شخص مميز تنتظره وقد أجبت بلا... لا تلعب الميسر يا هاري.

اتصل هاري من سيارته.

سمع الرد قبل أن يتمكن من التعريف عن نفسه:

- أهلاً يا هاري.

مجرد فكرة أن ماثياس لوند هلغسين قد تعرف على رقمه أو حفَّظ

رقمه على هاتفه جعلته يرتعش، كما سمع أصوات راكيل وأوليغ من بعيد... عطلة نهاية الأسبوع... العائلة.

- لدي سؤال عن عيادة مارينليست. ألا تزال توجد سجلات للمرضى هناك؟

- أشك في ذلك. أظن أن القانون ينص على أن هذا النوع من الوثائق ينبغي إتلافه في حال لم يستلم العيادة أحد. لكن، يمكنني التحقق من الأمر إن كان ذلك ضرورياً.

- شكراً.

قاد هاري سيارته ليتجاوز موقف فينديرين للترام لتظهر له لقطات من الذكريات... مطاردة بالسيارة... اصطدام... زميل ميت... شائعة مفادها أن هاري كان يقود وأنه ينبغي إجراء فحص لأنفاسه لاكتشاف إن كان ثملاً. كان ذلك منذ زمن بعيد... مياه تحت الجسر... ندوب تحت البشرة... لطخ على الروح.

اتصل ماثياس بعد ربع ساعة.

- تكلمت مع غريغرسون مدير مارينليست. لقد تم حذف كل شيء وإتلافه، لكنني أظن أن بعض الأشخاص بمن فيهم إيدار أخذوا بيانات مرضاهم معهم.

- وأنت؟

- كنت أعلم أنني لن أعمل بالقطاع الخاص لذا لم آخذ شيئاً.

- أيمكنك تذكر أي من أسماء مرضى إيدار؟

- ربما البعض... ليس الكثير. لقد مر وقت طويل يا هاري.

- أعلم... شكراً لك بكل الأحوال.

أنهى هاري المكالمة، وتبع اللافتة إلى ريكشوبيتالت، بينما غطت مجموعة الأبنية التي أمامه الجسر المنخفض.

كانت جيردا نيلفيك سيدة رقيقة في منتصف العقد الرابع من العمر، وكانت الشخص الوحيد الموجود في قسم الأبوة في معهد الطب الشرعي في ريكشوبيتالت يوم السبت ذاك؛ حيث رحبت بهاري وأدخلته. لم يكن هناك ما يشير إلى أنه تتم في هذا المكان مطاردة أسوأ المجرمين في المجتمع؛ إذ كانت الغرف المشرقة- المصممة بأسلوب منـزلي- شاهداً على أن طاقم الموظفين يتكوّن من النساء بالكامل.

كان هاري قد أتى إلى هنا من قبل، وعرف روتين إجراء اختبار

الحمض النووي؛ حيث كان يأتي خلال الأسبوع، ويرى من وراء نوافذ المختبر نساء يرتدين قفازات وأردية مخبرية بيضاء ويعتمرن قبعات طبية، وينحنين على المحاليل والآلات، وهن منشغلات بعمليات غامضة يسمينها إعداد الشعر وإعداد الدم والتضخيم التي ستتحول في النهاية إلى تقرير قصير مع خلاصة على شكل قيم رقمية لخمسة عشر مؤشراً مختلفاً.

عبرا من أمام غرفة مليئة برفوف عليها أغلفة بنية محشوة عليها أسماء مراكز الشرطة في أنحاء البلاد. وكان هاري يعلم أنها تحتوي على ألبسة وخصل شعر وأغطية مفروشات ودم ومواد عضوية أخرى تم تسليمها للتحليل لاستخلاص الرمز الرقمي الذي يمثل نقاطاً معينة على ذلك الشيء الغامض الذي يدعى الحمض النووي، ويحدد مالكه بيقين يبلغ تسعاً وتسعين فاصلة عدة تسعات بالمائة.

لم يكن مكتب جيردا نيلفيك كبيراً، غير أنه كان يتسع لرفوف تحمل ملفات، ومكتب مع جهاز حاسب، وأكوام من الورق، وصورة كبيرة لصبيين مبتسمين يحمل كل منهما لوحاً ثلجياً.

سألها هاري وهو يجلس:

- أهما ابناك؟
- أظن ذلك.
- ماذا؟!
- إنها مجرد دعابة متداولة في المركز... لقد ذكرت شيئاً عن شخص يتقدم بطلب اختبارات؟
- نعم. أرغب بمعرفة جميع اختبارات الحمض النووي التي قدمها مركز محدد منذ اثنتي عشرة سنة وحتى الآن، ولمن تعود هذه الاختبارات.
- فهمت. أي مركز؟
- عيادة مارينليست.
- عيادة مارينليست؟ هل أنت متأكد؟
- لماذا؟

هزت كتفيها:

- في قضايا الأبوة تقوم المحكمة أو المحامي عادة بتقديم الطلب أو حتى الأفراد مباشرة.
- هذه ليست قضايا أبوة، وإنما اختبارات للتأكد من الروابط العائلية بسبب خطورة الوضع الطبـي الوراثي.
- آه! إذاً، لا بد أنهم موجودون في قاعدة البيانات.

- أيمكنك التحقق من ذلك مباشرة؟
- هذا متوقف على إن كان لديك الوقت للانتظار...
نظرت جيردا إلى ساعة يدها:
- ثلاثين ثانية.
هز هاري رأسه.
نقرت جيردا على لوحة المفاتيح وهي تملي على نفسها:
- ع ي ا د ة م ا ر ي ن ل ي س ت.
اتكأت للخلف على كرسيها وتركت الآلة تبحث.
- هذا الجو الخريفي سيئ، أليس كذلك؟
أجابها هاري وهو غارق بالتفكير ويستمع لطنين القرص الصلب كما لو كان بإمكانه أن يعرف من الصوت إن كان الجواب هو ما يتمناه.
- الظلام يتسلل إلى داخلنا. أتمنى أن يتساقط الثلج عما قريب ليضيء الجو على الأقل.
- ممم.
توقف صوت الطنين.
قالت وهي تنظر إلى الشاشة:
- ها هي.
تنفس هاري الصعداء.
- نعم. لقد كانت عيادة مارينليست تتعامل معنا، لكن ذلك كان منذ فترة طويلة.
حاول هاري الرجوع بتفكيره للوراء... متى أنهى إيدار فيتليسين عمله هناك؟
قطبت جيردا حاجبيها:
- لكن، قبل ذلك كانت هناك الكثير من التعاملات حسبما أرى.
ترددت، بينما انتظرها هاري لتقول ذلك فقالت:
- إنه رقم مرتفع على نحو غير مألوف بالنسبة لمركز طبـي.
أحس هاري بشعور ما... هذا هو الطريق الذي ينبغي عليهم سلوكه، فهذا ما سيخرجهم من هذه المتاهة؛ أو بدقة أكبر سيدخلهم إلى المتاهة... إلى قلب الظلام.
- ألديك أي أسماء أو تفاصيل شخصية عن الذين يتم إجراء الاختبار لهم؟
هزت جيردا رأسها بالنفي:

- عادة تكون لدينا هذه المعلومات. لكن في هذه الحالة، أراد المركز أن تبقى الأسماء مجهولة.

- تباً!

أغمض هاري عينيه وفكر ملياً:

- لكن، لا تزال لديكم نتائج الاختبارات؟ أقصد إن كان الأفراد آباء أو لا.

- نعم، بالتأكيد.

- وماذا تقول؟

- لا يمكنني إعطاؤك إجابة مباشرة. عليّ مراجعة كل اختبار على حدة، وسيستغرق هذا المزيد من الوقت.

- حسناً. لكنك حفظت ملفات الحمض النووي للذين أجريت لهم الاختبار؟

- نعم.

- والاختبار شامل كما في القضايا الجنائية؟

- أكثر شمولاً... فللتأكد من الأبوة من دون أي شكوك نطلب المزيد من المؤشرات بما أن نصف الجينات تأتي من الأم.

- ما تقولينه إذاً هو أنه بإمكاني الحصول على عينة من شخص محدد وإرسالها لك لتتحققي من أي تشابه مع الاختبارات التي أجريتها لعيادة مارينليست؟

أجابت جيردا بنبرة تشير إلى أنها ستقدر حصولها على تفسير:

- الجواب هو نعم.

- جيد. سيرسل لك زملائي بعض العينات لعدد من الأشخاص؛ وهم أزواج نساء اختفين في السنوات الأخيرة وأطفالهن للتحقق ممّا إذا كانوا قد تم تقديمهم من قبل... سأتأكد من الحصول على تفويض لكي تكون لهذا الأمر أولوية.

بدا كما لو أن عيني جيردا تشعان:

- الآن تذكرت أين رأيتك! في بوس... هل هذا متعلق...؟

على الرغم من وجودهما بمفردهما هناك، لكنها خفضت صوتها كما لو أن الاسم الذي مُنِحَ للوحش أصبح لعنة... قذارة... تعويذة ينبغي عدم ذكرها بصوت مرتفع.

اتصل هاري بكاترين وطلب منها لقاءه في مقهى جافا في سانت

هانشوغن، ثم ركن سيارته أمام مبنى شقق قديم توجد على مدخله لافتة تنذر أن السيارات المركونة سيتم حجزها على الرغم من أن عرض المدخل لم يتجاوز عرض جزازة عشب. كان أوليفالسفين مليئاً بالناس المسرعين الذين يقومون بالتسوق الضروري ليوم السبت، بينما هبت رياح شمالية باردة من سانت هانشوغن حتى مقبرة فار فريلسيرز لتطير القبعات السوداء عن الرؤوس المنحنية في الجنازة.

دفع هاري ثمن كوبي قهوة سريعة التحضير مع الحليب في كوبين من الورق المقوى، وجلس على أحد الكراسي في الممر. وفي البركة على الجانب الآخر من الطريق، كانت هناك إوزة بيضاء وحيدة تسبح بهدوء وقد أحنت رقبتها على شكل إشارة استفهام. حين شاهدها هاري تذكر اسم شرك الثعلب، وحركت الرياح ريش الإوزة على سطح الماء.

- ألا تزال القهوة ساخنة؟

كانت كاترين واقفة أمامه بذراعين ممدودتين.

ناولها هاري الكوب، ومشيا نحو السيارة.

- عظيم، بإمكانك العمل صباح السبت.

- أنا أعزب، وليس لصباح السبت أي قيمة بالنسبة لأمثالي. أما أنت فعليك عيش حياتك.

كان هناك رجل عجوز يقف محدّقاً إلى سيارتيهما حين وصلا.

- لقد طلبت شاحنة قطر السيارات.

قال هاري وهو يفتح السيارة:

- نعم، سمعت أنها رائجة... المشكلة الوحيدة هي العثور على مكان لركنها.

ركبا السيارة، لكن الرجل نقر بإصبعه على الزجاج فأنـزل هاري النافذة:

- الشاحنة في طريقها إلى هنا. عليك البقاء هنا والانتظار.

أجابه هاري وهو يرفع بطاقته:

- حقاً؟

تجاهل الرجل البطاقة وحدق إلى ساعة يده.

قال هاري:

- المكان ضيق جداً لتسميته مدخلاً... سأرسل رجلاً من قسم المرور لإزالة لافتتك غير القانونية، كما أتوقع أنه ستكون هناك غرامة كبيرة.

- ماذا؟

- نحن من الشرطة.

انتزع الرجل العجوز بطاقة التعريف من يد هاري، ونظر إليه بريبة، ثم إلى البطاقة، ثم إلى هاري مجدداً.

تمتم الرجل بمرارة وهو يعيد له البطاقة:

- حسناً، هذه المرة يمكنك الذهاب.
- لا، ليس حسناً. سأتصل بقسم المرور الآن.

حدق الرجل إلى عينيه بحنق.

أدار هاري مفتاح التشغيل، وزأر المحرك، فالتفت هاري إلى الرجل العجوز:

- أنت عليك البقاء هنا.

استطاعا رؤية فمه المفتوح من شدة الذهول في المرآة الخلفية وهما يبتعدان.

ضحكت كاترين:

- أنت سيئ! إنه رجل عجوز.

رمقها هاري بنظرة جانبية. كانت تعابير وجهها غريبة كما لو أن الضحك آلمها. من الغريب أن ما حصل في فينريس جعلها أكثر راحة بالتعامل معه... ربما هذا ما تتشاركه النساء الجذابات؛ فالرفض يتطلب احترامهن ويجعلهن يثقن بك أكثر.

ابتسم هاري.

سألته:

- بماذا تفكر؟
- التكاثر.
- حقاً؟

ناولها هاري طرداً، ففتحته لتجد في أعلاه قطعة ورق كُتبت عليها العبارة التالية: "تعليمات استخدام مسحة الحمض النووي".

- يرتبط الأمر بكامله نوعاً ما بالأبوة؛ لكنني لا أعرف بعد كيف أو لماذا.

سألته كاترين وهي تحمل علبة صغيرة:

- ونحن متجهان إلى...؟
- سوليهوغدا للحصول على مسحة من التوأم.

كان الثلج قد بدأ بالذوبان في الحقول المحيطة بالمزرعة... كان رطباً ورمادياً وهو يجثم على الأراضي الريفية.

استقبلهما رولف أوترسون عند السلم، وقدم لهما القهوة. وبينما كانا يخلعان ثيابهما الخارجية أخبره هاري بما يريدانه. لم يسأل رولف عن السبب، وإنما هز رأسه فحسب.

كانت الفتاتان التوأمان جالستين في غرفة الجلوس تحيكان.

سألت كاترين:

- ماذا تصنعان؟

قالت الفتاتان معاً:

- نصنع وشاحاً... خالتي تعلمنا.

ثم أشارا إلى آن بيدرسين التي كانت تجلس على الكرسي الهزاز وهي تحيك وتبتسم مرحبة بكاترين.

قالت كاترين بابتهاج وهي ترفع قطعة قطنية:

- أريد فقط القليل من البصاق والمخاط منهما... افتحي فمك جيداً.

ضحكت الفتاتان ووضعتا حياكتهما جانباً.

تبع هاري رولف أوترسون إلى المطبخ حيث كانت هناك مغلاة كبيرة من الماء، بينما انتشرت رائحة القهوة الساخنة.

- إذاً، لقد كنتم مخطئين بالنسبة إلى الطبيب.

- ربما، أو ربما له علاقة بالقضية في كل الأحوال. هل من الممكن أن ألقي نظرة على الحظيرة مجدداً؟

أشار رولف أوترسون بيده مرحباً بهاري:

- لكن آن رتبت جميع الأمور، ولم يعد هناك الكثير لتراه.

كان المكان مرتباً بالتأكيد. تذكر هاري دم الدجاج اللزج والداكن على الأرض حين كان هولم يأخذ العينات. لكن، لقد تم مسحه الآن. كانت الألواح الخشبية على الأرض وردية اللون بعد أن تسرب الدم إلى الخشب. وقف هاري إلى جانب لوح التقطيع ونظر إلى الباب محاولاً تخيل سيلفيا واقفة هناك وتذبح الدجاج حين دخل رجل الثلج. هل تفاجأت؟ لقد ذبحت دجاجتين... لا... ثلاث دجاجات. لماذا ظن أنهما اثنتان؟ اثنتان زائد واحدة. لم زائد واحدة؟ أغمض عينيه.

كانت هناك دجاجتان على لوح التقطيع، بينما تدفق دمهما على نشارة الخشب... هكذا ينبغي ذبح الدجاج. أما الدجاجة الثالثة فكانت ملقاة بعيداً وقد لطخت الألواح... عمل غير محترف. وقد تخثر الدم حيث تم قطع رقبة الدجاجة الثالثة كما حصل برقبة سيلفيا. تذكر كيف فسر هولم ذلك، وعرف أن الفكرة ليست جديدة... لقد كانت هناك مع جميع

الأفكار الأخرى نصف الحالمة ونصف المهضومة ونصف المدروسة. لقد تم ذبح الدجاجة الثالثة بالطريقة نفسها التي قتلت بها سيلفيا؛ أي باستخدام أنشوطة التقطيع الكهربائية.

توجه إلى المكان الذي امتصت فيه الألواح الأرضية الدم وجثم.

لو أن رجل الثلج هو الذي قتل الدجاجة الأخيرة فلم استخدم الأنشوطة وليس الفأس؟ الأمر بسيط... لأن الفأس قد اختفت في مكان ما في عمق الغابة... لذا، لا بد أن هذا قد حصل بعد الجريمة. لقد عاد إلى هنا وذبح دجاجة. لكن لماذا؟ كنوع من الطقوس أم إلهام مفاجئ؟ لا، فآلة القتل هذه ملتزمة بالخطة، وتتبع النمط نفسه.

لا بد أن هناك سبباً.

- لماذا؟

سألته كاترين:

- لماذا؟

لم يسمعها هاري حين أتت... كانت تقف عند باب الحظيرة، بينما تسلّط ضوء المصباح الوحيد على وجهها وهي تمسك كيسين يحويان قطعاً قطنية. ارتعش هاري حين رآها تقف هكذا مجدداً... عند الباب، وتشير بيديها باتجاهه كما في منـزل بيكر... لكن، كان هناك أمر آخر... إدراك آخر أيضاً.

تمتم هاري وهو يفحص البقايا الوردية:

- كما قلت. أظن أن هذا متعلق بالروابط العائلية والتغطية على الأمور.

سألته وهي تقترب منه بينما نقر كعب حذائها على الأرضية الخشبية:

- بمن تفكر؟

جثمت بجواره، بينما انبعثت رائحة عطرها من بشرتها الدافئة وانتشرت في الجو البارد.

- ليست لدي أدنى فكرة.

قالت ببساطة وهي تمرر سبابتها اليمنى على نشارة الخشب:

- هذه ليست معالجة موضوعية، وإنما مجرد فكرة خطرت لك... أنت لديك نظرية.

أجاب هاري:

- ليست نظرية حتى.

- هيا... أخبرني عنها.

أخذ هاري نفساً عميقاً:

- آرف ستوب.

- ما به؟

- وفقاً لآرف ستوب، كان يطلب المساعدة الطبية من إيدار فيتليسين في ما يتعلق بمرفقه المصاب أثناء لعب التنس. لكن، وفقاً لبورغهيلد ليس له أي اسم بين الملفات. لذا، بدأت أفكر في أن الأمر مختلف... أمر لا يحتمل الفحص الدقيق.

- مثل ماذا؟

- كان ستوب يكذب على بوس. لقد قال إنه ما من جنون أو أمراض وراثية في عائلته.

- وهل هناك أمراض وراثية في عائلته؟

- دعينا نفترض أن هناك أمراضاً وراثية... مجرد نظرية.

- النظرية التي ليست نظرية حتى؟

هز هاري رأسه:

- كان إيدار فيتليسين أكثر الأشخاص خبرة بمتلازمة فاهر في النروج، وكان متكتماً في ما يتعلق بذلك؛ حتى إن بورغهيلد- مساعدته- لم تكن تعلم شيئاً عن الموضوع. فكيف يمكن لسيلفيا أوترسون وبيرت بيكر أن تصلا إليه؟

- كيف؟

- لنفترض أن اختصاص فيتليسين ليس مرضاً وراثياً وإنما التكتم، وقد قال بنفسه إن هذا ما يقوم عليه عمله. لهذا، إن المريض والصديق قد أتاه وأخبره أنه يعاني من متلازمة فاهر بعد أن قام اختصاصي حقيقي في مكان ما بالتشخيص، لكن ذاك الاختصاصي لا يتمتع بخبرة فيتليسين في التكتم، بينما ينبغي الحفاظ على هذا الأمر سراً. وقد أصر المريض على ذلك، وربما دفع المزيد لأنه قادر على الدفع.

- آرف ستوب؟

- نعم.

- لكن، إن كان أحد آخر قد شخص له المرض مسبقاً فسيتسرب الأمر.

- ليس هذا ما يخشاه ستوب، وإنما يخشى من احتمال فضح أنه يذهب إلى هناك مع أبنائه الذين أراد أن يفحصهم ليعرف إن كانوا قد ورثوا المرض. وينبغي التعامل مع هذا الأمر بأقصى حالات السرية؛ لأن لا

أحد يعرف أنهم أبناؤه، وإنما هناك بعض الناس الذين يظنون أنهم أبناؤهم كما كان فيليب بيكر يظن أنه والد جوناس و...

هز هاري رأسه نحو المنـزل.

همست كاترين بأنفاس متقطعة:

- رولف أوترسون؟ التوأم؟ هل تظن...؟

رفعت الأكياس:

- أن لديهم مورثات آرف ستوب؟

- ربما.

نظرت إليه كاترين:

- النساء المفقودات... الأطفال الآخرين...

- في حال أظهر اختبار الحمض النووي أن ستوب هو والد جوناس والتوأم فسنجري الاختبار على أطفال النساء المفقودات الأخريات يوم الاثنين.

- أتعني... أن آرف ستوب كان يشق طريقه عبر النروج؟ لتحمل منه مجموعة من النساء ثم يقتلهن بعد سنوات من ولادتهن؟

هز هاري كتفيه.

فسألته:

- لماذا؟

- إن كنت محقاً فنحن نتكلم عن حالة من الجنون بالطبع... وهذا مجرد توقع. هناك غالباً منطق واضح وراء الجنون. هل سمعت من قبل عن فقمات بيرهاوس؟

هزت كاترين رأسها بالنفي.

- والد هذا النوع من الفقمات بارد ومنطقي. وبعد أن تلد الأنثى صغارها وتنجو من الفترة الحرجة الأولى يحاول الأب قتل الأم لأنه يعلم أنها لن تتزاوج معه مجدداً، وهو لا يريد للفقمات الصغيرة الأخرى أن تنافس أبناءه.

بدا كما لو أن كاترين تجد صعوبة في فهم ذلك.

- نعم. هذا جنون... لكنني لا أفهم ما هو الأكثر جنوناً: التفكير كفقمة، أو التفكير أن شخصاً ما يفكر كفقمة.

وقف هاري، بينما صدر صوت صرير من ركبته:

- كما قلت... إنها حتى ليست نظرية.

أجابت وهي تحدق إليه:

- أنت تكذب. أنت متأكد من أن آرف ستوب هو الأب.

رد هاري بابتسامة ملتوية.
فقالت:
- أنت مجنون مثلي.
حدق إليها هاري بتمعن:
- دعينا نذهب، فمركز الطب الشرعي ينتظر قطعك القطنية.
مررت كاترين يدها على نشارة الخشب لتزيل الرسوم التي صنعتها ثم وقفت:
- يوم السبت؟ أليست لديهم حياة؟

بعد تسليم الأكياس وتلقي وعد أنه سيتم إرسالها له في ذلك المساء أو في وقت مبكر من الصباح التالي، قاد هاري سيارته ليوصل كاترين إلى بيتها في سيلدوكسغاتا.
- ما من أضواء تصدر من النوافذ. هل أنت بمفردك؟
ابتسمت وهي تمسك بمقبض الباب:
- فتاة جميلة مثلي لا تبقى بمفردها على الإطلاق.
- لماذا لم تريدي إخبار زملائك في مركز شرطة بيرغن أنك هناك؟
- ماذا؟
- ظننت أنهم سيسرون إن عرفوا أنك تعملين على قضية قتل كبيرة في العاصمة.
هزت كتفيها وفتحت الباب:
- أهل بيرغن لا ينظرون إلى أوسلو على أنها العاصمة. تصبح على خير.
- تصبحين على خير.
ثم قاد هاري سيارته إلى سانرغاتا.

لم يكن متأكداً، لكنه ظن أنه رأى كاترين تتشنج. لكن، ما الذي يمكنك التأكد منه؟ ولا حتى الطقطقة التي تظنها صوت مسدس ثم يتبين أنها صادرة عن فتاة تكسر غصناً جافاً بسبب الخوف. ومع ذلك، لم يستطع التظاهر أكثر... لم يستطع التظاهر أنه لا يعرف. لقد صوبت كاترين مسدس خدمتها إلى ظهر فيليب بيكر في ذلك المساء، وحين خطا هاري إلى خط النار سمع الصوت... الصوت الذي ظن أنه سمعه حين كسرت سلمى غصناً في الساحة... لقد كان طقطقة انـزلاق مطرقة مسدس مما يعني أنها

كانت مرتفعة. لقد ضغطت كاترين على الزناد لأكثر من ثلثي الطريق وكان من الممكن أن يطلق المسدس الرصاص في أي وقت. لقد كانت تريد إطلاق النار على بيكر.

لا، لم يستطع التظاهر لأن الضوء تسلط على وجهها في ممر الحظيرة وقد ميزها، وكما قال لها: إن الأمر كله متعلق بالروابط العائلية .

كان نوت مولر نيلسن يحب جولي كريستي كثيراً لدرجة أنه لم يجرؤ يوماً على إخبار زوجته الحقيقة كاملة، لكنه وعلى الرغم من شكه بعلاقتها خارج إطار الزواج مع عمر الشريف، فإنه لم يشعر بالذنب وهو يجلس بجوار زوجته ملتهماً جولي كريستي بعينيه. ولم يكن ينغص عليه هذه اللحظة سوى أن جولي كانت في تلك اللحظة تعانق عمر الشريف بشغف. وحين رن الهاتف على طاولة غرفة الجلوس وأجاب، ضغطت زوجته على زر الإيقاف لتجمد أمامهما هذه اللحظة الرائعة وغير المحتملة من الفيلم المفضل لديهما دكتور زهيفاغو .

قال مولر نيلسن بعد أن عرَّف المحقق عن نفسه:

- مساء الخير ياهول. نعم، أظن أن لديك ما يكفي ليبقيك منشغلاً في الوقت الحالي.

سأله الصوت الأجش من الطرف الآخر:

- ألديك وقت؟

حدق مولر نيلسن إلى شفتي جولي الحمراوين المرتعشتين وعينيها الضبابيتين اللتين تنظران للأعلى:

- خذ الوقت الذي تريده ياهول.

- لقد أريتني صورة لغيرت رافتو حين كنت في مكتبك. هناك شيء فيها تذكرته.

- إذاً؟

- ثم قلت عن ابنته إنها جيدة جداً... كان ذلك مفهوماً بالطبع كما لو أنني أعرف هذه المعلومات من قبل.

- نعم، لكنها جيدة أليس كذلك؟

- الأمر متوقف على كيفية النظر إليه.

24 - اليوم التاسع عشر

تووومبا

كان هناك طنين متوقع تحت الثريات في قاعة سونجا هيني في فندق بلازا، وكان آرف ستوب واقفاً عند الباب حيث يستقبل الضيوف، بينما آلمه فكه من الابتسام والمجاملة كما يؤلمه مرفقه عادة. انـزلقت امرأة شابة من مؤسسة تنظيم المناسبات المسؤولة عن الجانب الفني بجواره، وابتسمت حتى جلس الضيوف حول الطاولة. وحين نظر إلى بذلتها السوداء وسماعة الرأس مع مكبر الصوت شبه المخفي فكر في عميلة في فيلم ميشن إمبوسيبل.

قالت وهي تعدل له ربطة عنقه بحركة ودودة شبه رقيقة:

- سندخل.

كانت تضع خاتم زواج، كما تمايلت وركها أمامه نحو الغرفة. هل ولد طفل من هذه الورك؟

فكّر في التقرب منها لكنها بدت محترفة جداً؛ مما سيستدعي الكثير من النقاش والكثير من الإقناع. التقت عيناه عينيها من خلال المرآة الكبيرة إلى جانب الباب، وعرف أنه تم كشفه فابتسم معتذراً، فضحكت له بينما احمرت وجنتاها بطريقة غير احترافية نوعاً ما... مهمة مستحيلة؟ ربما، لكن ليس الليلة.

كانت شريكته على العشاء هي المحررة... خيار ممل لكنه ضروري. كانت متزوجة ولديها أطفال، ووجهها منهك بسبب العمل من اثنتي عشرة حتى أربع عشرة ساعة يومياً... ياللأطفال المساكين! أو يا له من مسكين يوم اكتشف أن الحياة تتكون من أكثر من مجلة ليبيرال . وقف الجالسون إلى الطاولة كافّة له، بينما نظر ستوب في أرجاء الغرفة حيث انتشرت الثرثرة والمجوهرات والعيون المبتسمة وهي تضيء تحت الثريات... الفساتين... بلا حمالات...بلا أكمام... بلا خجل.

ثم صدحت الموسيقى، ودوّت نغمة ألسو سبراش زاراثوسترا من مكبرات الصوت. خلال اللقاء مع منظمي المناسبة، أشار آرف ستوب إلى أنها لم تكن المقدمة الأصلية تماماً، وإنما كانت فخمة وأن هذه هي الفكرة.

ثم خطا أحد مشاهير التلفاز إلى المنصة الكبيرة المحاطة بالدخان والأضواء بعد أن كان قد طلب مبلغاً كبيراً بالملايين ليكون رئيس الحفل، وحصل عليه.

صرخ في مكبر صوت لاسلكي كبير:

- سيداتي سادتي... أهلاً بكم!

كادت شفتا الشخص الشهير أن تلامسا مكبر الصوت الأسود:

- أهلاً بكم في ما أعدكم أنها ستكون ليلة مميزة للغاية!

وكان آرف ستوب يتطلع منذ ذلك الحين لانتهائها.

حدق هاري في الصور على الرف في مكتبه في جمعية رجال الشرطة المتوفين وحاول أن يفكر، لكن ذهنه كان يدور من دون أن يقدر على إيجاد موطئ قدم... صورة كاملة. لقد كان يشعر طوال الوقت أن هناك شخصاً من الداخل... شخصاً كان يعرف ما سيفعله طوال الوقت؛ لكن ليس بهذا الشكل... كان الأمر سهلاً لدرجة لا يمكن تصورها، وفي الوقت نفسه معقداً بشكل غير مفهوم.

لقد أخبره نوت مولر نيلسن أن كاترين كانت واحدة من أكثر المحققين الواعدين في فرقة مكافحة الجرائم في مركز شرطة بيرغن... كانت نجماً ساطعاً... من دون أي مشاكل... نعم، هناك بالطبع الحادثة التي أدت إلى تقدمها بطلب النقل إلى وحدة التحرش الجنسي، حيث اتصل شاهد من قضية منتهية ليشتكي أن كاترين برات لا تزال تلاحقه بأسئلة جديدة، ولم تتوقف حتى حين أوضح أنه قد قدم تصريحاً للشرطة. وقد تبين أن كاترين كانت تحقق بمفردها في هذه القضية منذ أشهر، من دون إعلام رؤسائها. وبما أنها كانت تفعل ذلك في وقت فراغها، فإن هذا لا يشكل عادة أي مشكلة، لكن الشرطة لم تكن ترغب بنبش هذه القضية بالذات. لقد تم إعلامها بذلك، فكانت ردة فعلها أنها أشارت إلى عدة هفوات في التحقيق الأصلي، لكنها لم تجد أي آذان صاغية، فقامت وهي غاضبة بالتقدم بطلب النقل.

وكان آخر ما قاله مولر نيلسن:

- لا بد أنها كانت مهووسة بهذه القضية. فحسبما أذكر، هجرها زوجها في تلك الفترة.

نهض هاري وتوجه في الممر نحو باب مكتب كاترين الذي كان مقفلاً وفقاً للقوانين، فأكمل طريقه في الممر نحو غرفة النسخ، حيث سحب من على الرف السفلي إلى جانب أكوام ورق الكتابة المقصلة؛ وهي قاعدة معدنية ثقيلة وكبيرة عليها شفرة مرتفعة. لم يكن يذكر أن أحداً قد استخدم هذه الآلة الضخمة، لكنه حملها الآن بكلتا يديه إلى الممر وقفل عائداً إلى باب مكتب كاترين برات.

رفع قطاعة الورق فوق رأسه وصوب، ثم أنـزل ذراعيه بقوة.

ضربت المقصلة مقبض الباب، وصدمت القفل الذي انكسر مصدراً صوتاً عالياً.

تمكن هاري من نقل قدمه قبل أن تهبط الآلة على الأرض بأنين مكبوت، بينما لفظ الباب شظايا الخشب وانفتح من الركلة الأولى... رفع المقصلة وأدخلها معه.

كان مكتب كاترين برات مشابهاً للمكتب الذي تشاركه مع الشرطي جاك هالفورسن في الأيام الخوالي... فهو مرتب وأعزل ومن دون صور أو أي ممتلكات شخصية أخرى. كان هناك قفل صغير للمكتب يقفل جميع الأدراج. وبعد ضربتين بالمقصلة تحطم الدرج العلوي والقفل. بحث هاري وهو يدفع الأوراق إلى الجانب ويفتش عبر الملفات وثقابات الورق وغيرها من التجهيزات المكتبية حتى وجد سكيناً، فأزال الغمد ووجد أن حافتها العلوية مسننة... قطعاً ليست سكين كشافة. ضغط هاري بالنصل على كومة من الأوراق فغاصت السكين في الورق من دون أدنى مقاومة.

أما في الدرج الأسفل، فكان هناك صندوقان مختومان من الرصاص لمسدس الخدمة الذي بحوزتها، ولم يجد هاري أي ممتلكات شخصية سوى خاتمين... الأول مرصع بالجواهر التي تلألأت بشدة في ضوء مصباح المكتب... كان هاري قد رآه من قبل. أغمض هاري عينيه محاولاً تذكر المكان الذي رآه فيه... خاتم كبير ومبهرج مغطى بكل أنواع الجواهر على طراز لاس فيغاس. ما كانت كاترين لترتدي مثل هذا الخاتم، ثم تذكر أين كان قد رآه فأحس بنبضه يتسارع؛ بقوة لكن بثبات... لقد رآه في غرفة نوم... في غرفة نوم بيكر.

انتهى العشاء في قاعة سونجا هيني، وتم إخلاء الطاولات. وقف آرف ستوب مستنداً على الجدار الخلفي وهو يحدق إلى المنصة حيث احتشد الجمهور. كانت لدى آرف ستوب شكوكه، لكن مؤسسة تنظيم المناسبات تمكنت في النهاية من إقناعه أن الاستثمار بالخبرة طريقة جيدة لشراء ولاء موظفيه وفخرهم وحماستهم تجاه عملهم. وبشرائه بعض النجاح الدولي فإنه يؤكد على النجاح الخاص بالمجلة، ويؤسس ماركة ليبيرال ؛ وهو منتج سيرغب أصحاب الإعلانات بالارتباط به.

وضع المغني إصبعه على سماعته وهو يؤدي أشهر أغنية حقق بها نجاحاً دولياً في الثمانينيات.

قال صوت قريب من ستوب:

- لا أحد يؤدي أغنية بالروعة التي يؤديها بها مورتن هاركت.

التفت نحو مصدر الصوت، وعرف على الفور أنه قد رآها من قبل لأنه لا ينسى أبداً امرأة جميلة. ما كان قد بدأ ينساه أكثر فأكثر هو: من وأين ومتى؟ كانت نحيلة وترتدي ثوباً أسود بسيطاً مع شق ذكره بأحد ما... ببيرت... كان لدى بيرت فستان مشابه.

- إنه شائن.

أجابت من دون أن تبعد عينيها عن المغني:

- إنها أغنية من الصعب أداؤها.

- الأمر الشائن هو أنني لا أتذكر اسمك... فقط أذكر أننا التقينا من قبل.

- لم نلتق... وإنما تفحصتني سريعاً.

ثم أرجعت شعرها الأسود للوراء بعيداً عن وجهها. كانت جذابة بأسلوب كلاسيكي صارم كجاذبية كيت موس؛ كما كانت بيرت جذابة كجاذبية باميلا أندرسون.

- أعتقد أنك بالتأكيد تعذرينني على ذلك.

حين قال ذلك راوده شعور بأنه يستيقظ، وأن دمه بدأ بالتدفق عبر جسده ليوصل الشراب إلى أجزاء من دماغه تريحه بدلاً من أن تنعسه.

- من أنت؟

- كاترين برات.

- نعم. هل أنت واحدة من أصحاب الإعلانات ياكاترين؟ أو هل أعرفك من المصرف؟ أم إنك مؤجرة؟ أو مصورة مستقلة؟

كانت كاترين برات تجيب عن كل سؤال بهزة من رأسها نافية.

- أنا متطفلة... إحدى الصحفيات اللواتي يعملن لديك صديقة لي، وقد أخبرتني بمن يلهو بعد العشاء، فقلت لنفسي إن بإمكاني ارتداء فستان والانضمام. أترغب برميي خارجاً؟

رفعت كأس الشراب إلى شفتيها اللتين لم تكونا ممتلئتين كما يحب لكنهما رطبتان وحمراوان. كانت لا تزال تحدق إلى المنصة ليتمكن من تفحصها براحته بالكامل.

- إنني أفكر في الخيارات. هل ترغبين بمناقشتي لإقناعي؟

- هل يجدي التهديد نفعاً؟

- ربما.

- رأيت مصوّري مجلات الفضائح في الخارج بانتظار خروج ضيوفك من المشاهير. ماذا لو أخبرتهم عن صديقتي الصحفية؟ وأنه تم إخبارها أن مستقبلها في مجلة ليبيرال سيئ بعد أن رفضت عروضك؟

ضحك آرف ستوب بصوت مرتفع من صميم قلبه، ولاحظ أنهما يلفتان الأنظار المستغربة من الضيوف الآخرين، فانحنى نحوها، ولاحظ أن رائحة عطرها لا تختلف عن العطر الذي يستخدمه.

- أولاً، أنا لا أخشى السمعة السيئة؛ أو على الأقل بين زملائي محبـي الثرثرة. وثانياً، صديقتك صحفية سيئة. وثالثاً، هي تكذب، ويمكنك إخبار المصورين بذلك. هل أنت متزوجة؟

- نعم.

حين قالت المرأة المجهولة ذلك التفتت إلى المنصة، ونقلت ثقلها كله لكي يظهر طرف حمالة مخرمة من شق الفستان. أحس آرف ستوب بفمه جافاً، فأخذ رشفة من الشراب، وشاهد النساء في مقدمة المنصة وهو يتنفس من أنفه. كان بإمكانه شم رائحتها الأنثوية من حيث يقف.

- ألديك أي أطفال ياكاترين؟

- أتريد أن يكون لدي أطفال؟

- نعم.

- لم؟

- لأنه من خلال خلق الحياة تعلمت النساء أن يخضعن للطبيعة، مما يمنحهن رؤية أكثر عمقاً للحياة من النساء الأخريات والرجال الآخرين.

- هراء.

- لا. هذا يجعلكن أيتها النساء أقل يأساً في مطاردة أب محتمل... سترغبن بالاستمتاع باللعبة فحسب.

ضحكت:

- حسناً... لدي أطفال. ما الألعاب التي ترغب بلعبها؟

أجاب آرف ستوب وهو ينظر إلى ساعة يده:

- واو! لقد داهمنا الوقت.

- ما الألعاب التي ترغب بلعبها؟

- الألعاب كلها.

- عظيم.

أغمض المغني عينيه، وأمسك بمكبر الصوت بكلتا يديه، ورفع صوته مع ارتفاع نغمة الأغنية.

وضع ستوب كأسه الفارغة على صينية أمامه:

- هذه حفلة مملة، وأنا سأذهب إلى البيت. أنا أعيش في أكير بيرغن... مدخل مجلة ليبيرال في الطابق الأخير... الجرس الأعلى.

ابتسمت له برقة:

- أعرف عنوانك. كم من الوقت تريد قبل أن آتي؟

- امنحيني عشرين دقيقة، ووعداً بأن لا تتكلمي مع أي أحد قبل أن تغادري ولا حتى مع صديقتك. هل اتفقنا ياكاترين برات؟

نظر إليها وهو يأمل أن يكون قد قال الاسم الصحيح.

حين تكلمت لاحظ توهجاً غريباً في عينيها كتوهج نار الغابة في السماء:

- ثق بـي... أنا حريصة أكثر منك على إبقاء الأمر سراً.

تمتع ستوب بنظرة أخيرة قبل أن يتوجه نحو الباب بينما كان صوت المغني لا يزال يرتجف بشكل غير مسموع تحت الثريات.

صفق باب بصوت مرتفع، بينما صدحت أصوات متحمسة في سيلدوكسغاتا من أربعة شباب في طريقهم من حفلة إلى أحد المقاهي في غرانرلوكا. مروا بجانب السيارة المركونة عند حافة الطريق من دون ملاحظة الرجل الجالس بداخلها، ثم انعطفوا عند الزاوية ليعم الهدوء الشارع مجدداً. انحنى هاري نحو الزجاج الأمامي ونظر إلى الأعلى؛ إلى نوافذ شقة كاترين برات.

كان بإمكانه الاتصال بهاغن ورن جرس الإنذار وأخذ سكار معه والذهاب بسيارة دورية، لكنه قد يكون مخطئاً، وينبغي أن يتأكد في البداية؛ إذ إن هناك الكثير من الخسائر المحتملة بالنسبة له ولها.

ترجل من السيارة، وتوجه نحو الباب، ورن جرس الطابق الثاني الذي لا يحمل أي اسم، وانتظر قليلاً، ثم رن الجرس مرة ثانية. بعدها، عاد إلى سيارته وأحضر الرافعة من الصندوق، ثم قصد الباب مجدداً، ورن جرس الطابق الأول ليجيبه رجل بصوت نائم، بينما دندن صوت التلفاز من بعيد. وبعد خمس عشرة ثانية، نـزل الرجل وفتح الباب فأراه هاري بطاقة الشرطة.

- لم أسمع صوت أي شجار. من الذي اتصل بك؟

- سأجد طريقي بمفردي... شكراً على المساعدة.

لم يكن على الباب في الطابق الثاني أي اسم أيضاً، فطرق هاري

الباب، ثم وضع أذنه على الخشب البارد مصغياً، بعد ذلك أقحم حافة الرافعة بين الباب والإطار؛ مباشرة فوق القفل. وبما أن مباني الشقق في غرانرلوكا تمّ إنشاؤها لعمال المصانع عند نهر أكيرسيلفا- وبالتالي تم استعمال أرخص المواد- فقد كان اقتحام هاري الثاني خلال ساعة واحدة في غاية السهولة.

وقف لبضع ثوان في ظلام الممر مصغياً، قبل أن يضيء النور وينظر إلى حمالة الأحذية أمامه، حيث توجد ستة أزواج من الأحذية. لم يكن هناك أي حذاء كبير لرجل، فرفع زوجاً من الأحذية كانت كاترين تنتعله في اليوم نفسه، حيث كان نعله لا يزال رطباً.

توجَّه إلى غرفة الجلوس، وأشعل المصباح اليدوي بدلاً من ضوء السقف لئلا ترى من الشارع أن لديها زوّاراً.

امتد الضوء على أرضية خشبية مهترئة، ومسامير كبيرة بين الألواح، وأريكة بيضاء، ومكتبة منخفضة، ومكبر صوت خاص بنظام لين. كما كان هناك تجويف في الجدار مع سرير ضيق ومرتب، ومطبخ صغير مع موقد وثلاجة. كان المحيط بسيطاً ومتقشفاً ومرتباً كشقته، ثم سقط الضوء على وجه يحدق به بقسوة، وبعده على وجه آخر، ثم آخر؛ أقنعة خشبية سوداء مع رسوم ونقوش.

نظر إلى ساعة يده... الحادية عشرة. وجال بالمصباح في الأرجاء.

كانت هناك قصاصات صحف مثبتة قرب الطاولة الوحيدة في الغرفة، وتغطي الجدار من الأرض إلى السقف، فاقترب منها، وتفحصتها عيناه وهو يشعر بنبضه يبدأ بالتسارع كعداد غيغر.

كانت هذه قضايا قتل.

الكثير من قضايا القتل... عشر قضايا أو اثنتي عشرة... بعضها قديم جداً لدرجة أن أوراق الصحيفة قد اصفرت، لكن هاري تمكن من تذكرها كلها بوضوح. تذكرها لأنها تشترك بشيء واحد: لقد قاد التحقيق.

كانت على الطاولة بجانب جهاز الحاسب والطابعة كومة من الملفات وتقارير القضايا. فتح أحدها، لكنه لم يجد أي تقارير عن قضاياه، وإنما عن جريمة قتل ليلى آسن على جبل أولريكن، وأخرى عن اختفاء أوني هيتلاند في فجيلسيدن. أما الملف الثالث فكان عن قضية استخدام الشرطة للعنف في بيرغن، وحول الشكاوى ضد غيرت رافتو. بحث هاري فيه ليجد صورة رافتو نفسها التي رآها في مكتب مولر نيلسن. وحين نظر إليها فكر أن الأمر واضح.

كانت بجوار الطابعة كومة من الورق، وقد رُسمت على الورقة الأولى رسمة سريعة هاوية بقلم رصاص، لكن الفكرة واضحة بما فيه الكفاية... رجل ثلج. كان الوجه طويلاً كما لو أنه يذوب، والعينان السوداوان خامدتين، والجزرة طويلة ورفيعة ومتجهة نحو الأسفل. بحث هاري بين الأوراق حيث وجد العديد من الرسومات؛ جميعها لرجال ثلج، ومعظمها للوجه فحسب. فكر هاري... أقنعة... أقنعة موت . كانت لأحد الوجوه ذراعان بشريتان صغيرتان على الجانبين، ورجل عصفور في الأسفل، ولآخر أنف خنـزير وقبعة طويلة.

بدأ هاري بالبحث في الطرف الآخر من الغرفة، وقال لنفسه ما قاله لكاترين على جزيرة فينوي: أخلي ذهنك من التوقعات وانظري... لا تبحثي. فتح جميع الخزائن والأدراج، وفتش بين أدوات المطبخ والمعدات والملابس، وعلب الشامبو والكريمات الغريبة في الحمام حيث فاحت رائحة عطرها في الجو. كانت أرضية الدش مبللة، وتوجد على المغسلة قطعة قطنية ملطخة بالماسكارا. خرج من الحمام لكنه لم يكن يعرف ما يبحث عنه، وإنما يعرف أنه ليس هنا فحسب. استقام ونظر حوله.

خطأ.

إنه هنا لكنه لم يجده بعد.

أزال الكتب عن الرفوف، وفتح خزان الماء، وتحقق إن كانت هناك أي ألواح مفكوكة على الأرض أو الجدران، ثم قلب الفراش عن السرير. انتهى الأمر... لقد بحث في كل مكان بلا نجاح، لكن مع الافتراض المنطقي الأهم في أي بحث وهو: ما لم تجده لا يقل أهمية عما تجده، وقد عرف الآن ما لم يجده. نظر هاري إلى ساعة يده وبدأ بالترتيب.

حين كان يرتب الرسومات خطر له أنه لم يتحقق من الطابعة، فسحب الصينية ليجد الورقة العلوية مصفرة وأكثر سماكة من ورق الطابعة العادي. رفعها ففاحت منها رائحة مميزة، كما لو كانت منقوعة ببهار أو محروقة. أشعل مصباح المكتب، ورفع الورقة إليه كما لو كان يبحث عن علامة، ووجدها؛ إذ كان في الأسفل في الزاوية اليمنى السفلية نوع من علامة مائية بين أنسجة الورق الرقيقة مرئية في حال تم تسليط ضوء كهربائي عليها. بدا له كما لو أن الأوعية الدموية في حلقه تتسع، والدم يتدفق، وذهنه يصرخ للحصول على المزيد من الأوكسجين.

شغل هاري جهاز الحاسب، ونظر إلى ساعة يده مجدداً ثم أصغى، بينما استغرق الحاسب وقتاً طويلاً حتى عمل نظام التشغيل والبرامج. توجه

إلى نافذة البحث، وكتب كلمة واحدة، ثم نقر بالفأرة على كلمة بحث ليظهر له كلب مفعم بالحيوية يقفز للأعلى والأسفل وهو ينبح بلا صوت كمحاولة لتقصير وقت الانتظار. حدق هاري إلى النص بينما يتم مسح الملفات، ثم نقل نظره إلى العبارة التي تقول "لا توجد أي مواد تتوافق مع بحثك". تأكد من كتابة كلمة البحث... تووميا، ثم أغمض عينيه، وسمع الأزيز العميق للآلة الذي بدا كمواء قطة حنونة حتى توقف، ففتح هاري عينيه..."مادة واحدة تتوافق مع بحثك".

وضع المؤشر على أيقونة الكلمة ليظهر له مستطيل أصفر... "تاريخ التعديل: 9 سبتمبر". أحس بإصبعه ترتجف وهو ينقر مرتين لتضيء الخلفية البيضاء للنص القصير في الغرفة... لم يكن هناك أدنى شك، فالكلمات متطابقة مع كلمات الرسالة التي تلقاها من رجل الثلج.

25 - اليوم العشرون

موعد نهائي

كان آرف ستوب مستلقياً على سرير مصنع وفقاً لطلب الزبائن في مصنع ميسوكو في أوساكا، ومشحون بعد تجميعه إلى مدبغة في شيناي في الهند؛ لأن القوانين في ولاية تاميل نادو لا تسمح بالتصدير المباشر لمثل هذا النوع من الجلود. ومع أن الفترة منذ طلب البضاعة وحتى استلامها تستغرق ستة أشهر لكنها تستحق الانتظار، فقد تكيف بالكامل مع شكل جسده، وقدم له الدعم اللازم، وسمح له بتعديله حسب أي مستوى أو اتجاه.

شاهد الشفرات الخشبية لمروحة السقف تدور ببطء.

كانت في المصعد في طريقها إليه، إذ كان قد شرح لها عبر جهاز الاتصال الداخلي أنه ينتظرها في غرفة النوم، وقد ترك لها الباب مواراباً. كان الحرير البارد لسرواله الداخلي يلامس جسده الدافئ، بينما تدفقت الموسيقى من أسطوانة كافيه ديل مار في نظام صوت بوز مع مكبرات صوت صغيرة مخفية في جميع أنحاء الشقة.

سمع كعبي حذائها يطقطقان على الأرضية الخشبية لغرفة الجلوس... خطوات بطيئة وواثقة. مجرد الصوت أثاره... فقط لو كانت تعلم ما ينتظرها...

بحثت يده تحت السرير لتجد أصابعه ما تبحث عنه.

ثم وصلت إلى الباب، ليظهر ظلها في ضوء القمر المنعكس على الخليج وهي تنظر إليه مبتسمة ابتسامة بسيطة. توجهت إلى السرير، وناولته شيئاً مطاطياً... إنه قناع... قناع حيوان وردي.

قالت له بصوت عملي ومحايد:

- ارتد هذا.
- ماذا؟!
- افعل ما أقوله لك.

ثم توهجت عيناها بشكل غريب مجدداً.

- حسناً يا سيدتي.

وضع آرف ستوب القناع فغطى كامل وجهه، وفاحت منه رائحة قفازات الغسيل، ولم يعد بإمكانه رؤيتها سوى من خلال ثقبي العينين.

- وأريدك أن...

حين بدأ بالكلام سمع صوته مغلفاً وغريباً. وحين وصل إلى نقطة معينة، أحس بألم شديد فوق عينه اليسرى.

صرخت:

- اخرس.

أدرك ببطء أنها قد ضربته، وكان يعرف أنه لا ينبغي عليه الضحك فهو سيخرب دورها؛ لكنه لم يستطع... فقد كان الأمر مضحكاً... قناع حيوان! شيء مطاطي وردي رطب! قهقه لتأتيه الضربة الثانية على معدته بقوة هائلة، فتلوى وهو يئن، وسقط على السرير. لم يدرك أنه لا يتنفس حتى عم الظلام كل شيء، فصارع بيأس للحصول على الهواء من داخل القناع الضيق، وهو يحس بها تلوي ذراعيه وراء ظهره، ثم وصل الأوكسجين أخيراً إلى ذهنه، ليصل معه الألم والغضب... البقرة اللعينة... ماذا تظن نفسها تفعل؟ تلوى ليحرر نفسه ويمسكها، لكنه لم يستطع تحريك يديه اللتين كانتا مشدودتين وراء ظهره. قاوم فأحس بشيء قاس يشد على معصميه... أصفاد؟! الساقطة المنحرفة.

دفعته إلى وضعية الجلوس.

سمع همسها:

- أيمكنك رؤية هذا؟

لكن قناعه كان قد انحرف إلى الجانب، ولم يعد قادراً على رؤية أي شيء.

- لست بحاجة لذلك. يمكنني أن أشم.

جاءته ضربة على الصدغ كأسطوانة مضغوطة تطير. وحين استعاد رشده، كان لا يزال جالساً باستقامة على السرير، وأحس بشيء يسيل بين خده والقناع.

- بماذا تضربينني؟ إنني أنـزف أيتها المجنونة.

- بهذا.

أحس آرف ستوب بشيء صلب يلتصق بأنفه وفمه.

ثم قالت:

- شمّه... أليس جيداً؟ إنه من الفولاذ والشحم... سميث وويسون. رائحته واضحة أليس كذلك؟ لكن رائحة البارود والمواد المتفجرة أفضل بكثير إن شممتها يوماً ما.

ظن آرف ستوب أنها مجرد لعبة عنيفة... مسرحية... لكن، كان هناك شيء آخر... شيء في صوتها... صوت حول الوضع بكامله... شيء وضع كل ما

حصل تحت ضوء جديد. ولأول مرة منذ زمن طويل فكر بطفولته، لدرجة أنه في البداية لم يميز مشاعره. لاحظ آرف ستوب أنه كان خائفاً.

ارتعش بيورن هولم وهو يشد السترة الجلدية حوله بإحكام:

- أمتأكد من أنه لا ينبغي علينا تشغيلها؟

هز هاري رأسه بالنفي، ونظر إلى ساعة يده... الواحدة والنصف. كانا يجلسان في سيارة بيورن هولم قرب شقة كاترين منذ أكثر من ساعة... والليل ضبابـي والشوارع فارغة.

أكمل بيورن هولم:

- كانت في الواقع بيضاء... اللون رقم 42 من نوع فولفو، لكن المالك السابق طلاها باللون الأسود. إنها سيارة عريقة، ولا تكلف ضريبتها سوى 365 ألف كرونر سنوياً؛ أي كرونر يومياً...

حين رأى بيورن هولم نظرة هاري التحذيرية صمت وشغَّل أغنية لديفيد راولينغز وجيليان ويلش، وهي الموسيقى الحديثة والوحيدة التي يمكنه احتمالها. كان قد سجلها من أسطوانة مضغوطة على شريط؛ ليس السبب أن يتمكن من تشغيلها على مشغل الأشرطة في السيارة فحسب، وإنما لأنه من تلك الفئة الصغيرة جداً والعنيدة من محبـي الموسيقى الذين يرون أن الأسطوانات لا تعطي جودة الصوت الدافئة والفريدة نفسها التي يعطيها الشريط.

عرف بيورن هولم أنه يتكلم كثيراً لأنه متوتر. إذ لم يكن هاري قد أخبره سوى أنه ينبغي إبعاد كاترين عن بعض التحقيقات، وأن عمل بيورن هولم اليومي خلال الأسابيع المقبلة سيكون أسهل إن لم يعرف التفاصيل. ولكونه شخصاً مسالماً ووديعاً وذكياً لم يحاول بيورن هولم التسبب بأي مشاكل؛ مع أن ذلك لا يعني أنه أحب الوضع. نظر إلى ساعة يده.

- لقد ذهبت إلى منـزل شخص ما.

- ما الذي يجعلك تظن هذا؟

- إنها غير متزوجة. أليس هذا ما قلته؟ النساء العازبات مثل الرجال العازبين هذه الأيام.

- ماذا تعني؟

- أربع خطوات. اخرج وراقب القطيع واختر الفريسة الفضلى ثم هاجم.

- أتحتاج لأربع خطوات؟

قال بيورن هولم وهو يعدل المرآة ويرتّب شعره الأحمر:

- الخطوات الثلاث الأولى...

كان بيورن هولم يفكر بزيت الشعر، لكنه توصل إلى أنه غريب جداً. ومن جهة أخرى، ربما كان ذلك ما يحتاج إليه.

انفجر هاري:

- تباً... تباً تباً تباً.

- ماذا هناك؟

- حجرة دش مبللة وعطر وماسكارا. أنت محق.

أخرج المحقق هاتفه المحمول، وضغط على الأزرار بجنون ليتلقى جواباً مباشراً.

- جيردا نيلفيك؟ معك هاري هول. أما زلت تعملين على الاختبارات؟... حسناً. هل من نتائج أولية؟

شاهد بيورن هولم هاري وهو يتمتم مرتين، ويقول "صحيح" ثلاث مرات.

- شكراً. كنت أتساءل أيضاً إن قام أي شرطي آخر بالاتصال هذا المساء وسؤالك السؤال نفسه... ماذا؟ ... حسناً... نعم. اتصلي بـي حين تنتهي الاختبارات.

أنهى هاري المكالمة:

- يمكنك تشغيل المحرك الآن.

أدار بيورن هولم المفتاح في فتحة التشغيل:

- ما الأمر؟

- سنتجه إلى فندق بلازا. لقد اتصلت كاترين برات بمركز الطب الشرعي في وقت سابق هذا المساء للاستعلام عن الأبوة.

- هذا المساء؟

ضغط بيورن هولم بقدمه، والتفت إلى اليمين نحو ساحة شوس.

- إنهم يجرون اختبارات أولية للتأكد من الأبوة بنسبة خمس وتسعين بالمائة، ثم سيحاولون زيادة اليقين إلى تسع وتسعين بالمائة.

- و؟

- من المحقق بنسبة خمس وتسعين بالمائة أن والد توأم أوترسون وجوناس بيكر هو آرف ستوب.

- معقول!؟

- وأعتقد أن كاترين قد اتبعت توصياتك لتمضية مساء السبت...

والفريسة آرف ستوب.

اتصل هاري بقسم الطوارئ وطلب المساعدة، بينما زأر المحرك عبر الشوارع الساكنة في غرانرلوكا. وحين مرا من أكيرسيلفا أ.ي وانـزلقا على خط الترام في ستورغاتا أصدر جهاز التدفئة هواء ساخناً عليهما.

كان أودين ناكن مراسل صحيفة فيردنس غانغ واقفاً متجمداً على الرصيف خارج فندق بلازا، وهو يفكر بالعالم... بالناس عموماً وبعمله خصوصاً. كان يعتقد أن ضيوف حفل مجلة ليبيرال هم آخر المغادرين، وأن آخرهم هم الأهم؛ فعنهم قد تصدر عناوين الأخبار في اليوم التالي. لكن الموعد النهائي قد اقترب، وعليه المغادرة خلال خمس دقائق والتوجه إلى مكتبه في أكيرسغاتا على بعد بضع مئات الأمتار والكتابة... الكتابة للمحرر بأنه قد تقدم بالسن، واكتفى من الوقوف خارج الحفلات كمراهق يضغط بأنفه على زجاج السيارة، ويحدق متمنياً أن يخرج أحد ما ويخبره من رقص مع من، ومن اشترى الشراب لمن، ومن كان متمسكاً بمن، ويكتب ذلك على دفتر ملاحظاته.

كانت هناك شائعات منتشرة، لكنها كانت رائعة جداً بشكل يصعب تصديقها كما تصعب كتابتها... فهناك حدود وقواعد غير مكتوبة... قواعد التزم بها على الأقل الصحفيون من جيله... ما الذي يستحقه هذا؟

تفحص أودين ناكن ما حوله... لم يكن هناك سوى بعض المراسلين والمصورين الواقفين، والذين لديهم الموعد النهائي نفسه للكتابة حول المشاهير في هذه الصحيفة. فجأةً، جاءت سيارة فولفو أمازون مندفعة نحوهم، وركنت عند حافة الرصيف بينما صرت المكابح.

قفز رجل عن مقعد الركاب، فتعرّف عليه أودين ناكن مباشرة، وأشار إلى المصور، وركضا معاً وراء الشرطي المندفع نحو الباب.

لهث أودين ناكن حين وصل إليه:

- هاري هول. ما الذي تفعله الشرطة هنا؟

التفت إليه الشرطي ذو العينين المحمرتين:

- نذهب إلى حفلة يا ناكن. أين هي؟
- قاعة سونجا هيني في الطابق الأول، لكنني أظن أنها انتهت.
- ممم. هل رأيت آرف ستوب؟
- ذهب ستوب إلى منـزله في وقت باكر. ما الذي تريده منه؟
- لا. هل كان بمفرده؟

- هذا ما بدا عليه الأمر.

توقف المحقق فجأة ونظر إليه:

- ماذا تعني؟

أمال أودين ناكن رأسه... لم تكن لديه أدنى فكرة عن سبب كل هذا، لكن لم يكن لديه أدنى شك في أن هناك خطباً ما.

- لقد انتشرت شائعة، وهي أنه كان يتفاوض مع سيدة جميلة ماكرة ذات عينين ساحرتين. وليس هناك ما نكتبه... هنا تكمن المشكلة.

استفسر المحقق:

- إذاً؟

- هناك امرأة تنطبق عليها هذه المواصفات غادرت الحفل بعد ستوب بعشرين دقيقة، وركبت سيارة أجرة.

عاد هول مباشرة إلى حيث أتى بينما لحقه أودين، فسأله هول:

- ألم تتبعها ياناكن؟

تجاهل أودين ناكن السخرية، فهي لا تهمه الآن.

- لم تكن من المشاهير ياهول. وحين يقيم أحد المشاهير علاقة مع أحد من غير المشاهير لا يعود الأمر خبراً صحفياً؛ ما لم تقرر السيدة أن تتكلم بالطبع. وهي قد ذهبت منذ زمن؟

- كيف كانت تبدو؟

- نحيلة وداكنة وجميلة.

- الملابس؟

- معطف جلدي أسود طويل.

قفز هاري في سيارة الأمازون:

- شكراً.

صرخ ناكن:

- ما الذي سأحصل عليه بالمقابل؟

- نوماً مريحاً خلال الليل لمعرفتك أنك ساعدت في جعل مدينتنا مكاناً أكثر أماناً.

شاهد أودين ناكن وهو يكشر بشراسة السيارة القديمة المزينة بالأشرطة اللاصقة وهي تسرع، بينما صدر هدير ضحكة مبحوحة. لقد حان الوقت للتخلص من هذا... حان الوقت ليسلم ملاحظته... حان الوقت ليكبر.

قال المصور:

- الموعد النهائي. علينا الذهاب والكتابة عن هذه السخافة.

تنهد أودين ناكن باستسلام.

حدق آرف ستوب في ظلام القناع وهو يتساءل عما كانت تفعله. لقد سحبته إلى الحمام من أصفاده، وضغطت بما كانت تدعي أنه مسدس على أضلاعه وأمرته بدخول حوض الاستحمام. أين هي؟ حبس أنفاسه، وسمع دقات قلبه وطنيناً كهربائياً. هل سيحترق أحد المصابيح في الحمام؟ وصل الدم السائل من صدغه إلى طرف فمه، فتذوّقه بطرف لسانه.

جاءه صوتها من فوق المغسلة:

- أين كنت ليلة اختفاء بيرت بيكر؟
- هنا في شقتي.

كان ذلك جواب ستوب وهو يحاول التفكير. لقد قالت إنها من الشرطة، ثم تذكر أين رآها من قبل: في نادي الكرلنغ.

- هل كنت بمفردك؟
- نعم.
- وأين كنت ليلة مقتل سيلفيا أوترسون؟
- الشيء نفسه.
- وحدك طوال المساء من دون أن تتكلم مع أحد؟
- نعم.
- إذاً، ما من حجة غياب؟
- قلت لك إنني كنت هنا.
- جيد.
- جيد؟

وبدأ آرف ستوب بالتفكير... لِمَ كان من الجيد أنه ليست لديه حجة غياب؟ ما الذي أرادته؟ أتريد أن تجبره على الاعتراف؟ ولماذا يبدو له أن الطنين الكهربائي يرتفع صوته حين تقترب؟

- استلقِ.

امتثل لأوامرها، وأحس بخزف حوض الاستحمام البارد يلسع بشرة ظهره وفخذيه، بينما تكثفت أنفاسه داخل القناع وبللته وجعلت التنفس صعباً عليه، ثم جاء الصوت مجدداً عن قرب.

- كيف تريد أن تموت؟

يموت! إنها مجنونة... مخبولة... معتوهة تهذي. حقاً؟! ثم فكر أن عليه إبقاء ذهنه صافياً، فهي تحاول إخافته فحسب. أيمكن أن يكون هاري هول

وراء هذا؟ هل من الممكن أنه استخف بالشرطي؟ لكن جسده كان يرتعش بالكامل الآن لدرجة أنه تمكن من سماع صوت ساعته من نوع تاغ هور وهي تطرق بالخزف؛ كما لو أن جسده تقبل ما لم يتقبله عقله. فرك ظاهر يده بحوض الاستحمام محاولاً تعديل القناع ليتمكن من الرؤية من خلال الثقوب الصغيرة... سيموت.

لهذا وضعته في حوض الاستحمام، لكي لا تحدث الكثير من الفوضى وتتمكن من إزالة جميع الآثار... هراء! أنت آرف ستوب وهي من الشرطة... إنهم لا يعرفون شيئاً.

- حسناً. ارفع رأسك.

القناع... وأخيراً ستزيل القناع... فعل كما أمرته، وأحس بيديها تلمسان جبهته ورأسه من الخلف، لكنها لم تزل القناع وإنما أحكمت شيئاً رقيقاً وقوياً حول رقبته. ما هذا؟ أنشوطة!

بدأ:

- لا...

لكن صوته خانه بينما ضغطت الأنشوطة على قصبته الهوائية، وقعقعت الأصفاد وهي تحتك بأسفل حوض الاستحمام.

قالت وهي تحكم الأنشوطة حول عنقه قليلاً:

- لقد قتلتهم جميعاً. أنت رجل الثلج يا آرف ستوب.

هنا تحدثت بصوت مرتفع... نقص الدم في دماغه جعله يشعر بالدوار، فهز رأسه بجنون.

- نعم... إنه أنت.

وحين شدتها أحس برأسه يكاد ينقطع.

- لقد تم تعيينك كذلك للتو.

ثم حل الظلام فجأة... رفع ساقاً وتركها تهوي مجدداً، بينما ارتطم كعب قدمه بوهن بحوض الاستحمام مصدراً صوتاً.

حاول الصراخ... حاول إخراج الهواء القليل المتبقي في جسده عبر القبضة الحديدية للأنشوطة، لكن ذلك مستحيل. ألا تريد اعترافاً؟ ثم أحس بذلك. سمع صوت هسيس خفيف في ذهنه كصوت فقاعات الشراب. أهكذا يحدث الأمر؟ بسهولة... لم يكن يريد أن يحصل الأمر بهذه السهولة.

قال الصوت المجاور لأذنه بينما ربتت يد بحنان على رأسه:

- سأشنقك في غرفة الجلوس وأنت تنظر نحو الخليج لتستمتع بالإطلالة.

ثم صدر صوت ضعيف كصوت الإنذار في أجهزة مراقبة القلب التي تراها في الأفلام؛ حين تختفي الانحناءات ويتوقف القلب عن النبض.

26 - اليوم 20

الصمت

ضغط هاري على جرس باب آرف ستوب مجدداً.

كان هناك شخص وحيد يمشي على الجسر فوق القناة ويحدق بسيارة الأمازون السوداء المركونة في منتصف الساحة الخالية من السيارات في أكير بريغ.

قال بيورن هولم وهو ينظر إلى الباب الزجاجي بارتفاع ثلاثة أمتار:

- لن يفتح إن كانت هناك امرأة معه.

رن هاري أجراس الأبواب الأخرى.

فقال بيورن هولم:

- هذه مجرد مكاتب. قرأت أن ستوب يعيش وحده في الطابق العلوي.

نظر هاري حوله، فقال بيورن هولم الذي خمن ما يفكر به:

- لا... لن يفتح بالرافعة، كما أن الزجاج الصلب مقاوم للكسر. علينا الانتظار حتى يصل...

كان هاري في طريقه عائداً إلى السيارة، لكن هولم لم يستطع هذه المرة معرفة ما يفكر به المحقق؛ حتى جلس هاري على مقعد السائق، وتذكر بيورن أن المفتاح لا يزال في فتحة الإشعال.

- لا ياهاري! لا!

اختفت تتمة الجملة وراء زئير المحرك بينما دارت العجلات على الأرض الزلقة لتحصل على الطاقة. وقف بيورن هولم يلوح بيده في الطريق ثم لمح عيني المحقق وراء عجلة القيادة فقفز مبتعداً عن الطريق بينما صدمت مقدمة سيارة الأمازون الباب صدمة مكتومة ليتحول زجاج الباب إلى بلورات بيضاء تطايرت في الهواء بصمت قبل أن تتساقط على الأرض. وقبل أن يتمكن بيورن هولم من حساب درجة الضرر ترجل هاري من السيارة ومشى عبر المدخل الخالي من الزجاج.

ركض بيورن بيأس وراءه وهو يشتم، بينما أمسك هاري بحوض يحوي على شجرة نخيل بطول مترين وجره حتى المصعد وضغط على الزر. وحين انفصل البابان الألمنيوم اللامعان حشر الحوض بينهما، وأشار إلى باب أبيض عليه لافتة خروج خضراء.

- إذا صعدت أنت من مخرج الطوارئ وصعدت أنا على السلم

الرئيس فسنغطي جميع طرق الهروب. لاقني في الطابق السادس ياهولم.

تبلل بيورن هولم بالعرق قبل أن يصل إلى الطابق الثاني على السلم الحديدي الضيق؛ إذ لم يكن جسده ولا عقله مستعدين لهذا. تباً... إنه شرطي من الوحدة الجنائية! إن مهمته إعادة تصوير المأساة لا تنفيذها.

توقف للحظة، لكن كل ما سمعه هو الصدى المتلاشي لصوت خطواته ولهاثه. ماذا عليه أن يفعل إن التقى أحداً ما؟ لقد طلب منه هاري أن يحضر مسدس الخدمة الخاص به معه إلى سيلدوكسغاتا، لكن هل عنى أنه سيستخدمه؟ أمسك بيورن بالسياج وبدأ يركض مجدداً. ماذا كان سيفعل هانك ويليامز؟ يدفن رأسه في شرابه. سيد فيشاس؟ يبرز إصبعه ويعدو. إلفيس؟ إلفيس... إلفيس بريسلي... صحيح. ثم أحكم بيورن هولم أصابعه حول مسدسه.

انتهى السلم، وفتح الباب ليجد هناك في نهاية الممر هاري مستنداً على الجدار بجانب باب بني؛ ممسكاً مسدسه بإحدى يديه، فيما وضع اليد الأخرى على فمه... وإصبعه السبابة على شفتيه؛ مشيراً إلى الباب الذي كان موارباً.

همس هاري حين وصل بيورن إلى جانبه:

- سنفتش غرفة تلو الأخرى... توجَّه إلى الغرف على اليسار، بينما سأتوجه إلى الغرف على اليمين بالنسق نفسه... مديرين ظهرينا لبعضنا... ولا تنس أن تتنفس.

- انتظر! ماذا لو كانت كاترين هناك؟

تفحصه هاري منتظراً.

أكمل بيورن هولم محاولاً صياغة ما قاله:

- أقصد... في أسوأ الاحتمالات، هل علي إطلاق الرصاص على... زميلة؟

- في أسوأ الاحتمالات ستطلق عليك الزميلة النار. هل أنت جاهز؟

هز الشرطي الجنائي من سكريا رأسه، ووعد نفسه أنه إن سارت الأمور على نحو جيد فسيستخدم زيت الشعر.

دفع هاري الباب ليفتحه بقدمه ودخل، ثم شعر بتيار الهواء مباشرة... تيار الهواء. وصل إلى الباب الأول على اليمين، وأمسك بالمقبض بيده اليسرى بينما وجه المسدس وفتح الباب ثم دخل. كانت غرفة مكتب فارغة توجد فيها فوق المكتب خريطة كبيرة للنروج مع دبابيس مثبتة عليها.

عاد هاري إلى الصالة حيث كان هولم بانتظاره، وأشار إلى هولم ليبقي

مسدسه مرفوعاً طوال الوقت.

وانتقلا عبر الشقة خلسة.

المطبخ... المكتبة... غرفة اللياقة البدنية... بيت النباتات الزجاجي... غرفة الضيوف... جميعها فارغة.

أحس هاري بدرجة الحرارة تهبط. وحين وصلا إلى غرفة الجلوس عرف السبب. كان الباب المنـزلق المؤدي إلى الشرفة وبركة السباحة مفتوحاً، بينما تطايرت الستائر البيضاء بقوة مع الريح. كانت تيارات الهواء تجري في جانبـي الغرفة المؤديين إلى بابين، فأشار هاري إلى هولم لكي يقف على يمين الباب، بينما وقف هو أمام الباب الآخر.

تنشق هاري الهواء، ثم ربض لجعل الهدف أصغر قدر الإمكان وفتح.

وفي الظلام، استطاع تمييز سرير وملاءات بيضاء وشيء قد يكون جثة، فبحثت يده عن زر الضوء عند الباب.

- هاري!

كان هولم.

- هنا ياهاري!

كان صوت هولم مليئاً بالإثارة لكن هاري تجاهله، وركز في الظلام أمامه حتى عثرت يداه على زر الضوء. في اللحظة التالية، صارت الغرفة غارقة بالنور من الأضواء في السقف. كانت فارغة، فتحقق هاري من الخزائن ثم غادر. وكان هولم يقف خارج الباب الآخر مصوباً مسدسه إلى داخل الغرفة.

همس هولم:

- إنه لا يتحرك... إنه ميت... إنه...

- إذاً، لم ناديتني بهذا الإلحاح.

مشى هاري نحو الحمام، وانحنى فوق الرجل العاري، وأزال القناع ليجد خطاً أحمر رقيقاً يسيل حول رقبته، بينما كان وجهه شاحباً ومنتفخاً، وعيناه بارزتين من تحت الأجفان. كان آرف ستوب مختلفاً تماماً.

قال هولم:

- سأتصل بقسم مسرح الجريمة.

- انتظر.

وضع هاري يده أمام فم ستوب، ثم أمسك بكتف رئيس التحرير وهزه.

- ماذا تفعل؟

هزه هاري بقوة أكبر.

وضع بيورن يده على كتف هاري:

- لكن، هاري ألا ترى أنه...؟

تراجع هولم حين فتح ستوب عينيه، وبدأ بالتقاط أنفاسه العميقة والمؤلمة مع صوت أزيز في حنجرته؛ كما لو أنه غطاس صعد إلى سطح الماء.

سأله هاري:

- أين هي؟

لم يكن ستوب قادراً على تركيز نظرات عينيه، فلم يتمكن سوى من إصدار لهاث قصير من فمه.

- انتظر هنا ياهولم.

هز هولم رأسه وهو يشاهد زميله يغادر الحمام.

وقف هاري على حافة شرفة آرف ستوب، حيث رأى مياه القناة السوداء تتلألأ تحت خمسة وعشرين متراً منه، واستطاع في ضوء القمر تمييز منحوتة المرأة الموضوعة على دعامات في الماء والجسر الخاوي. وهناك... شيء لامع يتمايل على سطح الماء كبطن سمكة ميتة... ظهر معطف جلدي أسود... لقد قفزت من الطابق السادس.

صعد هاري إلى حافة التراس بين صناديق الأزهار الفارغة، لتلمع صورة من الماضي في ذهنه... أوستماركا حيث غطس أويستين من الجبل إلى بحيرة هوكتجيرن بينما جره هاري وتريسكو إلى الشاطئ. بقي أويستين طريح الفراش في مشفى ريكشوبيتالت واضعاً دعامات حول رقبته. ما تعلمه هاري من تلك التجربة هو أنه عليك القفز من الارتفاعات العالية وليس الغطس، وتذكر أن تبقي ذراعيك حول جسدك لئلا تكسر عظم الترقوة. لكن الأهم من ذلك كله أن تتخذ قرارك قبل أن تنظر للأسفل، وأن تقفز قبل أن يسيطر الرعب على إدراكك السليم. ولهذا، انـزلقت سترة هاري على أرض التراس مصدرة صوتاً ناعماً، بينما كان هاري يقفز في الهواء وهو يستمع للزئير في أذنيه... تسارعت المياه السوداء باتجاهه... كالحة السواد كالأسفلت.

ضم قدميه نحو بعضهما، وفي اللحظة التالية بدا كما لو أن الهواء نفد من جسده، ويداً كبيرة تحاول تمزيق ملابسه واختفت جميع الأصوات، ثم جاء البرد القارس. ركل وصعد إلى السطح، والتفت حوله ليحدد مكان المعطف ثم بدأ بالسباحة باتجاهه. كان قد بدأ بفقدان الإحساس في

قدميه، وعرف أنه لم تعد لديه سوى بضع دقائق حتى يتوقف جسمه عن العمل في درجة الحرارة هذه، لكنه عرف أيضاً أنه في حال عملت منعكسات حنجرة كاترين وأغلقت حين تلامست مع الماء، فإن البرودة الشديدة المفاجئة هي التي ستنقذها حيث أوقفت عملية الأيض، ووضعت خلايا الجسد وأعضاءه بوضع السبات، وسمحت للوظائف الحيوية بالعمل بالحد الأدنى من الأوكسجين.

اندفع هاري وانـزلق عبر المياه نحو الجلد اللامع.

ثم وصل إليها وأمسك بها.

كانت أولى أفكاره غير الواعية أنها قد صعدت للسماء لأنه لم يجد سوى معطفها.

شتم هاري ودار في المياه، ثم حدق إلى التراس وتبع الحافة حتى الإفريز... الأنابيب المعدنية والسطوح المنحدرة المؤدية إلى الجانب الآخر من البناء وإلى الأبنية الأخرى... شرفات أخرى والعديد من مخارج الطوارئ والطرق عبر متاهة الواجهات في أكير بريغ. خاض في المياه بساقيه اللتين فقد الإحساس بهما وهو يؤكد لنفسه أن كاترين لم تستخف به، وإنما وقع في إحدى الخدع القديمة المعروفة. وللحظة من لحظات الجنون فكر بالموت غرقاً... لا بد أنه ممتع.

كانت الساعة هي الرابعة صباحاً، وعلى السرير بجوار هاري جلس آرف ستوب مرتعشاً وهو يرتدي رداء، وبدا كما لو أن السمرة قد اختفت من بشرته وتحول إلى رجل عجوز، لكن حدقتي عينيه استعادتا حجمهما الطبيعي.

استحم هاري بالماء الساخن، وجلس على كرسي مرتدياً كنـزة استعارها من هولم وسروال بذلة رياضية استعاره من ستوب، واستطاعا سماع بيورن هولم في غرفة الجلوس وهو يحاول تنظيم مطاردة كاترين برات عبر هاتفه المحمول. كان هاري قد طلب منه الاتصال بقسم الحوادث لنشر إنذار عام، وبالشرطة في مطار غاردرموين في حال حاولت أن تستقل إحدى الرحلات الصباحية الباكرة، وبوحدة القوات الخاصة دلتا لتهاجم شقتها؛ على الرغم من أن هاري كان متأكداً من أنهم لن يجدوها هناك.

سأل هاري:

- إذاً، تظن أن هذه لم تكن مجرد لعبة، وإنما كانت كاترين تحاول قتلك؟

أجاب ستوب بينما اصطكت أسنانه:

- أظن؟! كانت تحاول خنقي!

- وقد سألتك إن كانت لديك حجة غياب في أوقات ارتكاب جرائم القتل؟

- للمرة الثالثة أقول لك نعم!

- إذاً، هي تظن أنك رجل الثلج؟

- الله وحده يعلم ماذا تظن... لا بد أن المرأة قد فقدت صوابها.

- ربما... لكن ذلك لا يمنع أن تكون محقة.

نظر ستوب إلى ساعة يده:

- محقة بماذا؟

عرف هاري أن كروهن في طريقه، وأن المحامي سيسكت موكله ما إن يصل.

اتخذ قراره وانحنى للأمام:

- نعلم أنك والد جوناس بيكر وتوأم سيلفيا أوترسون.

رفع ستوب رأسه بينما أكمل هاري:

- كان إيدار فيتليسين هو الشخص الوحيد الذي يعلم بذلك. فأنت من أرسله إلى سويسرا، ودفع له ليحضر دورة عن متلازمة فاهر، أليس كذلك؟ المرض الذي ورثته أنت.

عرف هاري أنه ليس بعيداً عن الحقيقة من الطريقة التي دارت بها حدقتا عيني آرف ستوب.

أكمل هاري:

- أظن أن إيدار فيتليسين قد أخبرك أننا نضغط عليه فخفت ربما من أن يضعف، أو ربما يكون قد يستغل الوضع للحصول على مزايا؟ كالنقود مثلاً.

حدق المحرر في هاري غير مصدق وهز رأسه.

- وبالرغم من ذلك ياستوب، كان هناك الكثير لتخسره في حال انتشرت الحقائق حول الأبوة... إنها أسباب كافية لتعطيك الدافع لقتل من يمكن أن يفضحوك: الأمهات وإيدار فيتليسين. أليس ذلك صحيحاً؟

- أنا...

وبدأت نظرات ستوب تجول في ما حوله.

- أنت؟

انحنى ستوب للأمام وأخفض رأسه إلى يديه:

- ليس لدي ما أقوله... تكلم مع كروهن.
- حسناً.

لم يكن لدى هاري الكثير من الوقت، لكن لديه بطاقة أخيرة ووحيدة.

- سأخبرهم أنك قلت هذا.

انتظر هاري بينما كان ستوب لا يزال منحنياً للأمام بلا حراك، ثم رفع رأسه في النهاية.

- من هم؟
- الصحافة بالطبع. هناك ما يدفعني للاعتقاد أنهم سيكافئوننا على ذلك... ألا تظن هذا؟ لهذا السبب أنتم تقومون بالبحث عن سبق صحفي. أليس كذلك؟

ومض شيء في عيني ستوب.

فسأل، لكن نبرته أوحت أنه يعرف الجواب مسبقاً:

- ما الذي تعنيه؟
- شخص مشهور يظن أنه يغوي امرأة شابة ويدعوها إلى منـزله؛ بينما يكون الوضع معاكساً.

ثم تفحص هاري اللوحة على الجدار وراء ستوب... كانت تمثل امرأة تتوازن على حبل:

- لقد أقنعته بارتداء القناع كما لو أن الأمر لعبة، وهكذا وجدته الشرطة عارياً ويبكي في حوض الاستحمام.

انفجر ستوب:

- لا يمكنك إخبارهم بهذا. هذا... هذا يخرق مبدأ السرية... أليس كذلك؟
- حسناً... وقد يخرق الصورة التي بنيتها حول نفسك ياستوب، لكنه لا يخرق أي التزام بالصمت وإنما العكس.

صرخ ستوب بينما توقفت أسنانه عن الاصطكاك وعاد اللون إلى وجنتيه:

- العكس؟

سعل هاري:

- رأسمالي الوحيد هو نـزاهتي.

ثم انتظر هاري فيما ستوب يتذوق كلماته:

- وذلك يعني بالنسبة لي كشرطي- من بين عدة أشياء- أن أبقي

العامة على اطلاع قدر الإمكان من دون أن ألحق الضرر بالتحقيق. في هذه الحالة هذا ممكن.

- لا يمكنك فعل هذا.
- يمكنني وسأفعل.
- هذا... هذا سيدمرني.
- كما تدمر مجلة ليبيرال أحداً ما كل أسبوع في صفحتها الأولى؟

فتح ستوب فمه ثم أغلقه كسمكة في حوض مائي.

ثم أشار هاري:

- لكن الرجال النـزيهين يقومون بتنازلات.

تفحصه ستوب بقسوة.

- أتمنى أن تقدر...

تلمظ هاري كما لو كان يتذكر الكلمات:

- أنني كشرطي من واجبـي استغلال هذا الوضع.

هز ستوب رأسه ببطء.

فقال هاري:

- دعنا نبدأ ببيرت بيكر. كيف التقيتها؟

جاء صوت:

- أظن أن علينا التوقف هنا.

التفتا إلى الباب... كان يبدو من مظهر جوهان كروهن أنه وجد الوقت الكافي للاستحمام والحلاقة وكي قميصه.

قال هاري وهو يهز كتفيه:

- حسناً... هولم!

ظهر وجه بيورن هولم المليء بالنمش عند الباب وراء كروهن.

- اتصل بأودين ناكن من فيردنس غانغ.

ثم التفت إلى آرف ستوب:

- أيمكنني أن أعيد لك ملابسك في وقت لاحق اليوم؟

أجاب ستوب:

- انتظر.

عم الصمت الغرفة، بينما رفع آرف ستوب كلتا يديه، وفرك ظاهرهما بجبهته كما لو كان يحاول حث دمه على الدوران.

- جوهان... عليك الذهاب. يمكنني تدبر أمري بنفسي.

قال المحامي:

- آرف. لا أظن أن عليك...
- اذهب إلى بيتك ونم ياجوهان... سأتصل بك في وقت لاحق.
- بما أنني محاميك، عليّ أن...
- كمحامٍ لي عليك إبقاء فمك مغلقاً والانطلاق ياجوهان. أتفهم؟

استقام جوهان كروهن، وحاول استعادة ما تبقى من كرامته المجروحة كمحام، ثم غيَّر رأيه حين رأى تعابير ستوب فهز رأسه بسرعة واستدار لليسار.

سأل ستوب:

- أين كنا؟

أجاب هاري:

- في البداية.

27 - اليوم العشرون

البداية

رأى آرف ستوب بيرت بيكر للمرة الأولى في يوم شتوي بارد في أوسلو، خلال محاضرة كان يلقيها لمؤسسة تنظيم مناسبات في مدرج سينتروم. كانت محاضرة تحفيزية، إذ أرسلت الشركات موظفيها المنهكين لحضور المحاضرة للتعويض عن النقص، أي لحضور محاضرات تهدف لجعلهم يعملون أكثر. ووفقاً لخبرة آرف ستوب، كان معظم المحاضرين في تلك الندوة من رجال الأعمال الذين تمتعوا بنوع من النجاح بأفكار ليست أصيلة جداً، وأبطالاً حاصلين على ميداليات ذهبية من بطولات رئيسة في رياضات ثانوية، أو متسلقي الجبال الذين يقوم عملهم على تسلق الجبال ثم نـزولها لإخبار الآخرين عن تجربتهم. ما كانوا يتشاركونه هو أنهم جميعاً ادعوا أن نجاحهم كان نتيجة لروحهم المعنوية وقوة إرادتهم المميزتين. كان لديهم الحافز... وكان ذلك ما يحفزهم.

كان آرف ستوب آخر المتكلمين في البرنامج... إذ كان دائماً يشترط ذلك قبل أن يوافق على الحضور ليبدأ بنعت المحاضرين الآخرين بأنهم نرجسيون طامعون، ويقسمهم إلى التصنيفات الثلاثة المذكورة سابقاً، ويضع نفسه في التصنيف الأول... نجاح من دون فكرة أصيلة جداً. لقد تم هدر النقود المنفقة على يوم التحفيز، فمعظم الناس في الغرفة لن يتقدموا كثيراً؛ لأنهم محظوظون كفاية لئلا يكون لديهم الدافع غير الطبيعي للتميز الذي عذب أولئك الواقفين على المنصة بمن فيهم هو نفسه. وقد قال إن سبب ذلك هو نقص العواطف لدى والده، لذا اضطر للسعي وراء الحب والإعجاب من الآخرين، وبالتالي كان عليه أن يصبح ممثلاً أو موسيقياً، لكنه لم يكن يتمتع بأي موهبة في هذين المجالين.

في تلك النقطة من المحاضرة، تحول ذهول الجمهور إلى ضحك وتعاطف، وعرف ستوب أن ذلك سيتحول إلى إعجاب لأنه وقف هناك متألقاً... متألقاً لأن الجميع يعرفون أنه مهما قال سيبقى ناجحاً، ولا يمكنك مناقشة الناجحين ولا حتى نفسك. أكد أن الحظ هو العامل الأساسي لتحقيق النجاح، وقلل من أهمية موهبته؛ مشدداً على أن الكسل وعدم الكفاءة العامة في قطاع الأعمال النروجي هما ما يضمن نجاح متوسطي الخبرة.

في النهاية، وقفوا له بحماسة.

ابتسم وهو ينظر إلى المرأة الجميلة ذات الشعر الداكن التي تجلس في الصف الأول، وكانت بيرت. لقد رآها لحظة دخوله، لكن ستوب لم يكن من معارضي العمليات التجميلية للنساء، فما الفرق بين طلاء الأظفار والسيليكون؟ وبينما تعالى التصفيق في أذنيه، نـزل ببساطة عن المنصة، ومشى إلى جانب الصف الأول وبدأ بمصافحة الجمهور. كانت تلك لفتة بلهاء كان بإمكان رئيس أمريكي أن يفعلها لكنه لم يكترث، فما من شيء يسعده أكثر من إزعاج الآخرين. وقف أمام المرأة ذات الشعر الداكن التي حدقت به مبتهجة بوجنتين حمراوين. وحين مد لها يده انحنت كما لو كان ملكاً، وشعر بالزوايا الحادة لبطاقة عمله تلتصق براحة يده وهو يضغط بها على يدها باحثاً عن خاتم زفاف.

كان الخاتم خالياً من البريق، ويدها اليمنى ضيقة وشاحبة لكنها أمسكت بيده بقبضة قوية جداً.

قالت بابتسامة بلهاء:

- سيلفيا أوترسون. أنا من المعجبات بك، لذا رغبت بمصافحتك.

هكذا التقى سيلفيا أوترسون لأول مرة في متجرها الأفريقي في يوم صيفي حار في أوسلو. كان مظهرها عادياً لكنها متزوجة.

نظر آرف ستوب إلى الأقنعة الأفريقية، وسأل عن شيء ما لئلا يجعل الوضع أكثر إحراجاً مما هو عليه. لم يكن الوضع محرجاً بالنسبة له، لكنه أحس أن المرأة بجانبه تشنجت حين صافحته سيلفيا أوترسون. كان اسمها ماريتا... لا... ماريت... وقد أصرت على إحضاره إلى هنا لتريه بعض الوسائد من جلد الحمار الوحشي التي ظنت ماريتا أو ماريت أن عليه اقتناءها للسرير الذي تركاه قبل برهة وعليه خصل من الشعر الأشقر الطويل. وكان قد دوّن في ذهنه ملاحظة، وهي أن عليه إزالتها.

- لم يعد لدينا أي من وسائد الحمار الوحشي. لكن، ما رأيكما بهذه؟

اتجهت إلى رف بجانب الواجهة، بينما سطع ضوء النهار على معالمها، فرأى أنها لم تكن سيئة على الإطلاق، لكن شعرها البني المبتذل كان مبعثراً وفاقداً الحيوية.

سألتها المرأة التي بدأ اسمها بحرف م:

- ما هذا؟

- إنه تقليد لجلد التيتل الأفريقي.

نخرت م وهي تدفع شعرها الأشقر على كتفيها:

- تقليد؟ سننتظر حتى تحضري المزيد من الوسائد المصنوعة من جلد الحمار الوحشي.

- جلد الحمار الوحشي مقلّد أيضاً.

وابتسمت سيلفيا أوترسون كما تبتسم للأطفال حين تخبرهم أن القمر ليس مصنوعاً من الجبن.

قالت م وهي تبتسم بمرارة بشفتيها الحمراوين وتلف ذراعها حول ذراع آرف:

- حسناً، شكراً على أي حال.

لم يكن يحب فكرة م بالخروج والاستعراض أمام الناس، حتى إنه لم يحب قبضتها التي أحاطت بذراعه. قد تكون رأت انـزعاجه حين كانا في الخارج ومع ذلك لم تكترث. حدق بساعة يده:

- أوه... لدي اجتماع.

نظرت إليه باستغراب غير قادرة على إخفاء مدى استيائها:

- ألن نتغدى؟

- سأتصل بك ربما.

اتصلت به بعد ثلاثين دقيقة فقط منذ أن كان واقفاً على منصة سينتروم. وحين تلقى المكالمة كان جالساً في سيارة أجرة تسير خلف جرافة ثلج تجرف الثلج القذر إلى جانبـي الطريق.

- كنت جالسة أمامك مباشرة... شكراً على المحاضرة.

صرخ بابتهاج رافعاً صوته فوق صوت كشط الحديد على الأسفلت:

- أتمنى أن لا تكون نظراتي مفضوحة.

ضحكت ضحكة مكبوتة.

فسألها:

- ألديك أي خطط للمساء؟

- حسناً... ما من شيء لا يمكن تغييره...

صوت جميل... كلمات جميلة.

أمضى باقي الأمسية وهو يفكر فيها. كان يفكر أن الانتظار هو الجزء الأفضل.

في تمام الساعة الثامنة رن الجرس في الأسفل. كان في الصالة، وسمع صدى الطقطقة الميكانيكية للمصعد كسلاح يتم حشوه... نغمة دندنة

ارتفعت.

كانت هناك واقفة... فأحس وكأن أحداً ما قد صفعه.

- من أنت؟

قالت بينما ظهرت تعابير الدهشة على وجهها الباسم البدين:

- ستين. لقد اتصلت...

تفحصها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، ورفض الفكرة.

- آسف، لكنني لم أتمكن من الاتصال بك. لقد تم استدعائي لاجتماع.

قالت وهي غير قادرة على إخفاء استيائها:

- اجتماع؟!

- إنه اجتماع طارئ. ربما سأتصل بك.

وقف في الممر، وسمع صوت باب المصعد في الخارج يفتح ثم يغلق، وبعدها بدأ بالضحك. ضحك حتى أدرك أنه قد لا يرى المرأة الجميلة ذات الشعر الداكن في الصف الأول مجدداً.

رآها مجدداً بعد ساعة... بعد أن تناول الغداء بمفرده في مطعم، واشترى بذلة من عند كاميكيز ارتداها على الفور، ومشى مرتين أمام متجر الذوق الأفريقي الذي كان في الظل بعيداً عن الشمس الحارقة. وفي المرة الثالثة دخل.

ابتسمت سيلفيا أوترسون:

- لقد عدت سريعاً؟

كانت وحيدة في المتجر البارد والمظلم.

- أحببت الوسائد.

قالت وهي تربت على تقليد جلد التيتل الأفريقي:

- نعم، إنها أنيقة.

- ألديك شيء آخر يمكنك أن تريني إياه؟

وضعت يدها على وركها وأمالت رأسها... ففكر أنها تعرف... يمكنها أن تشم.

- هذا يعتمد على ما تريد أن تراه.

كانت النساء العاديات من النوع غير الجذاب يشعرنه بالإثارة بين الفينة والأخرى.

قالت له وهو يغادر:

- يأتي زوجي إلى المتجر أيام الثلاثاء والأربعاء... ما رأيك بيوم الخميس؟

أجاب وهو ينظر أن بذلته من كاميكيز:

- ربما.

كان الثلج يطير على شكل دوامة بين مباني المكاتب في أكير بريغ حين اتصلت بيرت.

قالت إنها افترضت أنه أعطاها بطاقة عمله لتتصل به.

كان آرف ستوب يسأل نفسه أحياناً عن سبب التقائه أولئك النساء وعن سبب قيامه بتلك الأمور التي لم تكن أكثر من طقوس شعائرية للاستسلام. ألم يكتف من النـزاعات في حياته؟ أهو الخوف من التقدم بالعمر؟ أكان يعتقد أنه بذلك سيسرق شيئاً من شبابهن؟ ولم العجلة والسرعة المحمومة؟ ربما بسبب تيقنه من المرض الذي يحمله، ولمعرفته أنه بعد فترة ليست بالطويلة لن يكون الرجل الذي كان عليه. لم تكن لديه الإجابات... وما الذي كان سيفعله بها بكل الأحوال؟

حذرهما الجرس فوق الباب الأمامي أن أحداً ما في طريقه إلى متجر الذوق الأفريقي. حاول تحرير نفسه، لكن سيلفيا أوترسون كشرت. حرر آرف ستوب نفسه بقوة، وأسرع إلى رفوف الزخارف مديراً ظهره للغرفة، وسمع من ورائه صوت رجل يعتذر عن التأخير؛ فقد كان من الصعب عليه إيجاد مكان لركن السيارة، ثم سمع صوت سيلفيا الحاد وهي تقول له إنه كان عليه معرفة ذلك؛ فقد انتهت العطلة الصيفية وعليها لقاء أختها وقد تأخرت وعليه الاهتمام بالزبون.

سمع آرف ستوب صوت الرجل من ورائه:

- أتحتاج لأي مساعدة؟

التفت نحو الخلف فرأى هيكلاً عظمياً بعينين كبيرتين جداً وراء نظارة ذات عدستين كبيرتين وقميص قطني ورقبة ذكرته باللقلق.

نظر إلى الرجل، ولمح سيلفيا تخرج من الباب وطرف تنورتها مرفوع، فخطر بباله أنها كانت تعرف هذه الحقيقة المفزعة؛ وهي أن زوجها سيأتي الآن... لقد أرادته أن يراهما.

- لا، شكراً... حصلت على ما جئت من أجله.

وتوجه إلى الباب.

كان آرف ستوب يفكر بين الحين والآخر كيف ستكون ردة فعله لو أخبره أحدهم أن إحدى النساء قد حملت منه... هل سيصر على الإجهاض أو أن الطفل ينبغي أن يولد. الشيء الوحيد الذي كان متأكداً منه تماماً هو أنه سيصر على أحد الخيارين؛ إذ لم يكن من طبعه ترك القرار للآخرين.

لقد أخبرته بيرت بيكر أنهما ليسا بحاجة إلى استخدام موانع الحمل لأنها لا تنجب. لكنها حين جاءته بعد ثلاثة أشهر وستة لقاءات بينهما وأعلمته بتوهج مبتهج أنها تمكنت من الحمل عرف على الفور أنها ستحتفظ بالطفل، فكانت ردة فعله الذعر والإصرار على الخيار البديل.

- أعرف أفضل الأطباء في سويسرا... لن يعلم أحد.
- هذه هي فرصتي الوحيدة لأصبح أماً يا آرف. يقول الطبيب إنها أعجوبة قد لا تتكرر أبداً.
- إذاً، لا أريد أن أراك لا أنت ولا طفلك. أتسمعينني؟
- يحتاج الطفل لأب يا آرف ولبيت آمن.
- ولن تجدي أياً من هذين الأمرين هنا... أنا أحمل مرضاً وراثياً خطيراً... أتفهمين؟

فهمت بيرت بيكر. وبما أنها كانت فتاة بسيطة ولكن سريعة البديهة لديها أب سكير وأم عصبية فقد كانت معتادة منذ سنواتها الأولى على التغلب على المصاعب بنفسها، لذا قامت بما عليها فعله ووجدت لطفلها أباً وبيتاً آمناً.

لم يصدق فيليب بيكر حين قامت هذه المرأة الجميلة التي لطالما تودد إليها بتصميم لكن دون جدوى بالاستسلام وإقناع قلبها فجأة على الخضوع له. وبما أنه لم يصدق الأمر فقد بدأت بذور الشك بالظهور. وفي لحظة إعلانها حملها منه- بعد أسبوع واحد من استسلامها له- تجذرت البذور أكثر.

حين اتصلت بيرت بآرف لتقول إن جوناس قد ولد وكان صورة عنه، وقف آرف ملصقاً أذنه بسماعة الهاتف ومحدقاً في الهواء، ثم طلب منها صورة فأرسلتها له بالبريد. وبعد أسبوعين، كانت جالسة كما اتفقا في مقهى حاملة جوناس في حضنها، ومرتدية خاتم زواج في إصبعها، بينما جلس آرف ستوب على طاولة أخرى يتظاهر بقراءة صحيفة.

في تلك الليلة، تقلب في فراشه بقلق وهو يفكر بالمرض.

ينبغي الاهتمام به بحذر عند طبيب يمكنه الثقة به لإبقاء فمه مغلقاً. باختصار، ينبغي أن يكون الطبيب الأحمق الضعيف والخنوع من نادي الكرلنغ: إيدار فيتليسين.

اتصل بإيدار الذي كان يعمل في عيادة مارينليست فوافق الأحمق على العمل وعلى النقود وسافر على نفقة ستوب إلى جنيف حيث يجتمع أبرز خبراء متلازمة فاهر في العالم لحضور دورة، وذكر أحدث النتائج المحبطة من أبحاثهم.

لم يظهر أول اختبار خضع له جوناس أي شيء خاطئ. لكن، على الرغم من تأكيد فيتليسين أن الأعراض لا تظهر للضوء عادة قبل البلوغ- كما أن آرف ستوب لم تظهر عليه أي أعراض حتى سن الأربعين- لكن ستوب أصر على إعادة فحص الصبـي مرة سنوياً.

مرت سنتان على رؤيته سيلفيا أوترسون وهي تخرج من المتجر ومن حياته، ولم يكن قد اتصل بها مجدداً ولا هي اتصلت به... حتى الآن. حين اتصلت، قال لها على الفور إنه في طريقه إلى اجتماع طارئ لكنها ذكرت الرسالة باختصار، فقد أخبرته أن لديها توأماً يظن زوجها أنهما ابنتاه، وأنهم بحاجة لمستثمر لطيف لمساعدة متجر الذوق الأفريقي على البقاء مفتوحاً.

كان من عادة آرف أن يستجيب للأخبار السيئة بالنكات فقال:

- أعتقد أنني حقنت ما يكفي في هذا المتجر.

- يمكنني من جهة أخرى أن أجمع المال بالذهاب إلى مجلة سي غو هور ، فهم بالتأكيد سيحبون قصة أن والد طفلتيّ من المشاهير، وغيرها... أليس كذلك؟

- خدعة سيئة... لديك الكثير لتخسريه بفعل هذا.

- لقد تغير الوضع. سأترك رولف في حال توفر لدي المال الكافي لطرده من المتجر. المشكلة في المتجر هي موقعه، لذا سأشترط على مجلة سي غو هور أن تنشر صوراً للمكان للحصول على بعض الشعبية. أتعلم كم عدد الناس الذين يقرأون المجلة؟

كان آرف ستوب يعرف... سدس الأشخاص البالغين النروجيين. لم يكن يعارض فضيحة باهرة بين الفينة والأخرى، لكن أن يبدو كشخص مراوغ يستغل شهرته مع امرأة متزوجة بريئة بهذا الأسلوب الجبان أمر آخر. فعندها، ستتلطخ صورة آرف ستوب المستقيم والشجاع، وسيتم النظر إلى الاهتياجات الأخلاقية الناقمة لمجلة ليبيرال على أنها منافقة، كما أنها ليست

جذابة... هذا ليس جيداً... ليس جيداً على الإطلاق.

- ما هو مبلغ المال الذي تريدينه؟

عند وصولهما لاتفاق، اتصل بإيدار فيتليسين في عيادة مارينليست، وأخبره أنه ستكون لديه مريضتان جديدتان، ورتبا للقيام بما يقومان به لجوناس... أولاً إجراء اختبار الحمض النووي للتوأم وإرساله إلى مركز الطب الشرعي لتأكيد الأبوة، ثم التحقق من وجود أعراض للمرض الذي لا يمكن ذكره.

بعد أن أنهى الاتصال، استرخى آرف ستوب على الكرسي الجلدي، ورأى الشمس تشرق على قمم الأشجار في بيغدوي وعلى شبه جزيرة سناروبا وهو يعلم أن عليه الشعور بالاكتئاب. لكنه لم يشعر بذلك، وإنما شعر بالإثارة والسعادة.

كانت الذكريات البعيدة للسعادة التي شعر بها حينها أول شيء خطر ببال آرف ستوب حين اتصل به إيدار فيتليسين ليخبره أن الصحف تزعم أن المرأة مقطوعة الرأس في سوليهوغدا هي سيلفيا أوترسون.

قال فيتليسين:

- أولاً، اختفت أم جوناس بيكر، والآن وجدوا أم التوأم مقتولة. لست بارعاً في حساب الاحتمالات، لكن علينا الذهاب إلى الشرطة يا آرف. إنهم قادرون على إيجاد صلة.

خلال السنوات الأخيرة عمل فيتليسين على تحسين مظهر المشاهير، لكنه بقي في عيني آرف ستوب مجرد أحمق خنوع.

- لا، لن نذهب للشرطة.
- حقاً؟! إذاً عليك أن تعطيني سبباً مقنعاً.
- حسناً. ما المبلغ الذي تريده؟
- آرف، أنا لا أحاول ابتزازك، لكن لا يمكنني...
- كم تريد...
- توقف. ألديك حجة غياب أو لا؟
- ليست لدي حجة غياب، لكن لدي الكثير من المال. أخبرني كم صفراً تريد وسأفكر في الأمر.
- إن لم يكن لديك ما تخفيه يا آرف...
- بالطبع لدي ما أخفيه أيها المعتوه! أتعتقد أنني أريد أن أظهر كمعتدٍ على الزوجات ومشتبه به بجريمة قتل؟ علينا أن نلتقي ونناقش

هذا.

سأله هاري هول:

- وهل التقيتما؟

هز آرف ستوب رأسه بالنفي. كان بإمكانه أن يرى خارج نافذة غرفة النوم بزوغ الفجر، لكن الخليج لا يزال أسود.

- لم يتسنَّ لنا الوقت قبل أن يموت.

- لم لم تخبرني أيًّا من هذا حين أتيت إلى هنا أول مرة؟

- أليس ذلك واضحاً؟ لا أعرف أي شيء ذي قيمة للشرطة فلماذا أتدخل؟ ولا تنسَ أن لدي اسماً علي الاهتمام به، فاسمي هو رأس المال الوحيد لمجلة ليبيرال .

- أذكر أنك قلت إن رأس مالك الوحيد هو نـزاهتك الشخصية.

هز ستوب كتفيه باستياء:

- النـزاهة والاسم... إنهما شيء واحد.

- إذاً، إن بدا شيء كنـزاهة فهو نـزاهة؟

حدق ستوب إلى هاري بتحفظ:

- هذا ما يحقق المبيعات لمجلة ليبيرال . إن أحس الناس أنهم حصلوا على الحقيقة فإنهم يشعرون بالرضا.

حدق هاري في ساعة يده:

- حسناً. وهل تظن أنني أشعر بالرضا الآن؟

لم يجب آرف ستوب.

28 - اليوم العشرون

مرض

قاد بيورن هولم السيارة بهاري وأوصله من أكير بريغ إلى مركز الشرطة، بينما ارتدى المحقق ثيابه المبللة وأصدر الجلد الصناعي أصواتاً وهو يتحرك.

قال بيورن:

- هاجمت فرقة دلتا شقتها منذ عشرين دقيقة لكنها لم تكن هناك. لقد تركوا ثلاثة حراس عند الباب.

- لن تعود.

في مكتبه في الطابق السادس، ارتدى هاري بذلة الشرطة المعلقة على مشجب المعاطف التي لم يرتديها منذ جنازة جاك هالفورسن. شاهد نفسه في المرآة بينما تدلت السترة عليه.

تم إعلام غونار هاغن بما حصل، فأتى إلى المكتب فوراً، وجلس وراء مكتبه ليستمع لملخص هاري المليء بالأحداث التي جعلته ينسى أن يظهر استياءه من بذلة المحقق المجعدة.

كرر هاغن ببطء كما لو أن قول ذلك بصوت مرتفع يجعله أكثر وضوحاً:

- كاترين برات هي رجل الثلج.

هز هاري رأسه.

- وهل تصدق ستوب؟

قال هاري:

- نعم.

- أيمكن لأحد أن يؤيد قصته؟

- جميعهم موتى... بيرت، وسيلفيا، وإيدار فيتليسين. كان من الممكن أن يكون رجل الثلج، وهذا ما أرادت كاترين برات أن تعرفه.

- كاترين؟ لكنك تقول إنها رجل الثلج. لم...؟

- أنا أقول إنها أرادت أن تعرف إن كان من الممكن أن يكون رجل الثلج. لقد أرادت أن تجد كبش فداء. قال ستوب إنه حين قال لها إنه ليست لديه حجة غياب في أوقات ارتكاب الجرائم فقد قالت "جيد"، وأخبرته أنه تم تعيينه على أنه رجل الثلج، ثم بدأت بخنقه إلى أن سمعت صوت اصطدام السيارة بالبوابة الأمامية وأدركت أننا على الطريق

فهربت. كانت الخطة ربما أن نعثر على ستوب ميتاً في الشقة، وأن يبدو الأمر كما لو أنه شنق نفسه، وهكذا نرتاح ونحن نظن أننا وجدنا الطرف المذنب؛ كما حصل حين قتلت إيدار فيتليسين وحين حاولت إطلاق الرصاص على فيليب بيكر أثناء اعتقاله.

- ماذا؟ هل حاولت...؟

- كانت مصوبة مسدسها إليه بعد أن سحبت المطرقة للوراء، ثم سمعتها تحرر المطرقة بعد أن وضعت نفسي في خط النار.

أغمض غونار هاغن عينيه، ودلّك صدغيه بأطراف أصابعه:

- أسمعك. لكن في الوقت الحالي هذه كلها توقعات ياهاري.

- وهناك الرسالة أيضاً.

- الرسالة؟

- من رجل الثلج. وجدت الملف على جهاز حاسبها في المنـزل بتاريخ يسبق معرفة أي منا أي شيء عن رجل الثلج، وكذلك وجدت ورقة مماثلة في الطابعة.

ضرب هاغن بمرفقه على المكتب وغطى وجهه بيديه:

- لقد وظفنا المرأة هنا! أتعلم ما الذي يعنيه هذا ياهاري؟

- حسناً، فضيحة كبيرة، وفقدان الثقة في كامل رجال الشرطة، وسيؤثر الأمر على أصحاب الرتب العالية.

نظر هاغن إلى هاري:

- شكراً على صراحتك.

- لا شكر على واجب.

- سأستدعي رئيس الشرطة والمدير. في الوقت الحالي، أريدك أنت وبيورن هولم أن تبقيا الأمر بينكما. ماذا عن آرف ستوب؟ هل سيفشي السر؟

- أبداً أيها المدير. لقد نفدت منه.

- ما التي نفدت منه؟

- النـزاهة.

كانت الساعة هي العاشرة، ومن نافذة مكتبه شاهد هاري ضوء النهار الشاحب والمتردد يستقر على الأسطح في منطقة غرونلاند الهادئة في يوم الأحد. كانت قد مرت أكثر من ست ساعات على اختفاء كاترين برات من شقة ستوب، لكن البحث لم يثمر حتى الآن. بالطبع من الممكن أنها لا

تزال في أوسلو، لكنها إن كانت مستعدة لانسحاب تكتيكي فربما تكون قد أصبحت بعيدة وراء التلال. لم يكن لدى هاري أدنى شك في أنها قامت بتحضيرات.

كما لم يكن لديه أي شك الآن في أنها رجل الثلج.

أولاً، هناك الدليل... الرسالة ومحاولات القتل؛ وقد أكد كل ذلك شعوره أنه مراقب عن قرب، وأن أحداً ما قد اقتحم حياته، بالإضافة إلى قصاصات الصحف على الجدار والتقارير. كانت كاترين تريد معرفته جيداً لتتمكن من توقع حركاته التالية، ولتتمكن من استخدامه في لعبتها. الآن، أصبحت فيروساً في دمه... جاسوساً في رأسه.

سمع صوت أحد يدخل لكنه لم يلتفت.

قال سكار:

- لقد تتبعنا هاتفها المحمول. إنها في السويد.

- آه!

- يقول مركز العمليات في شركة تيلينور إن الشارة تتجه جنوباً، والموقع والسرعة يتوافقان مع قطار كوبنهاغن الذي غادر من محطة أوسلو المركزية في تمام السابعة وخمس دقائق. تكلمت مع الشرطة في هلسينبورغ، وطلبوا طلباً رسمياً لكي يقوموا باعتقالها... من المفترض أن يصل القطار إلى هناك خلال نصف ساعة. ماذا نفعل؟

هز هاري رأسه ببطء كما لو كان يهزه لنفسه. حلق نورس نحو الأعلى قبل أن يغير اتجاهه وينـزل إلى الأشجار في المنتزه... ربما وجد شيئاً ما... أو غير رأيه كما يفعل البشر. محطة أوسلو الساعة السابعة صباحاً.

- هاري؟ قد تتجه إلى الدنمارك ما لم...

قال هاري وهو يدور بكرسيه ويمسك سترته المعلقة على المشجب بحركة سريعة:

- اطلب من هاغن أن يتكلم مع هلسينبورغ.

وشاهد سكار بذهول المحقق وهو يمشي بسرعة في الممر بخطوات طويلة وثابتة.

نظر الشرطي أورو في مخازن مركز الشرطة إلى المحقق ذي الرأس الحليق بذهول واضح وكرر:

- غاز، أليس كذلك؟

قال هاري:

- وقذيفتان وصندوق طلقات للمسدس.

عرج الشرطي باتجاه المخزن وهو يتلفظ بشتائم... الجميع يعلمون أن هول هذا مجنون. لكن، غاز مسيل للدموع؟! لو كان أحد آخر من المركز من طلب ذلك لظن أنها لليلة حفلة سمر مع الأصدقاء. لكنه سمع أن هول ليس لديه أي أصدقاء؛ على الأقل في الشرطة.

سعل المحقق حين عاد أورو:

- هل طلبت كاترين برات من فرقة مكافحة الجرائم أي أسلحة من هنا؟

- المرأة من مركز شرطة بيرغن؟ فقط المنصوص عليها في كتاب القواعد.

- وما الذي يقوله كتاب القواعد؟

- تعيد جميع الأسلحة والطلقات غير المستخدمة لمركز الشرطة القديم عند مغادرته، وتطلب مسدساً جديداً وصندوقين من الطلقات من المركز الجديد.

- إذاً، لا يوجد معها شيء أثقل من مسدس؟

هز أورو رأسه بالنفي مرتبكاً.

- شكراً.

وضع هول الذخيرة في حقيبة سوداء إلى جانب القذيفتين الأسطوانيتين الخضراوين المحتويتين على الغاز المسيل للدموع ذي الرائحة النفاذة الذي ابتكره كورسو وستافتون عام 1928.

لم يجب الشرطي، ولا حتى حين استلم توقيع هول على الاستلام وتمتم:

- أتمنى لك يوم أحد هادئاً.

كان هاري جالساً في غرفة الانتظار في مشفى أوليفال ويضع الحقيبة السوداء بجواره، بينما فاحت رائحة العجائز والموت البطيء في المشفى. كانت هناك مريضة تجلس مقابله وتحدق به كما لو أنها تحدق بشخص غير موجود... شخص عرفته... عاشق لم يتبلور... ابن ظنت أنها تعرفت عليه.

تنهد هاري ونظر إلى ساعة يده وهو يتخيل الشرطة تهاجم القطار في هلسينبرغ. لقد تم الطلب من قائد القطار إيقاف القطار قبل كيلومتر من المحطة، بينما توزع رجال الشرطة المسلحون على جانبي السكة ووقفوا بجوار الكلاب. كان ينبغي تفتيش القطار بشكل كامل؛ العربات والمقصورات

والحمامات.. لا بدّ أن المسافرين مرعوبون من رؤية الشرطة المسلحة؛ وهو مشهد غير مألوف في بلاد الأحلام الاسكندنافية... بينما أيادي النساء تبحث عن بطاقات تعريفهن التي طلبها رجال الشرطة...الأكتاف المحدبة لرجال الشرطة... العصبية... والتوقع... نفاد صبرهم... شكهم... توترهم... وخيبة أملهم في النهاية، ويأسهم لأنهم لم يجدوا من يبحثون عنها. وفي النهاية إن كانوا محظوظين وكفوئين فسيجدون مصدر الإشارة التي التقطتها المحطة- هاتف كاترين برات المحمول- في الحمام، وسيطلقون الشتائم.

ظهر أمامه وجه باسم:

- يمكنك رؤيته الآن.

تبع هاري طقطقة الحذاء، والممرضة المفعمة بالنشاط حتى فتحت الباب:

- لكن، لا تطل الزيارة فهو بحاجة إلى الراحة.

كان شتال أون مستلقياً على السرير في الغرفة الخاصة، بينما كان وجهه المستدير والمليء بالعروق الحمراء غائراً وشاحباً ويكاد يصبح بلون وجه الوسادة. وكان هناك شعر رقيق كشعر الطفل على جبهته التي أكّدت أنه يبلغ من العمر ستين عاماً. ولولا العينين الحادتين والمرحتين لظن هاري أنه كان ينظر إلى جثة عالم نفس فرقة مكافحة الجرائم والمستشار الشخصي لهاري.

- هاري، تبدو كهيكل عظمي. هل أنت بخير؟

كان على هاري الابتسام بينما جلس أون مكشراً.

قال هاري وهو يجر كرسياً إلى جانب السرير:

- أعتذر على عدم زيارتك من قبل. كل ما في الأمر أن المشفى. لا أعرف.

- المشفى يذكرك بأمك حين كنت صبياً... هذا جيد.

هز هاري رأسه وحدق بيديه:

- هل يعاملونك بشكل جيد؟

- هذا السؤال تسأله حين تزور أحداً في السجن ياهاري وليس في المشفى.

هز هاري رأسه مجدداً.

تنهد شتال أون:

- أعلم أنك قلق عليّ ياهاري، لكنني أعرفك جيداً أيضاً. وأنا أعلم أن هذه ليست زيارة مجاملة... هيا، أخبرني.

- يمكن للأمر أن ينتظر. لقد قالوا إنك لست على ما يرام.

- كون الأمر على ما يرام أمر نسبي. ونسبياً، أنا على ما يرام بشكل رائع مقارنة مع ما كنت عليه البارحة. أعني أنه لا ينبغي عليك أن تراني البارحة.

ابتسم هاري وهو ينظر إلى يديه.

- أهو رجل الثلج؟

هز هاري رأسه.

- وأخيراً، لقد مللت هنا... هيا، أخبرني.

تنفس هاري بعمق ثم أخبره بملخص عن كل ما حدث في القضية، محاولاً حذف المعلومات المملة، غير ذات الصلة من دون استبعاد التفاصيل الأساسية. قاطعه أون بضع مرات فحسب بأسئلة بليغة، وبقي في ما تبقى من الوقت يستمع بصمت وتعابير مركزة وشبه مذهولة تبدو على وجهه. وحين أنهى هاري كلامه، بدا كما لو أن الرجل المريض قد انتعش؛ حيث عاد اللون لوجنتيه وجلس مستقيماً على السرير.

- هذا مثير للاهتمام، لكنك تعلم الآن الشخص المذنب. لذا، لِمَ أتيت إلي؟

- هذه المرأة مجنونة... أليس كذلك؟

- الناس الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم مجانين بلا استثناء، لكن ليس بالضرورة من الناحية الإجرامية.

- لكن هناك شيئاً أو اثنين لا أفهمهما عنها.

- هناك شيء أو اثنان أفهمهما عن الناس. وهكذا، فإنك عالم نفس أفضل مني.

- كانت في التاسعة عشرة من العمر حين قتلت المرأتان في بيرغن، وكذلك غيرت رافتو. كيف يمكن لشخص مجنون لهذه الدرجة أن يجتاز الاختبارات النفسية لدخول كلية الشرطة ويعمل طوال هذه السنوات من دون أن يشك به أحد؟

- سؤال جيد... قد تكون حالة مختلطة.

- حالة مختلطة؟!

- شخص لديه القليل من كل شيء. ربما كانت فصامية بما يكفي لتسمع أصواتاً، لكنها قادرة على إخفاء مرضها عمّن حولها. وربما كانت مصابة بوسواس قهري ممزوج مع بعض الارتياب الذي ينتج الأوهام حول الوضع الذي تعيشه، وما عليها فعله للهروب؛ لكن العالم الخارجي ينظر

إليه ببساطة كنوع من التكتم. فالغضب الوحشي الذي يصدر أثناء ارتكاب الجرائم التي تصفها ينطبق مع شخصية غير ثابتة لكنها قادرة على التحكم بغضبها.

- أي إنه ليست لديك فكرة؟

ضحك أون لتتحول ضحكته لاحقاً إلى نوبة سعال.

- آسف ياهاري، فمعظم الحالات هكذا. في علم النفس وضعنا عدداً من الحظائر التي يرفض قطيعنا دخولها. فبعض الناس مجرد مخلوقات مضطربة ذهنياً وجاحدة ووقحة. فكر بكل الأبحاث التي أجريناها لأجلهم.

- هناك شيء آخر. حين عثرنا على جثة غيرت رافتو كانت خائفة جداً... أعني أنها لم تكن تمثل. يمكنني رؤية الصدمة ومعرفتها؛ حيث بقيت حدقتا عينيها متسعتين وداكنتين؛ حتى حين أضأت المصباح في وجهها مباشرة.

رفع أون نفسه:

- آه! هذا مثير للاهتمام. لماذا أضأت المصباح في وجهها؟ هل كنت تشك بشيء منذ ذلك الحين؟

لم يرد هاري.

- قد تكون محقاً ياهاري، فقد تكون كبتت جرائم القتل؛ وهذا أمر ليس بالغريب. لقد أخبرتني أنها قدمت مساعدات جمة في التحقيق ولم تخربه! هذا قد يوحي أن لديها شكوكاً حول نفسها، ورغبة حقيقية بالكشف عن الحقيقة. ما الذي تعرفه عن المشي أثناء النوم؟

- أعرف أنه بإمكان بعض الناس المشي في نومهم والحديث في نومهم وتناول الطعام وارتداء الملابس وحتى الخروج من البيت وقيادة السيارة في نومهم.

- صحيح. قام قائد الأوركسترا هاري روزنثال بقيادة سيمفونيات كاملة في نومه، كما وقعت خمس جرائم قتل على الأقل تمت فيها تبرئة الجناة لأن المحكمة توصلت إلى أن القاتل لديه اضطرابات في النوم، أي إنه يعاني من اضطراب في نومه. هناك رجل في كندا قام منذ عدة سنوات بالنهوض من فراشه، وقيادة سيارته لأكثر من عشرين كيلومتراً، وركنها ثم قتل والدة زوجته التي كان على علاقة ممتازة معها، وكاد يخنق والد زوجته، ثم قاد السيارة عائداً إلى البيت ونام على سريره، وقد تمت تبرئته.

- أتعني أنها قد تكون قَتَلَت خلال نومها؟ أي أنها مصابة باضطراب النوم؟

- إنه تشخيص يثير الكثير من الجدل. لكن، تخيل شخصاً يمر على

نحو منتظم بحالة من السبات، وبالتالي غير قادر على تذكر ما فعله بوضوح؛ شخصاً لديه صور مشوشة ومجزأة للأحداث كما لو أنها حلم.

- ممم.

- وافترض أن هذه المرأة بدأت أثناء التحقيق بإدراك ما فعلته.

هز هاري رأسه ببطء:

- وتدرك أنها لكي تنجو عليها أن تجد كبش فداء.

قال شتال أون:

- هذا محتمل. في كل الأحوال، كل الأمور محتملة طالما أننا نتكلم عن النفس البشرية. المشكلة هي أننا لا نستطيع رؤية الاضطراب الذي نتكلم عنه، وعلينا الافتراض أنه موجود بناء على الأعراض.

- كالفطور.

- ماذا؟

- ما الذي يجعل شخصاً كهذه المرأة مريضاً نفسياً لهذه الدرجة؟

تنهد أون:

- كل ما في الوجود! ولا شيء! الطبيعة والتربية.

- أب عنيف مدمن مثلاً؟

- نعم نعم نعم... هذه الفكرة تحصل على تسعين درجة بالإضافة إلى أم بماضٍ مع مرض نفسي وتجربة قاسية أو تجربتين خلال مرحلة الطفولة وستصل للمائة.

- هل يبدو من المحتمل أنها إن أصبحت أقوى من والدها العنيف المدمن فإنها ستحاول إيذاءه؟ أو قتله؟

- هذا غير مستبعد على الإطلاق. أتذكر شخـ...

صمت شتال أون في منتصف الكلمة، وحدق في هاري، ثم انحنى للأمام وهمس بينما تراقص توهج غريب في عينيه:

- هل تقول ما أظن أنك تقوله؟

تفحص هاري هول أظفاره:

- لقد حصلت على صورة الشرطي المقتول في مركز شرطة بيرغن، وقد فاجأني أن هناك شيئاً مألوفاً جداً فيه كما لو أنني قابلته من قبل، وقد فهمت السبب للتو... كان الشبه العائلي؛ فقبل أن تتزوج كاترين برات كان لقبها رافتو. كان غيرت رافتو والدها.

في طريقه إلى قطار المطار السريع تلقى هاري اتصالاً من سكار... لقد

كان مخطئاً. لم يجدوا هاتفها المحمول في الحمام، وإنما كان فوق حامل الأمتعة في إحدى العربات.

بعد ثمانين دقيقة، كان محاطاً باللون الرمادي؛ حيث أعلن الطيار عن وجود غيوم منخفضة ومطر في بيرغن... كانت الرؤية معدومة. فكر هاري أنهم يطيرون معتمدين على الآلات فحسب.

فتح الباب الأمامي بعد ثوانٍ من ضغط توماس من وحدة الأشخاص المفقودين على جرس الباب فوق اللافتة المكتوبة عليها الأسماء التالية: أندريه وإيلي وتريغف كفال .

- الحمد لله على وصولكم بهذه السرعة.

ثم نظر الرجل الواقف أمام هيل خلفه وقال:

- أين الآخرون؟
- أتيت وحدي. ألم تسمع شيئاً عن زوجتك بعد؟

حدق الرجل الذي افترض هيل أنه أندريه كفال، والذي اتصل بمركز الشرطة فيه بذهول:

- لقد اختفت... لقد أخبرتك.
- نعلم، لكنهم يعودون عادةً.
- من هم؟

تنهد توماس هيل:

- أيمكنني الدخول سيد كفال. هذا المطر...
- آه، آسف... تفضل...

تنحى الرجل الذي كان في العقد الخامس من عمره جانباً ليلمح هيل في الظلام من ورائه شاباً داكن الشعر في العقد الثاني من العمر.

قرر توماس هيل القيام بعمله وهو واقف في الممر. لم يكن لديهم موظفون كافون للإجابة عن الاتصالات الهاتفية اليوم، فاليوم هو الأحد، ورجال الشرطة المناوبون يبحثون عن كاترين برات. كان الأمر محاطاً بالكتمان، لكن الشائعات انتشرت حول أنها قد تكون متورطة في قضية رجل الثلج.

سأل هيل وهو يستعد لتدوين الملاحظات:

- كيف اكتشفتما اختفاءها؟
- لقد عدت وتريغف للتو من رحلة تخييم في نوردماركا. لقد غبنا ليومين من دون هواتف محمولة وإنما مع صنانير صيد فحسب، فلم

نجدها هنا، ولم تترك أي رسائل، وكما قلت لك عبر الهاتف لم يكن الباب مقفلاً. إنها تقفله دائماً حتى لو كانت في البيت، فزوجتي امرأة قلقة. كما أنها لم تأخذ أياً من معاطفها ولا أحذيتها... فقط خفها... في هذا الطقس!

- هل اتصلتما بكل من تعرفه، بمن فيهم الجيران؟

- بالطبع، لكن لم يسمع أي أحد عنها شيئاً.

دوّن توماس هيل الملاحظات، بينما راوده شعور بالإدراك... زوجة وأم مفقودة.

- قلت إن زوجتك امرأة قلقة... فلمن عساها تفتح الباب؟ ولماذا قد تدخله؟

رأى الأب والابن يتبادلان النظرات.

قال الأب بثقة:

- ليس للكثير من الناس. لا بد أن يكون شخصاً تعرفه.

- أو شخصاً لم تشعر أنه يشكل أي تهديد لها كطفل أو امرأة.

هز أندريه كفال رأسه.

- أو شخصاً لديه سبب مقنع للدخول كموظف من شركة الكهرباء جاء لقراءة العداد مثلاً.

تردد الزوج:

- ربما.

- أرأيت أي شيء غير مألوف حول البيت؟

- غير مألوف؟ ما الذي تعنيه؟

عض هيل شفته السفلى وتأهب:

- شيئاً قد يشبه... رجل ثلج.

نظر أندريه كفال إلى ابنه الذي هز رأسه بالنفي متحجراً.

- فقط لنتمكن من استبعاد ذلك من تحرياتنا.

تمتم الابن شيئاً لأبيه بصوت منخفض.

سأل هيل:

- ماذا؟

- يقول إنه لم يعد هناك أي ثلج.

حشر هيل دفتر ملاحظاته في جيبه:

- لا، بالطبع لا. سأتصل بسيارات الدوريات، وفي حال لم تظهر بحلول المساء فسنكثف البحث. في تسع وتسعين من الحالات يعود الشخص المختفي إلى بيته في غضون هذه الفترة. هذه بطاقتي...

أحس هيل بيد أندريه على أعلى ذراعه.

- هناك شيء أريد أن أريك إياه أيها الضابط.

تبع توماس هيل كفال عبر باب في نهاية الصالة، ونـزلا سلماً يؤدي إلى القبو، ثم فتح باباً يؤدي إلى غرفة تفوح منها رائحة الصابون، وفيها ملابس معلقة لتجف. في الزاوية، كانت هناك مكواة ملابس قديمة بجانب غسالة إلكترولوكس قديمة، بينما انحدرت الأرض الحجرية إلى بالوعة في الوسط. كانت الأرض مبللة، وهناك ماء على الجدار، كما لو أن الأرض مغسولة بمياه تدفقت من الخرطوم الأخضر المرمي هناك. لم يكن ذلك ما أثار اهتمام توماس هيل، وإنما الثوب المعلق على حبل الغسيل والمثبت بملقط غسيل من كل كتف... أو بدقة أكبر، ما تبقى منه. فقد كان مقصوصاً من تحت الصدر وحوافه مثنية وسوداء مع خيوط قطنية مجعدة.

29 - اليوم العشرون

غاز مسيل للدموع

تسرب المطر عبر السماء متساقطاً فوق بيرغن التي اغتسلت بغسق المساء الأزرق. كان القارب الذي استأجره هاري جاهزاً إلى جانب الرصيف عند جسر بودفجورد حين توقفت سيارة الأجرة التي استقلها هاري خارج شركة تأجير القوارب.

كان القارب زورقاً فنلندياً بطول سبع وعشرين قدماً ويبدو بحالة جيدة.

قال هاري وهو يشير إلى الخريطة الملاحية:

- سأذهب للصيد. هل هناك أي صخور شبه مغمورة أو أي شيء ينبغي أن أعرفه قبل أن أتجه إلى هناك؟

قال موظف تأجير القوارب:

- جزيرة فينوي؟! خذ معك صنارة صيد مع ثقالة وغازل. لكن الصيد سيئ هناك.

- سأكتشف ذلك بمفردي أليس كذلك؟ كيف تشغل هذا الشيء؟

حين مر هاري من أمام رأس نوردنس في الظلام تمكن من رؤية التمثال الطوطمي بين الأشجار العارية في المنتزه. كان البحر مسطحاً تحت المطر الذي ضرب السطح وجعله يزبد. أقحم هاري الرافعة المجاورة للعجلة إلى الأمام، فارتفع القوس؛ حيث اضطر للرجوع خطوة للوراء لكي يتوازن، ثم انطلق القارب.

بعد ربع ساعة، سحب هاري الرافعة إلى الخلف، وتأرجح باتجاه رصيف ميناء على الجانب البعيد من فينوي في مكان مخفي بالنسبة إلى كوخ رافتو. رسا بالقارب، وأخذ صنارة الصيد واستمع إلى صوت المطر. لم يكن يتقن صيد السمك، فقد كان الغازل ثقيلاً، وعلق الخطاف بالقاع بينما سحب هاري الطحالب البحرية التي التفت حول الصنارة فيما كان يسحب. حرر الخطاف ونظفه، ثم حاول رمي الغازل في المياه مجدداً. لكن شيئاً في البكرة أقفل بينما تدلى الغازل على بعد عشرين سنتيمتراً تحت حافة الصنارة وهو يأبى الصعود أو النـزول. نظر هاري إلى ساعة يده... إن كان هناك أحد قد أخذ حذره لدى سماعه هدير محرك القارب، فلا بد أنه استرخى الآن، وصار بإمكانه تنفيذ مهمته قبل حلول الظلام. وضع الصنارة على المقعد، وفتح حقيبته مخرجاً المسدس، ثم فتح صندوق الطلقات

وأدخلها في الحجرة، وبعد ذلك حشر قذيفتي الغاز الشبيهتين بحافظة الحرارة في جيبه وتوجه إلى اليابسة.

استغرق خمس دقائق حتى وصل إلى قمة الجزيرة المهجورة ونـزل إلى الأكواخ المغطاة بألواح لحمايتها من مطر الشتاء على الجانب الآخر. كان كوخ رافتو أمامه مظلماً وموحشاً، فوجد مكاناً على صخرة على بعد عشرين متراً حصل منها على إطلالة على جميع الأبواب والنوافذ. كان المطر قد بدأ يتسلل عبر سترته العسكرية الخضراء منذ فترة. أخرج إحدى قذيفتي الغاز ونـزع مسمار الأمان... خلال خمس ثوان سيزول الصمام المزود بنابض وسيبدأ الغاز بالتسرب. ركض نحو الكوخ حاملاً القذيفة بيده الممدودة ورماها على النافذة محطماً الزجاج ومصدراً صوت طنين خفيفاً. تراجع هاري إلى الصخرة ورفع مسدسه، حيث كان بإمكانه بالرغم من المطر سماع صوت تسرب الغاز، ورؤية المكان في الداخل وهو يتحول للون الرمادي.

إن كانت هناك فلن تتمكن من التحمل لأكثر من بضع ثوانٍ.

صوب وانتظر وهو يثبت عينيه على الكوخ.

مرت دقيقتان من دون أن يحدث شيء.

انتظر هاري دقيقتين إضافيّتين.

ثم أعد القذيفة الثانية، ومشى باتجاه الكوخ رافعاً مسدسه، وجرب فتح الباب... كان مقفلاً، لكنه غير محكم، فخطا للوراء أربع خطوات ثم ركض.

انخلع الباب والمفصلات، واقتحم هاري الغرفة المليئة بالدخان بكتفه اليمنى، ليهاجم الغاز عينيه مباشرة. حبس هاري أنفاسه وهو يتحسس طريقه إلى باب القبو ويرفعه، ثم سحب مسمار الأمان عن القذيفة الثانية وتركها تسقط. بعدها، ركض إلى الخارج مجدداً، حيث وجد بركة مياه فسقط على ركبتيه، بينما سال المخاط من أنفه ودمعت عيناه، ثم وضع رأسه في الماء فاتحاً عينيه، وأنـزله للأسفل حتى ارتطم أنفه بالصخور. جرّب تغطيس رأسه في المياه الضحلة مرتين، ومع ذلك بقي أنفه وحنجرته يحرقانه كالنار، لكن عينيه ارتاحتا.

- هيا... هيا أيتها اللعينة!

لكن أحداً لم يخرج.

بعد ربع ساعة، توقف الدخان عن الخروج من الفتحة في اللوح الزجاجي، فعاد هاري إلى الكوخ، وفتح الباب، وسعل ثم ألقى نظرة أخيرة

في الداخل. أرض مكللة بالضباب... الطيران بالاعتماد على الآلات... تباً... تباً!

حين قفل عائداً إلى القارب كان الظلام حالكاً، فعرف أنه سيواجه مشاكل في الرؤية. حل المرساة وصعد على متن القارب وأمسك برافعة التشغيل لتخطر في باله فكرة... لم يكن قد نام منذ ست وثلاثين ساعة تقريباً، ولم يأكل منذ الصباح الباكر، وكان مبللاً بالكامل، وقد طار إلى بيرغن اللعينة من دون أي نتيجة. إن لم يعمل هذا المحرك من المحاولة الأولى فسيسبح حتى اليابسة، لكن المحرك عمل مصدراً زئيراً، ففكر هاري أنه أمر مخزٍ. وكان على وشك دفع الرافعة إلى الأمام حين رآها.

كانت واقفة أمامه مباشرة على الدرجات المؤدية إلى الرصيف، وهي تستند إلى إطار الباب بلا اكتراث، مرتدية كنـزة رمادية فوق ثوب أسود.

أمرته:

- ارفع يديك.

بدا الأمر طفولياً كما لو كان دعابة، لكن المسدس الأسود المصوب إليه لم يكن كذلك، ولا التهديد الذي تبعه:

- إن لم تفعل ما أمرك به فسأطلق النار على بطنك ياهاري مما سيدمر أعصاب ظهرك ويسبب لك الشلل، ثم سأطلق رصاصة في رأسك... لكن دعنا نبدأ بتلك في البطن...

أخفضت ماسورة المسدس.

ترك هاري العجلة والرافعة ورفع يديه للأعلى.

- ارجع للوراء لو سمحت.

صعدت السلم، وهنا فقط استطاع هاري أن يرى التوهج في عينيها. إنه التوهج نفسه الذي رآه حين اعتقلا بيكر... التوهج نفسه الذي رآه في فينريس، لكن الشرر الآن كان يتطاير من قزحيتيها. تراجع هاري إلى الوراء حتى شعر بالمقعد في الجزء الخلفي من القارب يضغط على ساقيه.

قالت كاترين وهي توقف عمل المحرك:

- اجلس.

رجع هاري نحو الخلف ليجلس على صنارة الصيد، ويشعر بالمياه على المقعد البلاستيكي تتسرب عبر سرواله.

سألته:

- كيف وجدتني؟

هز هاري كتفيه.

فقالت وهي ترفع المسدس:

- هيا، أرضِ فضولي ياهاري.

أجاب هاري:

- حسناً.

كان يحاول قراءة وجهها الشاحب، لكنه كان غامضاً؛ فوجه هذه المرأة لا يشبه وجه كاترين برات التي يعرفها أو كان يظن أنه يعرفها، ثم سمع نفسه يقول:

- لكل امرئ نمط سلوكي... خطة لعب.

- حسناً، وما هو نمطي؟

- الإشارة إلى اتجاه ثم الركض في الاتجاه الآخر.

- حقاً؟

أحس هاري بثقل المسدس في جيب سترته اليمنى، فرفع جانبه الأيمن، وأزال صنارة الصيد تاركاً يده اليمنى على المقعد.

- تكتبين رسالة توقعينها باسم رجل الثلج وترسلينها لي، ثم بعد بضعة أسابيع تأتين إلى مركز الشرطة. كان أول ما فعلته أنك قلت لي إن هاغن قال إن عليّ الاهتمام بك، لكن هاغن لم يقل ذلك قطّ.

- كل هذا صحيح حتى هذه النقطة. هل هناك شيء آخر؟

- رميت معطفك في القناة أمام شقة ستوب، وهربت في الاتجاه المعاكس من فوق السطح. وبالتالي، إن النمط حين تضعين هاتفك المحمول في قطار متجه للشرق أنك ستهربين للغرب.

- أحسنت... وكيف هربت؟

- ليس بالطائرة بالطبع، فقد كنت تعرفين أن مطار غاردرموين سيكون تحت المراقبة. أظن أنك وضعت هاتفك في محطة أوسلو المركزية قبل أن يغادر القطار مباشرة، وعبرت إلى محطة الحافلات، وركبت حافلة إلى الغرب في وقت باكر. كما أظن أنك قسمت الرحلة لمراحل مختلفة، واستمررت بتغيير الحافلات.

- قطار نوتودين، ثم حافلة بيرغن من هناك، وبعدها نـزلت في فوس واشتريت ملابس، ثم استقللت الحافلة إلى يتر آرنا، وبعدها الحافلة المحلية من هناك إلى بيرغن، ودفعت لصياد في زاشارياس ليوصلني إلى هنا. تخمين لا بأس به ياهاري.

- لم يكن صعباً جداً؛ فنحن متشابهان... أنا وأنت.

أمالت كاترين رأسها:

- إن كنت متأكداً لهذه الدرجة فلم أتيت وحدك؟
- لست وحدي. مولر نيلسن ورجاله في طريقهم بالقارب الآن.
ضحكت كاترين، بينما قرب هاري يده من جيب سترته.
- أوافقك الرأي أننا متشابهان ياهاري. لكن، حين يتعلق الأمر بالكذب فأنا أفضل منك.
بلع هاري لعابه. كانت يده باردة، وعلى أصابعه أن تمتثل:
- نعم، أنا متأكد من أن ذلك سهل عليك... كالقتل.
- حقاً؟! تبدو كما لو أن بإمكانك قتلي الآن. يدك تقترب بشكل منذر من جيب سترتك. قف واخلع سترتك ببطء وارمها لي.
شتم هاري في سره، لكنه امتثل لأوامرها، حيث سقطت سترته على الأرضية أمام كاترين مصدرةً صوتاً. ومن دون أن تبعد عينيها عن هاري أمسكتها ورمتها من المركب.
- حان الوقت لتشتري لنفسك سترة جديدة بكل الأحوال.
- أتعنين سترة تتناسب مع الجزرة في منتصف وجهي؟
رمشت كاترين مرتين، بينما رأى هاري ما يبدو أنه ارتباك في عينيها.
- اسمعي ياكاترين، لقد أتيت إلى هنا لمساعدتك. أنت بحاجة للمساعدة، فأنت مريضة ياكاترين. المرض هو ما دفعك للقتل.
بدأت كاترين بهز رأسها ببطء بينما أشارت إلى اليابسة.
- بقيت جالسة في مرفأ القوارب لساعتين؛ بانتظارك ياهاري، لأنني أعلم أنك ستأتي. لقد درستك ياهاري... أنت دائماً تجد ما تبحث عنه ولهذا اخترتك.
- اخترتني؟
- اخترتك للعثور على رجل الثلج، ولهذا أرسلت لك الرسالة.
- ألم تتمكني من العثور على رجل الثلج بنفسك؟ لم يكن عليك الذهاب بعيداً.
هزت رأسها:
- لقد حاولت ياهاري لسنوات عدة، حتى عرفت أنني لن أتمكن من القيام بذلك بنفسي... ينبغي أن تقوم أنت بذلك؛ فأنت الشخص الوحيد الذي نجح في القبض على قاتل متسلسل... أنا بحاجة إلى هاري هول.
ثم ابتسمت بحزن:
- سؤال أخير ياهاري... كيف أدركت أنني كنت أخدعك؟
كان هاري يتساءل كيف سينتهي ذلك... برصاصة في الجبهة؟ أم

أنشوطة القطع الكهربائية؟ أم رحلة في البحر ثم الموت غرقاً؟ بلع لعابه بصعوبة... كان ينبغي أن يشعر بالخوف الشديد لدرجة أن لا يعود قادراً على التفكير، ولدرجة أن يقع على المنصة وهو ينشج ويتوسل إليها لتتركه حياً... لكن، لِمَ لا يشعر هكذا؟ أهي الكبرياء؟ لقد تجرع الكبرياء مع الشراب ثم بصقها عدة مرات... قد يكون السبب هو تفكيره المنطقي الذي يعمل ويعلم أن الخوف لن يساعده، بل على العكس سيقصر حياته أكثر... ثم توصل في النهاية إلى أن السبب هو التعب... إرهاق شديد وشامل جعله يشعر كما لو أنه يريد الانتهاء من الأمر.

قال هاري وهو يلاحظ أنه لم يعد يشعر بالبرد:

- كنت أعرف في داخلي دائماً أن هذا قد بدأ منذ وقت طويل. كان أمراً مخططاً له بدقة؛ كما لو أن الشخص الذي يقف وراء كل ذلك قد تمكن من الوصول إلى أفكاري. ليس هناك الكثير من الناس المحيطين بـي لأختار منهم ياكاترين، وحين رأيت قصاصات الورق في شقتك عرفت أنه أنت.

رآها هاري ترمش بارتباك، بينما أحس بالشك يغزو أفكاره والمنطق الذي كان قد رآه بوضوح... أو هل كان واضحاً؟ ألم يكن الشك دائماً هناك؟ تحول الرذاذ الخفيف إلى طوفان، وبدأت المياه تتساقط على القارب. رأى فمها يفتح وأصابعها تلتف حول الزناد، فأمسك بصنارة الصيد التي بجانبه وحدق إلى ماسورة المسدس... هكذا سينتهي الأمر؛ في قارب في الغرب، ومن دون شهود أو أدلة. فجأة، قفزت صورة في رأسه... صورة أوليغ وحده.

عندها، رمى صنارة الصيد أمامه باتجاه كاترين، بمحاولة أخيرة يائسة ومثيرة للشفقة لقلب الموازين. أصاب الطرف الطري خد كاترين بشكل خفيف، لدرجة أنها بالكاد شعرت به، ولم تؤذها أو تزعجها الضربة. أما هاري فلم يتمكن من تذكر إن كان ما حدث مقصوداً أو شبه مقصود، أو إن كان مجرد ضربة حظ. فقد تسببت الحركة المتسارعة للغازل بالتفاف الخيط الذي يبلغ طوله عشرين سنتيمتراً حول رأسها؛ بطريقة جعلت الغازل يستمر بالدوران وضرب الأسنان الأمامية في فمها المفتوح. وحين شد هاري الصنارة، قام طرف الخطاف بأداء مهمته، حيث وجد اللحم وعلق بالزاوية اليمنى من فم كاترين برات. وكانت شدة هاري اليائسة عنيفة جداً، لدرجة أن رأس كاترين برات التوى إلى الوراء واليمين بقوة؛ حيث أحس كما لو أنه يفك رأسها عن جسدها. بعد تلكؤ بسيط، تبع جسدها رأسها

في دورانه؛ إلى اليمين في البداية، ثم اندفعت باتجاه هاري ووقعت على المنصة أمامه.

قفز هاري فوقها على ركبتيه اللتين ضربتاها على جانبي ترقوتها... وكان يعرف أنه قد ثبَّت ذراعيها.

أخذ المسدس من يدها المشلولة، وصوبه على إحدى عينيها... كان السلاح خفيفاً، وكان بإمكانه رؤية الحديد وهو يضغط على عينها الطرية، لكنها لم ترمش... بل على العكس، كانت تبتسم ابتسامة عريضة من زاوية فمها الممزقة وأسنانها الملطخة بالدم التي كان المطر يحاول غسلها.

30 - اليوم العشرون

كبش فداء

كان نوت مولر نيلسن واقفاً على المرفأ تحت جسر بودفجورد حين وصل هاري إلى مرفأ القوارب، فلحقه هو وشرطيان والطبيب النفسي الخاص بالشرطة إلى المنصة حيث كانت كاترين برات مستلقية ومقيدة بالأصفاد. أعطوها مهدئاً ونقلوها إلى السيارة التي كانت تقف منتظرة.

شكر مولر نيلسن هاري على الموافقة على التعامل مع الأمر بحكمة.

قال هاري وهو ينظر إلى الأعلى إلى السماء الممطرة:

- دعنا نحاول أن نبقي الأمر بيننا؛ لأن أوسلو ستطلب استلام القضية في حال شاع الأمر.

هز مولر نيلسن رأسه:

- بالطبع.

جاء صوت من ورائهم جعلهم يلتفتون:

- كجيرستي رودزموين... الطبيبة النفسية.

كانت المرأة التي تحدق إلى هاري في العقد الرابع من العمر، ذات شعر أشقر أشعث، ومرتدية سترة حمراء مشرقة كبيرة، وتحمل سيجارة بيدها. لم يبدُ عليها أنها انـزعجت من المطر الذي يبلل يدها وسيجارتها.

سألته:

- هل كان الأمر مثيراً.

أجاب هاري وهو يتحسس مسدس كاترين على بشرته تحت حزامه:

- لا، لقد استسلمت من دون أي مقاومة.

- ما الذي قالته؟

- لا شيء.

- لا شيء؟

- ما تشخيصك؟

قالت رودزموين من دون تردد:

- من الواضح أنها مريضة نفسياً، وهذا لا يعني ضمنياً أنها مجنونة بأي شكل من الأشكال. إنها طريقة العقل في تدبير ما لا يمكن تدبيره؛ تماماً كما يختار الذهن الغيبوبة حين يكون الألم شديداً. يمكنني التخمين أنها تعرضت لتوتر شديد ولفترات طويلة. أيمكن أن يكون هذا صحيحاً؟

هزّ هاري رأسه:

- هل ستتمكن من الكلام مجدداً؟

قالت كجيرستي رودزموين وهي تحدق إلى السيجارة المبللة والمحترقة:

- نعم. لكن، لا أعرف متى. إنها بحاجة إلى الراحة في الوقت الحالي.

زعق مولر نيلسن:

- الراحة؟! إنها قاتلة متسلسلة.

قالت رودزموين:

- وأنا طبيبة نفسية.

ثم رمت السيجارة، وغادرت باتجاه سيارة هوندا حمراء صغيرة بدت مغطاة بالغبار حتى تحت المطر المنهمر.

سأل مولر نيلسن:

- ماذا ستفعل؟

- سألحق بآخر طائرة لأعود إلى البيت.

- لا، تباً... تبدو كهيكل عظمي. هناك اتفاق بين المركز وفندق ريكا ترافل... يمكننا إيصالك بالسيارة إلى هناك، وإرسال بعض الملابس الجافة لك، كما أن لديهم مطعماً أيضاً.

ما إن قام هاري بتسجيل دخوله، ووقف أمام مرآة الحمام في الغرفة الفردية الضيقة حتى فكّر في ما قاله مولر نيلسن حول كونه يبدو كهيكل عظمي، وفي مدى قربه من الموت... أهذا صحيح؟ بعد الاستحمام وتناول الطعام في المطعم الفارغ، عاد إلى غرفته محاولاً النوم، لكنه لم يتمكن، فشغل التلفاز، غير أنه لم يجد سوى الترهات على جميع القنوات باستثناء القناة الحكومية الثانية التي كانت تعرض فيلم ميمينتو. كان قد شاهد الفيلم من قبل، حيث كانت القصة تروى من وجهة نظر رجل لديه مشكلة ذهنية وفقدان للذاكرة قصيرة المدى. كانت هناك امرأة مقتولة، وقد قام البطل بكتابة اسم القاتل على ورقة شفافة لأنه عرف أنه سينسى. لكن السؤال هو إن كان بإمكانه الثقة بما كان قد كتبه. رمى هاري الوسادة.

عليه اللحاق بالطائرة المتجهة إلى أوسلو.

أثناء نهوضه من السرير، رن هاتفه المحمول في مكان ما من الغرفة. وضع يده في جيب السروال المبلل المعلق على الكرسي. كانت راكيل هي المتصلة، وسألته عن مكانه، وقالت له إن عليهما الحديث في مكان عام وليس في شقته.

هوى هاري على السرير مغمضاً عينيه:

- لتخبريني أنه لا يمكننا الاستمرار بلقاءاتنا؟

- أجل، لأخبرك أنه لا يمكننا الاستمرار بلقاءاتنا... فأنا لم أعد أحتمل.

- يكفي أن تخبريني بذلك عبر الهاتف ياراكيل.

- لا، لا يكفي، فهذا لن يؤذي بما فيه الكفاية.

تأوه هاري، فقد كانت محقة.

اتفقا على اللقاء في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي في متحف المزرعة في بيغدوي. وهو معلم سياحي، حيث يمكنك الاختفاء بين حشود من الألمان واليابانيين. سألته عما كان يفعله في بيرغن، فأخبرها، وطلب منها إبقاء الأمر سراً بينهما حتى تقرأ عن الموضوع في الصحف بعد بضعة أيام.

أنهيا الاتصال، ثم رقد هاري محدقاً إلى ثلاجة المشروبات، في حين استمر بمتابعة فيلم ميمينتو بترتيب زمني معكوس. أحس أنه مقتول، فحب حياته لم تعد ترغب برؤيته، كما أنه أنهى أسوأ قضية تولاها في حياته. لم يجب حين سأله مولر نيلسن عن سبب اختياره مطاردة برات بنفسه، لكنه أصبح يعرف الآن... إنه الشك أو الأمل... الأمل اليائس بأن الأمور لن تكون كما تبدو عليه... لكن الألم لا يزال موجوداً... لكن، عليه القضاء عليه وإغراقه. هيا... كانت لديه ثلاثة أسباب كافية، ومجموعة من الكلاب في أسفل معدته تنبح كما لو كانت ممسوسة... فلِمَ لا يفتح ثلاجة المشروبات الصغيرة بأي حال؟

وقف هاري على قدميه وتوجه إلى الحمام، ثم فتح الصنبور وشرب تاركاً تيار الماء يتدفق على وجهه. استقام ونظر إلى انعكاس صورته في المرآة... كهيكل عظمي. لم لا يشرب الهيكل العظمي؟ ثم صرخ بالجواب بصوت مرتفع:

- لأن ذلك لن يؤذي بما فيه الكفاية.

كان غونار هاغن متعباً للغاية حين نظر حوله... كان الوقت منتصف الليل، وكان جالساً في قاعة المؤتمرات في أعلى أهم الأبنية في أوسلو، حيث كان كل شيء بنياً مشرقاً: الأرضية والسقف مع الأضواء والجدران التي تحمل رسوماً لرؤساء النادي السابقين الذين امتلكوا المبنى والطاولة الخشبية بحجم عشرة أمتار مربعة واللبادة الجلدية أمام كل واحد من الرجال الاثني عشر. كان هاغن قد تلقى اتصالاً من رئيس الشرطة قبل ساعة،

حيث تم استدعاؤه إلى هذا العنوان. كان يعرف بعض الناس في الغرفة كالمدير، وبعضهم رأى صورهم في الصحف، لكن لم تكن لديه فكرة عن هوية معظمهم. أطلعهم رئيس الشرطة على الأحداث، فقد تبين أن رجل الثلج شرطية من بيرغن كانت تعمل منذ فترة في فرقة مكافحة الجرائم في غرونلاند، وقد ذرت التراب في أعينهم لتعميهم، لكنهم أمسكوا بها الآن ولا بد أن تنتشر الفضيحة بين العامة عما قريب.

حين أنهى كلامه عمّ المكان صمت ثقيل كدخان السيجار.

كان الدخان يتصاعد للأعلى من نهاية الطاولة، حيث كان هناك رجل ذو رأس أشيب مستند على كرسيه ووجهه مخفي في الظل. لأول مرة صدر منه صوت... مجرد تأوه بسيط، وهنا أدرك غونار هاغن أن كل من تكلم حتى الآن التفت إلى هذا الرجل.

قال الرجل الأشيب بصوت أنثوي ذي نبرة مرتفعة:

- هذا مضجر ومؤذٍ للغاية ياتورليف... خرق للثقة في النظام... نحن في القمة، وهذا يعني...

بدا الأمر كما لو أن الغرفة بكاملها تحبس أنفاسها، بينما نفث الرجل دخان سيجاره:

- أن هناك رؤوساً ستتساقط... لكن السؤال هو رؤوس من؟

سعل المدير:

- ألديك أي اقتراحات؟

قال الرجل الأشيب:

- ليس بعد، لكنني أظن أن لديك أنت وتورليف اقتراحات... هيّا قولاها.

- نحن نرى أن هناك بعض الأخطاء التي تم ارتكابها في مراحل التعيين والمتابعة... عثرات بشرية وليست خللاً منهجياً، لذا ذلك لا يشكل مشكلة إدارية، وبالتالي نحن نقترح أن نقوم بالتمييز بين المسؤولية والذنب. الإدارة تتحمل المسؤولية و...

قال الرجل الأشيب:

- تخطى الأساسيات... من كبش فدائك؟

عدّل رئيس الشرطة ياقته، واستطاع غونار هاغن أن يرى أنه متضايق للغاية.

- المحقق هاري هول.

ساد الصمت مجدداً، بينما أشعل الرجل الأشيب سيجارة؛ حيث

طقطقت الولاعة، ثم صدر صوت شهيق من الظلال وتصاعد الدخان مجدداً.

قال الصوت ذو النبرة المرتفعة:

- ليست فكرة سيئة. لو أنك اخترت أحداً غير هول لقلت إن عليك البحث عن كبش فداء برتبة أعلى، فالمحقق ليس بديناً بما فيه الكفاية ككبش فداء، كما قد أسألك أن تفكر في نفسك ياتورليف. لكن هول ضابط ذو شخصية معروفة، حيث ظهر في ذلك البرنامج الحواري... إنه شخصية شهيرة وذو سمعة محددة كمحقق. نعم، يمكن اعتبار ذلك لعبة عادلة. لكن، هل سيكون متعاوناً؟

قال الرئيس:

- دع ذلك لنا. ما رأيك ياغونار؟

ابتلع غونار هاغن لعابه، بينما كان ذهنه لا يفكر بشيء سوى بزوجته وبالتضحيات التي قدمتها لينجح بعمله. فحين تزوجا أوقفت دراستها، وانتقلت معه إلى حيثما أرسلته القوات الخاصة والشرطة في ما بعد. كانت امرأة ذكية وحكيمة... نظيرته في معظم المجالات، وأفضل منه في بعضها، وكان يلجأ إليها في كل من القضايا المهنية والأخلاقية لتقدم له دائماً نصائح جيدة. لكنه لم ينجح في تحقيق المهنة ذائعة الصيت التي كانا يطمحان لها، وقد أصبحت الأمور وردية أكثر. وهو يتوقع أن منصبه كرئيس لفرقة مكافحة الجرائم سيتقدم للأمام والأعلى. كانت القضية تتعلق فقط بعدم التوجه بشكل خاطئ... وينبغي أن لا يكون ذلك صعباً للغاية.

ردد رئيس الشرطة:

- ماذا ياغونار؟

كان الأمر متعلقاً فقط بكونه متعباً للغاية.. فكر... هذا لأجلك... هذا ما كنت ستفعلينه ياعزيزتي.

31 - اليوم الحادي والعشرون

القطب الجنوبي

وقف هاري وراكيل عند قوس السفينة الخشبية في المتحف، وهما يشاهدان مجموعة من السياح اليابانيين الذين يلتقطون الصور للحبال والصواري، وهم يتجاهلون بابتساماتهم وهز رؤوسهم الدليل الذي يشرح أن هذه السفينة البسيطة قد نقلت كلاً من فريدتجوف نانسن في محاولته الفاشلة ليكون أول الواصلين إلى القطب الشمالي عام 1893، ورولد أماندسن حين سبق سكوت إلى القطب الجنوبـي عام 1911.

قالت راكيل:

- لقد تركت ساعتي على طاولتك في المرة الأخيرة التي زرتك فيها.

- هذه خدعة قديمة تعني أنك ستعودين لأجلها.

وضعت يدها على يده الموضوعة على السياج، وهزت رأسها بالنفي:

- لقد أهداني إياها ماثياس.

فكّر هاري:

- الذي نسيته.

- سنخرج معاً الليلة، وسيسألني إن كنت سأضعها، وأنت تعرف كيف أكون حين أكذب. أيمكنك...؟

- سأوصلها لك قبل الساعة الرابعة.

- شكراً. سأكون في العمل، لذا ضعها في قفص العصفور على الجدار إلى جانب الباب. هناك...

لم تكن بحاجة إلى قول المزيد، فهناك كانت تضع مفاتيح المنـزل دائماً حين كان سيصل بعد أن تأوي للفراش.

ضرب هاري السياج بيده:

- وفقاً لآرف ستوب، إن مشكلة رولد أماندسن هي أنه نجح، فهو يظن أن أفضل القصص تدور حول الفاشلين.

لم تجبه راكيل.

- أظن أن هذا نوع من العزاء. أنذهب؟

في الخارج، كان الثلج يتساقط.

- هل انتهى الأمر؟

نظر إليها نظرة سريعة ليتأكد من أنها تتحدث عن رجل الثلج وليس عنهما.

- لا نعلم أين الجثث. كنت معها في زنـزانتها هذا الصباح قبل التوجه للمطار، لكنها لم تقل أي شيء. كانت فقط تحدق كما لو أن أحداً هناك.

سألته فجأة:

- هل أخبرت أحداً أنك ستذهب إلى بيرغن وحدك؟

هز هاري رأسه بالنفي.

- لِمَ لا؟

- لأنني قد أكون مخطئاً، وهكذا كان بإمكاني العودة بهدوء ومن دون التعرض لأي إحراج.

- هذا ليس السبب.

حدق هاري إليها مجدداً... كانت تبدو أكثر ضجراً منه.

- بصراحة، ليست لدي أدنى فكرة. أفترض أنني كنت أتمنى أن لا تكون هي.

- ألأنها مثلك؟ أم لأنه كان من الممكن أن تكون أنت؟

لم يتذكر هاري أنه أخبرها أنهما متشابهان.

قال هاري بينما كانت ندف الثلج تلسع عينيها:

- كانت تبدو وحيدة وخائفة كشخص ضائع في الشفق.

تباً، تباً، تباً! رمش وهو يشعر بالدموع تشق طريقها في قصبته الهوائية... هل سينهار؟ تجمد حين بدأت راكيل بالتربيت على رقبته.

- أنت لست هي ياهاري... أنت مختلف.

ابتسم ابتسامة واهية وهو يبعد يدها:

- حقاً؟

- أنت لا تقتل الأبرياء ياهاري.

رفض هاري عرض راكيل بتوصيله وركب الحافلة، ثم بدأ يحدق إلى ندف الثلج المتساقطة والخليج من وراء النافذة، وهو يفكر كيف قامت راكيل بإضافة كلمة أبرياء في آخر لحظة.

كان هاري على وشك فتح الباب الأمامي في المبنى الذي يقيم فيه في بوابة صوفيز حين تذكر أنه ليست لديه أي قهوة فورية، فمشى خمسين متراً نحو متجر نيازي عند ناصية الشارع.

قال علي وهو يتناول النقود:

- من غير المعتاد رؤيتك في مثل هذا الوقت.

- إنه يوم إجازة.
- يا لهذا الجو! يقولون إنه سيكون هناك نصف متر من الثلج خلال الساعات الأربع والعشرين المقبلة.

تململ هاري وهو يحمل مرطبان القهوة:

- لقد أخفت سلمى و"محمد" في الباحة ذاك اليوم.
- نعم. سمعت بذلك.
- آسف. لقد كنت متوتراً قليلاً. هذا كل ما في الأمر.
- لا بأس. لقد خشيت أن تكون قد عدت للشرب.

هز هاري رأسه بالنفي وابتسم بوهن. كان يحب الأسلوب المباشر للباكستاني.

قال علي وهو يعد الفكة:

- جيد. كيف تجري أمور إعادة تصميم الديكور؟
- إعادة تصميم الديكور؟ أتعني رجل القوالب؟
- رجل القوالب!!
- نعم، الرجل الذي يفحص القبو بحثاً عن الفطور... اسمه ستورمان أو شيء كهذا.

نظر علي إلى هاري نظرة مليئة بالرعب:

- هل قلت فطور في القبو؟
- ألا تعلم؟ أنت رئيس جمعية سكان المبنى. ظننت أنه تكلم معك أولاً.

هز علي رأسه ببطء نافياً:

- ربما يكون قد تكلم مع بيورن.
- من بيورن؟

أجاب علي وهو ينظر إلى هاري بتأنيب:

- بيورن أسبجورنسين الذي يقيم في الطابق الأرضي منذ ثلاث عشرة سنة. إنه نائب الرئيس منذ فترة طويلة.

قال هاري وهو يتظاهر أنه تذكر الاسم:

- آه صحيح، بيورن.
- سأتحقق من ذلك.

في شقته، خلع هاري حذاءه وتوجه مباشرة إلى غرفة النوم ونام؛ إذ لم يتمكن من النوم في الفندق في بيرغن. وحين استيقظ، كان فمه جافاً ومعدته تؤلمه، فنهض وشرب بعض الماء، ثم وقف فجأة حين دخل الصالة.

لم يكن قد لاحظ ذلك حين دخل، لكن الجدران عادت كما كانت.

مشى من غرفة لأخرى... إنه أمر رائع. لقد تم الأمر بشكل ممتاز؛ حيث لم يكن من الممكن تمييز ما حصل... حتى إن حفر المسامير غير مرئية والخطوط غير منحرفة. لمس جدار غرفة الجلوس ليتأكد من أن ذلك لم يكن مجرد هلوسات.

على طاولة غرفة الجلوس أمام الكرسي الكبير، كانت هناك قطعة ورق صفراء مكتوبة عليها رسالة مرتبة وجذابة بشكل غريب:

لقد اختفت. لن تراني بعد الآن... ستورمان.

ملاحظة: اضطررت لطلي أحد الجدران لأنني جرحت نفسي وسال الدم عليه، وحين يسيل الدم على الخشب غير المعالج فمن المستحيل غسله. وقد كان الحل البديل أن أطلي الجدار باللون الأحمر.

هوى هاري على الكرسي الكبير وتفحص الجدران الملساء.

ولم يكتشف أن الأعجوبة لم تكتمل إلا حين دخل المطبخ، فالتقويم الذي يحمل صورة راكيل وأوليغ قد اختفى... الفستان الأزرق. شتم بصوت مرتفع، ثم فتش سلة المهملات بشكل محموم وحتى حاوية القمامة البلاستيكية في الباحة، قبل أن يعرف أن أسعد أوقات حياته قد انمحت مع الفطور.

كان يوم العمل هذا مختلفاً بالتأكيد بالنسبة إلى الطبيبة النفسية كجيرستي رودزموين، وليس السبب بالتأكيد أن الشمس ظهرت في سماء بيرغن لتشع في الوقت الحالي عبر النوافذ حيث كانت تمشي بسرعة عبر ممر في قسم الأمراض النفسية في مشفى هوكلاند في ساندفيكن. كان القسم قد غيَّر اسمه عدة مرات؛ لدرجة أن القليل من سكان بيرغن يعرفون أن الاسم الرسمي الحالي هو مشفى ساندفيكن. وقد كان جناحاً مغلقاً حتى إشعار آخر، بينما انتظرت مدينة بيرغن أحداً ما ليدعي أن الاسم مضلل أو سيئ.

كانت خائفة ومتشوقة للجلسة المقبلة مع المريضة المحجوزة ضمن أكثر الإجراءات الأمنية صرامة التي يمكنها تذكرها في القسم. وكانوا قد توصلوا إلى اتفاق حول الحدود الأخلاقية والإجراءات مع إسبن ليبسفيك من كريبوس ومولر نيلسن من شرطة بيرغن. المريضة تعاني من مشاكل نفسية،

وبالتالي لا يمكنها الخضوع لاستجواب الشرطة، وبما أن كجيرستي طبيبة نفسية فقد تم تفويضها للحديث مع المريضة، لكن عليها مراعاة المريضة وعدم معاملتها بالأسلوب نفسه الذي تستجوب به الشرطة المجرمين. كما أن هناك قضية السرية بين المريض والطبيب، إذ على كجيرستي رودزموين أن تقوم بالتقييم بنفسها إن كانت المعلومات في المحادثة يمكن اعتبارها هامة جداً للشرطة للاستمرار بها، وهذه المعلومات لن تكون لها أي شرعية في المحكمة بأي حال لأنها صادرة عن شخص مريض نفسياً. باختصار، كانوا يتحركون في حقل ألغام قانوني وأخلاقي، حيث ستؤدي أبسط الزلات إلى عواقب كارثية؛ إذ سيقوم النظام القضائي والإعلام بفحص كل ما تفعله.

كان هناك ممرض وشرطي يرتدي بذلة يقفان خارج باب غرفة الاستشارات، فأشارت كجيرستي إلى بطاقة التعريف المثبتة على معطفها الطبـي الأبيض، بينما فتح الشرطي الباب.

كان الاتفاق أن يراقب الممرض ما يحصل في الغرفة، ويرن المنبه في حال دعت الضرورة لذلك.

جلست كجيرستي رودزموين على كرسي، وتفحصت المريضة التي كان من الصعب تخيل أنها تمثل أي خطر... هذه المرأة النحيلة التي يتدلى شعرها على وجهها، وتوجد قطب سوداء على فمها المجروح، فيما عيناها المتسعتان تحدقان برعب غامض إلى شيء لم تتمكن كجيرستي رودزموين من رؤيته. على العكس، بدت المرأة غير قادرة على القيام بأي عمل، حيث تشعر أنه يمكن أن تقع إذا نفخت عليها... لذا، بدت حقيقة أن هذه المرأة قتلت أناساً بدم بارد غير مفهومة ببساطة.

- مرحباً. أنا كجيرستي.

لا جواب.

- ما هي مشكلتك؟

جاء السؤال مباشرة من الدليل حول المحادثات مع المرضى النفسيين. كان البديل: "كيف يمكنني مساعدتك برأيك؟".

لا جواب حتى الآن.

- أنت بأمان في هذه الغرفة. لن يؤذيك أحد... لن أؤذيك... أنت بأمان.

وفقاً للدليل، كان من المفترض أن تطمئن هذه العبارة المريض النفسي، لأن المرض النفسي يقوم بشكل أساسي على الخوف بلا حدود. أحست كجيرستي رودزموين كما لو أنها مضيفة جوية تراجع إجراءات السلامة قبل

الإقلاع... تقنية... روتينية. حتى عند عبور الطرق فوق أكثر الصحارى جفافاً فإنك تشرح كيفية استخدام سترة الأمان لأن العبارة تدعي ما تريد سماعه: من المسموح لك أن تخاف لكننا سنهتم بك.

حان الوقت لتتحقق من إدراكها للواقع:

- أتعلمين ما هو اليوم؟

صمت.

- انظري إلى الساعة على الجدار هناك. أيمكنك إخباري بالوقت؟

تلقت نظرة غير معبّرة كنوع من الجواب.

انتظرت كجيرستي رودزموين... وانتظرت بينما تحرك عقرب الدقائق بارتجاف.

كان الأمر ميؤوساً منه.

قالت كجيرستي:

- سأذهب الآن، وسيأتي أحد ما ويأخذك. أنت بأمان.

توجهت نحو الباب.

كان صوتها عميقاً وذكورياً:

- عليّ الحديث مع هاري.

وقفت كجيرستي والتفتت:

- من هاري؟

- هاري هول. الأمر طارئ.

حاولت كجيرستي أن تلتقي نظراتهما، لكن المرأة بقيت تحدق إلى عالمها البعيد الخاص.

- عليك أن تخبريني من هو هاري هول ياكاترين.

- إنه المحقق في فرقة مكافحة الجرائم في أوسلو. وإذا كان عليك ذكر اسمي فاستخدمي لقبـي ياكجيرستي.

- برات؟

- رافتو.

- حسناً. لكن، ألا يمكنك إخباري بما تريدين قوله لهاري هول لكي أوصله...

- أنت لا تفهمين. سيموتون كلهم.

جلست كجيرستي على الكرسي:

- بل أفهم. لِمَ تظنين أنهم سيموتون ياكاترين؟

أخيراً، التقت نظراتهما... ما رأته كجيرستي رودزموين جعلها تفكر

بإحدى البطاقات الحمراء في لعبة المونوبولي التي لديها في كوخ الإجازات: لقد احترقت جميع منازلك وفنادقك.

أجاب الصوت الذكوري المنخفض:

- لن يفهم أحد منكم شيئاً... لست أنا.

عند الساعة الثانية، أوقف هاري السيارة عند الحاجز الحجري تحت منـزل راكيل الخشبـي في هولمينكولن. وكان الثلج قد توقف عن التساقط، ففكر في أنه ليس من الحكمة ترك آثار عجلات على الممر. كان الثلج يطلق صرخات مستمرة تحت حذائه، بينما لمع ضوء النهار الحاد على النوافذ الداكنة وهو يقترب.

صعد السلم المؤدي للباب الأمامي، وفتح باب قفص العصفور، ثم وضع ساعة راكيل داخله وأغلقه. استدار ليغادر حين فتح الباب من ورائه.

- هاري!

استدار هاري، وبلع لعابه، ثم تكلف الابتسام حين رأى أمامه رجلاً عارياً باستثناء منشفة حول خصره.

قال مرتبكاً وهو يحدق إلى صدر الرجل الآخر:

- لقد أرعبتني ياماثياس. ظننت أنك ستكون في العمل في مثل هذا الوقت.

ضحك ماثياس وهو يشبك ذراعيه على صدره بسرعة:

- آسف... كنت أعمل حتى وقت متأخر في الليلة الماضية. كنت في طريقي إلى الحمام حين سمعت بعض الأصوات عند الباب فافترضت أن أوليغ قد جاء، فمفتاحه يعلق قليلاً.

يعلق... ابتسم هاري... هذا يعني أن أوليغ حصل على المفتاح الذي كان لديه، وأن ماثياس حصل على مفتاح أوليغ... إنه تفكير المرأة.

- أيمكنني مساعدتك ياهاري؟

لاحظ هاري أن ذراعي ماثياس اللتين شبكهما على صدره كانتا مرتفعتين بشكل غير طبيعي، كما لو كان يحاول إخفاء شيء ما.

قال هاري:

- أبداً. كنت أقود سيارتي في الجوار ولدي شيء لأوليغ.

- لِمَ لم تطرق الباب؟

بلع هاري لعابه:

- لأنني أدركت فجأة أنه لم يعد من المدرسة بعد.

- حقاً؟ وكيف عرفت ذلك؟

هز هاري رأسه لماثياس كما لو كان يوافق على أنه سؤال ملائم. لم يكن هناك أي أثر للشك في وجه ماثياس الودود، وإنما مجرد رغبة حقيقية ليستوضح شيئاً لا يمكنه فهمه.

قال هاري:

- الثلج.

- الثلج؟!

- نعم. لقد توقف انهمار الثلج قبل ساعتين، وليست هناك أي آثار على السلم.

انفجر ماثياس بحماسة:

- آه... تباً ياهاري. هذا ما أدعوه تطبيق المنطق الاستدلالي على حياتك اليومية، وأنت محقق... لا يمكننا التشكيك في ذلك.

كانت ضحكة هاري متوترة، بينما انخفضت ذراعا ماثياس قليلاً. هنا، تمكن هاري من رؤية ما عنته راكيل عندما تحدثت عن صفة ماثياس الجسدية؛ فحيث تتوقع رؤية حلمتي ثدي كانت البشرة ملساء وبيضاء وبلا أي أثر.

قال ماثياس الذي بدا واضحاً أنه تتبع نظرات هاري:

- إنه وراثي. حتى أبـي لم تكن لديه أي حلمات. الأمر نادر لكنه غير مؤذٍ. وما الذي يفترض بالرجل أن يفعله بها بكل الأحوال؟

أجاب هاري وهو يشعر بشحمتي أذنيه تتوقدان:

- لا بالطبع.

- أترغب بإعطائنا شيئاً لأوليغ؟

حوَّل هاري نظره الذي ثبت بشكل لا إرادي على قفص العصفور ثم ابتعد:

- سأحضره له في وقت آخر. عليك الاستحمام.

- حسناً.

- أراك لاحقاً.

كان أول ما فعله هاري حين عاد إلى السيارة أنه ضرب العجلة بكلتا يديه وشتم بصوت مرتفع. لقد تصرف كسارق في الثانية عشرة من عمره تم إمساكه بالجرم المشهود... لقد كذب على ماثياس... كذب وزحف وبدا بشكل سيئ.

شغل المحرك بقوة كعقاب للسيارة. لم تكن لديه الطاقة الكافية ليفكر

في الأمر الآن، وإنما عليه التركيز على أشياء أخرى. لكنه لم يتمكن، فقد بدأ ذهنه بالتسارع في سلسلة فوضوية من المصادفات بينما كان متجهاً إلى مركز مدينة أوسلو. فكّر في العيوب وبحلمات الثدي الحمراء التي بدت كلطخ دم على بشرة عارية... كلطخ دم على خشب غير معالج. ولسبب ما، قفزت كلمات رجل القوالب إلى رأسه: "وقد كان الحل البديل أن أطلي الجدار باللون الأحمر".

لقد نـزف رجل القوالب. أغمض هاري عينيه وتخيل الجرح... لا بد أن يكون جرحاً عميقاً ليؤدي إلى فوضى حيث يكون... الحل البديل أن يطلي الجدار باللون الأحمر.

داس هاري على المكابح. سمع صوت نعيب، فنظر إلى المرآة، ورأى سيارة هياس تنـزلق على الثلج المتساقط حديثاً حتى توقفت العجلات وانـزلقت بجانبه ثم تجاوزته.

فتح هاري باب السيارة، وقفز خارجاً، ورأى أنه كان إلى جانب الملعب في أسفل هولمينكولن، فأخذ نفساً عميقاً، وحطم أفكاره إلى قطع، ثم فككها ليرى إن كان بإمكانه تجميعها من جديد، ثم قام بإعادة هيكلتها من دون الضغط على أي من القطع لأنها تجمعت معاً وحدها. تسارع نبضه... إن كان هذا حقيقياً فهذا يعني أن كل شيء مقلوب رأساً على عقب... كل هذا مناسب... مناسب لأن رجل الثلج قد خطط لكيفية اقتحام حياته، وقد تمكن من الدخول ببساطة والتصرف بحرية... والجثث... هذا سيفسر ما حصل للجثث. أشعل هاري سيجارة وهو يرتعش، وبدأ بمحاولة إعادة بناء ما قد رآه بومضة عين... ريش الدجاج ذو الحواف المسودة.

لم يكن هاري يثق بالتخاطر لكنه يثق بالحظ... ليس الحظ الذي تولد به، ولكن الحظ المنهجي الذي تحصل عليه من خلال العمل الجاد وصنع مثل هذه الشبكة المتشابكة بشكل رائع؛ لدرجة أن الصدف ستصبح في متناول يدك... لكن هذا لم يكن من ذلك النوع من الحظ وإنما مجرد طالع... طالع شاذ إن كان محقاً بالطبع. نظر هاري إلى الأسفل، واكتشف أنه كان يخوض في الثلج، وأن قدميه وصلتا للأرض حرفياً.

عاد إلى السيارة، وأخرج هاتفه المحمول، واتصل برقم بيورن هولم.

أجاب صوت حاد ونائم كاد أن لا يتعرف عليه:

- نعم ياهاري؟

قال هاري بينما ازدادت شكوكه:

- تبدو مستمتعاً.
- أتمنى ذلك. إنه الزكام... إنني متجمد تحت غطاءين، والألم منتشر في...

قاطعه هاري:

- اسمع، أتذكر حين طلبت منك قياس درجة حرارة الدجاج لمعرفة منذ متى كانت سيلفيا في الحظيرة تذبحها؟
- نعم؟
- وقد قلت لي بعدها إن واحدة منها كانت أكثر دفئاً من الاثنتين الأخريين.
- نعم، وقد اقترح سكار أنها مصابة بالحمى، وهي نظرية معقولة تماماً.
- أعتقد أنها أكثر دفئاً لأنها قتلت بعد قتل سيلفيا، أي بعد ساعة على الأقل.
- حقاً؟ ومن قتلها؟
- رجل الثلج.

سمع هاري شخيراً عالياً ومطولاً، كما لو أن هولم يسحب إفرازات أنفه قبل أن يجيب:

- أتعني أنها أخذت فأس سيلفيا وعادت و...
- لا، كانت الفأس في الغابة. كان عليّ أن أنتبه حين رأيتها، لكنني بالطبع لم أكن قد سمعت قطّ بأنشوطة القطع حين كنا هناك ننظر إلى جيف الدجاج.
- وماذا رأيت؟
- ريشة مقطوعة بحافة مسودة. أتفهم... أعتقد أن رجل الثلج كان يستخدم أنشوطة التقطيع.
- صحيح... لكن، لِمَ قتلت دجاجة؟
- لتطلي الجدار بكامله باللون الأحمر.
- ماذا؟
- خطرت ببالي فكرة.

تمتم بيورن هولم:

- تباً... أظن أن هذه الفكرة تعني أن عليّ النهوض من الفراش.
- حسناً...

لا بد أن الطقس المثلج كان يأخذ استراحة، لأنه عند الساعة الثالثة بدأ الثلج يتساقط من جديد، حيث تساقطت ندف الثلج الكبيرة والزغبة على أوستلاند، بينما امتد غطاء رمادي من الجليد على طريق إي 16 المتجه إلى أعلى من بيروم.

في أعلى نقطة من الطريق في سوليهوغدا انعطف هاري وهولم وشقا طريقهما نحو الغابة.

بعد خمس دقائق، كان رولف أوترسون يقف أمامهما عند الباب، بينما استطاع هاري أن يرى وراءه في غرفة الجلوس آن بيدرسين جالسة على الأريكة.

قال هاري:

- نرغب بإلقاء نظرة أخرى على أرضية الحظيرة.

دفع رولف أوترسون نظارته إلى أعلى أنفه، بينما سعل بيورن هولم بانـزعاج.

- تفضلا.

بينما مشى هاري وهولم نحو الحظيرة، أحس هاري أن الرجل النحيل لا يزال واقفاً عند الباب يراقبهما.

كان لوح التقطيع في المكان نفسه، لكن لم تكن هناك أي آثار لأي دجاج حي أو ميت، وكان هناك رفش بحافة محدبة لحفر الأرض لا لجرف الثلج مسند على الجدار. توجه هاري إلى لوح الأدوات، فذكره رسم الفأس الذي كان معلقاً هناك بالرسم بالطبشور بعد إزالة الجثث من مسرح الجريمة.

- أعتقد أن رجل الثلج قد جاء إلى هنا وذبح الدجاجة الثالثة لينثر الدم على ألواح الأرض. إذ لم يتمكن رجل الثلج من قلب الألواح، فكان الحل البديل أن يطليها باللون الأحمر.

- لقد أخبرتني ذلك بالسيارة أيضاً لكنني لا أزال تائهاً.

- إذا أردت إخفاء لطخة حمراء فعليك إما إزالتها أو طلاء كل شيء باللون الأحمر. أعتقد أن رجل الثلج كان يحاول إخفاء شيء ما... دليل.

- ما نوع الدليل؟

- إنه شيء أحمر تستحيل إزالته لأن الخشب غير المعالج يمتصه.

- دم؟ كانت تحاول إخفاء الدم بالمزيد من الدم؟ أهذه فكرتك؟

انتزع هاري مكنسة، وبدأ بكنس نشارة الخشب من حول لوح

التقطيع، ثم جثم وأحس بمسدس كاترين يضغط عليه تحت حزامه. تفحص الأرض... لا يزال هناك توهج وردي.

سأل هاري:

- أمعك الصور التي التقطتها هنا؟ ابدأ بالتحقق من الأماكن التي تحوي أكبر كمية من الدم... كانت بعيدة قليلاً عن لوح التقطيع... هنا تقريباً.

أخرج هولم الصور من حقيبته.

- نعلم أن هناك دم دجاج في الأعلى، لكن تخيل أن أول دم سال هنا تسنى له الوقت الكافي ليتشربه الخشب ويمتصه، وبالتالي لم يمتزج مع الدم الجديد المسكوب في الأعلى بعد فترة. ما أفكر فيه هو: هل بإمكانك الحصول على عينات من الدم الأول؛ أي الدم الذي امتصه الخشب؟

رمش بيورن هولم بفزع:

- ماذا يفترض بـي أن أجيب عن هذا؟

- حسناً... الجواب الوحيد الذي سأقبله هو الإيجاب.

أجاب هولم بنوبة طويلة من السعال.

مشى هاري إلى المنـزل، وطرق الباب ليخرج رولف أوترسون.

- سيبقى زميلي هنا لفترة. أتمانع أن يدخل بين الفينة والأخرى ليحصل على الدفء؟

قال أوترسون بنفور:

- جيد.. عم تبحثان الآن؟

- كنت سأسألك السؤال نفسه. لاحظت وجود تراب على الرفش هناك.

- آه ذلك... دعامات للسياج.

نظر هاري إلى الأرض المغطاة بالثلج والممتدة إلى الغابة المظلمة الكثيفة، وهو يتساءل عما يريد أن يشمله رولف داخل السور أو خارجه؛ لأنه كان قد رآه... الخوف في عيني رولف أوترسون.

أشار هاري إلى غرفة الجلوس:

- لديك زائرة...

فقاطعه رنين هاتفه المحمول.

كان سكار.

- لقد وجدنا واحداً آخر.

حدق هاري إلى الغابة، وشعر بندف الثلج الكبيرة تذوب على خده وجبهته.

تمتم مجيباً على الرغم من سماعه الجواب في نبرة سكار:

- آخر ماذا؟
- رجل ثلج آخر.

اتصلت الطبيبة النفسية كجيرستي رودزموين بنوت مولر نيلسن بينما كان يغادر مركز الشرطة مع إسبن ليبسفيك من كريبوس.

- لقد تكلمت كاترين برات، وأظن أن عليكما القدوم إلى المشفى لسماع ما ستقوله.

32 - اليوم الحادي والعشرون

الأحواض

تعقب سكار الآثار في الثلج المؤدية إلى الأشجار أمام هاري، بينما أشار الظلام المبكر إلى أن الشتاء على الطريق. كان برج تريفان للاتصالات يومض فوقهما، بينما تلألأت أوسلو تحتهما. قاد هاري سيارته مباشرة من سوليهوغدا، وركنها في مرأب السيارات الكبير الفارغ حيث يجتمع الطلاب المتخرجون من المدرسة كالجرذان كل ربيع لأجل القانون الإلزامي لطقوس الأشخاص البالغين من هذا النوع: القفز حول النار مع انغماس كامل بالملذات. كانت احتفالات هاري بالتخرج من المدرسة لا تشمل شاحنة الصخب... لم يكن لديه سوى مرافقين... بروس سبرينغستين وأغنية عيد الاستقلال التي صدحت من مكبرات الصوت في أعلى المخزن الألماني على شاطئ نوردستراند.

- وجده أحد المشاة.

- وهل اعتبر أن من الضروري إبلاغ الشرطة عن رجل ثلج في الغابة؟

- معه كلب... لقد... حسناً... سترى بنفسك.

وصلا إلى أرض مفتوحة، فاستقام رجل شاب عند رؤيته سكار وهاري وتوجه إليهما.

- توماس هيل من وحدة الأشخاص المفقودين... سررنا بقدومك يا هول.

نظر هاري إلى الشرطي الشاب باستغراب، لكنه رأى أنه عنى ما قاله.

على تلة أمامه، رأى هاري وحدة مسرح الجريمة تعمل. انحنى سكار تحت شريط الشرطة الأحمر بينما خطا هاري من فوقه. كان هناك طريق يشير لهما أين يجب أن يسيرا كيلا يفسدا أي أدلة جنائية لم يتم تخريبها بعد، وحين انتبه ضباط مسرح الجريمة لوجود هاري وسكار تنحوا جانباً بصمت لمراقبة القادمين الجديدين؛ كما لو كانوا ينتظرون ذلك: فرصة للظهور ومقارنة ردود الأفعال.

- تباً.

وخطا سكار خطوة للوراء.

أحس هاري ببرودة في رأسه كما لو أن كل الدم انسحب من دماغه ليخلف إحساساً خدراً وميتاً بلا شيء.

لم تكن التفاصيل هي السبب، لأنه من النظرة الأولى لم يبد أن المرأة العارية مشوهة بوحشية كسيلفيا أوترسون أو غيرت رافتو. ما أخافه حقاً هو البنية؛ الطبيعة الوحشية المدروسة للترتيب، حيث جلس الجسد في أعلى كرتين كبيرتين من الثلج متكئتين على جذع شجرة... واحدة فوق الأخرى كرجل ثلج غير مكتمل، بينما اتكأ الجسد على الشجرة بعد أن تم تفادي أي حركة جانبية باستعمال سلك فولاذي متصل بالغصن الثخين فوق رأسها. كان السلك منتهياً بأنشوطة قاسية حول رقبتها معقوفة، حيث لا تمس كتفيها ولا رقبتها، بينما كانت ذراعاها مقيدتين خلف ظهرها. وكانت عينا المرأة وفمها مغلقة، مما منح الوجه ملامح مسالمة، حيث كان من الممكن أن تكون نائمة.

كان من الممكن تصديق أن الجثة مرتبة بشغف؛ حتى ظهرت القطب على البشرة العارية الشاحبة، فقد كانت حواف الجلد تحت الخيوط الخفية تقريباً مفصولة فقط بخط رقيق من الدم الأسود حيث كان هناك خط من القطب على جذعها تحت ثدييها، وآخر حول رقبتها... عمل بشري خال من الأخطاء؛ إذ ما من فتحة قطبة مرئية أو خط مائل.

قال سكار:

- تبدو كترهات الفن التجريدي... ما اسمه؟

قال صوت من ورائه:

- الفن التركيبـي.

أمال هاري رأسه... كانا محقين، لكن هناك شيئاً يتضارب مع انطباع الجراحة الكاملة.

قال بصوت بدا كما لو أن أحداً يخنقه:

- لقد قطعها إلى قطع ثم أعاد تجميعها.

استفهم سكار:

- هو؟

قال هيل:

- ربما لتسهيل النقل. أظن أنني أعرف هويتها. لقد أبلغ زوجها عن اختفائها البارحة... إنه في طريقه إلى هنا الآن.

- لماذا تظن أنها هي؟

أشار هيل إلى الجثة:

- وجد زوجها ثوباً عليه آثار حروق... تقريباً في مكان القطب.

ركّز هاري على تنفسه... تمكن الآن من رؤية العيوب. كان رجل الثلج

غير مكتمل، كما كانت عقد السلك المعقوف وزواياه مثلمة، حيث بدت مضطربة وعشوائية ومبدئية كأن هذا مجرد استهزاء أو تجربة... المسودة الأولى لعمل غير مكتمل. ولِمَ ربط يديها خلف ظهرها؟ لا بد أنها قد ماتت قبل زمن من قدومها إلى هنا. أكان ذلك جزءاً من التجربة؟ سعل:

- لماذا لم تخبروني بهذا من قبل؟

- لقد أبلغت مديري الذي أبلغ بدوره رئيس الشرطة، فكان كل ما طُلب منا هو أن نبقي الأمر سراً حتى إشعار آخر. أفترض أن ذلك يتعلق بـ...

ثم ألقى نظرة سريعة على ضباط مسرح الجريمة:

- بذلك الهارب مجهول الهوية.

اقترح سكار:

- كاترين برات؟

قال صوت من ورائهم:

- لم أسمع هذا الاسم.

استداروا ليروا رئيس الشرطة واقفاً ويداه في جيبي معطفه، بينما تتفحص عيناه الزرقاوان الجثة:

- ينبغي وضعها في معرض الخريف للفنون.

حدق الضباط الشباب إلى رئيس الشرطة الذي لم يتأثر، بل التفت إلى هاري:

- أريد أن أكلمك على انفراد أيها المحقق.

مشيا نحو شريط الشرطة.

- فوضى عارمة.

قال رئيس الشرطة ذلك وهو يواجه هاري، لكن عينيه نظرتا نحو الأسفل إلى الأضواء:

- لقد عقدنا اجتماعاً، ولهذا أريد الحديث معك على انفراد.

- من الذي عقد الاجتماع؟

- هذا لا يهم ياهاري. المهم هو أننا اتخذنا قراراً.

- إذاً؟

ضرب رئيس الشرطة بقدمه على الثلج، بينما فكر هاري للحظات إن كان عليه تحذيره من أنه يخرب مسرح جريمة.

- كنت أفكر في مناقشة الأمر معك الليلة ياهاري في محيط أكثر هدوءاً. لكن، الآن أصبح الأمر أكثر إلحاحاً مع اكتشاف هذه الجثة

الجديدة، إذ سيطلع الإعلام على ما جرى خلال بضع ساعات. وبما أننا لا نملك الوقت الذي نحتاج إليه فعلينا الظهور على الهواء مباشرة وذكر اسم رجل الثلج وتفسير كيف تمكنت كاترين برات من الحصول على منصبها والعمل منه من دون معرفتنا. على الإدارة العليا تحمل المسؤولية بالطبع، فهذا ما ينبغي على الإدارة فعله بالطبع.

- ما الأمر أيها المدير؟

- مصداقية شرطة أوسلو... كلما بدأ الأمر من رتب أعلى تلطخت بنية الشرطة على نحو أكبر، فالأفراد ذوو الرتب العادية يمكنهم ارتكاب العثرات ويتم العفو عنهم. لكننا إن فقدنا ثقة الناس بأن الشرطة يديرها نخبة من الأشخاص ذوي الكفاءة وأننا مسيطرون على الوضع فسنتوه. أفترض أنك تدرك ما على المحك ياهاري.

- الوقت يمرّ بسرعة أيها المدير.

حوَّل رئيس الشرطة نظره عن المدينة ونظر إلى المحقق:

- أتعرف ما الذي تعنيه كلمة كاميكيز ؟

نقل هاري ثقله من قدم لأخرى:

- أن تكون يابانياً بدماغ مغسول وتصدم طائرتك بحاملة طائرات أمريكية؟

- هذا ما كنت أظنه أيضاً، لكن غونار هاغن يقول إن اليابانيين لم يستخدموا الكلمة بأنفسهم على الإطلاق، وإنما قام عامل فك الشيفرات الأمريكي بإساءة تفسيرها. كاميكيز هو اسم إعصار استوائي أنقذ اليابانيين في معركة مع المنغوليين خلال القرن الثالث عشر.

- هذا تصويري نوعاً ما... أليس كذلك؟

لم يجب هاري.

قال رئيس الشرطة:

- نحن بحاجة إلى ريح مماثلة الآن.

هزّ هاري رأسه ببطء، فقد فهم:

- تريد أحداً يتحمل اللوم على تعيين كاترين برات وعدم كشفها، أليس كذلك؟ لكامل الفوضى العارمة باختصار؟

- أن أطلب من شخص أن يضحي بنفسه بهذا الشكل لا يبدو أمراً جيداً، وخاصة أنك حين تقول يضحي فأنت تعني أنك بأمان. كما أن عليك أن تتذكر أن كل هذا أكبر من مجرد الأفراد... إنه الخلية بكاملها ياهاري... العمل الجاد... الإخلاص... نكران الذات الأخرق أحياناً. الخلية هي

التي تجعل الأمر يستحق العناء.

مرر هاري يده على وجهه... الغدر... الطعن في الظهر... الجبن. حاول كبت غضبه وإقناع نفسه أن رئيس الشرطة محق. لا بد من التضحية بأحد ما، وأن يقع اللوم على مراتب عادية قدر الإمكان... هذا عادل. كان عليه في الواقع كشف كاترين منذ أمد.

استقام هاري... كان الأمر يبدو كعزاء بالنسبة إليه. منذ أمد طويل وهو يشعر أن الأمر سينتهي هكذا بالنسبة إليه... أمد طويل جداً لدرجة أنه تقبله من قبل كما فعل زملاؤه في جمعية رجال الشرطة المتوفين حين انسحبوا من دون أي ضوضاء أو أوسمة شرف، ومن دون أي شيء سوى احترام الذات واحترام من يعرفونهم... القليلين الذين كانوا يعرفون الأمر برمته... الخلية.

- فهمت وموافق. عليك إعلامي بالطريقة التي سيحصل بها الأمر. ومع ذلك، لا أزال أظن أن علينا تأخير المؤتمر الصحفي بضع ساعات حتى نعرف أكثر.

هز رئيس الشرطة رأسه:

- أنت لا تفهم ياهاري.
- قد تكون هناك عوامل جديدة في القضية.
- لن تكون الشخص الذي سيأخذ القشة القصيرة.
- سنتحقق لنرى... ما الذي قلته للتو أيها المدير؟
- كان هذا الاقتراح الأصلي، لكن غونار هاغن رفضه وسيتحمل اللوم بنفسه. إنه الآن في مكتبه يكتب طلب استقالته. أردت إعلامك فحسب لتعرف حين ينعقد المؤتمر.
- هاغن؟
- إنه جندي جيد. سأنطلق الآن. سينعقد المؤتمر الصحفي عند الساعة الثامنة في القاعة الكبيرة. حسناً؟

شاهد هاري رئيس الشرطة يتلاشى من بعيد، وأحس بهاتفه المحمول يهتز في جيب سترته. قرأ الاسم قبل أن يقرر أن يجيب.

قال بيورن هولم بالإنكليزية:

- أحبني بشغف. أنا في مركز الطب الشرعي.
- ماذا لديك؟
- الدم على الألواح الأرضية دم بشري. تقول موظفة المختبر هنا إن الدم للأسف لا يمكن أن يكون مصدراً للحمض النووي، لذا إنها تشك في

العثور على أي خلايا لمعرفة الحمض النووي، لكنها تحققت من زمرة الدم، واحزر ماذا وجدت.

صمت بيورن هولم قبل أن يدرك أن هاري لا يرغب بالتخمين فأكمل:

- هناك زمرة دم واحدة تستبعد معظم الناس... دعنا نذكر الأمر بهذا الشكل. هناك شخصان من بين كل مائة شخص لديهما هذه الزمرة، والسجل بكامله لا يحوي سوى مائة وثلاثة وعشرين مجرماً لديهم هذه الزمرة. إذا كانت كاترين برات تحمل زمرة الدم هذه فهذا مؤشر ممتاز على أنها نـزفت في حظيرة أوترسون.

- تحقق من قسم الحوادث، إذ إن لديهم لائحة بزمرة دم كل شرطي في المركز.

- حقاً؟ سأتحقق منهم على الفور.

- لكن، لا تصب بأي خيبة أمل إن وجدت أن زمرة دمها ليست ب سلبـي.

استمع هاري إلى الصمت الذي يعبّر عن ذهول زميله وانتظر.

- كيف عرفت أنها ب سلبـي؟

- كم يلزمك من الوقت لتوافيني في قسم التشريح؟

كانت الساعة السادسة، والموظفون الذين ليس لديهم عمل في أوقات العمل الإضافية في مشفى ساندفيكن قد عادوا إلى منازلهم قبل فترة، لكن النور في مكتب كجيرستي رودزموين كان لا يزال مضيئاً. رأت الطبيبة النفسية أن نوت مولر نيلسن وإسبن ليبسفيك كانا يحملان دفتري ملاحظاتهما، ثم نظرت إلى دفتر ملاحظاتها وبدأت:

- أخبرتني كاترين رافتو أنها أحبت والدها أكثر من أي أحد آخر، وقد كانت مجرد فتاة حين فضحته الصحف كرجل عنيف مما جرح مشاعرها وأخافها وأربكها. في المدرسة، كان الطلاب يزعجونها بسبب ما تكتبه الصحف، وبعد فترة وجيزة انفصل والداها. حين كانت كاترين في التاسعة عشرة من العمر اختفى والدها في الوقت نفسه الذي قتلت فيه امرأة في بيرغن واختفت أخرى، وتمّ تجاهل التحقيق، لكن الجميع في الشرطة وخارجها كانوا يظنون أن والدها هو الذي قتل المرأتين ثم انتحر لأنه لم يتمكن من التملص من هذا الموضوع. عندها، قررت كاترين أن تنضم للشرطة وتكشف عن الجرائم وتنتقم لأبيها.

رفعت كجيرستي رودزموين نظرها... لم يكن أي من الاثنين يدون أي ملاحظات... كانا يراقبانها فحسب.

أكملت رودزموين:

- لذا، بعد حصولها على شهادة في الحقوق، تقدمت بطلب للالتحاق بكلية الشرطة، وبعد إنهائها تدريباتها تم توظيفها في فرقة مكافحة الجرائم في بيرغن، حيث بدأت مباشرة بمراجعة قضية والدها في أوقات فراغها حتى تم الكشف عن ذلك وإيقافه، فتقدمت كاترين بطلب النقل إلى وحدة التحرشات. أهذا صحيح؟

قال مولر نيلسن:

- صحيح.

- وقد تم التشديد على عدم اقترابها من أي تحقيق يتعلق بوالدها، لذلك بدأت بدراسة قضايا ذات صلة. وبينما كانت تراجع تقارير الأشخاص المفقودين، توصلت إلى اكتشاف مثير للاهتمام وهو أنه خلال السنوات التي تلت اختفاء والدها، تم الإبلاغ عن نساء مفقودات ضمن ظروف تحمل عدة نقاط تشابه مع اختفاء أوني هيتلاند. لكن، للتوصل إلى أي تقدم كانت كاترين بحاجة إلى المساعدة، وقد كانت تعلم أنها لن تحصل على هذه المساعدة في بيرغن. وبالتالي، قررت إشراك شخص لديه خبرة بالقتلة المتسلسلين في القضية من دون أن يعلم أحد أنها- أي ابنة رافتو- وراء الأمر.

هز ضابط كريبوس إسبن ليبسفيك رأسه ببطء بينما أكملت كجيرستي.

- بعد عمل دؤوب، وقع اختيارها على المحقق هاري هول في فرقة مكافحة الجرائم في أوسلو، فكتبت له رسالة ووقعتها بالاسم المستعار الغامض رجل الثلج لتثير فضوله، ولأن رجل الثلج مذكور في عدة شهادات متعلقة بقضايا الاختفاء، كما أن هناك رجل ثلج مذكوراً في ملاحظات والدها حول جريمة القتل في جبل أولريكن. حين أعلنت فرقة مكافحة الجرائم في أوسلو عن حاجتها إلى محقق مع الأفضلية للنساء تقدمت بطلب، وتمت دعوتها لإجراء مقابلة، وقد قالت إنها كانت قد حصلت على الوظيفة قبل أن تجلس حتى.

صمتت رودزموين قليلاً، لكن بما أن الرجلين الآخرين لم يقولا شيئاً فقد أكملت:

- من اليوم الأول سعت كاترين للاحتكاك بهاري هول والعمل معه. ومع كل ما كانت تعرفه عن هول والقضية كان من السهل عليها أن

تسيطر عليه وتحركه باتجاه بيرغن واختفاء والدها. وبمساعدة هول تمكنت من العثور على جثة والدها أيضاً في ثلاجة في فينوي.

أزالت كجيرستي نظارتها.

- لا يلزمكما الكثير من الخيال لفهم أن تجربة من هذا النوع تشكل أساس ردة فعل نفسية، فقد أصبح التوتر أشد حين ظنت ثلاث مرات أنها عرفت القاتل. أولاً، إيدار فيتليسين ثم...

بحثت في دفتر ملاحظاتها:

- فيليب بيكر، وفي النهاية آرف ستوب؛ لتكتشف في ما بعد أنهم كانوا الأشخاص الخطأ. حاولت الحصول على اعتراف من ستوب بنفسها، لكنها تخلت عن الفكرة حين أدركت أنه ليس الرجل الذي تسعى وراءه، ثم هربت من المكان حين سمعت زملاءها يقتربون. قالت إنها لم ترغب بأن تتوقف حتى تتم مهمتها؛ وهي التعرف على الجاني. حتى هذه النقطة يمكننا أن نقول إنها لا تعاني من أي مشكلة نفسية، فقد عادت إلى فينوي حيث كانت متأكدة من أن هول سيتعقبها وقد كانت محقة في الواقع. وحين ظهر جردته من سلاحه لجعله يستمع لها بينما ترشده في ما عليه فعله في ما بعد في التحقيق.

- جردته من سلاحه؟ ظننا أنها استسلمت من دون أي عراك.
- قالت إن الجرح في فمها سببه مهاجمة هاري لها.
- أيمكننا تصديق مريضة نفسياً؟

قالت رودزموين بتأكيد:

- لم تعد مريضة نفسياً. ينبغي أن نبقيها تحت المراقبة ليومين آخرين، لكن بعد ذلك عليكما الاستعداد لأخذها إن كنتما مصرين على اعتبارها مشتبهاً بها.

بقيت آخر ملاحظة مخيمة في الجو حتى انحنى إسبن ليبسفيك للأمام على الطاولة:

- أيعني ذلك أنك تظنين أن كاترين برات تقول الحقيقة؟
- هذا لا ينضوي ضمن اختصاصي، ولا يمكنني التعليق.
- وإذا سألتك كغير مختصة؟

لاحت ابتسامة مقتضبة على شفتي رودزموين:

- أظن أن عليكم الاستمرار بالاعتقاد بما تعتقدونه أيها المحقق.

مشى بيورن هولم المسافة القصيرة من مركز الطب الشرعي إلى جاره

قسم التشريح، وانتظر في المرأب حتى وصل هاري بالسيارة من تريفان. كان بجوار هولم التقني بالملابس الخضراء مع الأقراط الذي كان يجر جثة بعيداً في آخر مرة كان فيها هاري هنا.

أعلمه هولم:

- لوند هلغسين ليس هنا اليوم.

قال هاري للتقني:

- إذاً، يمكنك أن ترينا المكان.

- من غير المسموح لنا أن نري...

- ما اسمك؟

- كاي روبول.

قال هاري وهو يظهر بطاقة الشرطة:

- حسناً ياروبول... أنا أسمح لك.

هز روبول كتفيه وفتح الباب:

- أنت محظوظ لأنك وجدت أحداً هنا. فغالباً ما يكون القسم فارغاً بعد الساعة الخامسة.

- لدي انطباع أنكم تعملون أوقاتاً إضافية بكثرة.

هز روبول رأسه بالنفي:

- ليس في القبو مع كل الجثث يارجل. هنا نرغب بالعمل في ضوء النهار... ماذا تريدان أن تريا؟

- أحدث الجثث.

فتح التقني بابين وقادهما عبرهما إلى غرفة تحوي ثمانية أحواض مغمورة... أربعة على كل جانب مع ممر ضيق بينها. كان كل حوض مغطى بغطاء معدني.

- إنها هنا في الأسفل... أربع في كل حوض، والأحواض مليئة بالكحول.

- مرتب.

كان من المستحيل معرفة إن كان التقني قد أساء الفهم عمداً أم لا لكنه أجاب:

- أربعون بالمائة من دون خلاط.

- اثنتان وثلاثون جثة إذاً. أهذا كل شيء؟

- لدينا نحو أربعين جثة لكنها الأحدث. عادة تبقى الجثث هنا لمدة سنة قبل أن نبدأ باستخدامها.

- كيف تحضرونها؟
- بالسيارة من فناء المشرحة، وبعضها نحضرها بأنفسنا.
- وتحضرونها عبر المرأب؟
- نعم.
- وماذا يحدث عندها؟
- ماذا يحدث؟ نحفظها، ونحدث جرحاً في الفخذ، ثم نحقن مادة مثبتة ونضع بطاقة معدنية عليها رقم موجود في السجلات الورقية.
- أي سجلات ورقية؟
- السجلات الورقية التي تأتي مع الجثة والتي يتم حفظها في المكتب. نثبت إحدى البطاقات بإصبع القدم، وواحدة بإصبع اليد، وواحدة بإحدى الأذنين، ونحاول تسجيل أعضاء الجسم حتى حين نقطعها لكي يتم حرق كامل الجثة مع بعضها قدر الإمكان حين يحين الوقت.
- أتقارنون الجثث مع السجلات الورقية بانتظام؟
- نقارن؟ فقط في حال كنا سننقل الجثث. معظم الجثث يتم حفظها هنا في أوسلو لنـزود الجامعات في ترومسو وترونديهايم وبيرغن حين لا يكون لديها ما يكفي.
- إذاً، من المحتمل أن نجد هنا شخصاً ما كان ينبغي وجوده، أليس كذلك؟
- لا. الجميع هنا تبرعوا بجثثهم للمعهد في وصيتهم.

قال هاري وهو ينحني إلى جانب أحد الأحواض:

- هذا ما كنت أفكر فيه.
- ماذا؟
- اسمع الآن ياروبول. سأسألك سؤالاً افتراضياً وأريدك أن تفكر جيداً قبل أن تجيب... مفهوم؟

هز التقني رأسه بسرعة.

وقف هاري:

- هل من الممكن أن يقوم شخص يتمتع بصلاحية دخول هذه الغرف بإحضار جثث إلى هنا عبر المرأب في الليل، ويضع بطاقة معدنية مع رقم زائف، ثم يضع الجثة في أحد الأحواض ونفترض بدرجة عالية من الاحتمالات أنه لن يتم اكتشافه؟

تردد كاي روبول ثم حك رأسه ومرر إصبعه على صف الأقراط.

نقل هاري وزنه من قدم لأخرى بينما كان فم هولم مفتوحاً.

- ما من شيء يمكن أن يمنع حصول ذلك.
- ما من شيء يمكن أن يمنع حصول ذلك؟

هز روبول رأسه بالنفي وضحك بسرعة:

- لا، على الإطلاق... إنه ممكن تماماً.
- في هذه الحالة، أرغب برؤية هذه الجثث الآن.

رفع روبول نظره إلى الشرطي الطويل:

- هنا؟ الآن؟
- يمكنك البدء من الخلف من الجانب الأيسر.
- أظن أن عليّ الاتصال بأحد ما للحصول على تصريح.
- إن كنت تريد تعطيل عملية التحقيق بجريمة قتل فستكون ضيفنا.

فرك روبول إحدى عينيه:

- جريمة قتل؟
- أسمعت برجل الثلج؟

رمش روبول مرتين، ثم استدار ومشى نحو السلاسل المعلقة من البكرة الآلية في السقف وسحبها إلى الأحواض مصدراً قعقعة مرتفعة، ووصل الخطافين بالحافة المعدنية للحوض ثم أمسك جهاز التحكم عن بعد وضغط، فقعقعت البكرة وبدأت السلاسل بالالتفاف، بينما بدأت الحافة بالارتفاع ببطء عن الحوض، فيما تبعتها نظرات هاري وهولم. ومثبتاً على الجانب السفلي للحافة، تم تثبيت قطعتين معدنيتين أفقيتين؛ واحدة تحت الأخرى مفصولتين بقطعة عمودية. وعلى جانبي الفاصل المركزي كانت هناك جثة بيضاء عارية تشبه الألعاب الشاحبة، وقد عزز هذا الانطباع الجرح الأسود المستطيل على الفخذ. حين وصلت الجثث إلى مستوى الورك ضغط التقني على زر الإيقاف، وفي الصمت تمكنوا من سماع الصوت العميق للكحول المتساقطة الذي يتردد في الغرفة ذات الأرضية البيضاء.

قال روبول:

- إذاً؟
- لا. التالية.

كرر التقني الإجراءات لتظهر أربع جثث جديدة من الحوض المجاور.

هز هاري رأسه بالنفي.

حين ظهرت الرباعية الثالثة أجفل هاري. أما روبول الذي أساء فهم ردة فعل هاري فقد ابتسم برضا:

- ما هذا؟

وأشار هاري إلى امرأة من دون رأس.

- ربما تمت إعادتها من إحدى الجامعات الأخرى. تكون جثثنا كاملة في العادة.

انحنى هاري ولمس الجثة. كانت باردة والقوام صلباً بشكل غير طبيعي بسبب المادة المثبتة. مرر إصبعاً على الحافة المقطوعة فوجدها ناعمة واللحم شاحباً.

- نستخدم مشرطاً للطرف الخارجي ثم منشاراً ناعماً.

انحنى هاري نحو الجثة، وأمسك بذراع المرأة اليمنى وسحبها لتواجهه.

صرخ روبول:

- ماذا تفعل؟

سأل هاري هولم الذي كان يقف على الجانب الآخر:

- أترى شيئاً على الظهر؟

هز هولم رأسه:

- وشم... يبدو كعلم.

- أي علم.

- ليست لدي أدنى فكرة. أخضر وأصفر وأحمر مع نجمة خماسية في الوسط.

قال هاري وهو يترك المرأة التي عادت لموقعها:

- أثيوبيا... هذه المرأة لم تتبرع بجثتها، لكن أحداً ما تبرع بها... إنها سيلفيا أوترسون.

بقي كاي روبول يرمش كما لو كان يتمنى اختفاء شيء ما إن رمش أكثر.

وضع هاري يداً على كتفه:

- ابحث عن شخص يمكنه الوصول إلى السجلات الورقية للجثث وابحث بينها. أريد أن أبقى بمفردي الآن.

سأل هولم:

- ماذا يحدث؟ لا يمكنني فهم هذا بصراحة.

- حاول. انس كل ما كنت تظن أنك تعرفه وحاول.

- حسناً، لكن ماذا يحدث؟

- هناك إجابتان: الأولى أننا نقترب من رجل الثلج.

- والإجابة الأخرى؟

- لا أدري.

القسم الخامس

33 - الأربعاء 5 نوفمبر 1980

رجل الثلج

في يوم تساقط الثلج، عند الساعة الحادية عشرة صباحاً، تساقطت ندف ثلج كبيرة من السماء عديمة اللون وغزت الحقول والمروج في رومرايك كأسطول من الفضاء الخارجي.

كان ماثياس جالساً وحده في سيارة أمه التويوتا كورولا أمام منـزل في كولوفين من دون أن تكون لديه أدنى فكرة عما تفعله أمه داخل المنـزل، فقد قالت إن الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً، لكنها استغرقت وقتاً طويلاً جداً. كانت قد تركت المفاتيح في فتحة التشغيل، وكان مذياع السيارة يصدح بأغنية "أندر ذا سنو" لفرقة الفتيات دولي. فتح باب السيارة ونـزل ليجد صمتاً غير طبيعي بين المنازل بسبب الثلج، فانحنى وأمسك بحفنة من المادة البيضاء وضغطها ليصنع منها كرة ثلج.

لقد رموا عليه اليوم كرات ثلج في باحة المدرسة، ودعوه "ماثياس بدون حلمتي ثدي"... زملاؤه في الصف 7أ. كان يكره المدرسة الثانوية ويكره كونه في الثالثة عشرة من العمر. كان الأمر قد بدأ بعد أول درس له في الصالة الرياضية، حين اكتشفوا أنه ليست لديه حلمتا ثديين. وفقاً للطبيب، إن الأمر قد يكون وراثياً، وقد قاموا بفحصه، وأخبره كل من أمه وأبيه أن والدها الذي توفي حين كانت أمه صغيرة لم تكن لديه أي حلمة ثدي أيضاً. لكنه حين كان يشاهد أحد ألبومات صور جدته، وجد ماثياس صورة لجده خلال موسم الحصاد يرتدي فيها سروالاً، وصدره عارٍ، وكانت لديه حلمتا ثديين.

ضغط ماثياس على كرة الثلج بقوة أكبر بين يديه. كان يريد رميها على شخص ما بقوة شديدة لتؤلمه، لكن لم يكن هناك أحد ليهاجمه، فقرر صنع شخص ليرمي عليه الكرات. وضع كرة الثلج في الثلج إلى جانب المرأب وبدأ يدحرجها لتتماسك بلورات الثلج مع بعضها. بعد دورانه حول المرج وصل ارتفاع الكرة إلى بطنه مخلفة آثاراً من الثلج البني. استمر بدحرجتها، وحين لم يعد بإمكانه دفعها أكثر بدأ بكرة أخرى كبيرة أيضاً، ثم رفعها فوق الكرة الأولى وصنع الرأس وتسلق ليضعه في الأعلى. كان رجل الثلج واقفاً إلى جانب إحدى النوافذ في المنـزل، حيث كانت تصدر بعض الأصوات، فكسر غصنين من شجرة التفاح، وعلقهما بجانبـي رجل الثلج، ثم حفر بحثاً عن بعض الحصى عند السلم الأمامي وتسلق مجدداً

ليصنع عينين وخطاً من الحصى للابتسامة. بعدها، وضع فخذيه حول رأس رجل الثلج وجلس على كتفيه لينظر من خلال النافذة.

في الغرفة المضاءة، وقف رجل عارٍ مغمضاً عينيه وهو يتحرك كما لو كان يرقص. لم يتمكن ماثياس من الرؤية لكنه عرف أن سارة موجودة معه... أمه.

أحكم ماثياس فخذيه حول رأس رجل الثلج، وشعر بالبرد بين ساقيه. لم يعد قادراً على التنفس، كما لو أن سلكاً من الفولاذ مشدود حول حنجرته.

حدق ماثياس بصدر الرجل الذي لم تكن لديه حلمتا ثديين.

فجأة، توقف الرجل... لقد فتح عينيه اللتين كانتا تحدقان بماثياس.

أرخى ماثياس قبضته، وانـزلق عن ظهر رجل الثلج، وانحنى جالساً بهدوء كالفأر ينتظر. كان ذهنه يدور... كان صبياً ذكياً... دائماً كانوا يخبرونه بذلك... ويقولون إنه غريب... لكن مع قدرات عقلية ممتازة... هذا ما قاله أساتذته... إذاً، كل أفكاره انتظمت الآن... كقطع أحجية كان يرتبها منذ أمد طويل. لكن الصورة التي ظهرت لا تزال غير مفهومة وغير محتملة... لا يمكن أن تكون صحيحة... ينبغي أن تكون صحيحة.

أنصت ماثياس للهاثه.

كانت صحيحة... لقد عرف ذلك للتو... كل شيء انتظم... برودة أمه مع والده... المحادثة التي ظنا أنه لا يمكن أن يكون قد سمعها... تهديدات والده اليائسة وتوسلاته لأمه ليس لكي تبقى لأجله فحسب، وإنما لأجل ماثياس... لديهما طفل... أليس كذلك؟ وضحكة أمه المرة. جده في ألبوم الصور وكذب أمه. بالطبع لم يصدق ماثياس حين قال ستيان من صفه إن أمّه لديها عاشق يعيش على الهضبة حسبما أخبرته عمته؛ لأن ستيان كان غبياً كالآخرين، ولا يفهم شيئاً، ولا حتى حين وجد ستيان بعد يومين قطته مشنوقة من أعلى سارية علم المدرسة.

لم يكن أبوه يعرف. أحس ماثياس أنّ أباه كان يظن أن ماثياس... ابنه، ويجب أن لا يعرف أبداً أنه ليس ابنه... أبداً... فهذا سيقتله. سيفضل ماثياس الموت بدلاً من ذلك. نعم، هذا تماماً ما يريده... يريد أن يموت... يريد أن يرحل... يريد أن يبتعد عن أمه والمدرسة وستيان و... كل شيء. نهض وركل رجل الثلج وركض إلى السيارة.

سيأخذها معه... ستموت... معه.

خرجت أمه، وفتح لها الباب بعد أربعين دقيقة تقريباً من دخولها

المنـزل.

سألته:

- ما الخطب؟
- لقد رأيته.

كانت هناك نبرة حادة مليئة بالرعب في صوته، لم تتذكر أنها سمعتها منذ أن كان طفلاً صغيراً محشوراً بينها هي وزوجها على الكنبة أمام التلفاز ويداه على عينيه. والآن، بدأ صوته يتغير، فقد توقف عن عناقها قبل النوم، وبدأ بالاهتمام بمحركات السيارات والبنات، ويوماً ما سيركب سيارة مع واحدة منهن ويتركها أيضاً.

قالت وهي تدخل المفتاح في فتحة الإشعال وتديره:

- ما الذي تعنيه؟
- رجل الثلج...

لم تكن هناك أي استجابة من المحرك، بينما سيطر عليها الذعر من دون سابق إنذار... مم كانت تخشى؟ هذا ما لا تعرفه، حدقت عبر الزجاج الأمامي وأدارت المفتاح مجدداً، هل فرغت البطارية؟

سألت وهي تضغط على دواسة البنـزين إلى أقصى حدّ، وتدير المفتاح بيأس وقوة لدرجة أنها شعرت أنها ستكسره:

- كيف كان شكل رجل الثلج؟

أجابها، إلا أن صوت المحرك طغى على إجابته.

حركت سارة مبدّل الحركة، وأفلتت المقبض، فغزلت العجلات في الثلج الناعم. زادت من السرعة، إلا أن السيارة انـزلقت جانباً بينما دارت الإطارات حتى وصلت إلى الأسفلت.

- والدك ينتظرنا... علينا الإسراع.

شغّلت المذياع، ورفعت الصوت، كان هناك مذيع أخبار يقول للمرة المائة في ذلك اليوم إن رونالد ريغان قد تغلب على جيمي كارتر الليلة الماضية في الانتخابات الأمريكية.

قال الصبـي شيئاً آخر مرة أخرى فنظرت إلى المرآة وقالت بصوت مرتفع:

- ما الذي قلته؟

أعاد ما قاله لكنها لم تسمعه أيضاً، فأخفضت صوت المذياع وهي تتجه نحو الطريق الرئيس والنهر اللذين يتدفقان عبر الريف كشريطين أسودين حزينين. أجفلت حين أدركت أنه متكئ إلى الأمام بين المقعدين

الأماميين، وبدا صوته كهمس جاف في أذنها كما لو كان من المهم أن لا يسمعهما أحد.

- سنموت.

ثم ضربها.

ضربت الرافعة مؤخر رأسها لتسحقه، بينما لم تبدُ على أمه أي ردة فعل، وإنما تيبست نوعاً ما في مقعدها، فضربها مرة ثانية وثالثة. قفزت السيارة، بينما انـزلقت قدم أمه عن دواسة المكابح من دون أن يصدر عن أمه أي صوت... ربما تحطم مركز الكلام في دماغها. عند الضربة الرابعة شعر برأسها ينهار، وانحدرت السيارة إلى الأمام وزادت سرعتها، لكنه كان يعلم أنها فقدت وعيها. عبرت سيارة أمه التويوتا كورولا الطريق الرئيس، وانطلقت عبر الحقول على الجانب الآخر. أبطأ الثلج من سرعة السيارة؛ لكن ليس بما يكفي لتقف، ثم ارتطمت بالماء وانـزلقت إلى النهر الأسود الواسع. مالت السيارة، وتوقفت للحظة قبل أن يقذفها التيار ويجعلها تدور، بينما تسرب الماء عبر الأبواب والهيكل وعبر المقابض وجوانب النوافذ وتدفق برقة. نظر ماثياس من النافذة، ولوح لسيارة على الطريق الرئيس، لكن يبدو أنهم لم يروه. كان الماء يرتفع في التويوتا، وفجأة سمع أمه تتمتم بشيء ما، فنظر إليها، ورأى الجروح البليغة تحت شعرها الملطخ بالدم في مؤخر رأسها. كانت تتحرك تحت حزام الأمان، بينما بدأت المياه بالارتفاع بسرعة لتصل إلى ركبتي ماثياس الذي شعر بذعره يتزايد... لم يكن يريد الموت... ليس الآن... وليس بهذه الطريقة. حطم النافذة الجانبية بالرافعة ليتحطم الزجاج وتتدفق المياه للداخل، ثم قفز على المقعد، وحشر نفسه في فتحة النافذة ليشق طريقه بين أعلى النافذة والمياه المتدفقة للداخل. علق حذاؤه بإطار النافذة، فلوى قدمه، وأحس بالحذاء ينجرف بعيداً، ثم تحرر وبدأ بالسباحة باتجاه الضفة. رأى سيارة تتوقف على الطريق الرئيس وشخصين ينـزلان منها ويشقان طريقهما عبر الثلج باتجاه النهر.

كان ماثياس سباحاً جيداً... كان جيداً في الكثير من الأمور؛ لذا لم يكونوا يحبونه؟ خاض رجل في المياه وجره إلى اليابسة فاقترب من ضفة النهر. سقط ماثياس على الثلج، ليس لأنه لم يكن قادراً على الوقوف، وإنما لأنه عرف أن هذا أذكى ما يفعله. أغمض عينيه، وسمع صوتاً مهتاجاً يسأله إن كان هناك أحد آخر في السيارة... إن كان هناك أحد فقد يتمكنون من إنقاذه، فهز ماثياس رأسه ببطء نافياً، فسأله الصوت إن كان متأكداً.

ستعزو الشرطة الحادث لحالة الطرق الزلقة، والأذيات في رأس المرأة

الغارقة إلى انحراف السيارة عن الطريق واصطدامها بالماء. في الواقع، لم تكن السيارة قد تضررت، لكنه التفسير الوحيد المعقول، كما أن الصدمة هي التفسير المعقول الوحيد لجواب الصبـي حين سأله أول الواصلين إلى مكان الحادث عدة مرات إن كان هناك أحد آخر في السيارة وقال له في النهاية:

- لا، أنا فحسب... أنا وحدي.

كرر ماثياس بعد ست سنوات:

- لا، أنا فحسب... أنا وحدي.

قال الصبـي الواقف بجواره ويضع صينية على طاولة المقصف التي كان ماثياس يشغلها بمفرده حتى تلك اللحظة:

- شكراً.

كان المطر يهطل مرحباً بطلاب الطب في بيرغن... ترحيباً منتظماً حتى الربيع.

سأل الصبـي:

- أنت جديد هنا أيضاً؟

وشاهد ماثياس سكينه يقطع قطعة لحم العجل الثخينة.

هز رأسه.

- لديك لكنة من أوستلاند. ألم تذهب إلى أوسلو؟
- لا أريد الذهاب إلى أوسلو.
- لِمَ لا؟
- لا أعرف أحداً هناك.
- من تعرف هنا إذاً؟
- لا أحد.
- أنا أيضاً لا أعرف أحداً هنا. ما اسمك؟
- ماثياس لوند هلغسين. وأنت؟
- إيدار فيتليسين. هل صعدت إلى جبل أولريكن؟
- لا.

كان ماثياس قد صعد إلى جبل أولريكن وفلوين وساندفيكسفجيليت، ودخل الممرات الضيقة المؤدية إلى فيسكيتورغيت وتورغالمينينغين والساحة الرئيسة، ورأى البطاريق وأسود البحر في حوض الأسماك، وشرب في ويسيلستوين، واستمع لفرقة جديدة في قاعة مرأب، ورأى فريق إس كي

بران يخسر مباراة كرة قدم في ملعب بران. كان ماثياس قد وجد الوقت ليقوم بكل هذه الأشياء التي ينبغي أن يقوم بها مع أصدقاء من الطلاب... بمفرده.

قام بالجولة مع إيدار مجدداً، متظاهراً أنها المرة الأولى.

ثم اكتشف ماثياس أن إيدار شخص اجتماعي جداً، وبتقربه من هذا الشخص الاجتماعي وجد ماثياس نفسه في قلب جميع الأمور.

كانا في حفل في شقة طالب يحمل اسماً تقليدياً لمدينة بيرغن في الأمسية السابقة لحفل الخريف السنوي لطلاب الطب، وقد دعا إيدار فتاتين جميلتين من بيرغن ترتديان فستانين أسودين، وترفعان شعرهما. وكانتا تنحنيان للأمام لتسمعا الحديث الذي يدور بين إيدار وماثياس. سأل إيدار ماثياس:

- لم اخترت دراسة الطب؟
- لجعل العالم مكاناً أفضل. ماذا عنك؟

أجاب إيدار وهو يغمز الفتاتين:

- لجني المال.

كانت إحداهما تجلس إلى جانب ماثياس:

- لديك لصاقة تبرع بالدم. ما زمرة دمك؟
- ب سلبـي. إذاً، ماذا تفعلين؟
- دعنا لا نتكلم عن هذا. ب سلبـي؟ أليست زمرة دم نادرة؟
- بلى. كيف عرفت؟
- أنا أتدرب كممرضة.

قال ماثياس:

- جيد. في أي سنة؟
- الثالثة.
- أفكرت بماذا ستختصين؟
- دعنا لا نتكلم عن هذا.

ثم وضعت يداً على فخذه.

كررت العبارة نفسها بعد خمس ساعات وهي مستلقية على السرير.

- لم يحدث هذا لي من قبل.

ابتسمت وربتت على خده:

- إذاً، المشكلة ليست بـي؟

تلعثم:

- ماذا؟ لا.

ضحكت:

- أنت رائع. إنك لطيف وحسن الانتباه. ماذا حصل لهذه بالمناسبة؟ وقرصت صدره.

أحس ماثياس بشيء أسود يهبط؛ شيء مقرف وأسود ورائع.

- لقد ولدت هكذا.

- أهو مرض؟

- إنها تأتي مع ظاهرة رينو وتصلب الجلد.

- ماذا؟

- إنه مرض وراثي يجعل أنسجة الربط في الجسد تتصلب.

- أهو خطير؟

وربتت على جسده بهدوء.

ابتسم ماثياس:

- ظاهرة رينو تعني أن تبرد أصابع يديك وقدميك وتصبح بيضاء، أما تصلب الجلد فأسوأ...

- حقاً!

- أنسجة الربط المتصلبة تشد الجلد فتملس البشرة وتختفي التجاعيد.

- أليس هذا جيداً؟

أحس بيدها مجدداً:

- تبدأ البشرة المشدودة بإعاقة تعابير الوجه التي تقل كما لو أن وجهك يتصلب في قناع.

فتنحني يداك، ومع مرور الوقت ذراعاك أيضاً، ولا تعودي قادرة على فردها. وفي النهاية، تبقين واقفة وأنت غير قادرة على الحراك، بينما يخنقك جلدك.

همست:

- يبدو الأمر كموت شنيع.

- أفضل نصيحة هي الانتحار قبل أن يدفعك الألم للجنون. أتمانعين الاستلقاء عند حافة السرير؟

- لهذا تدرس الطب، أليس كذلك؟ لمعرفة المزيد، وإيجاد وسيلة للعيش.

قال وهو ينهض ويقف عند حافة السرير.

- كل ما أريده هو أن أعرف الوقت المناسب للموت.

كان الطبيب المؤهل حديثاً ماثياس لوند هلغسين مشهوراً في قسم الأمراض العصبية في مشفى هوكلاند في بيرغن، وقد وصفه كل من زملائه ومرضاه على أنه شخص كفؤ وحسن التفكير ومستمع جيد. وكانت آخر هذه الصفات تساعده كثيراً، حيث كان يستقبل مرضى يشتكون من أعراض متنوعة موروثة عموماً، وغالباً من دون أي أمل بالشفاء، فكان ذلك مجرد تخفيف عنهم. وفي حالات نادرة، حين كان الأطباء يرون مرضى يعانون من تصلب الجلد، فإنهم دائماً يحولونهم للطبيب الشاب الودود الذي بدأ بالتفكير بالتخصص في علم المناعة. وفي بداية الخريف، جاءته ليلى آسن وزوجها مع ابنتهما التي كانت مفاصلها متصلبة وتشكو من الألم. كان أول ما فكر فيه ماثياس أنها تعاني من التهاب الفقرات التصلبـي، لكن ليلى آسن وزوجها أكدا أن هناك أمراض روماتيزم في عائلتيهما. لذا، أخذ ماثياس عينات دم منهما ومن الفتاة.

حين أتت النتائج، كان ماثياس جالساً في مكتبه. وقد قرأها ثلاث مرات ليعود له الشعور المقرف نفسه والأسود والرائع. كانت نتيجة الاختبارات سلبية من الناحية الطبية، حيث يمكن استبعاد التهاب الفقرات التصلبـي كسبب للمرض، كما يمكن استبعاد السيد آسن كوالد للفتاة. وكان ماثياس يعلم أنه لا يعرف ولكنها تعرف... ليلى آسن تعرف. كان قد رأى وجهها ينقبض حين طلب عينات دم من ثلاثتهم. ألا تزال مع الرجل الآخر؟ كيف يبدو؟ أيعيش في منـزل منفصل مع مرج كبير أمامه؟ ما هي العيوب السرية التي لديه؟ وكيف ومتى ستكتشف الفتاة أنها كانت مخدوعة طوال حياتها بهذه الساقطة الكاذبة؟

نظر ماثياس إلى الأوراق، وأدرك أنه أوقع كأس الماء على مكتبه، فقد كانت هناك بقعة مبللة كبيرة تنتشر على ساقيه، وشعر بالبرد يمتد إلى معدته ويرتفع باتجاه رأسه.

اتصل بليلى آسن وأعلمها بالنتيجة... النتيجة الطبية، فشكرته وهي تشعر بالارتياح، ثم أنهيا المكالمة. حدق ماثياس إلى الهاتف لفترة طويلة... يا الله، كم يكرهها. في تلك الليلة، بقي مستلقياً على الفراش الضيق لسريره غير قادر على النوم، فحاول القراءة، لكن الحروف تراقصت أمام عينيه ولم يستطع التركيز، فغرز إبرة في إصبع قدمه التي أصبحت بيضاء بالكامل من جديد ليرى إن كان لديه أي إحساس. في النهاية، غطى وجهه بالوسادة

وبكى حتى ظهر ضوء النهار ليلون سماء الليل باللون الرمادي.

كان ماثياس مسؤولاً أيضاً عن القضايا العصبية الأكثر انتشاراً، وإحداها تتعلق بشرطي من مركز شرطة بيرغن. بعد الفحص، وقف الشرطي الذي كان في منتصف العمر وارتدى ثيابه. لكن اجتماع رائحة الجسد مع رائحة الأنفاس المخمورة أصابه بالخدر.

استفسر الشرطي كما لو كان ماثياس أحد أتباعه:

- إذاً؟

- أولى مراحل التهاب الأعصاب. الأعصاب في أسفل قدمك متأذية مما يخفف من الإحساس.

- ألهذا تظن أنني بدأت بالمشي كما لو أنني ثمل؟

- هل أنت كذلك يارافتو؟

توقف الشرطي عن إغلاق أزرار قميصه لينتشر الدم في جسده ويصل حتى رقبته؛ كما يرتفع الزئبق في ميزان الحرارة:

- ما الذي قلته أيها الحقير؟

- عموماً، الكثير من الشراب يتسبب باعتلال الأعصاب. إذا استمررت بالشرب فأنت معرض لمخاطر أذيات الدماغ الدائمة. أسمعت بكورساكوف يارافتو؟ ألم تسمع؟ دعنا نتمنى أن لا تسمع بها؛ لأنك إن سمعت اسمها فهذا عادة يكون مرتبطاً بمتلازمة سيئة جداً تحمل هذا الاسم. حين تنظر إلى المرآة وتسأل نفسك إن كنت مدمناً فأنا لا أعرف بم ستجيب، لكنني أقترح أن تسأل نفسك في المرة المقبلة سؤالاً إضافياً: هل أريد الموت الآن أو أريد المزيد من الوقت؟

تفحص غيرت رافتو الشاب الذي يرتدي رداء الطبيب ثم شتمه وخرج وصفق الباب وراءه.

بعد أربعة أسابيع، اتصل رافتو بماثياس وسأله إن كان بإمكانه أن يأتي ويراه.

قال ماثياس:

- غداً.

- لا أستطيع. الأمر طارئ.

- إذاً، توجه إلى أ.ي.

- اسمعني لوند هلغسين. بقيت في السرير لثلاثة أيام من دون أن أتمكن من الحراك... أنت الوحيد الذي سألني بصراحة إن كنت أحتسي

الكثير من الشراب. نعم، أنا أفعل ذلك... ولا... لا أريد أن أموت... ليس بعد.

كانت شقة غيرت رافتو تفوح منها رائحة القمامة ورائحته، لكن لم تفح رائحة الطعام؛ إذ لم يكن هناك أي طعام في المنـزل.

قال ماثياس وهو يرفع حقنة عالياً نحو الضوء:

- هذا فيتامين ب1. سيساعدك على الوقوف على قدميك مجدداً.

قال غيرت رافتو:

- شكراً.

وبعد خمس دقائق كان يغط في النوم.

تمشى ماثياس في الشقة، ليجد على المكتب صورة لرافتو مع فتاة ذات شعر داكن على كتفيه. وفوق المكتب على الجدار، كانت هناك صور لما يجب أن تكون مسارح جرائم... الكثير من الصور. حدق إليها ماثياس، وأمسك ببعضها، وتفحص التفاصيل... يا إلهي... كم كانوا غير متقنين... القتلة... كانت أخطاؤهم ملحوظة؛ خصوصاً على الجثث التي لديها جروح بأدوات حادة وخشنة. فتح الأدراج وبحث عن المزيد من الصور، ليجد تقارير وملاحظات وبعض الأشياء القيمة كالخواتم والساعات النسائية والقلائد وقصاصات الصحف التي قرأها. كان غيرت رافتو موجوداً فيها غالباً مع اقتباسات من مؤتمرات صحفية تكلم فيها عن غباء القتلة وكيف قبض عليهم؛ لأنه كان من الواضح أنه قبض عليهم جميعاً.

بعد ست ساعات استيقظ غيرت رافتو ليجد ماثياس لا يزال هناك. كان يجلس بجوار السرير ويضع تقريري جرائم في حضنه.

- أخبرني، كيف ترتكب جريمة قتل إن كنت ترغب بأن لا يتم القبض عليك؟

قال رافتو وهو ينظر حوله بحثاً عن شيء يشربه:

- تجنب منطقة نفوذي. إذا كان المحقق جيداً فلا تتأمل أبداً.
- وإذا أردت القيام بذلك بوجود محقق جيد؟
- سأتقرب من المحقق قبل ارتكاب الجريمة، وبعد الجريمة سأقتله أيضاً.

قال ماثياس:

- مضحك. هذا ما كنت أفكر فيه بالضبط.

خلال الأسابيع التي تلت، قام ماثياس ببضع زيارات لمنـزل غيرت رافتو

الذي تعافى بسرعة، وتكلما كثيراً وبشكل مطول عن المرض، وأسلوب الحياة والموت، وعن الشيئين الوحيدين اللذين أحبهما رافتو في هذه الدنيا: ابنته كاترين التي رفضت حبه بشكل لا يفهمه، والكوخ الصغير في فينوي الذي كان المكان الوحيد حيث يمكنه إيجاد السكينة. كما تكلما كثيراً عن جرائم القتل التي حلها رافتو وحول انتصاراته، وقد شجعه ماثياس وأخبره أن بإمكانه الانتصار في صراعه مع الشراب، ويمكنه الاحتفال بانتصارات أخرى طالما بقي بعيداً عن الشراب.

ومع حلول أواخر الخريف في بيرغن، مع أيام أقصر وأمطار أكثر كان ماثياس قد جهز خطته.

في صباح أحد الأيام اتصل بليلى آسن في المنـزل.

أخبرها باسمه، وأنصتت له بينما شرح لها سبب مكالمته، فقد أظهرت عينة دم الفتاة نتائج جديدة، وهو يعرف الآن أن باستيان آسن ليس الأب البيولوجي للفتاة، ومن الضروري أن يحصل على عينة دم من الأب الحقيقي. وهذا يعني بالضرورة أن الفتاة وباستيان سيعلمان بالأمر. وسألها إن كانت موافقة.

انتظر ماثياس ليسمح للأمر بالوضوح.

ثم قال لها إنها إن كانت تظن أنه من الضروري أن يبقى الأمر سرياً فإنه سيساعدها؛ لكن ذلك سيحصل بشكل غير رسمي.

رددت كشخص مصدوم:

- غير رسمي؟

- كطبيب أنا مضطر للالتزام بالقواعد الأخلاقية المتعلقة بالصراحة مع المريض أي ابنتك. لكنني أجري بحثاً عن المتلازمات، وبالتالي أنا مهتم خصوصاً بمتابعة حالتها. إن كان بإمكانك وبسرية تامة أن تلاقيني هذا المساء...

همست بصوت مرتعش:

- نعم... نعم من فضلك.

- حسناً، اركبـي آخر عربة سلكية لليوم إلى قمة جبل أولريكن حيث لن يزعجنا أحد، ويمكننا النـزول مشياً. أتمنى أن تقدري ما أخاطر به، وألاّ تذكري أي شيء عن هذا اللقاء لأي مخلوق.

- بالطبع! ثق بـي.

كان لا يزال ممسكاً بالسماعة بعد أن أنهت المكالمة، فوضع شفتيه عليها وهمس:

- ولم قد يثق بك أحد أيتها العاهرة الصغيرة؟

لم تعترف ليلى آسن بأنها قد أخبرت صديقة لها أنها ستقابله حتى استلقت على الثلج والمشرط على حنجرتها لأنه كان لديهما في الأصل موعد على العشاء. لكنها لم تذكر سوى اسمه الأول، كما لم تذكر سبب اللقاء.

- لماذا قلت أي شيء؟

صرخت ليلى:

- لأزعجها، فهي فضولية جداً.

ضغط بالفولاذ الحاد بقوة أكبر على بشرتها، فأخبرته ليلى باسم صديقتها وعنوانها، ثم لم تقل أي شيء.

حين قرأ ماثياس بعد يومين عن جريمة قتل ليلى آسن واختفاء أوني هيتلاند وغيرت رافتو في الصحيفة أحسّ بمشاعر مختلطة. أولاً، كان منـزعجاً من قتل ليلى آسن لأن الأمر لم يتم كما خطط له؛ حيث فقد السيطرة خلال نوبة من نوبات الغضب والذعر مما أدى إلى الكثير من الفوضى، والكثير مما تلزم إزالته، والكثير مما ذكره بالصور في شقة رافتو والقليل من الوقت للاستمتاع بالانتقام وتحقيق العدالة.

أما قتل أوني هيتلاند فكان أسوأ... شبه كارثي، فقد خانته شجاعته مرتين قبل أن يرن جرس بابها. أما في المرة الثالثة فقد أدرك أنه تأخر كثيراً، فهناك شخص غيره رن الجرس... إنه غيرت رافتو. بعد مغادرة رافتو، رن الجرس وعرف عن نفسه كمساعد رافتو ودخل. لكن أوني قالت إنها لن تخبره بما أخبرت به رافتو، فقد وعدت رافتو أن يبقى الأمر سراً بينهما، ولم تتكلم حتى جرح يدها بالمشرط.

فهم ماثياس مما قالته أن غيرت رافتو قرر حل القضية بنفسه، فقد أراد إعادة بناء سمعته... الأحمق!

لم يكن هناك ما يمكن انتقاده في ما يتعلق بالتخلص من أوني هيتلاند... القليل جداً من الضجة... القليل جداً من الدم، وقد تم تقطيع جسدها في حجرة الدش بسرعة وكفاءة، ووضع كل القطع في كيس، ثم وضعه في حقيبة ظهر كبيرة أحضرها معه لهذا الغرض. خلال زياراته لرافتو، عرف ماثياس أن أول ما تبحث عنه الشرطة في جرائم القتل هو السيارات التي تمت رؤيتها بالقرب من مسرح الجريمة ورحلات سيارات الأجرة المسجلة؛ لذا عاد إلى شقته مشياً على الأقدام.

ما بقي الآن هو الجزء الأخير من تعليمات غيرت رافتو لارتكاب

جريمة قتل كاملة: قتل المحقق.

من الغريب أن هذا الجزء كان الأفضل بين الجرائم الثلاث... إنه غريب لأن ماثياس لم تكن تراوده أي مشاعر سلبية تجاه رافتو كالكراهية التي شعر بها إزاء ليلى آسن. كان الأمر حول الاقتراب لأول مرة من الجماليات التي كان يتخيلها، ومن فكرته حول كيفية تنفيذ جريمة القتل. كانت تجربته للفعل ذاته شنيعة وتمزق القلب كما كان يأمل أن تكون. ولا يزال بإمكانه سماع صرخات رافتو تتردد في أرجاء الجزيرة المهجورة. وأغرب شيء حصل أنه خلال طريق العودة اكتشف أن إصبع قدمه لم تعد بيضاء وخدرة؛ كما لو أن عملية التجمد التدريجية لأطرافه قد توقفت للحظات بسبب الدفء الذي سرى في جسده.

بعد أربع سنوات، ومع قتل ماثياس أربع نساء أخريات وإدراكه أن جميع جرائم القتل كانت محاولة لإعادة تمثيل جريمة قتل أمه استنتج أنه مجنون.

أو بدقة أكبر، استنتج أنه يعاني من خلل خطير في الشخصية؛ فقد أشارت جميع مؤلفات المختصين إلى ذلك... الطقوس المرافقة لجرائم القتل... وضرورة أن تتم في يوم تساقط الثلج للمرة الأولى في السنة... وضرورة أن يصنع رجل ثلج... وساديته المتزايدة.

لكن هذا الإدراك لم يمنعه بأي شكل من الاستمرار؛ لأن الوقت ضيق، وقد بدأت أعراض ظهور ظاهرة رينو تتزايد، كما يظن أن بداية أعراض تصلب الجلد بدأت تظهر عليه أيضاً؛ كالتصلب في وجهه الذي سيمنحه في النهاية الأنف المبوز المقزز والفم المشدود الذي يظهر في أسوأ الحالات.

كان قد انتقل إلى أوسلو لإتمام دراسته لعلم المناعة والقنوات المائية في الدماغ، حيث كان مركز أبحاث هذه الأمراض هو قسم التشريح في غوستاد. وبالإضافة إلى أبحاثه، كان يعمل في عيادة مارينليست حيث كان إيدار يعمل أيضاً وقام بتزكيته، كما قام ماثياس بمناوبات ليلية في أ.ي بما أنه غير قادر على النوم في كل الأحوال.

لم يكن من الصعب العثور على الضحايا. في البداية، كان يعتمد على عينات دم من المرضى؛ والتي كانت تستبعد الأبوة في الكثير من الحالات، بالإضافة إلى اختبارات الحمض النووي التي تجريها وحدة الأبوة في مركز الطب الشرعي. أما إيدار الذي كانت قدراته محدودة حتى بالنسبة إلى طبيب عام، فكان يطلب النصيحة في جميع الحالات المرتبطة بمتلازمات

وأمراض وراثية، وإذا كان المريض طفلاً فإن نصيحة ماثياس له لم تكن تتغير.

- اطلب من كلا الوالدين الحضور عند الفحص الأول، وخذ مسحة فم من الجميع، وقل إنها للتحقق من البكتيريا، وأرسل العينات لوحدة الأبوة لكي نعرف على الأقل أننا نبدأ من نقطة صحيحة.

وقد قام إيدار الأحمق بتنفيذ ذلك؛ مما يعني أن ماثياس حصل بعد فترة وجيزة على ملف صغير لنساء لديهن أطفال منسوبون لغير آبائهم. والأفضل من كل ذلك أنه لم تكن هناك أي صلة بينه وبين أولئك النساء بما أن مسحات الفم كان يتم تسليمها باسم إيدار.

وكانت طريقة إيقاعهن في الشرك هي الطريقة نفسها التي استخدمها بنجاح مع ليلى آسن... مكالمة هاتفية، واتفاق على اللقاء في موقع سري مجهول بالنسبة لأي أحد آخر. في إحدى المرات، انهارت الضحية على الهاتف، وأخبرت زوجها بكل شيء، مما أدى إلى انفصالهما؛ مما يعني أنها حصلت على عقابها بكل الأحوال.

لزمن طويل، كان ماثياس يفكر في كيفية التخلص من الجثث بكفاءة أفضل؛ إذ من الواضح أن الطريقة التي استخدمها مع أوني هيتلاند لم تكن قابلة للتطبيق على المدى البعيد؛ حيث قطعها لقطع صغيرة ووضعها في حمض الهيدروكلوريد في حوض الاستحمام في شقته. كانت عملية خطرة ومرهقة ومؤذية للصحة، وقد استغرقت ما يقارب ثلاثة أسابيع، وبالتالي كانت سعادته عظيمة حين خطر له الحل... أحواض تخزين الجثث في قسم التشريح... فكرة ذكية وبسيطة... كأنشوطة التقطيع.

كان قد قرأ عنها في مجلة تشريح، حيث أوصى عالم تشريح فرنسي باستخدام هذه الأداة البيطرية على الجثث التي بدأت بالتحلل لأن الأنشوطة تقطع الأنسجة الطرية المهترئة بالفعالية نفسها التي تقطع بها العظام، ولأنه يمكن استخدامها على عدة جثث في الوقت نفسه من دون المخاطرة بنقل البكتيريا. فأدرك على الفور أنه باستخدام هذه الأنشوطة لتقطيع الضحايا ستسهل عملية النقل بشكل كبير، وبالتالي اتصل بالمصنع، وسافر بالطائرة إلى روين حيث حصل على الأداة التي استمع لشرح طريقة استخدامها بلغة إنكليزية ركيكة في صباح ضبابي داخل حظيرة مطلية باللون الأبيض شمال فرنسا. كانت الأنشوطة تتكون من مقبض منبسط على شكل موزة وبحجمها، مع ساتر معدني لحماية اليد من الحروق، بينما كان

السلك رقيقاً كخيط صنارة الصيد وموصولاً بجانبـي المقبض حيث يمكن شده أو حله بواسطة زر. كما كان هناك مفتاح للتشغيل والإيقاف يفعّل العنصر الحراري، ويجعل السلك يتوهج باللون الأبيض خلال ثوانٍ. ابتهج ماثياس، فهذه الأداة ستفيده في الكثير من الأشياء وليس في تقطيع الجثث فحسب. وحين سمع بالسعر كاد ينفجر من الضحك؛ فالأنشوطة تكلف أقل من تكلفة الرحلة؛ بما في ذلك سعر البطاريات.

لقد انعكست خبرات ماثياس الشخصية لدى نشر الدراسة السويدية التي توصلت إلى أن ما بين 15 و20 بالمائة من الأطفال آباؤهم البيولوجيون مختلفون عن الآباء الذين ينتسبون إليهم؛ فهو ليس وحيداً، ولن يكون وحيداً في اضطراره للموت بطريقة وحشية ومبكرة بسبب زنى أمه مع صاحب مورثات مشوهة. لكنه سيكون وحيداً في هذا: عملية التطهير... مكافحة المرض... حرب ضروس. كان يشك في أن أحداً سيشكره أو يكرمه، لكنه كان متأكداً من أن الجميع سيتذكرونه بعد موته بزمن لأنه وجد أخيراً شهرة بين الأجيال القادمة... بشكل رائع... الضربة الأخيرة.

ثم جاءته فرصة أدت إلى بداية الأمر.

رآه على التلفاز... الشرطي... هاري هول... كانت هناك مقابلة مع هاري هول لأنه قبض على قاتل متسلسل في أستراليا، وقد ذكره ذلك بنصيحة غيرت رافتو: "تجنب منطقة نفوذي"، كما ذكره بالسعادة التي تنجم عن قتل مطارده... الإحساس بالتفوق... الإحساس بالنفوذ... فلا شيء يمكن مقارنته بقتل رجل الشرطة. وقد بدا هول الشهير مشابهاً لرافتو نوعاً ما؛ إذ كلاهما لديهما حالة الغضب والارتجال نفسها.

وبالرغم من ذلك، كان من الممكن أن ينسى هاري هول بالكامل لو لم يقم أحد الأطباء المختصين بالأمراض النسائية في عيادة مارينليست بالحديث عنه في المقصف في اليوم التالي؛ قائلاً إنه سمع أن هذا المحقق الصلب الذي ظهر على التلفاز كان مدمناً ومجنوناً، لتضيف غابرييلا طبيبة الأطفال أن ابن حبيبة هول أوليغ مريض لديها وهو صبـي لطيف.

قال الطبيب المختص بالأمراض النسائية:

- إذاً، سيكون مدمناً. فهذا ينتقل مع المورثات كما تعرفون.

عارضته غابرييلا:

- هول ليس أباه، لكن الرجل المسجل على أنه والده- وهو أستاذ جامعي في موسكو- مدمن أيضاً.

صرخ إيدار فيتليسين بين ضحكاتهم:

- أنا لم أسمع هذا الحديث. لا تنسوا السرية بين الطبيب والمريض يا شباب.

أكمل الجميع غداءهم، لكن ماثياس لم يستطع أن ينسى ما قالته غابرييلا، أو الأسلوب الذي تكلمت به: "الرجل المسجل على أنه والده".

وبالتالي، قام ماثياس بعد الغداء باللحاق بطبيبة الأطفال إلى مكتبها، ودخل وأغلق الباب وراءه.

- أيمكنني سؤالك عن شيء يا غابرييلا؟

- آه... أهلاً.

واحمرت وجنتاها وهي تتوقع... كان ماثياس يعرف أنها تحبه، وقد افترض أنها كانت تظنه وسيماً وودوداً ومرحاً ومنصتاً ماهراً، وقد طلبت منه عدة مرات أن يخرجا معاً بشكل غير مباشر لكنه رفض.

- كما تعلمين، لدي إذن باستخدام بعض عينات الدم في العيادة لأجل بحثي، وقد وجدت في الواقع بعض النقاط المثيرة للاهتمام في الصبي الذي كنتم تتكلمون عنه... ابن حبيبة هول.

- أظن أن علاقتهما انتهت.

- حقاً؟ هناك شيء في عينة الدم؛ مما جعلني أتساءل إن كانت هناك أي أمراض في العائلة...

ظن ماثياس أنه لاحظ بعض الإحباط في وجهها، أما بالنسبة إليها فقد كان أبعد ما يكون عن الإحباط مما قد أخبرته به.

- شكراً لك.

ثم نهض وخرج. كان يشعر بقلبه ينبض حماسة وحيوية، وقدميه تنقلانه للأمام من دون استهلاك أي طاقة، وبسرور يجعله يتوهج كالأنشوطة لأنه كان يعلم أن هذه هي البداية... بداية النهاية.

كانت جمعية سكان هولمينكولن تقيم حفلة صيفية في يوم صيفي حار من شهر أغسطس على المرج أمام فناء الجمعية، حيث كان الكبار جالسين على كراسي تخييم تحت المظلات يحتسون الشراب، والأطفال يركضون بين الطاولات أو يلعبون كرة القدم على المنحدر الحصوي. وعلى الرغم من وضعها نظارة شمسية ضخمة أخفت وجهها فقد تعرف عليها ماثياس من الصورة التي قام بتحميلها من موقع عملها الإلكتروني. كانت واقفة وحدها، فتوجه إليها وسألها بابتسامة ساخرة إن كان بإمكانه الوقوف إلى جانبها وأن يتظاهر أنه يعرفها. وقد كان يعرف كيف يقوم بذلك الآن، إذ لم يعد

ماثياس القديم من دون حلمتي الثديين.

أخفضت نظارتها وتفحصته باستهزاء، بينما كان يفكر في أن الصورة كاذبة؛ فهي أجمل بكثير لدرجة أنه فكر للحظات في أن الخطة أ مليئة بنقاط الضعف: فمن المحتمل جداً أن لا ترغب به، فامرأة كراكيل لديها العديد من الخيارات، وينبغي أن تعطي الخطة ب نتائج الخطة أ نفسها، لكنها لن تكون مرضية بالشكل نفسه.

قال وهو يرفع كأساً بلاستيكية بإيماءة ترحيب خجولة:

- أنا خجول اجتماعياً. لقد دعاني صديق يقطن في الجوار لكنه لم يأت، ويبدو أن الجميع يعرفون بعضهم هنا. أعدك بالانسحاب لحظة ظهوره.

ضحكت فأحب ضحكتها، وعرف أن الثواني الثلاث المهمة قد انقضت لمصلحته.

- لقد رأيت صبياً يسجل هدفاً رائعاً على المنحدر الحصوي هناك... أراهن على أنك قريبته.

- حقاً؟ قد يكون أوليغ ابني.

نجحت في إخفاء الأمر، لكن ماثياس عرف من جلساته العديدة مع المرضى أنه ما من امرأة تقاوم مدح ابنها.

- إنها حفلة جميلة، والجيران لطفاء.

- أتحب حفلات جيران الناس الآخرين؟

- أظن أن أصدقائي قلقون من إمضائي الكثير من الوقت بمفردي، لذا يحاولون إسعادي بجيرانهم الناجحين مثلاً.

ثم رشف رشفة من الكوب البلاستيكي:

- وبالشراب اللذيذ للغاية. ما اسمك؟

- راكيل فوك.

- أهلاً راكيل. أنا ماثياس.

وصافح يدها الصغيرة الدافئة.

- ليس لديك ما تشربينه... اسمحي لي. أترغبين في شراب حلو منـزلي؟

عندما عاد وناولها الكوب، أخرج جهاز الاتصال، ونظر إليه بتعابير مليئة بالقلق.

- أتعلمين ماذا ياراكيل؟ كنت أرغب بالبقاء والتعرف إليك أكثر، لكن أ.ي تعاني من نقص في الموظفين، وهم بأمس الحاجة لرجل إضافي

بأسرع وقت ممكن، لذا سأكون منقذهم وأتوجه إليهم.

- للأسف.

- أتظنين ذلك؟ إنها مجرد ساعات فقط. هل ستبقين هنا لفترة طويلة؟

- لا أدري. الأمر متوقف على أوليغ.

- حسناً. سنرى إذاً. بكل الأحوال سررت بالتعرف إليك.

ثم صافحها مجدداً، وغادر وهو يعلم أنه كسب الجولة الأولى.

قاد السيارة إلى شقته في تورشوف، وقرأ مقالاً مثيراً للاهتمام حول القنوات المائية في الدماغ. وحين عاد عند الساعة الثامنة، وجدها جالسة تحت إحدى المظلات وهي تعتمر قبعة بيضاء كبيرة، وابتسمت حين جلس بجوارها.

- هل أنقذت أي حياة؟

- أغلبها خدوش وجروح بسيطة... زائدة دودية. أصعب حالة كانت لصبي علقت زجاجة عصير الليمون في أنفه، وقد أخبرت أمه أنه صغير ربما على تنشق الكوكايين، لكن الناس في مثل هذه الأوضاع للأسف لا يتحملون المزاح...

ضحكت ضحكتها اللبقة المرتعشة التي جعلته يتمنى لو كان الأمر حقيقياً.

كان ماثياس قد لاحظ ازدياد سماكة بشرته في العديد من المناطق في جسده، لكنه في خريف عام 2004 لاحظ أول الدلائل على أن المرض يدخل مرحلته التالية... المرحلة التي لا يرغب بعيشها. كانت خطته أن تكون إيلي كفال ضحية العام، ثم بيرت بيكر وسيلفيا أوترسون في السنتين التاليتين. وكانت النقطة المثيرة للاهتمام هي قدرة الشرطة على إيجاد الرابط بين هاتين الضحيتين والفاجر آرف ستوب، لكنه اضطر للإسراع بتنفيذ مخططاته، فقد كان دائماً يعد نفسه بالانسحاب ما إن يأتي الألم من دون أي انتظار، وقد حان الوقت. لذا، قرر قتل الثلاث بالإضافة إلى الخاتمة العظيمة: راكيل ورجل الشرطة.

وهكذا، عمل متخفياً، وقد حان الوقت ليعرض عمل حياته. ومن أجل تحقيق ذلك عليه ترك أدلة واضحة تظهر لهم الصلات، وتمنحهم صورة أكبر.

بدأ ببيرت حيث اتفقا على الحديث حول مشكلة جوناس في منـزلها بعد أن يغادر زوجها إلى بيرغن في المساء. وصل ماثياس في الوقت المحدد،

فأخذت معطفه عند الشرفة واستدارت لتضعه في الخزانة. كان نادراً ما يرتجل، لكن كان هناك وشاح وردي معلق على أحد الأوتاد، فسحبه ولفه مرتين قبل أن يصعد خلفها ويضعه حول عنقها، ثم رفع المرأة قليلاً، ووضعها أمام المرآة ليرى عينيها الناتئتين كسمكة خرجت من الماء.

بعد أن وضعها في السيارة، توجه إلى الحديقة حيث يوجد رجل الثلج الذي صنعه في الليلة الماضية، وضغط الهاتف المحمول في صدره، ثم ملأ التجويف وربط الوشاح حول رقبته. كان الوقت بعد منتصف الليل حين وصل إلى مرأب قسم التشريح وحقن المادة المثبتة في جسم بيرت، ثم وضع البطاقات المعدنية في الأماكن المحددة ووضعها في مكان فارغ في أحد الأحواض.

ثم جاء دور سيلفيا، حيث اتصل بها وكرر الحديث المعتاد، واتفقا على اللقاء في الغابة وراء منحدر هولمينكولن للتزلج؛ وهو مكان كان قد استخدمه من قبل. لكن، هذه المرة كان هناك أشخاص قريبون لذا لم يخاطر، وشرح لها أن إيدار فيتليسين بخلافه غير مختص بمتلازمة فاهر، وأن عليهما اللقاء مجدداً، فاقترحت أن يتصل بها في الأمسية التالية حيث ستكون في المنـزل بمفردها.

في المساء التالي، قاد السيارة إلى منـزلها، ووجدها في الحظيرة حيث فاجأها.

لكنه كاد أن يخفق.

فقد لوحت المرأة المجنونة بفأسها باتجاهه، وضربته من جانبه، فمزقت سترته وقميصه، ومزقت أحد شرايينه؛ مما أدى لتدفق دمه على أرض الحظيرة... ب سلبـي. شخصان من بين كل مائة شخص لديهم هذه الزمرة. لذا، بعد أن قتلها في الغابة وترك رأسها في أعلى رجل الثلج، عاد وذبح دجاجة، ثم نثر دمها على الأرض لتغطية دمه.

كانت الساعات الأربع والعشرون التالية مليئة بالتوتر، لكن الغريب في الأمر أنه لم يشعر بأي ألم في تلك الليلة. وخلال الأيام التالية، تابع القضية في الصحف وهو يشعر بنشوة النصر... رجل الثلج. كان ذلك هو الاسم الذي أطلقوه عليه؛ اسم سيتذكره الجميع. لم يكن يظن من قبل أن بعض الكلمات المطبوعة في صحيفة من الممكن أن تزوده بمثل هذا الشعور بالقوة والنفوذ؛ لدرجة أنه ندم على عمله في الخفاء طوال تلك السنوات. وقد كان الأمر في غاية السهولة! كان يفكر في أن ما قاله غيرت رافتو

صحيح، وأن المحقق الجيد سيجد المجرم دائماً. لكنه حين التقى هاري ورأى التوتر على وجه الشرطي المنهك عرف أنه لا يفقه شيئاً.

وبينما كان ماثياس يحضر لتحركاته الأخيرة، جاءه الأمر كصدمة؛ حيث اتصل به إيدار فيتليسين ليخبره أن هول زاره وسأله أسئلة حول آرف ستوب وضغط عليه لإيجاد الرابط، ثم تساءل إيدار عما يحدث، فمن غير المرجح أن يكون اختيار الضحايا عشوائياً، وباستثنائه وآرف ستوب كان ماثياس هو الشخص الوحيد الذي يعلم حول الأبوة؛ بما أن ماثياس كان يساعده بالتشخيص كالمعتاد.

كان إيدار مرتبكاً بالطبع، لكن ماثياس تمكن من تهدئته، وأخبره أن لا يقول شيئاً لأحد، وأن يلاقيه في مكان آمن حيث لا يمكن لأحد أن يراهما.

كان ماثياس على وشك الضحك وهو يقول ذلك، فقد كانت هذه الكلمات هي نفسها التي يستعملها مع ضحاياه من النساء، وقد افترض أن ذلك سببه التوتر.

اقترح إيدار نادي الكرلنغ، ثم أنهى ماثياس المكالمة وفكّر في خياراته.

خطر بباله أنه يمكن أن يُظهِر الأمر كما لو أن إيدار فيتليسين هو رجل الثلج، وفي الوقت نفسه يحظى لنفسه ببعض الوقت للراحة.

أمضى الساعة التالية وهو يفكر في تفاصيل انتحار إيدار. وعلى الرغم من تقديره لصديقه في كثير من الأشكال، لكن تلك كانت عملية تحفيزية وملهمة. أما بالنسبة إلى التخطيط للمشروع العظيم... رجل الثلج الأخير، فعليها الجلوس كما فعل في أول يوم لتساقط الثلج منذ عدة سنوات على كتفي رجل الثلج، وأن تشعر بالبرد على فخذيها وتشاهد من النافذة... تشاهد الغدر... الرجل الذي سيكون سبب موتها: هاري هول. أغمض عينيه، وتخيل العقدة حول رأسها وهي تتلألأ وتتوهج كهالة زائفة.

34 - اليوم الحادي والعشرون

صفارات الإنذار

ركن هاري السيارة في مرأب قسم التشريح، وأغلق الأبواب ثم أغمض عينيه محاولاً التفكير بوضوح. أول ما عليه فعله هو معرفة مكان ماثياس.

كان قد حذف رقم ماثياس من هاتفه المحمول، فاتصل بالاستعلامات، وحصل على الرقم والعنوان، ثم اتصل بالرقم 1881 ولاحظ أن أنفاسه تتسارع فحاول تهدئة نفسه.

كان صوت ماثياس منخفضاً لكنه بدا متفاجئاً كالعادة:

- أهلاً يا هاري.
- آسف على إزعاجك.
- لا، على الإطلاق.
- آه، حسناً، أين أنت الآن؟
- في المنـزل. سأنـزل الآن لرؤية راكيل وأوليغ.
- عظيم. كنت أتساءل إن كان بإمكانك إعطاء أوليغ شيئاً مني.

ساد الصمت، بينما ضغط هاري على حنكه لمنع اصطكاك أسنانه.

- بالطبع. لكن أوليغ في المنـزل الآن لذا يمكنك...

قاطعه هاري:

- راكيل... نحن... لا أرغب بلقائها اليوم. أيمكنني التعريج على منـزلك للحظة؟

ساد الصمت مرة أخرى، بينما ضغط هاري السماعة على أذنه وأصغى كما لو كان يحاول التقاط أفكار محدثه، لكنه لم يستطع سماع سوى أنفاسه، مع موسيقى خفيفة صادرة من آلات موسيقية يابانية أو شيء مشابه. تخيل ماثياس في شقة صغيرة خالية من الزينة لكنها مرتبة. ومن الواضح أنه لم يترك أي شيء من دون تخطيط... لا بد أن ماثياس يرتدي قميصاً أزرق فاتحاً، ويضع ضمادة جديدة على الجرح؛ لأنه حين كان واقفاً على السلم أمام هاري لم يكن رافعاً ذراعيه لإخفاء أمر حلمتي ثدييه، وإنما لإخفاء جرح الفأس.

قال ماثياس:

- بالطبع.

لم يستطع هاري معرفة إن كان صوته طبيعياً، ثم توقفت الموسيقى.

- شكراً. سأسرع، لكن عدني أن تنتظرني.

- أعدك... لكن ياهاري...

تنفس هاري بعمق:

- ماذا؟
- أتعرف عنواني؟
- أعطتني إياه راكيل.

شتم هاري في سره... لِمَ لم يقل إنه حصل عليه من الاستعلامات؟ عندها، ما كان في ذلك ليثير الريبة.

- حقاً؟!
- نعم.
- حسناً. ادخل مباشرة فالباب غير مقفل.

أنهى هاري الاتصال وحدق إلى الهاتف... لم يستطع إيجاد أي تفسير منطقي لهواجسه وهي أن الوقت قصير وأن عليه الإسراع قبل حلول الظلام. لذا، توقع أنه يتخيل الأمور، وفكر أنه يجب عليه التخلص من هذا النوع من الخوف والرعب الذي يأتي مع هبوط الظلام حين لا تعود قادراً على رؤية مزرعة جدتك.

اتصل برقم آخر.

أجاب هاغن بصوت خال من النبرة والحياة... صوت كتابة الاستقالة...

قال هاري:

- دع كل الأعمال الورقية. عليك الاتصال بالمدير، فأنا بحاجة إلى تفويض باستخدام السلاح الناري لاعتقال مشتبه به في جريمة قتل في أسينغاتا 12 تورشوف.
- هاري...
- اسمعني. بقايا جثة سيلفيا أوترسون موجودة في حوض في قسم التشريح. كاترين ليست رجل الثلج. أتفهم؟

صمت.

ثم اعترف هاغن:

- لا.
- رجل الثلج محاضر في القسم... ماثياس لوند هلغسين.
- لوند هلغسين؟ حسناً، تباً... أتعني الشخص...؟
- نعم. الطبيب الذي قدم لنا الكثير من المساعدات لتركيز اهتمامنا على إيدار فيتليسين.

عادت الحياة إلى صوت هاغن:

- سيسأل المدير إن كان من المرجح أن الرجل مسلح.
- على حد علمنا، لم يستخدم أي أسلحة نارية مع أي من الأشخاص الذين قتلهم.

مرت بضع ثوانٍ قبل أن يستوعب هاغن السخرية:

- سأتصل به الآن.

أنهى هاري المكالمة، وأدار مفتاح التشغيل وهو يتصل بماغنوس سكار بيده الأخرى ليجيب سكار ويستجيب المحرك في اللحظة نفسها:

صرخ هاري:

- أما زلت في تريفان؟
- نعم.
- اترك كل شيء، واستقل سيارة ووافني عند تقاطع طرق أسينغاتا وبوابة فوغتس... الأمر طارئ.
- لقد ظهرت الكثير من الحقائق الجديدة. أليس كذلك؟
- نعم.

واحتك المطاط بالأسفلت.

فكر في جوناس... لسبب ما فكر في جوناس.

كانت إحدى سيارات الدوريات الست التي طلبها هاري من قسم الحوادث قد وصلت إلى تقاطع الطرق حين وصل هاري عبر بوابة فوغتس من ستورو. قاد هاري سيارته حتى الرصيف، وقفز منها ثم توجه إليهم حيث أنـزلوا النافذة وأعطوا هاري جهاز الإرسال الذي طلبه.

أمرهم هاري وهو يشير إلى الضوء الأزرق الدوار:

- أطفئوا الصفارة.

ثم ضغط على زر الكلام، وأخبر سيارات الدوريات أن يطفئوا الصفارات قبل أن يصلوا إلى المكان.

بعد أربع دقائق اجتمعت ست سيارات دوريات عند التقاطع. كان رجال الشرطة الذين يضمون سكار وأولا لي من فرقة مكافحة الجرائم متجمعين حول سيارة هاري، حيث جلس واضعاً خريطة الشارع في حضنه.

- خذ يالي ثلاث سيارات لسد أي طرق هروب محتملة... هنا وهنا وهنا.

انحنى لي على الخريطة وهو يهز رأسه.

التفت هاري إلى سكار:

- البواب؟
- أتكلم معه الآن... إنه في طريقه إلى الباب الرئيس مع المفاتيح.
- حسناً، خذ ستة رجال وتمركزوا عند المدخل والسلم الخلفي وعلى السطح إن أمكن. هل وصلت سيارة دلتا؟
- هنا.

أشار شرطيان مشابهان للآخرين من الخارج أنهما يقودان سيارة دلتا أي وحدة القوات الخاصة المدربة خصيصاً لمثل هذا النوع من العمليات.

- حسناً، أريدكم أمام المدخل الأمامي الآن. هل أنتم مسلحون؟

هز رجال الشرطة رؤوسهم. كان بعضهم مسلحين بمسدسات آلية من نوع أم بـي 5 التي أخرجوها من صندوق السيارة، أما الآخرون فكانوا يحملون مسدسات خدمة. كانت مسألة مالية حسب ما قال المدير مرة.

قال سكار وهو يضع هاتفه المحمول في جيب سترته:

- يقول البواب إن لوند هلغسين يعيش في الطابق الثاني، وإن هناك شقة واحدة فقط في كل طابق، ومن دون مخارج مؤدية إلى السطح. ولكي يصل إلى السلم الخلفي عليه الصعود إلى الثالث وعبر علية مقفلة.
- جيد. أرسل رجلين عبر السلم الخلفي واطلب منهما أن ينتظرا في العلية.
- حسناً.

أخذ هاري معه الشرطيين اللذين يرتديان بذلتين من السيارة التي وصلت أولاً. شرطي كبير في السنّ، وشاب مدعٍ وجهه مليء بالبثور كانا قد عملا مع سكار مسبقاً. وبدلاً من دخول أسينغاتا 12، عبروا الشارع ودخلوا المبنى المقابل.

حدق كلا الصبيين الصغيرين من عائلة ستيغسون التي تقطن في الطابق الثاني إلى الرجال الذين يرتدون بذلات، بينما أنصت والدهم لهاري وهو يفسر له سبب حاجتهم إلى استخدام شقته لفترة وجيزة. دخل هاري غرفة الجلوس، ودفع الأريكة بعيداً عن النافذة، ثم ألقى عن قرب نظرة إلى الشقة في الجانب الآخر من الشارع.

- الأنوار مضاءة في غرفة الجلوس.

قال الشرطي الأكبر سناً الذي وقف وراءه:

- أحد ما جالس هناك.
- سمعت أن نظرك يتدهور بنسبة ثلاثين بالمائة بعد أن تبلغ

الخمسين من العمر.

- لست أعمى. إنه على الكرسي الكبير... يمكنك رؤية أعلى رأسه ويديه على الذراعين.

ركّز هاري نظراته... تباً... هل يحتاج إلى نظارة؟ حسناً، إن كان العجوز يظن أنه رأى أحداً فلا بد أنه رأى أحداً.

- ابق هنا وأخبرنا عبر اللاسلكي إن تحرك... مفهوم؟

ابتسم العجوز:

- مفهوم.

أخذ هاري الشرطي المدعي معه.

قال الشرطي الشاب بصوت مرتفع وهما ينـزلان السلالم بسرعة:

- من يجلس في الداخل؟

- أسمعت برجل الثلج؟

- أوه تباً.

عبرا الشارع إلى المبنى الآخر حيث كان البواب وسكار وخمسة رجال يرتدون بذلات واقفين ومستعدين عند الباب الأمامي.

قال البواب:

- لا يوجد معي مفتاح للشقة... فقط لهذا الباب.

- لا بأس. هل أسلحتكم جاهزة جميعاً؟ سنحاول عدم إصدار ضجة قدر الإمكان. حسناً؟ دلتا، ابقيا معي...

أخرج هاري مسدس سميث وويسون الذي أخذه من كاترين، وأشار للبواب الذي أدار المفتاح في القفل.

مشى هاري ورجلا دلتا المسلحان بمسدسات أم بـي 5 من دون أي صوت على السلم... ثلاث درجات في كل خطوة.

وقفوا في الطابق الثاني خارج باب أزرق لا يحمل اسماً، ووضع أحد رجال الشرطة أذنه على الباب ثم التفت إلى هاري وهز رأسه بالنفي، فأخفض هاري صوت جهاز الإرسال إلى أدنى درجة ورفعه إلى فمه.

- من ألفا إلى...

لم يكن هاري قد خصص أسماء للتواصل، ولم يستطع تذكر الاسم فقال:

-... الشخص الواقف عند النافذة إلى جانب الأريكة... هل تحرك الهدف؟ حوِّل.

أبعد إصبعه عن الزر لتصدر طقطقة خفيفة، ثم جاء صوت:

- لا يزال جالساً على الكرسي.
- روجر، سندخل. حوِّل.

هز الشرطي رأسه وأخرج رافعة، بينما تراجع الآخران.

كان هاري قد رأى التقنية المستخدمة مسبقاً... إذ يفتح رجل الباب باستخدام رافعة ليتمكن الآخر من الاقتحام، وليس سبب ذلك أنهم غير قادرين على كسره ولكن بسبب تأثير الضربة العالية... بسبب القوة والسرعة اللتين تشلّان الهدف؛ ففي تسع حالات من كل عشر حالات يتجمد الهدف على الكرسي أو الأريكة أو السرير.

لكن هاري رفع يده موقفاً إيّاهما، وضغط على مقبض الباب ودفعه.

لم يكذب ماثياس، فقد كان الباب غير مقفل.

فتح الباب من دون أي صوت، فأومأ هاري إلى صدره مشيراً إلى أنه سيدخل أولاً.

لم تكن الشقة خالية من الزينة كما تخيلها هاري.

كانت خالية من الزينة بمعنى أنه لم يكن فيها أي شيء... لا أحذية في الصالة... لا أثاث... لا صور... كانت مجرد جدران جرداء بحاجة إلى ورق جدران جديد أو مسحة دهان. بدت كما لو كانت مهجورة منذ زمن طويل.

كان باب غرفة الجلوس مواربا، فتمكن هاري عبر الفتحة من رؤية الكرسي وعليه يد... يد صغيرة عليها ساعة. حبس أنفاسه وخطا خطوتين طويلتين، ثم أحكم قبضته على المسدس بكلتا يديه ودفع الباب بقدمه.

أحس بالشرطيين الآخرين اللذين انتقلا إلى مجال رؤيته يتصلبان.

وسمع همسة تكاد لا تسمع:

- يا إلهي.

كانت هناك ثريا ضخمة مضاءة فوق الكرسي لتنير الشخص الجالس هناك محدقاً إليه مباشرة. كانت الرقبة مليئة بالكدمات بسبب الخنق، والوجه شاحباً وجميلاً، والشعر أسود، والثوب أزرق فاتحاً مع أزهار بيضاء صغيرة... إنه الفستان نفسه الذي كانت ترتديه في الصورة على التقويم في مطبخه. أحس هاري بقلبه يكاد ينفجر في صدره بينما تصلب باقي جسده. حاول أن يتحرك لكنه لم يتمكن من إبعاد عينيه عن عينيها اللامعتين؛ العينين اللامعتين المتهمتين اللتين تتهمانه بعدم التصرف. لم يكن يعلم شيئاً عن هذا... لكن، كان عليه أن يتصرف... كان عليه منع حصول ذلك... كان عليه إنقاذها.

كانت بيضاء كأمه على فراش الموت.

قال هاري بصوت غليظ وهو يخفض مسدسه:

- تحققا من باقي الشقة.

خطا خطوة غير ثابتة باتجاه الجثة، وأمسك بمعصمها البارد والخالي من الحياة كالرخام، لكنه أحس بتكتكة... نبض ضعيف... وللحظة خاطفة ظن أنها لا تبدو ميتة، ثم أخفض عينيه ورأى أن الساعة هي التي تتكتك.

سمع أحد الشرطيين وراءه يقول:

- لا يوجد أحد آخر هنا.

ثم سعال:

- أتعرف من هي؟

- نعم.

مرر هاري إصبعه على وجه الساعة... إنها الساعة نفسها التي كان يمسكها بيديه منذ بضع ساعات... الساعة التي كانت في غرفة نومه، والتي وضعها في قفص العصفور لأن راكيل ستخرج مع حبيبها هذا المساء ليحتفلا لأنهما منذ تلك اللحظة سيصبحان شخصاً واحداً.

نظر هاري مجدداً إلى العينين المتّهمتين.

نعم... إنني مذنب بكل الأحوال.

كان سكار قد دخل الشقة ووقف خلف هاري محدّقاً من ورائه إلى المرأة الميتة على الكرسي، بينما وقف بجواره شرطيا دلتا.

سأل:

- أهي مخنوقة؟

لم يجب هاري أو يتحرك. كانت إحدى حمالتي كتف الفستان الأزرق السماوي قد نـزلت.

قال سكار بغرض بدء الحديث:

- من غير المعتاد ارتداء ثوب صيفي في ديسمبر.

قال هاري بصوت بدا كما لو أنه آت من مكان بعيد:

- هي تفعل ذلك عادة.

سأل سكار:

- من هي؟

- راكيل.

أجفل الشرطي... كان قد رأى حبيبة هاري السابقة منذ زمن.

- هل... هل... هذه راكيل؟ لكن...

- إنه ثوبها وساعتها. لقد ألبسها ثوب راكيل، لكن المرأة الجالسة هنا هي بيرت بيكر.

نظر سكار إلى الجثة بصمت. لم تكن تبدو كأي جثة كان قد رآها... وإنما كانت منفوخة وبيضاء كالطبشور.

قال هاري وهو يحوِّل اهتمامه إلى شرطيي دلتا قبل أن يلتفت إلى سكار:

- ابقوا هنا وضعوا شريطاً حول الشقة، ثم اتصلوا بوحدة مسرح الجريمة في تريفان وأخبروهم أن لديهم عملاً آخر بانتظارهم.

- ماذا ستفعل؟

- سأرقص؟

عم الهدوء الشقة بعد أن نـزل الرجال الثلاثة على السلم ركضاً، لكن بعد ثوانٍ سمع سكار صوت سيارة تعمل، وصوت إطارات تحتك بأسفلت بوابة فوغتس.

دار الضوء الأزرق مضيئاً الطريق، بينما جلس هاري على المقعد الأمامي إلى جانب السائق مستمعاً لرنين الهاتف على الطرف الآخر. كانت هناك دميتان على شكل امرأتين ترتديان ثوب سباحة، ومعلقتين من المرآة وهما تتراقصان على الصوت اليائس لصفارات الإنذار بينما أسرعت سيارة الشرطة بين السيارات على الطريق رينغ 3.

توسل... أرجوك... أجيبـي ياراكيل.

نظر إلى الراقصتين المعدنيتين تحت المرآة وهو يفكر أنه مثلهما... شخص يرقص بعجز على نغمات الآخرين... شخصية هزلية في مسرحية هزلية كان دائماً متأخراً فيها خطوتين عن الأحداث... دائماً يركض عبر الأبواب متأخراً قليلاً ليلاقيه ضحك الجمهور.

انهار هاري صارخاً:

- تباً... تباً... تباً.

ثم رمى الهاتف على الزجاج الأمامي، فانـزلق على اللوحة ثم سقط على الأرض، وتبادل الشرطي الذي يقود السيارة النظرات مع الشرطي الآخر في المرآة.

قال هاري:

- أوقف عمل الصفارة.

ثم انتبه هاري لصوت آت من الأرض.

رفع الهاتف وصرخ:

- ألو... ألو... هل أنت في المنـزل ياراكيل؟

- بالطبع. أنت تتصل بالهاتف الأرضي.

ثم ضحكت ضحكة لطيفة وهادئة:

- هل هناك خطب ما؟

- هل أوليغ في المنـزل أيضاً؟

- نعم. إنه جالس هنا في المطبخ يتناول الطعام... نحن بانتظار ماثياس... ماذا هناك ياهاري؟

- أصغي إلي بانتباه ياراكيل. أتسمعينني؟

- لقد أخفتني ياهاري. ماذا هناك؟

- ضعي سلسلة الأمان على الباب.

- لماذا؟ إنه مقفل و...

صرخ هاري:

- ضعي سلسلة الأمان ياراكيل.

- حسناً! حسناً!

سمعها تقول شيئاً لأوليغ، ثم سمع صوت كرسي يتحرك، ثم صوت أقدام تركض، وحين عاد الصوت كان يرتجف:

- أخبرني الآن ماذا يحصل ياهاري؟

- سأفعل. لكن عليك أولاً أن تعديني أن لا تدخلي ماثياس إلى البيت تحت أي ظرف.

- ماثياس؟ هل أنت ثمل ياهاري؟ ليس لك أي حق...

- ماثياس خطر ياراكيل. أنا جالس هنا في سيارة شرطة مع شرطيين آخرين في طريقنا إليك، وسأشرح لك الباقي في ما بعد. الآن، أريدك أن تنظري من النافذة. هل ترين شيئاً؟

سمعها تتردد، ثم لم يعد يقول شيئاً، وإنما انتظر فحسب لأنه عرف بيقين مفاجئ أنها تثق به، وأنها كانت دائماً هكذا. كانوا يقتربون من النفق عند نيدالين حيث كان الثلج يرقد على حافة الطريق كصوف أبيض رمادي، ثم عاد صوتها.

- لا أرى أي شيء لكنني لا أعرف ما الذي أبحث عنه.

سألها هاري بهدوء:

- ألا ترين رجل ثلج؟

استطاع من الصمت أن يعرف أن الأمر قد توضح لها بالكامل.

همست:

- قل لي إن هذا لا يحصل ياهاري. قل لي إنه مجرد حلم.

أغمض عينيه وفكر إن كان من الممكن أن تكون محقة، فرأى بيرت بيكر على الكرسي... بالطبع كان حلماً.

- وضعت ساعتك في قفص العصفور.

- لكنها لم تكن هناك... لقد...

ثم توقفت وأنَّت:

- يا إلهي!

35 - اليوم الحادي والعشرون

وحش

من المطبخ، كان بإمكان راكيل رؤية الاتجاهات كافة التي يمكن لأي شخص الاقتراب من المنـزل منها. أما في الخلف، فكان هناك منحدر حصوي قصير وشديد الانحدار حيث يصعب نـزوله، وخاصة أن الثلج متراكم. ذهبت من نافذة لأخرى وهي تحدق إلى الخارج، وتتفحص النوافذ لتتأكد من أنها مغلقة تماماً. حين بنى والدها المنـزل بعد الحرب، رفع النوافذ في الجدران، وأحاطها بقضبان حديدية. كانت تعرف أن ذلك بسبب الحرب وجندي روسي تسلل إلى مستودعهم بالقرب من لينينغراد وأصاب جميع رفاقه النائمين بالرصاص... الجميع باستثنائه... فقد كان نائماً بجوار الباب مرهقاً للغاية، حيث لم يستيقظ حتى دوّى صوت الإنذار، واكتشف أن غطاءه مليء بالخراطيش الفارغة، وكان دائماً يقول إن تلك كانت آخر ليلة ينام فيها بشكل جيد... لكنها دائماً كانت تكره القضبان الحديدية، ولا تزال كذلك حتى الآن.

قال أوليغ وهو يركل قائمة طاولة المطبخ الكبيرة:

- أيمكنني الصعود إلى غرفتي؟
- لا... عليك البقاء هنا.
- ماذا فعل ماثياس؟
- سيشرح لنا هاري كل شيء حين يأتي. أمتأكد من أنك وضعت سلسلة الأمان بشكل صحيح؟
- نعم ياماما. أتمنى لو أن بابا كان هنا.
- بابا؟

لم تسمعه يستخدم هذه الكلمة من قبل؛ إلا حين يقولها لهاري؛ لكن ذلك كان منذ سنوات طويلة.

- أتعني أباك في روسيا.
- ذلك ليس بابا.

قال ذلك بيقين جعلها ترتعش.

صرخت:

- باب القبو!
- ماذا؟
- ماثياس معه مفتاح القبو أيضاً. ماذا عساي أفعل؟

قال أوليغ وهو يشرب كأس الماء:

- الأمر بسيط... ضعي أحد مقاعد الحديقة تحت مقبض الباب... ارتفاعه ممتاز، وما من احتمال أن يتمكن أحد من الدخول.

سألته متفاجئة:

- أجربت ذلك؟

- قام هاري بذلك مرة حين كنا نلعب.

قالت وهي تتجه إلى الصالة وباب القبو:

- اجلس هنا.

- انتظري.

توقفت.

قال أوليغ الذي وقف على قدميه:

- لقد رأيت كيف يفعل ذلك... ابقي هنا ياماما.

نظرت إليه... كم كبر خلال هذه السنة... عما قريب سيصبح أطول منها. وفي عينيه الداكنتين كانت الطفولة تفسح المجال لما أصبح في الوقت الحالي تحدي الشباب، وما استطاعت أن تراه منذ الآن على أنه سيصبح تصميم الكبار.

ترددت.

- دعيني أقوم بذلك.

كان هناك استعطاف في نبرته... وقد عرفت أن ذلك كان ضرورياً بالنسبة إليه... كان متعلقاً بأمور أكبر... حول التصالح مع المخاوف الطفولية... حول طقوس الكبار... حول أن يصبح كأبيه... لا يهم من كان يظنه.

همست:

- أسرع.

ركض أوليغ.

وقفت بجانب النافذة تحدق وتنصت إلى صوت سيارة على الطريق. كانت تدعو أن يصل هاري أولاً، وفكرت كم كان المحيط هادئاً... لم تكن لديها أدنى فكرة من أين أتت الفكرة التالية: كم سيكون المحيط هادئاً.

ثم سمعت صوتاً... صوتاً ضئيلاً. في البداية، افترضت أنه من الخارج، ثم تيقنت أنه قادم من ورائها، فاستدارت ولكنها لم تر شيئاً... لم ترَ سوى المطبخ الفارغ فحسب، ثم صدر ذلك الصوت مجدداً كتكتكة ساعة أو إصبع تنقر على طاولة... الطاولة... حدقت... كان الصوت صادراً من هناك...

ثم رأتها... بقعة مياه على الطاولة. رفعت وجهها ببطء إلى السقف لتجد في وسط الألواح دائرة داكنة تتساقط من وسطها قطرات متلألئة على الطاولة. رأتها راكيل لكن صوت سقوطها جعلها تجفل كما لو أنها تلقت صفعة غير متوقعة على رأسها.

يا إلهي... لا بد أن ذلك من الحمام! هل نسيت حقاً أن تغلق الدش مجدداً؟ لم تصعد إلى الطابق الأول منذ عودتها إلى البيت، حيث كان عليها الإسراع والبدء بالطبخ مباشرة، لذا لا بد أنه يتدفق منذ الصباح. هل يجب أن يحصل هذا الآن في خضم كل هذا؟

اتجهت إلى الصالة، وصعدت السلالم، ثم توجهت نحو الحمام. لم تسمع صوت الدش ففتحت الباب... الأرض جافة... لا مياه تتدفق. أغلقت باب الحمام ووقفت في الخارج لبضع ثوانٍ، ثم حدقت إلى باب غرفة النوم المجاورة واتجهت إليها ببطء... وضعت يدها على المقبض... ترددت... أنصتت مجدداً لتسمع صوت السيارات، ثم فتحت الباب ونظرت إلى داخل الغرفة. أرادت أن تصرخ لكنها عرفت أنه لا ينبغي عليها ذلك... عليها أن تكون هادئة... هادئة تماماً.

صرخ هاري وضرب بقبضته على اللوحة:

- تباً... تباً... تباً!

كان المرور متوقفاً أمام النفق حيث ظلوا هناك لدقيقتين طويلتين.

جاء السبب عبر لاسلكي الشرطة في تلك الثانية:

- هناك اصطدام على الطريق رينغ 3 عند المخرج من نفق ويستباوند في تاسن. ما من إصابات... شاحنة القطر على الطريق.

فجأة، انتزع هاري مكبر الصوت:

- أتعرفون من هو؟

تشدق الصوت الأنفي من المذياع بإيجاز:

- نعرف أنهما سيارتان مزودتان بإطارات صيفية.

قال الشرطي في الخلف:

- ثلج أكتوبر دائماً يجلب معه الفوضى.

لم يجب هاري، وإنما نقر بإصبعه على اللوحة وهو يفكر في البدائل. كان هناك طابور من السيارات أمامهم ووراءهم لدرجة أن كل الأضواء الزرقاء والصفارات في العالم لا يمكن أن تخرجهم. فكر أن في إمكانه القفز والركض إلى نهاية النفق، ثم الاتصال بسيارة دورية لتلاقيه هناك لكن ذلك

يقارب كيلومترين.

كان الهدوء يسود السيارة، وكل ما يمكنه سماعه هو الهمهمة الخفيضة لمحركات السيارات الواقفة. تقدمت الشاحنة أمامهم متراً ليتبعها سائق سيارة الشرطة، ولم يتوقف حتى كاد أن يلامس المصد الخلفي لها كما لو كان يخاف أن يقوم أي شيء سوى القيادة العدوانية بالتسبب بانفجار المحقق مجدداً. أدى الاستخدام المفاجئ للمكابح لتراقص دميتي المرأتين بثياب السباحة بمرح في الصمت المخيم.

فكر هاري في جوناس مجدداً. لماذا؟ ما الذي جعله يفكر في جوناس حين كان يكلم ماثياس عبر الهاتف؟ هناك شيء يتعلق بالصوت.

تفحص هاري الراقصتين تحت المرآة لينتظم كل شيء في مكانه.

عرف لماذا فكر في جوناس... وعرف ماذا كان ذلك الصوت... وعرف أنه ينبغي عدم إضاعة أي ثانية... أو- وحاول كبت هذه الفكرة- لم يعد هناك من حاجة إلى الإسراع... فقد فات الأوان.

أسرع أوليغ عبر ممر القبو المظلم من دون أن ينظر يمنة أو يسرة، وهو يعرف أن بقايا الملح على الجدران الحجرية تتشكل كأشباح بيضاء. حاول التركيز على ما سيفعله، وأن لا يفكر في أي شيء آخر. هذا ما قاله هاري. كان من الممكن السيطرة على الوحوش الوحيدة الموجودة... الوحوش بداخلنا... لكن عليك العمل على ذلك... عليك مواجهتها وقتالها كلما استطعت... مناوشات بسيطة يمكنك ربحها ثم العودة للبيت وتضميد جراحك والمحاولة مجدداً. لقد فعل ذلك... لقد نـزل إلى القبو عدة مرات، فقد كان بحاجة بالطبع إلى أن يتأكد من أن يبقى مزلجاه باردين.

أمسك كرسي الحديقة وجره وراءه مصدراً ضجة ليغرق الصمت، ثم تأكد أن باب القبو مقفل، ووضع الكرسي تحت المقبض، وتأكد من أنه لن يتحرك. عندها... توقف... ما هذا؟ نظر إلى الأعلى إلى النافذة الصغيرة في الباب... لم يعد بإمكانه كبت الأفكار أكثر، فقد تدفقت الآن... كان هناك شخص يقف في الخارج. أراد الركض بعيداً لكنه أجبر نفسه على البقاء صامداً ومكافحة الأفكار بأفكار أخرى... أنا في الداخل... أنا بأمان هنا كما لو كنت في الأعلى. تنفس وهو يشعر بقلبه ينبض كطبل متسارع، ثم انحنى إلى الأمام وحدق عبر النافذة ليرى انعكاس وجهه لكنه رأى أيضاً انعكاس وجه آخر... وجه مشوه ليس وجهه... ثم رأى يدين... يدي وحش ترتفعان. تراجع أوليغ مذعوراً ليرتطم بشيء ما ويشعر باليدين تحيطان بوجهه وفمه... لم يكن قادراً على الصراخ لأنه أراد الصراخ... أراد الصراخ

ليخرج هذا من ذهنه... هذا الوحش... الوحش في الداخل... سيموتون جميعاً.

قال هاري:

- إنه في البيت.

نظر الشرطيان الآخران إليه من دون أن يفهما، بينما ضغط هاري على زر إعادة الاتصال في الهاتف.

- ظننت أنها موسيقى يابانية لكنها كانت أجراساً معدنية كالتي لدى جوناس في غرفته والتي لدى أوليغ أيضاً. كان ماثياس هناك طوال الوقت. لقد أخبرني بنفسه أليس كذلك؟

سأله الشرطي في الخلف:

- ماذا تعني؟

- قال لي إنه في البيت، وهو البيت في هولمينكولفين بالطبع. وقد قال لي إنه سينـزل لرؤية راكيل وأوليغ... كان ينبغي لي معرفة ذلك، كما أن هولمينكولفين في الأعلى بالنسبة إلى تورشوف. كان في الطابق الأول في هولمينكولفين في طريقه للأسفل... علينا إخراجهما من المنـزل الآن... أجيبـي حباً بالله!

- ربما ليست بالقرب من...

- هناك أربعة أجهزة هاتف في المنـزل. لقد قطع الاتصال للتو... عليّ الوصول إلى هناك.

- يمكننا إرسال سيارة دورية أخرى.

زعق هاري:

- لا! لقد تأخرنا بكل الأحوال... لقد وصل إليهما... وفرصتنا الوحيدة هي البيدق الأخير... أنا.

- أنت؟

- نعم، أنا جزء من خطته.

- تعني أنك أنت لست جزءاً من خطته... أليس كذلك؟

- لا، أنا جزء... إنه ينتظرني.

تبادل الشرطيان النظرات وهما يسمعان صوت دراجة نارية تشق طريقها للأمام بين السيارات الواقفة خلفهم.

- أتظن أنه؟

قال هاري:

- نعم.

ولمح الدراجة في المرآة الجانبية وهو يفكّر في أن هذا هو الجواب الوحيد الذي يمكنه تقديمه لأنه الجواب الوحيد الذي يمنح الأمل.

جاهد أوليغ بكل قوته، لكنه لم يستطع مقاومة قبضة الوحش الحديدية حين شعر بالفولاذ البارد على حنجرته.

- هذا مشرط ياأوليغ.

كان للوحش صوت ماثياس.

- نستخدمه لتشريح الناس، ولن تصدق مدى سهولة استخدامه.

ثم أمره الوحش أن يفتح فمه جيداً، وأدخل قطعة قماش قذرة في فمه، ثم أمره أن يستلقي على بطنه ويضع ذراعيه خلف ظهره، وبما أن أوليغ لم يطعه فوراً فقد وضع الفولاذ تحت أذنه ليشعر بالدم الحار يتدفق على كتفه إلى داخل قميصه. استلقى على بطنه على الأرضية الإسمنتية الباردة بينما جلس الوحش فوقه، ووقع صندوق أحمر إلى جانب وجهه. قرأ اللصاقة... رباطات... من النوع الرقيق الذي تراه حول الأسلاك وعلب الألعاب والمزعج لأنه يمكن شدها فقط، ولا يمكن حلها ولا يمكن فصلها مهما كانت رقيقة. شعر بالبلاستيك الحاد يجرح الجلد حول معصميه وكاحليه.

ثم ارتفع ووقع، ولم يكن هناك أي وقت لانتظار الألم وهو يحط بهدوء مصدراً صوت سحق... حدق إلى الأعلى حيث كان مستلقياً على ظهره في الثلاجة. أحس بالثلج المتكسر يحرق ذراعيه ووجهه، وفوقه وقف الوحش مميلاً رأسه جانباً.

- وداعاً... سنلتقي في الجانب الآخر عما قريب.

هبط الغطاء وعم الظلام... استطاع أوليغ سماع المفتاح يدور في القفل، وخطوات سريعة تتلاشى بعيداً. حاول رفع لسانه وإخراجه من وراء القماشة... عليه إخراجه... عليه التنفس... عليه الحصول على الهواء.

توقفت راكيل عن التنفس بينما وقفت عند باب غرفة النوم وهي تعرف أن ما رأته جنون... جنون جعل جسدها يقشعر وفمها ينفتح وعينيها تبحلقان.

كان السرير والمفروشات الأخرى مدفوعة نحو الجدران، والأرضية مغطاة بطبقة شبه غير مرئية من المياه التي لا تتحرك إلا حين تسقط قطرة

جديدة عليها... لكن راكيل لم تلاحظ ذلك... فالشيء الوحيد الذي رأته هو رجل الثلج الضخم الذي يحتل وسط الغرفة.

كانت القبعة الطويلة على الرأس ذي الفم المبتسم تكاد تلمس السقف.

حين استعادت أنفاسها أخيراً واندفع الأوكسجين إلى دماغها ميزت رائحة صوف مبلل، وسمعت صوت الثلج الذائب يتساقط لتندفع موجة من البرد نحوها، لكن ذلك لم يكن ما جعلها تقشعر وإنما حرارة جسد الرجل الواقف وراءها.

قال ماثياس:

- أليس جميلاً؟ لقد صنعته خصيصاً لك.
- ماثياس...

وضع ذراعاً حول حنجرتها فنظرت إلى الأسفل لترى مشرطاً.

- لا تتكلمي ياحبيبتي. فلدينا الكثير من العمل والقليل من الوقت.
- لماذا؟ لماذا؟
- هذا يومنا ياراكيل. باقي الحياة قصيرة بشكل لا يصدق، لذا دعينا نحتفل ولا نهدر أي وقت بالتفسير. أرجوك ضعي ذراعيك خلف ظهرك.

امتثلت راكيل لأوامره... لم تكن قد سمعت أوليغ يخرج من القبو... ربما يكون لا يزال في القبو... ربما يمكنه الخروج إن استطاعت تأخير ماثياس.

قالت وهي تسمع المشاعر تضغط على حبالها الصوتية:

- أرغب بمعرفة السبب.
- لأنك ساقطة.

أحست بشيء رقيق وقاس يُشدّ حول معصميها، وأحست بنفسه الدافئ على رقبتها... شفتاه... صرت أسنانها لأنها تعرف أنها إن صرخت فقد يتوقف، وهي تريده أن يستمر بهدر الوقت.

همس:

- وابن الزنى ابنك في الثلاجة.

قالت وهي تكاد تفقد سيطرتها:

- أوليغ؟
- استرخي ياعزيزتي... لن يموت من البرد.

- حقاً؟
- قبل أن يبرد جسده بفترة طويلة سيموت ابن الزن من الاختناق. إنها عملية رياضية بسيطة.
- رياضيـ...
- لقد قمت بالحساب منذ زمن... كل شيء محسوب.

انـزلقت دراجة نارية مسرعة في الطرق الملتوية لهولمينكولن في الظلام، بينما دوى الزئير بين المنازل. اعتبره المارة جنوناً في هذا الثلج... ينبغي سحب رخصة القيادة من السائق، لكن السائق لا يملك أي رخصة أصلاً.

زاد هاري سرعته أثناء قيادته إلى المنـزل الأسود، لكن خلال انعطافه الحاد دارت العجلات على الثلج الحديث وأحس بالدراجة تفقد شيئاً من سرعتها. لم يحاول تصحيح الكامحة، وإنما قفز عن الدراجة وتركها تهوي على المنحدر لتصطدم بأغصان الأشجار المنخفضة قبل أن تصطدم بجذع شجرة وتقف وتميل على طرفها وتقذف الثلج من العجلة الخلفية وتلفظ أنفاسها الأخيرة.

في ذلك الحين كان هاري في منتصف طريقه صاعداً السلالم.

لم تكن هناك أي آثار أقدام على الثلج... لا من المنـزل ولا إليه. أخرج مسدسه بينما صعد إلى الباب.

كان غير مقفل كما وعده.

تسلل إلى الصالة، فكان أول ما رآه هو باب القبو المفتوح.

وقف هاري منصتاً... كان هناك ضجيج... بعض النقر... ربما من المطبخ... تردد هاري ثم توجه إلى القبو.

رفع مسدسه أمامه ونـزل السلم. في الأسفل، توقف حتى تعتاد عيناه على الظلام، وأنصت فأحسّ أن الغرفة بكاملها تحبس أنفاسها. انتبه لكرسي الحديقة تحت مقبض الباب... أوليغ... بحثت عيناه أكثر، ثم قرر الصعود للأعلى مجدداً، وعندها انتبه للبقعة الداكنة على الأرضية الحجرية إلى جانب الثلاجة. أجبر نفسه على تغيير أفكاره وسحب الغطاء... مقفل... كان المفتاح في القفل، لكن راكيل لا تقفل الثلاجة عادة، ثم برزت صور من فينوي في ذهنه فأسرع وأدار القفل ورفع الغطاء.

لمح هاري بريق معدن من العمق المظلم قبل أن يهاجمه ألم حارق في وجهه ويجعله يرتمي إلى الخلف... سكين؟ كان قد سقط على ظهره بين سلتي غسيل قذرتين، بينما خرج شخص سريع ورشيق من الثلاجة ووقف

فوقه.

صرخ هاري ورفع مسدسه بسرعة:

- الشرطة! لا تتحرك!

توقف الشخص رافعاً إحدى يديه فوق رأسه:

- هـ... هاري؟

- أوليغ؟

أخفض هاري المسدس، ورأى ما يمسكه الصبـي... مزلجه.

همس:

- ظننت... ظننت أن ماثياس قد عاد.

وقف هاري على قدميه:

- أين ماثياس؟

- لا أدري. لقد قال إننا سنلتقي عما قريب فافترضت...

- من أين أتيت بالمزلج؟

أحس هاري بطعم الدم في فمه، بينما وجدت أصابعه الجرح في وجهه الذي كان ينـزف بغزارة.

ابتسم أوليغ بمكر:

- كانت في الثلاجة. لقد تشاجرنا كثيراً لأنني أتركهما على السلم، لذا خبأتهما تحت البازلاء حيث لن تراهما أمي، فنحن لا نأكل البازلاء كما تعلم.

تبع هاري الذي كان في طريقه إلى الأعلى.

- لحسن الحظ لقد شحذت الشفرات، وهكذا تمكنت من قطع الرباط. كان من المستحيل فتح القفل، لكنني تمكنت من طعن بعض الفتحات في الصفيحة في الأسفل للحصول على بعض الهواء، كما حطمت المصباح لكي لا يضيء النور حين يفتح الغطاء.

- وقد أذابت حرارة جسدك الجليد الذي سال من الفتحة.

خرجا إلى الصالة، وسحب هاري أوليغ إلى الباب الأمامي وفتحه مشيراً.

- أترى ضوء الجيران؟ اركض وابق هناك حتى آتي لآخذك... هل هذا مفهوم؟

قال أوليغ بتصميم:

- لا. ماما...

- اسمعني الآن... أفضل ما يمكنك فعله لماما الآن هو أن تبتعد عنها.

- أريد أن أجدها.

أمسك هاري بكتفي أوليغ وعصرهما حتى تجمعت دموع الألم في عيني الصبـي.

- حين أقول اركض، اركض أيها الغبـي.

قال ذلك بصوت منخفض، ولكن بغضب مكبوت لدرجة أن أوليغ رمش بارتباك، وانحدرت دمعة على خده، ثم استدار الصبـي واندفع من الباب ليبتلعه الظلام والثلج.

أمسك هاري بجهاز الإرسال وضغط على زر الكلام:

- هاري هنا... هل أنتم بعيدون؟

- نحن إلى جانب الملعب. حوّل.

ميز هاري صوت غونار هاغن.

قال هاري:

- أنا في الداخل. قد السيارة إلى أمام المنـزل، لكن لا تدخل حتى أقول لك... حوّل.

- روجر.

- حوّل... انتهى.

توجه هاري نحو الصوت القادم من المطبخ، حيث وقف عند الباب مشاهداً تدفق المياه المتساقطة من السقف. كانت ملونة باللون الرمادي بسبب الجص الذائب، وتنقر باهتياج على طاولة المطبخ.

صعد هاري السلم إلى الطابق الأول بأربع خطوات طويلة على رؤوس أصابعه حتى وصل إلى باب غرفة النوم. بلع لعابه وتفحص مقبض الباب... من بعيد، استطاع سماع صفارات سيارة الشرطة البعيدة تقترب... تساقط الدم من جرحه على الأرضية الخشبية مصدراً صوتاً خفيفاً.

أحس بالأمر الآن كضغط على صدغيه... هنا كان سينتهي... وهناك نوع من المنطق في ذلك. كم مرة وقف هكذا أمام باب غرفة النوم عند بزوغ الفجر بعد ليلة وعدها أن يكون فيها في البيت معها؟ كم مرة وقف هناك وهو يشعر بتأنيب الضمير ويعرف أنها نائمة في الداخل؟ ضغط بحذر على مقبض الباب الذي علم أنه سيصر في منتصف الطريق، وأنها ستستيقظ وتنظر إليه بعينين نائمتين، وتحاول معاقبته بحملقتها حتى ينـزل تحت اللحاف ويستكين إلى جسدها ويشعر بمقاومتها تذوب، ثم تنخر بسعادة؛ لكن ليس الكثير من السعادة، فيقبلها حتى ترضى عنه.

أحكم قبضته حول المقبض، ولاحظ كيف ميزت يده الشكل المسطح

ذا الزوايا، ثم ضغط بحذر شديد منتظراً الصرير المعتاد لكنه لم يأتِ. هناك شيء مختلف... هناك مقاومة... هل شد أحدهم النوابض؟ تركه بحذر شديد، وانحنى إلى ثقب المفتاح محاولاً التلصص... أسود... أحدهم سد الفتحة.

صرخ:

- راكيل! هل أنت هنا؟

لا جواب... وضع أذنه على الباب، وظن أنه يسمع صوت خربشة لكنه لم يكن متأكداً. أمسك بالمقبض مجدداً... ارتعش... غير رأيه... أفلته... أسرع إلى الحمام المجاور... فتح النافذة الصغيرة... أخرج جسده عبرها وانحنى إلى الوراء. كان الضوء يتدفق من بين القضبان المعدنية السوداء لنافذة غرفة النوم، فأقحم قدميه في داخل الإطار، وشد عضلات ساقيه وتمدد من الحمام على الجدار الخارجي لتتحسس أصابعه بلا جدوى بحثاً عن مسكة بين المسننات الخشنة، بينما استقر الثلج على وجهه وذاب مع الدم السائل على خده. بذل جهداً أكبر بينما ضغط إطار النافذة على ساقه بقوة لدرجة أنه شعر كما لو أن العظمة ستنكسر، وتسللت يده على الجدار كعنكبوت محموم، وآلمته عضلات معدته. لكنه كان بعيداً جداً ولا يمكنه الوصول إليه. حدق إلى الأرض تحته وهو يعرف أن هناك أسفلتاً تحت الطبقة الرقيقة من الثلج.

أحس بشيء بارد على أطراف أصابعه.

قضيب حديدي.

أحكم إصبعين حول القضيب ثم اليد الأخرى، وحرر ساقه المتألمة ليتدلى ويجد بسرعة موطئ قدم لتخفيف الضغط عن ذراعه. أخيراً استطاع أن يرى ما بداخل غرفة النوم، وقد رأى... جاهد ذهنه ليستوعب ما يراه، بينما عرف مباشرة ما ينظر إليه: العمل الفني المنتهي... النمط الذي رآه مسبقاً.

كانت عينا راكيل سوداوين ومفتوحتين وهي ترتدي ثوباً قرمزياً... كانت قرمزية، وكان رأسها مشدوداً نحو السقف كما لو كانت واقفة إلى جانب سور وتحاول أن ترى من فوقه، ومن هذه الوضعية كانت تحدق إلى الأسفل والخارج... إليه. كانت كتفاها مشدودتين للخلف وذراعاها مخفيتين، فافترض هاري أن يديها مقيدتان وراء ظهرها، وكان خداها منفوخين كما لو أن هناك جراباً أو قطعة قماش في فمها، وجلست على كتفي رجل ثلج ضخم، بينما كانت ساقاها العاريتان ملفوفتين على صدر رجل الثلج، وقد

استطاع رؤية ساقها المشدودة ترتعش... يجب أن لا تسقط... لا يمكنها ذلك... لأن هناك سلكاً رمادياً حول رقبتها؛ كذلك الذي كان حول رقبة إيلي كفال، لكنه على شكل دائرة بيضاء متوهجة كتقليد عبثي لإعلان معجون أسنان قديم يعد بحلقة من الثقة والحظ الجيد في الحب وحياة سعيدة طويلة. كان هناك سلك مع مقبض أسود لأنشوطة التقطيع مشدود إلى خطاف في السقف فوق رأس راكيل، ويمتد إلى الجانب الآخر من الغرفة حتى الباب... إلى مقبض الباب. لم يكن السلك ثخيناً، لكنه لم يكن طويلاً بما فيه الكفاية ليقاوم أكثر حين بدأ هاري بفتح الباب... بالطبع لو ضغط على المقبض مباشرة لقطع المعدن المتوهج الأبيض حنجرتها تحت ذقنها مباشرة.

كانت راكيل تحدق إلى هاري من دون أن ترمش، بينما كانت عضلات وجهها ترتعش بسبب الغضب والخوف... كانت الأنشوطة ضيقة بالنسبة إليها لتبعد رأسها من دون أذى، فكانت تخفض رأسها لئلا تلمس التوهج القاتل المتدلي عمودياً حول رقبتها.

نظرت إلى هاري ثم إلى الأرض ثم إلى هاري، ففهم هاري.

كانت هناك كتل رمادية من الثلج على الأرضية المغطاة بالمياه... رجل الثلج يذوب بسرعة.

وقف هاري على قدمه وهز القضبان بقوة قدر الإمكان لكنها لم تتحرك ولم تصر حتى... كان الحديد سميكاً وموصولاً بقوة بالخشب.

كان الشكل في الداخل يتأرجح.

صرخ هاري:

- اصمدي! سأعود بسرعة.

كذب... لن يتمكن حتى من ثني القضبان برافعة معدنية، وليس لديه الوقت للبدء بنشرها... تباً لوالدها... السافل المجنون! آلمته ذراعاه، بينما سمع دوي صفارات أول سيارة تنعطف إلى الطريق، فنظر حوله. كانت عربة دلتا الخاصة وهي عربة مدرعة كبيرة من نوع لاند روفر، قفز منها رجل يرتدي سترة خضراء واحتمى وراء العربة ممسكاً بجهاز إرسال، ثم طقطق جهاز الإرسال في يد هاري.

صرخ هاري:

- مرحباً.

تفاجأ الرجل ونظر يمنة ويسرة.

- أنا في الأعلى أيها المدير.

استقام غونار هاغن وراء العربة بينما ترنحت سيارة دورية أمام المنـزل، فيما كان ضوء أزرق يدور فوقها.

صرخ هاغن:

- أنقتحم المنـزل؟
- لا! لقد علقها... فقط...
- فقط؟

رفع هاري عينيه وحدق... ليس إلى المدينة وإنما إلى منحدر هولمينكولن للتزلج المضاء بين القمم.

- فقط ماذا يا هاري؟
- فقط انتظروا.
- ننتظر؟
- عليّ أن أفكر.

أسند هاري جبهته على القضبان الباردة. كانت ذراعاه تؤلمانه، فثنى ركبتيه لوضع معظم ثقل جسده على ساقيه. لا بد أن يكون هناك زر لإطفاء أنشوطة التقطيع... ربما على المقبض البلاستيكي. يمكنهم تحطيم النافذة، وإدخال قضيب طويل مع مرآة ليتمكنوا ربما... لكن، كيف سيتمكنون من الضغط على زر الإطفاء من دون أن يتحرك أي شيء و... و...؟ حاول هاري أن لا يفكر في طبقة الجلد الرقيقة والنسيج الناعم الذي يحمي الشريان السباتي... حاول أن يفكّر بشكل بناء ويتجاهل الذعر الذي يدوي في أذنيه ويأمره أن يدخل ويسيطر على الوضع.

يمكنهم الدخول عبر الباب من دون فتحه... مجرد نشر اللوح... يلزمهم منشار... لكن، من لديه واحد؟ كامل سكان هولمينكولن، فكل واحد منهم لديه غابة صنوبرية في حديقته.

صرخ هاري:

- أحضر منشاراً من بيت الجيران.

سمع صوت ركض في الأسفل، وصوت تناثر الماء داخل غرفة النوم، فتوقف قلب هاري بينما حدق إلى الداخل. كان كامل الجانب الأيسر من رجل الثلج قد اختفى حيث انهار ووقع في الماء... رجل الثلج ينهار. رأى جسد راكيل يرتجف وهي تكافح للحفاظ على توازنها للبقاء بعيدة عن حبل المشنقة الأبيض على شكل دمعة... لن يصلوا مع المنشار في الوقت المناسب... ناهيك عن قطع الباب.

سمع هاري الهيستيريا الشديدة في صوته وهو يقول:

- هاغن! هناك حبل قطر في سيارات الدوريات. ارمه للأعلى وأدر سيارة اللاند روفر عكس الجدار.

سمع هاري دوي أصوات... ومحرك اللاند روفر وهو يدور وصندوق سيارة يفتح.

- أمسك!

ترك هاري القضيب بإحدى يديه، واستدار ليرى الحبل الملتف قادماً نحوه، فاندفع في الظلام، وأمسك طرفه، بينما سقط الباقي على الأرض مصدراً صوتاً مكتوماً.

- اربط طرفه بسيارة القطر.

كان هناك خطاف موصول بطرف الحبل، وبسرعة البرق علّق الخطاف على تقاطع القضبان في وسط النافذة وأغلق القفل... التقييد بسرعة.

سمع صوت تناثر مياه آخر من داخل غرفة النوم... لم ينظر هاري... فما من فائدة من ذلك.

صرخ:

- هيا!

ثم أمسك بحافة المزراب بكلتا يديه مستخدماً القضبان كسلم ليسمع دوي اللاند روفر يتزايد، فيما كان يتأرجح من السقف مسنداً صدره على قرميد السقف ومغمضاً عينيه، ثم سمع المحرك ينطلق والدوي ينخفض والقضبان المعدنية تئن... المزيد من الأنين... والمزيد... هيا! كان هاري مدركاً أن الوقت يمر ببطء أكثر مما يظن، لكن ليس ببطء كافٍ، وبينما كان ينتظر الانهيار ارتفع الدوي فجأة لنحيب ضارٍ... تباً! أدرك هاري أن إطارات اللاند روفر تدور بعجز.

دارت الإطارات الثقيلة الكبيرة على الأسفلت، ثم صدر صوت الانهيار، وازداد الدوي ثم خفت لتتبعه لحظة من الصمت المطبق، ثم اصطدام أجوف حين ضربت القضبان سقف السيارة في الأسفل.

رفع هاري نفسه، ووقف مديراً ظهره للباحة على حافة المزراب، ثم انحنى وأمسك بالمزراب بكلتا يديه وركله ليتأرجح من المزراب إلى النافذة يميناً ويساراً كالرقاص. في تلك اللحظة، سقط لوح النافذة الذي كان تحت قدم هاري، ولجزء من الثانية لم تكن لدى هاري أدنى فكرة عن المكان الذي سيستقر فيه: في الباحة في الأسفل أو على زجاج النافذة المكسور أو في غرفة النوم.

كان هناك صوت ضربة عنيفة، كما لو أن الفتيل قد انطفأ وعم الظلام كل شيء.

انتقل هاري عبر مساحة من العدم ولم يشعر بشيء أو يتذكر شيئاً.

وحين عاد الضوء، كانت أفكاره الوحيدة أنه يريد العودة لذلك المكان، فقد انتشر الألم في أنحاء جسده كافة وهو مستلق على ظهره على مياه باردة كالثلج... لكن، لا بد أنه ميت لأنه ينظر الآن إلى ملاك يرتدي اللون الأحمر ويرى الهالة المتلألئة تتوهج في الظلام، ثم عاد الصوت ببطء... الاحتكاك... التنفس، ثم رأى الوجه المشوه والهلع والفم المملوء بكرة صفراء والقدمين المتسلقتين فوق الثلج. أراد أن يغمض عينيه فحسب... ضجة كالأنين المنخفض... الثلج المبتل يتساقط.

حين يحاول هاري تذكر ما حصل فإنه لا يستطيع... لا يستطيع سوى تذكر الرائحة المقززة بينما حرقت أنشوطة القطع اللحم.

في لحظة انهيار رجل الثلج، وقف لتسقط راكيل إلى الأمام، فرفع هاري يده اليمنى، بينما أحكم ذراعه اليسرى حول فخذيها لرفعها. عرف أنه تأخر كثيراً، حيث صدر صوت أزيز اللحم، بينما امتلأ أنفه برائحة دهنية وسال الدم على وجهه. نظر إلى الأعلى... كانت يده اليمنى بين التوهج الأبيض للأنشوطة ورقبتها، وقد أجبر ثقل رقبتها يده على النـزول على السلك الحامي الذي نهش لحم أصابعه كما تلتهم قطاعة بيض بيضة مسلوقة، وحين تقطعها ستقطع حنجرتها. جاء الألم متأخراً وكليلاً كمطرقة فولاذية مقاومة في البداية ثم مصممة... عليه تحرير يده اليسرى... رفعها على كتفيه، ومد يده الحرة فوق رأسه ليشعر ببشرتها على رؤوس أصابعه وشعرها الغزير، ويشعر بالأنشوطة تحرق بشرته قبل أن تجد يده البلاستيك القاسي... المقبض. وجدت أصابعه زراً وحركه لليمين لكنه توقف ما إن بدأت الأنشوطة بالتضيق، ثم وجد زراً آخر، فضغطه ليختفي الصوت ويخبت الضوء، وعرف أنه على وشك فقدان وعيه مجدداً. فكّر في أن عليه أن يتنفس، فأهم شيء هو أن يحصل على الأوكسجين من أجل دماغه... لكن ركبتيه كانتا تنهاران بكل الأحوال. تغير التوهج الأبيض للأحمر ثم تدريجياً للأسود.

سمع وراء ظهره صوت زجاج يتحطم تحت الأحذية.

ثم قال صوت من ورائه:

- أمسكنا بها.

انهار هاري على ركبتيه في المياه الملونة بالدم مع كتل من الثلج

ورباطات بلاستيكية غير مستخدمة حوله. كان ذهنه فارغاً كما لو أن الطاقة فيه قد انتهت.

أحد ما من ورائه قال شيئاً ليلتقط أجزاء منه ويتنشق الهواء ويئن:

- ماذا؟

كرر الصوت:

- إنها على قيد الحياة.

استقر سمعه وبصره والتفت. كان الرجلان اللذان يرتديان اللون الأسود يضعان راكيل على السرير بعد أن قطعا الرباطات البلاستيكية. أفرغ هاري معدته من محتوياتها من دون سابق إنذار على دفعتين، ثم حدق إلى القيء في الماء، وأحس برغبة هيستيرية بالضحك بصوت مرتفع لأن إصبعه بدت كما لو أنه قد تقيأها مع كل شيء آخر. رفع يده اليمنى ونظر إلى البقايا النازفة كتأكيد... كانت إصبعه تطفو فوق الماء.

جاءه صوت راكيل:

- أوليغ...

التقط هاري رباطاً ولفه حول بقايا إصبعه الوسطى وشده بأقوى ما يستطيع، ثم كرر الأمر نفسه مع إصبعه السبابة المقطوعة حتى العظم لكنها لا تزال متصلة بيده.

ثم اتجه إلى السرير، ومد اللحاف فوق راكيل وجلس بجانبها. حدقت إليه عيناها الكبيرتان والسوداوان بينما سال الدم من الجروح في المواضع التي لامستها الأنشوطة على جانبـي رقبتها. أمسك يدها بيده اليسرى غير المتضررة.

كررت:

- أوليغ.

قال هاري وهو يضغط على يدها:

- إنه بخير... إنه مع الجيران... لقد انتهى الأمر.

رآها تحاول التركيز بعينيها.

همست بصوت يكاد يكون غير مسموع:

- هل تعدني؟

- أعدك.

- الحمد لله.

نشجت مرة، ثم غطت وجهها بيديها وبدأت بالبكاء.

نظر هاري إلى يده المصابة... إما أن الرباطين قد أوقفا النـزيف، أو

أنه خاوٍ.

قال بهدوء:

- أين ماثياس؟

رفعت رأسها وحملقت به:

- لقد وعدتني للتو أنـ...

- أين ذهب ياراكيل؟

- لا أعرف.

- أقال شيئاً؟

ضغطت يدها على يده:

- لا تذهب الآن ياهاري. أنا متأكدة من أنه بإمكان أحد آخر أن...

- ما الذي قاله؟

من طريقة نكوص جسدها خمن أنه قد رفع صوته.

فقالت والدموع تتلألأ في عينيها الداكنتين مجدداً:

- قال إن الأمر قد انتهى الآن، وإنه سينهي الأمر، وإن النهاية ستكون إجلالاً للحياة.

- إجلال للحياة؟! هل استخدم هاتين الكلمتين؟

هزت رأسها بينما حرر هاري يده من يدها ووقف متجهاً إلى النافذة وهو يتفحص سماء الليل... لقد توقف الثلج عن التساقط. نظر إلى الأعلى، إلى النصب المضاء الذي يمكن رؤيته من كل مكان تقريباً في أوسلو... منحدر التزلج... كفاصلة بيضاء مقابل المنحدر الأسود... أو نقطة.

عاد هاري إلى جانب السرير، وانحنى مقبلاً إياها من جبهتها.

همست:

- إلى أين ستذهب؟

رفع هاري يده الملطخة بالدماء وابتسم:

- لرؤية طبيب.

غادر الغرفة، ونـزل السلم، ثم خرج إلى الظلام الأبيض البارد في الباحة، لكن الغثيان والدوار لم يتركاه.

كان هاغن واقفاً إلى جانب سيارة اللاند روفر يتكلم عبر هاتف محمول.

قطع المحادثة، وهز رأسه حين سأله هاري إن كان من الممكن إيصاله بالسيارة.

جلس هاري في الخلف وهو يفكّر كيف شكرت راكيل الله، فلم تكن تعلم بالطبع أن هناك شخصاً آخر يستحق شكرها.

سأل السائق:

- إلى مركز المدينة؟

هز هاري رأسه بالنفي وأشار إلى الأعلى لتبدو إصبعه السبابة وحيدة بشكل غريب بين الإبهام والبنصر.

36 - اليوم الحادي والعشرون

البرج

استغرق الأمر ثلاث دقائق بالسيارة من منـزل راكيل إلى منحدر هولمينكولن للتزلج، حيث سارت السيارة عبر النفق ووقفت عند الساحة ذات الإطلالة بين متاجر التذكارات. وبدا المنحدر كشلال أبيض متجمد يغطس بين المنصات ويمتد إلى مساحة مسطحة تحت مائة متر.

سأل هاغن:

- كيف تعرف أنه هنا؟

- لأنه أخبرني أنه سيكون هنا. كنا جالسين عند حلبة تزلج حين أخبرني أنه في اليوم الذي سينتهي فيه عمل حياته وسيمرض حيث يقترب من الموت فسيقفز من البرج هناك إجلالاً للحياة.

وأشار هاري إلى برج التزلج المضاء والقمة المرتفعة إلى السماء السوداء فوقهما:

- وهو يعرف أنني سأتذكر.

همس غونار هاغن وهو يحدق إلى القفص الزجاجي الداكن الجاثم في قمة البرج.

- إنه مخبول!

سأل هاري وهو يلتفت نحو السائق:

- أيمكنني استعارة أصفادك؟

- لديك واحدة.

قال هاغن ذلك وهو يشير إلى معصم هاري الأيمن حيث وضع إحدى الحلقات حوله، بينما بقيت الأخرى مفتوحة.

قال هاري وهو يتناول الحقيبة الجلدية من السائق:

- أريد زوجين. أيمكنك مساعدتي؟ تنقصني إصبعان هنا...

هز هاغن رأسه وهو يطبق إحدى الحلقتين حول معصم هاري الآخر.

- لست سعيداً بذهابك بمفردك... هذا يخيفني.

- ليس هناك متسع هناك ويمكنني الحديث معه... كما أن معي هذا.

وأخرج هاري مسدس كاترين.

- هذا ما يخيفني ياهاري.

نظر المحقق هول إلى مديره نظرة خاطفة قبل أن يستدير ويفتح

باب السيارة بيده السليمة.

رافق الشرطي هاري إلى مدخل متحف التزلج الذي عليه عبوره للوصول إلى مصعد البرج. كانا قد أخذا رافعة لتحطيم الباب، لكنهما حين اقتربا وقع ضوء المصباح على شظايا الزجاج المتلألئ على الأرض إلى جانب مكتب قطع التذاكر، بينما كان صوت إنذار بعيد يصدر من مكان ما داخل المتحف.

قال هاري وهو يتحقق من مسدسه في حزامه:

- حسناً... إذاً عرفنا أن رجلنا هنا. ضع رجلين عند المخرج الخلفي ما إن تصل سيارة الدورية التالية.

أخذ هاري المصباح وخطا إلى الغرف المظلمة حيث عبر إلى جانب ملصقات وصور أبطال التزلج النروجيين والأعلام النروجية والملوك وأولياء العهد النروجيين المصحوبين جميعاً بنصوص بليغة تدعي أن النروج كانت أمة واحدة، وهنا تذكر هاري لماذا لم يتمكن قط من تقبّل هذا المتحف.

كان المصعد في الخلف ضيقاً ومطوقاً. تفحص هاري باب المصعد وهو يشعر بالعرق البارد يسيل على بشرته... هناك سلم فولاذي بجانبه.

بعد ثمانية طوابق ندم على قراره، فقد عاد الغثيان والدوار إليه مجدداً، وبدأ بمحاولات التقيؤ. تردد صوت الخطوات على المعدن إلى أعلى وأسفل السلم بينما عزفت الأصفاد المتدلية من معصميه موسيقى مع السياج. لا بد أن قلبه يفرز الأدرينالين ويجهّز جسده للتصرف في هذه النقطة. ربما يكون مستنـزفاً جداً ومنهكاً جداً، أو ربما عرف أن الأمر قد انتهى، فقد انتهت اللعبة وأصبحت النتيجة واضحة.

تقدم هاري وهو يضرب قدميه بالسلم من دون أن يحاول الحفاظ على الهدوء، فقد كان يعلم أن صوته مسموع منذ زمن.

أدى السلم مباشرة إلى القفص المظلم، فأطفأ هاري مصباحه، وأحس بتيار بارد من الهواء ما إن ظهر رأسه فوق الأرض. كان ضوء القمر الشاحب يشع في الغرفة التي كانت مساحتها أربعة أمتار، والمحاطة بالزجاج مع سياج فولاذي يتمسك به السياح بمزيج من الرعب والفرح وهم يستمتعون بالإطلالة على أوسلو أو يتخيلون كيف سيكون الأمر حين ينـزلون المنحدر على مزالج أو يقعون عن البرج ويسقطون كصخرة نحو البيوت ليتحطموا بين الأشجار التي تحتهم.

تسلق هاري إلى الدرجة العليا، واستدار إلى المظلة الموضوعة مقابل غطاء النور الذي تقبع البلدة تحته. كان الشخص جالساً على السياج

ومحاطاً بالنافذة الكبيرة المفتوحة حيث كان الهواء البارد يتدفق.

جاء صوت ماثياس خفيفاً ومبتهجاً:

- جميلة... أليس كذلك؟

- أتعني الإطلالة؟ نعم، أوافقك الرأي.

- لم أقصد الإطلالة ياهاري.

كانت إحدى قدمي ماثياس متدلية إلى الخارج، بينما وقف هاري إلى جانب السلم.

- من الذي قتلها ياهاري؟ أنت أم رجل الثلج؟

- من تظن؟

- أظنك أنت. في كل الأحوال، أنت شخص ذكي وقد كنت أعتمد عليك. إنه شعور رهيب أليس كذلك؟ بالطبع ليس من السهل رؤية الجمال حينها... حين تقتل الشخص الذي تحبه أكثر من أي أحد آخر.

قال هاري وهو يقترب خطوة:

- حسناً. لا أظن أنك ستعرف الكثير عن ذلك... أليس كذلك؟

- ألن أعرف؟

أحنى ماثياس رأسه للوراء على الإطار وضحك:

- لقد أحببت أول امرأة قتلتها أكثر من أي شيء آخر في هذه الدنيا.

- إذاً، لِمَ فعلت ذلك؟

أحس هاري بطعنات الألم وهو يحرك يده اليمنى خلف ظهره وحول المسدس.

- لأن أمي كانت كاذبة وساقطة.

أرجح هاري يده ورفع المسدس:

- انـزل من هناك ياماثياس وارفع يديك في الهواء.

نظر ماثياس إلى هاري بفضول:

- أتعرف أن هناك احتمالاً بنسبة عشرين بالمائة أن أمك كذلك ياهاري؟ هناك احتمال بنسبة عشرين بالمائة أنك ابن ساقطة. ما رأيك بهذا؟

- لقد سمعتني ياماثياس.

- دعني أسهل عليك الأمر ياهاري... أولاً، أنا لن أطيعك. وثانياً، يمكنك القول إنك لم تستطع رؤية يدي لذا من المحتمل أن أكون مسلحاً... هيا أطلق النار ياهاري.

- انـزل.
- راكيل كانت ساقطة ياهاري، وأوليغ ابن ساقطة. ينبغي أن تشكرني لأنني تركتك تقتلها.

نقل هاري المسدس إلى يده اليسرى، بينما ارتطمت أطراف الأصفاد ببعضها.

- فكِّر في الأمر ياهاري. إن اعتقلتني فسيعتبرونني مريضاً عقلياً وسيرمونني في مصحة نفسية لبضع سنوات قبل أن يتم إطلاق سراحي. أطلق النار عليّ الآن.

قال هاري وهو يقترب:

- أنت تريد أن تموت الآن لأنك ستموت لاحقاً نتيجة تصلب الجلد.

ضرب ماثياس يده بإطار النافذة:

- أحسنت ياهاري. لقد تحققت مما قلته حول الأجسام المضادة في دمي.
- سألت إيدار، ثم أجريت بحثاً عن تصلب الجلد. إن كنت مصاباً بالمرض فمن السهل أن تختار طريقة أخرى للموت... على سبيل المثال، ميتة مشهدية تبدو وكأنها تتوج عمل حياتك.
- يمكنني سماع سخريتك ياهاري، لكنك ستفهم يوماً ما.
- أفهم ماذا؟
- أننا كنا في المركب نفسه نحارب المرض، لكن الأمراض التي نحاربها أنا وأنت لا يمكن القضاء عليها. جميع الانتصارات مؤقتة، لذا إن القتال فقط هو عمل حياتنا، وقد انتهى عمل حياتي هنا. ألا تريد إطلاق النار عليّ ياهاري؟

التقت عينا هاري عينَي ماثياس، ثم أدار هاري المسدس في يده ووجهه إلى ماثياس:

- قم بذلك بنفسك أيها السافل.

عبس ماثياس، بينما رأى هاري التردد والارتياب اللذين تحولا تدريجياً إلى ابتسامة.

- كما ترغب.

تمدد ماثياس عبر السياج وأخذ السلاح وربت على الفولاذ الأسود.

- لقد ارتكبت خطأ فادحاً ياصديقي.

ورفع المسدس موجهاً إياه إلى هاري.

- ستكون خاتمة رائعة ياهاري كضمان على أن عملي لن ينسى.

حدق هاري بالفوهة السوداء وهو يشاهد المطرقة ترفع رأسها القبيح الصغير ليبدو كل شيء يتحرك ببطء أكبر، وتبدأ الغرفة بالدوران... صوَّب ماثياس... صوَّب هاري... وأرجح ذراعه اليمنى لتصدر الأصفاد عويلاً منخفضاً في الهواء بينما ضغط ماثياس على الزناد لتتبع التكة الجافة ضربة جافة حين ضربت الأصفاد المفتوحة المعصم.

قال هاري:

- لقد نجت راكيل وفشلت أنت أيها السافل المجنون.

رأى هاري عيني ماثياس تتسعان ثم تتضيقان وهما تحدقان بالمسدس الذي لم يطلق الرصاص، وبالحديد حول معصمه الذي يقيده بهاري.

- لقد... لقد أزلت الرصاصات.

هز هاري رأسه:

- لم تضع كاترين برات أي رصاصات في مسدسها مطلقاً.

نظر ماثياس إلى هاري وانحنى إلى الوراء:

- تعال.

ثم قفز.

تأرجح هاري للأمام وفقد توازنه... حاول المقاومة، لكن ماثياس كان ثقيلاً جداً، أما هاري فقد بدأ بالتضاؤل بعد أن فقد لحماً ودماً. صرخ الشرطي بينما انسحب فوق السياج الفولاذي وامتصته النافذة والهاوية. ما رآه حين رمى ذراعه اليسرى الحرة فوق رأسه وخلفه هو قائمة كرسي، وهو يجلس وحيداً في غرفة قذرة من دون نوافذ في كابريني غرين في شيكاغو، وسمع هاري صوت المعدن يرتطم بالمعدن، ثم تعثر عبر الليل في سقوط حر... كانت اللعبة في نهايتها الآن.

حدق غونار هاغن ببرج منحدر التزلج، لكن ندف الثلج المتطايرة أعاقت رؤيته.

ردد عبر جهاز الإرسال:

- هاري! هل أنت هنا؟

حرر الزر لكن الجواب لم يكن سوى الفراغ والطقطقة الحادين.

كانت هناك أربع سيارات دوريات في مرأب السيارات المفتوح إلى جانب المنحدر الآن، وقد ساد الارتباك التام حين سمعوا الصرخات من البرج قبل بضع ثوانٍ.

قال الشرطي الذي بجواره:

- لقد سقطا... أنا متأكد من أنني رأيت شخصين يسقطان من القفص الزجاجي.

أخفض غونار هاغن رأسه باستسلام، فلم يكن يعرف كيف أو لماذا لكن بدا له للحظات أن هناك منطقاً عبثياً في الأمور التي تنتهي بهذا الشكل... كان هناك نوع من التوازن الكوني.

هراء... يالهذا الهراء!

لم يستطع هاغن رؤية سيارات الشرطة في الثلج المنجرف، لكنه استطاع سماع عويل الصفارات كنساء نائحات... كانوا في طريقهم، وقد عرف أن الصوت سيجذب الباحثين؛ صقور الصحافة والجيران الفضوليين والمديرين المتعطشين للدم حيث سيأتون للحصول على حصتهم المفضلة من الجثة... الحلوى... وستكون وجبة اليوم مكونة من رجل الثلج البغيض والشرطي الكريه؛ لذا سيحبونها. لم يكن هناك أي منطق أو توازن وإنما الجوع والطعام فحسب... طقطق جهاز إرسال هاغن.

- لا يمكننا إيجادهما... حوّل.

انتظر هاغن وهو يتساءل كيف سيخبر رؤساءه أنه سمح لهاري بالذهاب بمفرده، وكيف سيفسر أنه لم يكن سوى أعلى رتبة من هاري وليس رئيسه، وأن هناك منطقاً في ذلك أيضاً، وأنه لا يأبه إن فهموا ذلك أو لا.

- ما الذي يجري؟

استدار هاغن... كان ماغنوس سكار.

قال هاغن وهو يهز رأسه نحو البرج:

- لقد وقع هاري... إنهم يبحثون عن الجثة الآن.

- جثة؟! هاري! هذا مستحيل.

- مستحيل؟

استدار هاغن إلى سكار الذي كان يحدق إلى البرج:

- ظننت أنك أصبحت تعرف الرجل ياهاغن.

أحس هاغن أنه على الرغم من كل شيء يحسد الشرطي الشاب على يقينه الراسخ.

طقطق جهاز الإرسال مجدداً:

- ما من أحد هنا!

التفت سكار إليه، والتقت عيونهما، بينما هز سكار كتفيه بمعنى: كما

قلت لك .

صرخ هاغن لسائق اللاند روفر وهو يشير إلى الأضواء الكاشفة على السطح:

- هيه... أنت! نوّر القفص الزجاجي وأحضر لي منظاراً.

بعد بضع ثوانٍ انتشر شعاع عبر الليل.

سأل سكار:

- أيمكنك رؤية شيء؟

قال هاغن وهو يضغط بالمنظار على عينيه:

- الثلج... أضئه للأعلى قليلاً... توقف... انتظر... يا إلهي!

- ماذا؟

- يا إلهي!

في تلك اللحظة، تراجع الثلج كستارة مسرح تنسدل، وسمع هاغن العديد من رجال الشرطة يصرخون، فقد بدا لهم كما لو أن رجلين مقيدين ببعضهما يتدليان من المرآة الأمامية للسيارة. كان الشخص الأكثر انخفاضاً يرفع يداً فوق رأسه بنوع من الزهو بالانتصار، في حين يمد الآخر كلتا ذراعيه عمودياً كما لو كان مصلوباً من الجانب. كان كلاهما جامدين، ويتدلى رأساهما وهما يدوران ببطء في الجو.

تمكن هاغن أن يرى من خلال المنظار الأصفاد وهي تقيد يد هاري اليسرى بالسياج داخل القفص الزجاجي.

ردد هاغن:

- يا إلهي!

وكما شاءت الأقدار، جثم الشرطي الشاب من وحدة الأشخاص المفقودين توماس هيل بجانب هاري هول حين استعاد وعيه بعد أن جذبه أربعة رجال شرطة مع ماثياس لوند هلغسين إلى القفص الزجاجي، وقد بقي لسنوات تلت يروي قصة ردة فعل المحقق سيئ السمعة الأولى والغريبة مراراً وتكراراً.

- كان مهتاجاً، وسأل إن كان لوند هلغسين لا يزال على قيد الحياة! كما لو أنه مرعوب من أي يكون قد مات؛ وكأن هذا أسوأ ما يمكن أن يحصل. وحين قلت له نعم وإنهم أخذوه بسيارة إسعاف صرخ أن علينا إزالة حزام لوند هلغسين ورباط حذائه وأن نتأكد من أنه لن ينتحر. هل سمعتم بشيء كهذا؟ الاهتمام لهذه الدرجة بالشخص الذي قد

حاول للتو قتل حبيبتك السابقة؟

37 - اليوم الثاني والعشرون

بابا

ظن جوناس أنه سمع الأجراس المعدنية ترن لكنه عاد للنوم ولم يفتح عينيه حتى سمع الأصوات المكبوتة. كان هناك أحد ما في الغرفة... إنه بابا... وهو جالس على حافة سريره.

وكانت الأصوات المكبوتة صوت بكائه.

جلس جوناس على السرير، بينما وضع إحدى يديه على كتف والده وأحس به يهتز... كان غريباً... لم يلحظ من قبل أن لأبيه كتفين ضيقتين هكذا.

نشج:

- لقد... لقد وجدوها... ماما...
- أعلم... لقد حلمت بذلك.

استدار الأب بدهشة، حيث رأى جوناس في ضوء القمر المتسلل من خلال الستارة الدموع تنهمر على خديه.

- لم يبقَ سوانا يابابا.

فتح والده فمه... مرة... مرتين... لكن، لم يصدر منه أي شيء، ثم مد ذراعيه ولفهما حول جوناس وقربه منه، وبعد ذلك شده إليه، بينما وضع جوناس رأسه على رقبة أبيه وأحس بالدموع الحارة تبلل فروة رأسه.

همس من بين دموعه:

- أتعلم يا جوناس؟ أحبك كثيراً... أنت أغلى ما لدي... أنت ابني... أتسمعني؟ ابني... وستبقى دائماً هكذا... سنتدبر أمرنا... أليس كذلك؟ ألا تظن ذلك؟

همس جوناس:

- نعم يابابا... سنتدبر أمرنا... أنا وأنت.

38 - ديسمبر 2004

الإوز

في كانون الأول، كانت الحقول خارج نوافذ المشفى بنية وجرداء تحت السماء الرمادية. على الطريق السريع سحقت الإطارات المنقوشة الأسفلت الجاف، بينما عدا المشاة على جسر المشاة وهم يرفعون ياقات معاطفهم. لكن، داخل جدران المبنى كان الناس محتشدين أكثر، وعلى الطاولة في الجناح أشارت الشمعتان إلى مرور يومي أحد.

دخل هاري من الباب حيث كان شتال أون جالساً على السرير، ومن الواضح أنه قد ألقى دعابة للتو لأن رئيسة كريمتيكنيسك بتي لون كانت لا تزال تضحك، بينما جلس في حضنها رضيع ذو وجنتين حمراوين ينظر إلى هاري بعينين كبيرتين مستديرتين وفم مفتوح.

هدر شتال حين لمح الشرطي:

- صديقي!

دخل هاري وانحنى معانقاً بتي ومصافحاً شتال أون.

- تبدو أفضل من آخر مرة رأيتك فيها.

- يقولون إنني سأخرج قبل العيد.

ثم قلب أون يد هاري بيده:

- ماذا حصل؟

سمح له هاري بتفحص يده اليمنى:

- انقطعت الإصبع الوسطى ولم نستطع إنقاذها، لكنهم خاطوا العروق في الإصبع السبابة حيث ستنمو النهايات العصبية ميلليمتراً كل شهر وتحاول اللقاء ببعضها. لكن الأطباء يقولون إنني سأعيش بشلل دائم في أحد أطرافها.

- إنه ثمن باهظ.

- لا... ضريبة تافهة.

هز أون رأسه.

سألت بتي التي وقفت على قدميها لتضع الطفل في العربة:

- هل من أخبار عن الموعد الذي ستظهر فيه القضية؟

قال هاري وهو يشاهد تحركات الشرطية الفعالة:

- لا.

قال أون:

- سيحاول الدفاع الإعلان أن لوند هلغسين مجنون.

كان يفضل التعبير الشعبي "مجنون" لأنه لم يكن برأيه وصفاً مناسباً فحسب وإنما شاعري أيضاً.

- وعدم التوصل لذلك سيحتاج لطبيب نفسي أسوأ مني.

قالت بتي وهي تميل رأسها وتمد غطاء الرضيع:

- أوه نعم... سينعم بالحياة في كل الأحوال.

قال أون وهو يمد يده إلى الكوب على الطاولة بجوار السرير:

- من المخزي أن الحياة ليست حياة. كلما تقدمت بالسن تأكدت من أن الشر شر سواء أكان بسبب مرض نفسي أو لا. جميعناً معرضون لتصرفات شريرة لكن مزاجنا لا يبرئنا. بحق الله... جميعنا نعاني مشاكل نفسية لكن تصرفاتنا هي التي تحدد مدى مرضنا. نحن نقول إننا جميعاً متساوون أمام القانون، لكن هذا مجرد هراء لأننا غير متساوين. خلال انتشار وباء الطاعون الأسود كانوا يرمون البحارة الذين يسعلون مباشرة من السفينة لأن العدالة سكين ذو حدين كفلسفة وكحكم؛ فكل ما لدينا ترجيحات طبية محظوظة أو أقل حظاً ياأعزائي.

قال هاري وهو يحدق إلى ما تبقى من إصبعه المضمدة:

- لكن، في هذه الحالة سيكون ذلك لأجل الحياة.

- ماذا؟

- الترجيحات الطبية غير المحظوظة.

ملأ الصمت الغرفة.

أعلن هاري وهو يلوح بيده اليمنى:

- أقلت لكم إنهم عرضوا علي وضع إصبع صناعية؟ لكنني أحب يدي كما هي... أربع أصابع كالأيدي في أفلام الأطفال المصورة.

- ماذا فعلت بالإصبع التي كانت هنا؟

- حاولت التبرع بها لقسم التشريح لكنهم لم يكونوا مهتمين، لذا قررت أن أحنطها وأضعها على مكتبي كما يفعل هاغن بإصبع الياباني الصغيرة، فقد رأيت أن إصبعاً وسطى منتصبة ستكون ترحيباً مناسباً لي.

ضحك الآخران.

سألت بتي:

- كيف حال راكيل وأوليغ؟

- جيدان بشكل مفاجئ... إنهما قويان.

- وكاترين برات؟

- أفضل. لقد زرتها الأسبوع الماضي... ستبدأ العمل مجدداً في فبراير حيث ستعود لوحدتها القديمة في بيرغن.

- حقاً؟ ألم تطلق النار على أحد من فرحتها؟

- أمر خاطئ. تبين أنها كانت تتجول حاملة مسدساً فارغاً، ولهذا تجرأت على الضغط على الزناد لتلك الدرجة... كان علي معرفة ذلك.

- حقاً؟!

- حين تنتقلين من مركز شرطة لآخر تسلمين مسدس الخدمة لتحصلي على واحد جديد مع صندوقي طلقات. كان هناك صندوقان غير مفتوحين في درج مكتبها.

تبعت ذلك لحظة من الصمت.

قالت بتي وهي تربت على شعر الطفل:

- من الجيد أنها بخير مجدداً.

قال هاري بشرود:

- نعم.

وخطر له أن ذلك كان صحيحاً... بدا أنها تتحسن. حين زار كاترين في شقة أمها في بيرغن كانت قد استحمت للتو بعد الركض لمسافة طويلة على جبل ساندفيكن حيث كان شعرها لا يزال مبللاً ووجنتاها حمراوين. قدمت أمها الشاي، بينما أخبرته كاترين كيف أصبحت قضية والدها هوساً بالنسبة لها، ثم اعتذرت على جره إلى القضية، لكنه لم ير أي ندم في عينيها بالرغم من ذلك.

ضحكت وهزت كتفيها:

- يقول طبيبـي النفسي إنني أكثر تطرفاً من معظم الناس بدرجة أو اثنتين، لكنني انتهيت من كل ذلك، فقد لاحقني الأمر منذ طفولتي. والآن، وبعد أن تمت تبرئته يمكنني الاستمرار بحياتي.

- هل سترتبين الأوراق في وحدة التحرشات الجنسية؟

- سنبدأ من هناك ثم سنرى... فالسياسيون الكبار أيضاً يقومون بخطوات للوراء.

ثم انـزلقت عيناها نحو النافذة إلى الخليج... نحو فينوي ربما، وحين غادر هاري كان يعرف أن الضرر لا يزال هناك وسيبقى هناك.

نظر إلى يده... كان أون محقاً... إن كان كل طفل معجزة كاملة فإن الحياة عملية من الانحلال.

سعلت ممرضة عند الباب:

- حان الوقت لبعض الوخزات ياأون.
- أوه... أرجوك اعفيني ياأختاه.
- لا أحد يعفى هنا.

تنهد شتال أون:

- ما الأسوأ أيتها الأخت؟ أخذ حياة شخص يريد الحياة أو منع شخص يريد الموت من الموت؟

ضحك شتال وبتي والممرضة، لكن أحداً لم يلاحظ هاري وهو يرتعد على كرسيه.

صعد هاري التلال الشاهقة من المشفى إلى بحيرة سوغنسفان حيث لم يكن هناك الكثير من الناس وإنما الحشد المخلص من الأشخاص الذين يمشون يوم الأحد حيث يطوفون حول البحيرة. كانت راكيل بانتظاره عند الحاجز.

عانقا بعضهما، وبدأا التجول بصمت في الهواء الحاد، فيما كانت الشمس قاتمة في السماء الزرقاء الباهتة، والأوراق اليابسة تطقطق وتتفسخ تحت أقدامهما.

قال هاري:

- كنت أمشي خلال النوم.
- حقاً؟
- نعم... وربما كنت أقوم بذلك منذ فترة.
- ليس من السهل أن تكون حاضراً بالكامل طوال الوقت.

هز رأسه:

- لا... لا... أعني ذلك حرفياً... أظن أنني نهضت ومشيت في الشقة خلال الليل... الله وحده يعلم ما الذي كنت سأفعله.
- كيف اكتشفت ذلك؟
- في الليلة التالية لعودتي من المشفى كنت أقف في المطبخ وأنظر إلى الأرض إلى آثار أقدام مبللة، ثم أدركت أنني أنتعل حذائي المطاطي... كان الوقت منتصف الليل وكنت أحمل مطرقة بيدي.

ابتسمت راكيل ونظرت للأسفل، ثم قفزت خطوة ليمشيا معاً:

- بدأت المشي أثناء النوم لفترة بعد أن حملت مباشرة.
- أخبرني أون أن الأشخاص البالغين يمشون أثناء النوم خلال فترات التوتر.

توقفا عند حافة الماء، وشاهدا زوجاً من الإوز يطفو بهدوء وسكون

على السطح الرمادي.

- كنت أعرف منذ اللحظة الأولى من هو والد أوليغ، لكنني لم أكن أعلم أننا سننجب طفلاً حين علم أن حبيبته في أوسلو حامل.

ملأ هاري رئتيه بالهواء الحاد وأحس به يلسعه... كان مذاق الشتاء يملأه، فأغمض عينيه للشمس وأنصت.

- حين اكتشفت ذلك، كان قد اتخذ قراره وغادر موسكو إلى أوسلو. وهنا كان أمامي خياران: أن أمنح الطفل والداً في موسكو يحبه ويعتني به كما لو كان ابنه طالما أنه يظن أنه ابنه، أو أن يبقى الطفل بلا أب. كان الأمر عبثياً... فأنت تعرف رأيي بالكذب... لو أن أحداً أخبرني أنني سأعيش باقي حياتي بكذبة لكنت أنكرت ذلك باحتدام. حين تكون صغيراً فأنت تظن كل شيء بسيطاً لأنك لا تعرف شيئاً عن القرارات المستحيلة التي قد تواجهك. ولو أنني كنت سأفكر بنفسي وحدي لكان ذلك قراراً سهلاً أيضاً، لكنْ كان هناك الكثير من الأمور التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار... ليس فقط إن كنت سأحطم فجودور وأواجه عائلته، ولكن إن كنت سأحطم أشياء للشخص الذي غادر إلى أوسلو مع عائلته، كما كان علي أخذ أوليغ بعين الاعتبار؛ حيث أتى قبل أي شيء آخر.

- أفهم... أفهم كل شيء.

- لا، أنت لا تفهم لماذا لم أخبرك بهذا من قبل. معك لم يكن هناك أي أحد آخر لآخذه بعين الاعتبار، وقد تظن أنني حاولت الظهور كشخص أفضل مما أنا عليه.

- لا أظن ذلك... ولا أعتقد أنك شخص أفضل مما أنت عليه.

وضعت رأسها على كتفه.

- أتظن أن ما يقولونه عن الإوز صحيح؟ أنها طيور مخلصة لبعضها حتى يفرقها الموت؟

- أظن أنها مخلصة للوعد الذي قطعته.

- وما هو الوعد الذي يقطعه الإوز؟

- لا شيء حسبما أفترض.

- إذاً، أنت تتكلم عن نفسك الآن؟ في الواقع، لقد كنت أحبك أكثر حين كنت تقطع وعوداً ولا تفي بها.

- أترغبين بالمزيد من الوعود؟

هزت رأسها بالنفي.

حين بدأا المشي مجدداً وضعت ذراعها تحت ذراعه.

تنهدت:

- أتمنى لو كان بإمكاننا البدء من جديد، وأن نتظاهر كما لو أن شيئاً لم يحدث.
- أعلم.
- لكنك تعلم أيضاً أن ذلك لن يفيد.

استطاع هاري أن يعرف من نبرة صوتها أن تلك العبارة تخفي في مكان ما فيها إشارة استفهام صغيرة.

- كنت أفكر في الرحيل.
- آه، حقاً؟ إلى أين؟
- لا أعرف... لا تأتي للبحث عني، وخاصة في شمال أفريقيا.
- شمال أفريقيا؟
- إنها عبارة يقولها مارتي فيلدمان في أحد الأفلام حيث يرغب بالهروب وبالعثور عليه في الوقت نفسه.
- فهمت.

طار ظل فوقهما وفوق أرض الغابة الصفراء الرمادية... رفعا رأسيهما للأعلى... كانت إحدى الإوزات.

سألت راكيل:

- كيف انتهى الأمر في الفيلم. هل وجدا بعضهما مجدداً؟
- بالطبع.
- متى ستعود؟
- أبداً. لن أعود أبداً.

في قبو بارد في مبنى مرتفع في توين، وقف ممثلان قلقان عن لجنة السكان ينظران إلى رجل يرتدي بذلة عمالية، ويضع نظارة بعدستين زجاجيتين دائريتين سميكتين جداً. كانت الأنفاس تخرج من فم الرجل كغبار الجص الأبيض وهو يتكلم.

- هذا هو الأمر بالنسبة للفطور... لا يمكنك رؤية أنها هناك.

توقف وضغط بإصبعه الوسطى على خصلة الشعر الملتصقة بجبهته.

- لكنها موجودة.

انتهى